

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطور

مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذي هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه في الذاريات الذي هو مضمون الإنذار المدلول على صدقه في ق، فان وقوعه أثبت وأمكن من الجبال التي أخبر الصادق بسيرها، وجعل ذلك بعضها آية على ذلك، ومن الكتاب في أثبت أوضاعه ٢ لإمكان غسله وحرقة، ومن البيت الذي يمكن عامره وغيره إخراجه، ٥ والسقف الذي يمكن رافعه وضعه، والبحر الذي يمكن من سجره أن يرسله، وقد بان أن اسمها أدل ما يكون على ذلك بملاحظة القسم وجوابه حتى بمفردات الألفاظ في خطابه (بسم الله) الملك الأعظم ذي الملك والملكو (الرحمن) الذي عم بالرحمات من حقيقه الثبوت (الرحيم) الذي خص برحمته وتوفيقه أهل القنوت .

١٠

لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد، افتتحت هذه بآيات العذاب الذي هو روح الوعيد، فقال تعالى: (و الطور لا) وذلك أنهم لما كانوا يقولون عما أتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه سحر خيال لاحقيقة

(١) التافية والتمسون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٤٤ عند الكوفيين والشامي و ٤٨ عند البصريين و ٤٧ عند المدنيين والسكي - راجع نثر المرجان ٧ / ٥٣ (٢) من مد، وفي الأصل: أوضاعها .

له . أقسم بالجلل - الذى هو عندم و عند غيرهم من ذوى العقول - أثبت
الارض و أشدها و أصلها ، و عبر عنه بالطور الذى هو مشترك بين
مطلق الجبل و بين المضاف إلى سينا / الذى كان فيه نبوة موسى عليه
السلام و إنزال كثير من كتابه و غير ذلك - آيات تعلبها بنو إسرائيل
٥ الذين يستنصحوهم و يسألونهم عن النبي صلى الله عليه و سلم و يرضون
بقولهم فيه . فن آياته أنه كانت فيه الرحمة بمناجاة موسى عليه السلام
و ما كتب له فيه على الواح الجوهر و ما أنزل عليه من التاموس
الذى جعله هدى و رحمه و موعظة و ذكرا و تفصيلا لكل شىء . و كان
فيه مع الرحمة العذاب بما أتاهم من الصاعقة التى أماتهم ثم أحيام الله
١٥ و بما كانوا يشاهدون من السحاب الذى تخلاه فيكون كقنار الآتون ،
و فيه بروق كأعظم ما يشاهد من النار ، و أبواق تزعق بصوت هائل ،
و لما شوهد من اندكاك الجبل عند التجلي و صعق موسى عليه السلام
إلى غير ذلك من الآيات التى تكشف الظلمات ، و أيضا فالطور كل
جبل يفت ، و إنبات الجبل عجيب ، فان نباته لا يكون إلا بسبب ، و سبب
١٥ النبات الماء ، و الماء منبث فى الارض لتركبها عليه و هو مواز لما انكشف
منه من ماء البحار ، و كلما علت الارض بعدت عن الماء ، و الجبال
أبعدها منه ، فسبب إنباته خفي جدا لا يعلمه إلا الله [و من فهمه إياه -] .

(١) من مد ، و فى الأصل : مضاف (٢) من مد ، و فى الأصل : الصاعقة .

(٣) من مد ، و فى الأصل : كان عظم (٤) من مد ، و فى الأصل : البوارق .

(٥) فى مد : بعضها يكشف (٦) ريد من مد .

ولما كانت الأرض لوح السماء التي منها الوعيد، وكانت الجبال أشدها، فذكر أعظمها آية. وكان الكتاب لوح الكاتب، وكانت الكتب الإلهية أثبت الكتب، وكان طور سينا قد نزل فيه كتاب إلهي قال: (وكتب) وحق أمره بقوله: (مسطور لا) أي متفق الكتابة بسطور مصفوفة من^٢ حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة ككتاب موسى عليه السلام الذي أنزل^٣ عليه وكلمه بكثير منه في الطور [و-^٤] تنكيره للتعظيم لأنه إن كان المراد به الكتب الإلهية فهو أثبت الأشياء، وإن كان المراد القرآن بخصوصه فهو أثبتا لا مبدل لكلماته، وإن كان المراد صحيفة قريش فقد [كانوا-^٥] ظنوها أثبت اليهود، و ذكر آتين^٦ ما يكتب فيه وأشده وأتقنه فقال: (في رق) أي في^٧ جلد مهياً^٨ باقتصر للكتابة (منشور لا) أي مهياً للقراءة والاعتاظ بما فيه، ويمكن أن يكون أراد به جميع الكتب المزالة عاماً بعد خاص، قال الرازي: قال الصادق: إن الله تجلى^٩ لعبده [بكتابه-^{١٠}] كما تجلى^{١١} بالطور لما كان محلاً للتجلى خلقاً، والكتاب لما كان محلاً للتجلى أمراً، أجزهما [في قرن-^{١٢}] - انتهى. ويجوز أن يكون أراد به سبحانه صحيفة^{١٣} الظلم التي كتبوها بما تعاقدوا عليه من أنهم لا يعاشر من بني هاشم

(١) من مد، وفي الأصل: الكتاب (٢) في مد: في (٣) في الأصل: هو ازاله، وفي مد: انزل (٤) زيد من مد (٥-٥) من مد، وفي الأصل: ذامين. (٦) سقط من مد (٧) من مد، وفي الأصل: يجتلي (٨) من مد، وفي الأصل: بما جراً عما - كذا.

ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا
 يؤازرونهم ولا يعاملونهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعلقوها في جوف الكعبة فاجاز بنو هاشم إلى شعب / أبي طالب خلف
 أبي قبيس و تبعهم بنو المطلب رهط إما منا الشافعي رضى الله عنه ، فتحيزوا^٥
 معهم من بين بنى عبد مناف ، فكان ذلك سبب شرفهم على مدى الدهر ،
 فأرسل الله على الصحيفة - بعد أن مضى على ذلك ستان حين جهدهم العيش
 ومضهم الزمان وزلزتهم القوارع زلزالا شديدا وهم ثابتون ليظهر الله
 [بذلك -^٦] شرف من شاء من عباده - الارضة ، فأبقت^٢ ما فيها من
 أسماء الله تعالى ومحت^٤ ما كان من ظلمهم وقطيعتهم ، فكان ذلك سببا
 ١٠ لأن قام في نقضها معشر منهم ، فنقضها الله بهم ، وكانوا إذ ذاك كفره
 كلهم ليظهر الله قدرته سبحانه على كل من النقض والإبرام بما شاء ومن
 شاء (والبيت المعمور لا) الذى هو قيام للناس كما كانت قبة الزمان
 قياما لبني إسرائيل ، هذا إن كان تعالى اراد به الكعبة التى علقوا فيها
 الصحيفة بعد أن كانوا لما عمروها اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في
 ١٥ موضعه ، وزاد بهم الاختلاف حتى تهاؤوا للقتال وتحالفوا عليه ، فكان
 منهم لعقة الدم ، ومنهم المطيبون كما هو مشهور في السير ، ثم وقفوا
 لأن رضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب عينوه ، فكان أول داخل
 منه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا بأجمعهم^٥ : هذا محمد هذا الأمين ، رضينا

(١) في مد ، : لتحيزوا (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي الأصل : فالتق

(٤) من مد ، وفي الاصل : سميت (٥) ليس في مد .

بحكمه، فحكم صلى الله عليه وسلم بأن يوضع الحجر الشريف في ثوب
و يأخذ رئيس كل قبيلة بطرف من أطرافه ويرفعوه كلهم، فلما وازى
موضعه أخذه هو صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فوضعه في موضعه،
فكان الفخر له مضاعفا بحكمه وإصلاحه بينهم، واختصاصه بوضعه
وهو معور بالزوار والخدمة وكثرة الحاشية .

وما كان البيت لابد في مساه من السقف قال: (و السقف المرفوع لا)
يريد سقف الكعبة إشارة إلى أنه محكم البناء مغلق الباب متقن السقف
إتقاناً هو أعظم من إتقان سقف قبة الزمان التي شاهد [فيها - ٢]
بنو إسرائيل من العظمة الإلهية والجلال ما إن سألتهم عنه أخبروكم به،
ومع ذلك ساط على الصحيفة - التي في جوفه، ولعلها كانت في سقفه ١٠
بحيث لا يصل إليها أحد - ما أفسدها تحقيقاً لثبوت ما أراد من أمره
تحذيراً مما توعد به، ويمكن أن يراد به مع ذلك السماء التي فيها ما
توعدون، ومن المعلوم أن لكل ذى عقل أن أقل السقوف لا يرتفع
بغير عمد إلا بأسباب لا ترى، فكيف بالسماء التي لها من السعة والعظمة
والثخن وما فيها من الكواكب ما لها بما لا يسع العقول شرحه، وهم ١٥
لا ينظرون أسبابه كما قال تعالى "بغير عمد ترونها" ونقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال: إنه العرش وهو سقف الجنة .

وما كان الماء أقوى من كل ما تقدم، ختم به فقال:

(١) في مد: يضع (٢-٢) من مد، وفي الأصل: إتقاناً من (٣) زيد من مد .

(٤-٤) من مد، وفي الأصل: عمد (٥) راجع البحر المحيظ ١٤٦/٨ .

(و البحر المسجور لا) أى الذى فيه من الماء أكثر من ملكه و هو ساجره
 - / أى مانعه - كما يمنع الكلب بساجوره عن الانسباح، ولو أراد خلاه
 فاندفق فجرى فأهلك ما مر عليه من جبل و كتاب و بيت كما شوهد لما
 سجره سبحانه لبنى إسرائيل فانطلق، و نشفت أرضه ثم لما أراد سبيه على
 آل فرعون فغذبهم به فأهلكهم حتى لم يبق منهم أحد .

٥ و لما أقسم بما يدل على نبوة موسى عليه السلام و ذلك بما أشار
 إلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم، و ثنى بما هو مشترك بينهما، و كان
 الأول مع ذلك دالا على استقرار الأرض، و الثالث على صلاحيتها
 للسكنى، و الثانى على الحافظ فى ذلك، و ربيع بما كمل المنافع، و حذر
 ١٠ من السقوط كما خوف بالأول من الخسف، و خمس بما دل على ما
 أريد بالأول من الاستقرار [لأنه - ٢] لو كان ميل لانطلق البحر إلى
 جهته، أجب القسم بقوله: (ان عذاب) و لما كان سبحانه [عظيم - ٣]
 الإكرام له صلى الله عليه و سلم، أضاف العذاب إلى صفة الإحسان
 و التربية الخاصة به، و أضاف الصفة إلى ضميره إيدانا بأنه يريه فى أمته
 ١٥ ما يسره. و أن بمائلة " ذنوبهم كذنوب اصحابهم " الماضين إنما هى
 فى مجرد الإذلال، لا فى أنه يستأصلهم كما استأصل أولئك فقال: (ربك)
 أى الذى تولى تربيتك أى عذاب أراد به بكل من أراد به لاسيما المعادى
 لأوليائه سبحانه (لواقع لا) أى ثابت نازل بمن أراد نزول ما هو ثقيل
 (١) من مد. و فى الأصل: (٢) من مد. و فى الأصل: كتابت (م) زيد
 من مد.

من مكان عال كما أنه لو أراد قلب الأرض التي ثبتها و' أرقع السقف
الذي رفع، وأطلق البحر الذي يجمر، كما علم من إطلاقه البحر فإلقة
على آل فوعون حتى أغرقهم به (ماله من دافع^١) لأنه لا شريك
لموقعه لما دلت عليه هذه الأقسام من كمال قدرته وجلال حكمته وضبط
أعمال العباد للجزازة سواء قلنا: إن الكتاب هو الذي يكتبه الحفظة ه
[أو-^٢] الذي يضبط [الدين-^٢]، فلما أوقع الجزاء بهم في الصحيفة،
ونقض معاقبتهم، وفض جمعهم، أخرج معاشرك^٢ من ذلك الضيق
فكذلك يؤيدك حتى توقع بهم و تنقض جمعهم و تكسر شوكتهم
[و نقل سرواتهم -^٢] و يظهر دينك على دينهم، و يصير من بق منهم
من حزبك و أنصار دينك، قال البغوي: [قال جبير بن مطعم رضي الله
عنه -^٥]: قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أسارى بدر، فدفعت إليه و هو يصلي بأصحابه المغرب و صوته يخرج
من المسجد فسمعتة يقرأ "و الطور- إلى قوله: إن عذاب ربك لواقع
ماله من دافع" فكأنما صدع قلبه حين سمعتة، ولم أكن أسلمت^٦
يومئذ، فأسلمت خوفا من نزول [العذاب-^٥] ما كنت أظن [أن-^٥] ١٥
أقوم من مقامى حتى يقع بي العذاب .

(١) ن مد، و في الأصل: ما (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل:
معاشره (٤) راجع العالم بهامش الباب ٣٠٧/٦ (٥) زيد من مد و العالم.
(٦) العالم و في الأصل و مد: سمعت (٧) زيد في مد: حينئذ .

وقال الإمام [ابو - ٢] جعفر بن الزبير: لما توعد تعالى كفار قريش ومن كان على طريقتهم من سائر من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم^٢ سيصيهم ما أصاب غيرهم من مكذبين الأمم، المنبه على ذكرهم في السورة قبل، ثم أشار سبحانه إلى عظيم ما ينالهم من الخزي / ٦٦
 ٥ وألم العذاب بقوله " فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون " أقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه - والعياذ به سبحانه من محطه وألم عذابه - فقال تعالى " والطور - إلى قوله تعالى: ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع " ثم أوما سبحانه إلى مستحقه و مستوجبه فقال " فويل للكاذبين " ثم ذكر [ما - ٢] يعنفون به و يوبخون على ما
 ١٠ سلف منهم من نسبته عليه الصلاة والسلام إلى السحر فقال تعالى " ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون " افسح هذا ام اتم لا تبصرون " ثم أعقب بذكر حال المؤمنين المستجيبين، ثم ذكر - [لئ - ٢] لإعلامه بحال الفريقين - نعمته على نبيه عليه الصلاة والسلام وعصمته ووقايته مما يقول المفترون فقال تعالى " فذكر فما انت بنعمة
 ١٥ ربك بكاهن ولا مجنون " ثم جرت الآي على توبيخهم في مقالهم ووهن انتقالاتهم، فرة يقولون: كاهن، و مرة يقولون: مجنون، و مرة يقولون: شاعر يترقب موته. فوبخهم على ذلك كله و بين كذبهم وأرغهم وأسقط ما بأيديهم [بقوله - ٢] " فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صدقين "

(١) من مد ، وفي الأصل : اقام (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي الأصل :

ان (٤) من مد ، وفي الأصل : المستوحين .

وهذا هو المسقط لما تقولوه أولاً و آخراً ، وهذا الذى لم يجدوا عنه جواباً ، ورضوا بالسيف والجلاد ، لم يتعرضوا لتعاطى معارضته ، وهذا هو الوارد^٢ فى قوله تعالى فى صدر سورة البقرة " وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا^٢ فاتوا بسورة من مثله^٢ " - الآيات ، فإلتقوا فى جوابه بينت شفة " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هـ هذا القرآن لا ياتون بمثله " فتبارك من جعله آية باهرة و حجة قاهرة - انتهى .

ولما أثبت وقوع العذاب ، تشوفت^١ نفس الموقن إلى وقته ، قال مستأنفاً ليان^٢ أنه واقع على تلك الصفة : (يوم تمور) أى تتحرك و تضطرب و تجمى و تذهب و تتكفأ تكفأ السفينة و تدور دوران^{١٠} الرحى ، و يموج بعضها فى بعض ، و تختلف أجزاءها بعضها فى بعض ، و لا تزال عن مكان ؛ قال البغوى^٣ : و المور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب و المجرى^٤ و التردد و الدوران و الاضطراب ، قال الرازى : و قيل : تجمى^٥ و تذهب كالدخان ثم تضمحل . (السماء) التى هى سقف بيتكم الأرض (مورال) أى اضطراباً شديداً (و تسير الجبال) أى تنتقل^{١٥} من أمكنتها انتقال السحاب ، و حقق معناه بقوله : (سيراً^٥) فقصره بـ

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل : المعارضة (٢) من مد ، و فى الأصل : العار .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) زيد فى الأصل : النفس أى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحدفاها (٥) فى مد : بيان (٦) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٠٧ .

منثورا وتكون الأرض قاعا صفصفا .

ولما حقق العذاب و بين يومه ، بين أهله بقوله مسينا عن ذلك :

(فويل) هي كلمة يقولونها لمن وقع في الهلاك . ومعناه حلول شر

فاضح يكون فيه ندبة^١ و تفجع (يومئذ) أى يوم إذ يكون ما^٢

٥ / ٦٧ تقدم ذكره (للأكذابين لا) / أى العريقين في التكذيب وهم^٣ من مات

على نسبة الصادقين إلى الكذب .

ولما كان التكذيب قد يكون في محله ، بين أن المراد تكذيب

ما محله الصدق فقال : (الذين هم) أى من بين الناس بطواهرم

و بواطهم (في خوض) أى أعمالهم وأقوالهم أعمال الخائض في

١٠ ماء ، فهو لا يدري أين يضع رجله . ولما كان ذلك قد يكون من دهشة

بهم أو غم ، نقي ذلك بقوله : (يلعبون ؟) فاجتمع عليهم أمران موجبان

للباطل : الخوض و اللعب ، فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول و لا فعل

في موضعه ، فلا يؤسس على بيان أو حجة . ولما صور تكذبيهم بأشنع^٤

صورة ، بين ويلهم ببيان ظرفه و ما يفعل فيه فقال^٥ : (يوم يدعون)

١٥ أى يدعون دفعا عنيفا بجفوة و غلظة^٦ من كل^٧ من يقيمه الله لذلك ،

ذاهبين و منتهين (الى نار جهنم) و هي الطبقة التى تلقاهم بالعبوسة

و الكراهة و التغيظ^٨ و الزفير ، و أكد المعنى و حققه بقوله : (دعاهم)

(١-١) من مد ، و فى الأصل : بدمه (٢) من مد ، و فى الأصل : بما (٣) من

مد ، و فى الأصل : هو (٤) من مد ، و فى الأصل : لو (٥) من مد ، و فى

الأصل : باصنع (٦) من مد ، و فى الأصل : قال (٧-٧) من مد ، و فى الأصل :

بكل (٨) من مد ، و فى الأصل : التغيظ .

قال البغوي^١: وذلك أن خزنة جهنم يفلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم دفعا على وجوههم وزجا في أفتيتهم، مقولا لهم تبكيئا و توييخا: (هذه النار) أي الجسم المحرق المفسد لما [أقي - ٢] عليه، الشاغل عن اللعب (التي كنتم) بجبلاتكم الفاسدة .

ولما كان تكذيبهم [بها - ٢] في أقصى درجات التكذيب، وكان هـ [سيبا - ٢] لكل تكذيب، كان كأنه مقصور عليه فقال مقدا للظرف إشارة إلى ذلك^٢: (بها تكذبون هـ) أي في الدنيا على التجديد والاستمرار .

ولما كانوا يقولون عنادا: إن القرآن بما فيه [من الوعيد - ٢] سحر، سبب عن ذلك الوعيد [قوله - ٢] مبكنا مويخا متهمكا:

(افسح هذا) أي الذي أتم فيه من العذاب مع هذا الإحراق الذي ١٠
تصلون منه (ام اتم) في منام ونحوه (لا تبصرون ع) بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا " قلوبنا في اكنة " ولا بالأعين كما كنتم تقولون للنفوس " من بيننا وبينك حجاب فاعمل انا عاملون "، أي أتم عمي عن المخبر عنه مع إحراقه لهم كما كنتم عميا عن الخبر أي هل تستطيعون أن تقولوا أنكم لا تبصرون المخبر عنه كما كنتم تقولون في الخبر كذبا ١٥

[و - ٢] فجورا، ثم يقال لهم بعد هذا التبيكيت الذي يقطع بأن جوابهم يكون بأن يقولوا: لا وعزة ربنا ما هو بسحر ولا خيال، بل هو حقيقة،

(١) راجع العالم بامش الباب ٦ / ٢٠٧ (٢) زيد من مد (٣) زيد في الأصل: بقوله، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٤) وقع في الأصل قبل « بجبلاتكم الفاسدة » والترتيب من مد (هـ) من مد، وفي الأصل: اتم .

ونحن في غاية الإبصار [على سبيل - ١] الإخزاء، و الامتحان والإذلال:
 ﴿ اصلوها ﴾ أى باثروا حرها وقاسوه وواصلوه كما كنتم تواصلون
 أذى عبادى^٢ بما يحرق قلوبهم ﴿ فاصبروا ﴾ أى فیتسبب عن تكذيبكم^٣
 فى الدنيا ومباشرتكم لها الآن أن يقال لكم: اصبروا على هذا الذى
 لاطافه لكم به ﴿ او لا تصبروا ﴾ فانه لا محيص لكم عنها ﴿ سواء عليكم ﴾
 أى الصبر والجزع .

ولما كان المعهود أن الصبر له منزلة على الجزع، بين أن ذلك
 حيث لا تكون المصيبة إلا على وجه الجزاء / الواجب وقوعه فقال
 مغللا: ﴿ انما تجزون ﴾ أى يقع جزاؤكم الآن وفيما يأتى على الدوام
 ١٠ ﴿ ما كنتم ﴾ أى دائما بما هو لكم كالجبله ﴿ تعملون ﴾ [مع - ٥]
 الاولياء غير مباين بهم، فكان هذا عمرة فعلكم بهم .

ولما ذكر ما للكذابين من العذاب المشار إليه بكلمات القسم،
 أتبعه ما لأضدادهم من الثواب المنبه عليه أيضا بتلك الكلمات ليم الخبر ترغيبا
 وترهيبا، فقال جوابا لمن كأنه قال: فما لمن عاداهم فيك؟ مؤكدا لما
 ١٥ للكفار من التكذيب: ﴿ ان المتقين ﴾ أى الذين صارت التقوى لهم
 صفة راسخة ﴿ فى جنت ﴾ أى بساتين دائما فى الدنيا حكما و فى الآخرة .
 ولما كانت البساتين ربما يشقى داخلها أو صاحبها، [نفي هذا بقوله - ٤]:

(١) زيد من مد (٢) فى مد؛ عباد الله (٣) من مد، و فى الأصل: تكذيبهم .
 (٤) و من هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (٥) زيد نظرا للسياق .

(ونعيم لا) أى نعيم فى العاجل ، يعنى بما هم فيه من الأانس ، والآجل بالفعل ، وزاد فى تحقيق التمتع بقوله : (فاكهين^١) أى معجبين متلذذين (بما آتاهم ربهم ج) الذى تولى تربيتهم بعملهم بالطاعات إلى أن أوصلهم إلى هذا النعيم ، فهو لأن عظمته من عظمته لا يبلغ كنه وصفه . ولما كان المتمتع قد تكون نعمته بعد عذاب ، فبين أنهم ليسوا كذلك فقال : ه (ووقفهم) أى قبل ذلك (ربهم) أى المفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصى والقاذورات (عذاب الجحيم ه) أى النار الشديدة التوقد .

ولما كان من باشر النعمة و جانب النعمة فى هناء عظيم ، قال مترجما لذلك على تقدير القول : (كلوا) أى أكلا هنيئا (واشربوا) شربا (هنيئا) أى لانقص فيه ، وهو صفة فى موضع المصدر أى هتأم ١٠ بمعنى أن كل ما تناولونه مأمون العاقبة من التخمة والسقم ونحوهما (بما كنتم) أى كوننا راسخا (تعملون لا) أى مجددين له على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم .

ولما كان النعيم لا يتم إلا بأن يكون الإنسان مخدوما ، به عليه بقوله : (متكئين) أى مستندين استناد راحة ، لانهم يخدمون فلا ١٥ حاجة لهم إلى الحركة (على سرر مصفوفة ج) أى منصوبة واحدا إلى جنب واحد ، مستوية كأنها السطور على أحسن نظام و أبدعه ، قال الأصهباني : والصفة : مد الشيء على الولاء . ولما كان السرور لا يتم إلا بالتمتع بالنساء قال : (وزوجنهم) أى تزويجا يليق بما لنا من العظمة .

(١) و قراءة عاصم « فكهين » راجع ثر المرجان ٧ / ٥٧ .

و لما كانت تلك الدار غنية عن الاسباب ، فكانوا غنيين عن العقد ، قال مشيرا بالباء إلى صرف الفعل عن ظاهره فانه إذا كان بمعنى النكاح تعدى بنفسه ، و تضمين الفعل ” قرنام ” أى جعلناهم أزواجا مقرونين (بحور) أى نساء هن فى شدة يياض العين و شدة سوادها و استدارة حدقتها ٥ ورقة جفونها فى غاية لا توصف (عين ه) أى واسعات الاعين فى رونق و حسن .

و لما وصف حال المتقين من أعداء المكذبين و بدأ بهم لشرفهم ، أتبعهم من هو أدنى منهم حالا لتكون النعمة تامة فقال : (و الذين آمنوا) يعنى أقروا بالإيمان و لم يبدلوا و لا بالغوا فى الأعمال الصالحة . و لما كان من هؤلاء من لا يتبعه ذريته بسبب إيمانه لأنه يرتد عنه ، عطف على فعلهم تمييزا لهم و احترازا عن من لم يثبت / قوله : (و اتبعنهم) أى بما لنا من الفضل الناشء عما لنا من العظمة (ذريتهم^١) الصغار و الكبار و إن كثروا ، و القرار لأعينهم بالكبار بإيمانهم و الصغار بإيمان آباؤهم (بايمان) أى بسبب إيمان حاصل منهم ، و لو كان فى أدنى درجات الإيمان ، و لكنهم ثبتوا عليه إلى أن ماتوا ، و ذلك هو شرط إتباعهم الذريات ، و يجوز ان يراد و هو أقرب : بسبب إيمان الذرية حقيقة إن كانوا كبارا ، و حكما إن كانوا صغارا ، ثم أخبر عن الموصول بقوله : (الحقنا بهم) أى بفضلنا لأجل عمل آباؤهم (ذريتهم^٢) و إن لم يكن للذرية أعمال ، لأنه قيل فى المعنى : ” و لأجل عين ألف عين تكرم “

(١) و قراءة عاصم « اتبعنهم » راجع نثر المرجان ٦٠ / ٧ (٢) و قراءة عاصم : « ذريتهم » راجع نثر المرجان ٦١ / ٧ .

ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة، فان كان معها
أخذ لعلم أو عمل كانت أجدرا، فتكون ذرية الإفاضة كذرية الولادة،
وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب، في جواب
من سأل عن يحب القوم ولم يلحق بهم .

ولما كان ربما خيف أن ينقص الآباء بسبب إلحاق ذرياتهم بهم ه
شيئا من درجاتهم، قال: ﴿ وما التثهم ﴾ أى نقصنا الآباء وحبسنا عنهم
﴿ من عملهم ﴾ وأكد التثي بقوله: ﴿ من شيء ﴾ بسبب هذا الإلحاق
وكان من فوق رتبهم من الذين يؤمنون و المؤمنين و المتقين و غيرهم
أولى منهم، وإنما فصلهم منهم لأن هؤلاء قد لا يوتنون قبل دخول الجنة
العذاب، قال جامعا للفريقين، أو يقال - [و - ٢] لعله أقرب - أنه ١٠
لما ذكر إلتباع الأدنى للأعلى في الخير فضلا، أشفقت النفس من أن
يكون إلتباع في الشر فأجاب تعالى بأنه لا يفعل بقوله: ﴿ كل امرئ ﴾
أى من الذين آمنوا و المتقين و غيرهم ﴿ بما كسب ﴾ أى من ولد
و غيره ﴿ رهين ﴾ أى مسابق و مخاطر و مطلوب و أخذ شيئا بدل كسبه
و موفى على قدر ما يستحقه و محتسب به إن كان عاصيا، فمن كان صالحا ١٥
كان أخذا بسبب صلاح ٢ ولده لأنه كسبه، و لا يؤخذ به ذلا و هو
حسن في نفسه لأجل الحكم بإيمانه سواء كان حقيقة أو حكما و كل حسن
مرتفع، فلذلك يلتحق بأبيه، و أما الإساءة قاصرة على صاحبها يؤخذ
بها و يرهن بذنبه و لا يؤخذ بذنب غيره، و الحاصل أن المعالي التي هي

(١) في الأصل: فيكون (٢) زيد نظرا للسياق (٣) في الأصل: صلاحه .

كالحياء تفيض من صاحبها على غيره فتحية، والمساوئ التي هي كالموت لا يتعدى صاحبها، قال الرازي في اللوامع . أعلم أن الذوات بقاؤها ودوامها ببقاء صورها، فحيث ما كانت الصورة المقومة لها أدوم كانت الذوات بها أقوم، وأن النفوس الإنسانية ذوات وصورها علومها وأخلاقها،

هـ فحيث ما كانت العلوم حق اليقين ثم عين اليقين، والأخلاق مقومة على نهج الشرع المبين، كانت النفوس دائمة بدوامها غير مستحيلة، إذ لا تطرق الاستحالة إلى اليقين والعلم الحق، وغير كائنة ولا فاسدة / إذ ليس عين اليقين ولا العلوم الحقيقية من عالم الكون والفساد، وإن لم تبلغ النفس إلى كمال اليقين فتعلقت بدليل صاحبها كما انخرطت في

١٠ سلكها حتى يخرب الإنسان في سلك محبته، ولو احب أحدكم حجرا حشرا معه، فإن الدين هو الحب في الله والبغض في الله، ولهذا اكتفى الشرع من المكلفين بإسلام وتسليم وتفويض وتحكيم دون الوقوف على المسائل العويصة بالبراهين الواضحة الصحيحة، وما لم يبلغ الولد حد التكليف واختتم الحقوق بآبائهم وحكم عليهم بحكم عقائدهم وآرائهم حتى يكون

١٥ [حكم - ١] آباؤهم جاريا عليهم وحكم القيامة نافذا فيهم، وأما إذا كانت الصورة القائمة بالذوات مستحيلة بأن كانت جهلا وباطلا يتقص أوله آخره وآخره أوله، كانت ذات النفس لا تنعدم ولا تنفنى بل تبقى على حال لا يموت فيها ولا يحيى، فانها لو فنيت لاستراحت ولو بقيت لاستطابت، فهي على استحالة بين الموت والحياة، وهذه الاستحالة

(١) زيد نظرا للسياق .

لاتكون إلا في أجساد و أبدان ” كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها “ انتهى . و هو كما ترى في غاية النفاسة ، و يؤيده « يحشر المرء
على دين خليله فلينظر أحكم من يخال ، و يجوز أن تكون الجملة تعليلا
لما قبلها من النفي ، أى ما نقصناهم لأنه قد سبق في حكنا بأن يكون
« كل امرئ ، قدرنا أن يرتهن بما قد ينقصه ” بما كسب “ أى لا يضر ما
كسب ما كسبه غيره ” رهين “ أى معوق عن النعيم حتى يأتيه بما يطلق
من العمل الصالح .

و لما جمعهم في إلحاق الذرية بهم لأنه من أعظم النعيم ، و أمثم
ما قد يخشى من نقصهم بنقصه غيرهم ، و علل ذلك ليكون أرسخ في النفس ،
أتبعه بما يشاكله فقال : (و امددتهم) أى الذين آمنوا و المتقين و من ١٥
الحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم (بفأكهة) .
و لما كانت الفأكهة ظاهرة فيما يعرفونه في الدنيا و إن كان عيش الجنة
بجميع الأشياء تفكها ليس فيه شيء يقصد به حفظ البدن قال :
(و لحم مما يشتهون) ليس فيه شيء منه مما لا يعجبهم غاية الإعجاب .

و لما كان هذا النعيم العظيم المقيم يدعو إلى المعاشرة ، بالقرينة ١٥
العاطرة . بين أن ذلك حالهم اللازمة الظاهرة ، من الحاصل اللائقة
الطاهرة ، فقال : (يتنازعون) أى يشربون متجادين مجاذبة الملاعبة
لفرط المحبة و السرور و تحلية المصاحبة (فيها كأسا) أى خمر من
رقة حاشيتها تكاد ان لاترى في كأسها . و لما كان في خمر الدنيا غوائل
نقاها عنها فقال : (لا لغو) أى سقط مما يضر و لا ينفع (فيها) ٢٠

أى فى تنازعها و لا بسبها لأنها لا تذهب بعقولهم و لا يتكلمون إلا بالحسن
الجميل (و لا تائسهم) أى و لا شئ فيها مما يلحق شئ ابها إنما
و لا يسوغ نسه .

و لما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها و لا يعظم إلا بخدم و سقاة قال :

٥ / ٧١ (و يطوف / عليهم) أى بالكؤوس و غيرها من أنواع التحف

(غلمان) و لما كان أحب ما إلى الإنسان ما يختص به قال : (لهم)

و لم يصفهم لثلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل

من خدم أحدا فى الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له فى الجنة

فيحزن بكونه لا يزال تابعا ، و أفاد التشكير أن كل من دخل الجنة

١٠ وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك (كأنهم) فى بياضهم و شدة صفائهم

(لؤلؤ مكنون) أى مصون فى الصدف لم تغيره العوارض ، هذا حال

الخدوم فما ظنك بالمخدوم .

و لما كان الأذما إلى الحبيب و أعظم ما يكون من أربه ذكر محبوه

و الشاء عليه بما من به ، قال تعالى شارحا لذلك عاطفا على ما تقديره :

١٥ فأقبلوا على تعاطى ما ذكر من النعم : (و اقبل بعضهم) لما ازدهام من

السرور ، و راقهم^٢ من اللذة و الحبور (على بعض يتسألون) أى يسأل

بعضهم بعضا عن السبب الموصل له إلى هذا النعيم الذى لا يقدر مخلوق

على وصفه حق وصفه ، ثم استأنف شرح ذلك بقوله : (قالوا) أى

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد فى الأصل : و اراقهم ، و لم تكن

الزيادة فى مد لحذفناها .

قال كل منهم مؤكدا استلذاذا بما أدام إلى ما هم فيه لأنه [لا - ١]
يكاد يصدق، مسدين النعمة بفعل السكون إلى الله الذي جبلهم جلة خير،
مستطين الجار إشارة إلى دوام خوفهم، تنبيها على أن الخوف الحامل على
الكف عن المعاصي يشترط فيه الدوام، بخلاف الرجاء الحامل على
الطاعات، فانه يكفي فيه ما تيسر كما تأتي الإشارة إليه باثبات الجار: ه
﴿ انا كنا قبل ﴾ أي في دار العمل ﴿ في اهلنا ﴾ على ما لهم من العدد
و العدد و النعمة و السعة، ولنا بهم من جوارب اللذة و الدواعي إلى اللعب
﴿ مشفقين ه ﴾ أي عريقين في الخوف من الله لا يلهينا عنه شيء مع لزومنا
لما تقدر عليه من طاعته لعلنا بأنا^٢ لا تقدره لما له من العظمة و الجلال
و الكبرياء و الكمال حق قدره، وأنه لو واخذنا بأصغر ذنوبنا أهلكتنا: ١٥
قال الرازي: و الإشفاق: دوام الحذر مقرونا بالترحم، و هو أن يشفق
على النفس قبل أن تجمح إلى العناد، و له أقسام: إشفاق على العمل أن
يصير إلى الضياع، و إشفاق على الخليفة لمعرفة مقاديرها، و إشفاق على
الوقت أن يشوبه تفرق و على القلب أن يمازجه عارض [و - ١] على
النفس أن يداخلها سبب - انتهى .

١٥

و لما حكي عنهم سبحانه أنهم أنبتوا لأنفسهم عملا تدرييا لمن أريدت
سعادته، فكان بحيث يظن أنهم رأوه هو السبب لما وصلوا إليه، قالوا
نافين لهذا الظن، ميين أن ما هم فيه [إنما هو - ١] ابتداء تفضل من الله
تعالى لأن إشفاقهم^٢ منه سبحانه لكيلا يعتمد الإنسان على شيء من عمله
(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل: بان (٣) من مد، وفي
الأصل: و اشفاقه .

فلا يزال معظما لربه خائفا منه: ﴿فَنُذِرْكَ﴾ الذى له جميع الكمال بسبب
إشفاقنا منه ﴿علينا﴾ بما يناسب كماله فأَمَتْنَا ﴿وَوَقَّتْنَا﴾ أى وجبنا
بما سترنا/ به١ ﴿عذاب السموم﴾ أى الحر النافذ فى المسام نفوذ السم.

/ ٧٢

ولما ذكروا إشفاقهم، بينوه مؤكدين أيضا لمثل ذلك بقولهم:
٥ ﴿انا كنا﴾ أى بما طبعنا عليه وهيتنا له. ولما كان الدعاء بمعنى فعل
العبادة، وكانت تقع فى بعض الزمان، أثبت الجار إشارة إلى ذلك
مع إسقاطه قبل هذا ٢ فى الدعاء ٢ بالقوة إشارة إلى أن التحلى بالفضائل
يرضى منه باليسر، والتخلى عن الرذائل لا بد فيه من البراءة عن كل قليل
وكثير قبيح: ﴿من قبل﴾ أى فى الدنيا ﴿ندعوه ٣﴾ أى نسأله ونعبده
١٠ بالفعل، وأما خوفا بالقوة فقد كان فى كل حركة وسكنة، ثم عللوا
دعاهم إياه مؤكدين لأن إنعامه عليهم مع تقصيرهم بما لا يكاد يفعله غيره،
[فهو - ٣] مما يعجب منه غاية العجب فقالوا: ﴿انه هو﴾ أى وحده
﴿البر﴾ الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة ومنعه رحمة، لانه لا يتقصه
إعطاء؛ ولا يزيد منعه، فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فر بما بره
١٥ بالنعمة وربما بره بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له
ليوسع له فى العقبي، فعلى المؤمن أن لا يتهم ربه فى شيء من قضائه
﴿الرحيم ٤﴾ المكرم لمن أراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته،

(١) زيد فى الأصل من، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٢-٣) من مد، وفى

الأصل: بالدعاء (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفى الأصل: عطاء.

ثم بافضاله عليه وإن قصر في خدمته .

ولما كان هذا مع تشويقه إلى الجنة والأعمال الموصلة إليها
وعظا يرقق القلوب ويحلى الكروب ، سبب عنه قوله : ﴿ فذكر ﴾ أى
جدد التذكير بمثل هذا اكل من يرجو خيره ودم على ذلك ، وسماه تذكيرا
لأنه مما يعلمه الإنسان إذا أمعن النظر من نفسه أرمن الآفاق ، وعلل ٥
التذكير بقوله : ﴿ فأنت ﴾ أى و أنت اشرف الناس عنصرا و أكملهم
[نفسا - ٢] و أزكاهم خلأق هم بها معترفون لك قبل النبوة ﴿ بنعمت ربك ﴾
أى بسبب ما أنعم به عليك المحسن إليك من هذا الناموس الأعظم
بعد تأهيلك له بما هياك به من رجاحة العقل و علو الهمة و كرم الفعال
وجود الكف و طهارة الأخلاق و شرف النسب ، و أكد النفي بقوله : ١٠
﴿ بكاهن ﴾ أى تقول كلاما - مع كونه سيمما متكلفا - أكثره فارغ و تحكم
على المغيبات بما يقع خلاف بعضه . و لما كان للكاهن و المجنون اتصال
بالجن ، أتبع ذلك قوله : ﴿ ولا مجنون ﴾ أى تقول كلاما لانظام له
مع الإخبار ببعض المغيبات ، فلا يفترك قولهم هذا عن التذكير فانه
قول باطل لا تلحقك به معرفة أصلا ، و عما قليل يكون عييا لهم لا يغسله ١٥
عنهم إلا اتباعهم لك ، فمن اتبعك منهم غسل عاره ، و من استمر على
عناده استمر تبابه و خساره .

(١) من مد ، و فى الأصل : تشويقهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى
الأصل : الله (٤) من مد ، و فى الأصل : بالكاهن (٥ - ٥) من مد ، و فى
الأصل : عن هذا .

و لما كانت نسبه صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من هذا القرآن
 الأمر بالحكمة إلى أنه أتى به عن الجن الذين طبعهم الفساد بما لا ينبغي
 أن يتخيله^١ أحد فضلا أن يقوله له صلى الله عليه وسلم ، ولا يكاد / يصدق
 أن أحدا يرميه به ، فكان في طيه سؤال^٢ تقريع و توبيخ ، نه على ذلك
 بالعطف على ما تقديره : أيقولون هذا القول البعيد من اقوال أهل
 العقول : (أم يقولون) ما هو أعجب في مجرد قوله فضلا عن تكريره .
 فأم معادلة للاستفهام قبلها لامقطوعة ، وكذا جميع ما بعدها وهو معنى
 ما نقله البغوي^٣ عن الخليل أنه قال : ما في سورة الطور من ذكر " أم " ،
 كله استفهام و ليس بعطف . (شاعر) يقول^٤ كلاما موزونا بالقصد ،
 ١٠ يلزمه التكلف لذلك فيغاب إلزام الوزن قائله حتى يجعل اللفظ^٥ هو الأصل
 و يجعل المعنى تابعا له ، فيأتى كثير من كلامه ناقص المعانى هلهل النسيج
 مغلوبا فيه على أمره معترفا [إذا وقف عليه بتقصيره متعذرا - ٧] بما
 زانه به زعم من أوزانه ، و ساق سبحانه هذا و كذا ما بعده من
 الأقسام على طريق الاستفهام مع أن نسبتها إليهم محققة ، تبديها على أن
 ١٥ مثل هذا لا يقوله عاقل ، و إن قاله أحد لم يكف الناقل عنه يصدق :

(١) من مد ، و في الأصل : بما (٢) من مد ، و في الأصل : محله (٣-٢) من
 مد ، و في الأصل : سواه طئي (٤) لم نعثر عليه في معالم التنزيل بهامش لباب
 التأويل في مظانه ، و القول أورده أبو حيان في البحر ١٥١ / ٨ فقال : و حكى
 الثعلبي عن الخليل - فتأمل (٥) من مد ، و في الأصل : يقولون (٦) من مد ،
 و في الأصل : الوزن (٧) زيد من مد .

(تتربص) أى تنتظر (به ريب المنون هـ) أى حوادث الدهر من الموت وغيره القاطعة، من المن وهو القطع .

ولما كان كأنه قيل لهم : إنهم ليقولون ذلك ، قال معلما جوابهم :

(قل تربصوا) و لم يعرج على حاجتهم فى قولهم هذا تنبيها على أنه

من السقوط بمنزلة لا يحتاج معها إلى رد بمجادلة ، ثم سبب عن أمره لهم هـ

بالربص قوله : (فاقى معكم) وأكده تنبيها على أنه يرجو الفرح

بمصيبتهم [كما يرجون الفرح بنصيبه - ١] وإن كانت كثرتهم وقوتهم

عندهم مانعة من مثل هذا التربص (من المتربصين هـ) أى العريقين فى

التربص وإن ظنتم خلاف ذلك ، وأشار بالمعنى إلى أنه مساو لهم [فى

ذلك وإن ظنوا لكثرتهم وقوتهم و وحدته و ضعفه أن الأمر خلاف ١٠

ذلك ، قال القشيرى - ١] : جاء فى التفسير أن جميعهم - أى الذين تربصوا

به - ماتوا ، قال : و لا ينبغى لأحد أن يؤمل اتفاق سوقه بموت أحد

لتنتهى التوبة إليه فقل من تكون هذه صفته إلا سبقتة المنية ، و لا يدرك

ما تمناه من الأمنية .

ولما كان قولهم هذا مما لا يقال أصلا وإن قيل على بعده كان ١٥

قوله كأنه على جهة سبق اللسان أو نحو ذلك ، به عليه بمعادلة ما تقديره :

أقالوا ذلك ذهولا : (أم نامرم) أى تزين لهم تزيينا يصير مألهم إليه

من الانبعاث كالآمر (أحلامهم) أى عقولهم التى يزعمون أنهم اختصوا

بموجودتها دون الناس بحيث أنه كان يقال فيهم : أولوا الأحلام والنهى

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل « و » .

(بهذا) أى وهم يعتقدون صحته وأنه العدل السواء لأنهم متقيدون بالأحلام والنهى على ما فيه من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه على حدته كما تقدم بيانه، وهو توبيخ عظيم بالإشارة إلى أنه ليست لهم عقول أصلا لقولهم هذا، فإن الكاهن شرطه أن يكون فى غاية المعرفة عندهم حتى أنهم يجعلونه حكما [و - ٢] ربما عبده، والمجنون لا يصلح لصالحه لأنه لا يعقل، والشاعر يعيد الأمر بوزن الكلام وكثرته من يجمع الكاهن^٢ وغيره^٢ وكلام المجنون: (ام هم) بظواهرهم وبواطنهم (قوم) أى ذرو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك (طاغون ج) أى مجاوزون للحدود، وذلك عادة لهم بما أفهمه الوصف، فهم لذلك لا يبالون بالعناد الظاهر فى مخالفته لما تأمر به الأحلام والنهى، ولا يقوله إلا الطغاة السفهاء مع ظهور الحق لهم، فهم يقولون الكلام المتناقض غير مبالين بأحد ولا مستحيين من أن ينسبوا إلى العدوان والمبالغة فى العصيان، والآية من الاحتباك: ذكر الأحلام أولا دليلا على ضدها ثانيا، والظن ثانيا على ضده "العدل السواء" أولا، وسره أن ما ذكر أشد تنفيرا من السوء وأعظم تقيحاله وتحذيرا منه (ام يقولون ٦) ما هو أفحش عارا من التناقض: (تقوله ج) أى تكلف قوله من عند نفسه

/ ٧٤

(١) من مد، وفى الأصل: بما (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) زيد فى الأصل: امر يقولون، ولم تكن الزيادة فى مد فخذتها. (٥) من مد، وفى الأصل: أولا (٦ - ٦) ونم فى الأصل قبل « والآية من الاحتباك » والترتيب من مد.

كذبا

(٦)

٢٤

كذبا و ليس بشعر ولا كهانة ولا جنون، وهم على كثرتهم وإمام بعضهم
 بالعلم وعراقة آخرين في الشعر والخطيب والرسول والسجع يعجزون
 عن مثله بل عن مثل شيء منه . ولما كان الكلام حقيقة في النفس ،
 وكانوا يعلنون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك ، كان التقدير: لم يقولوا
 شيئا من ذلك حقيقة واعتقادا (بل لا يؤمنون به) أى لا يقرون بالحق .
 مع علمهم ببطلان قولهم وتناقضه عنادا منهم لا تكذيبا في الباطن .
 ولما كان هذا القول أظهر بطلانا من كل ما قالوه لأن تكذيبهم
 لهم على تقدير كذبه - على زعمهم - غير موقوف على شيء خارج
 عن القوة ، طالبهم بالمعارضة لأنهم إذا عارضوه بمثله انفصل النزاع ، ولذلك
 سبب عما مضى قوله تكذيبا لهم في قولهم هذا الذى أظهره بأستهم ١٠
 يوقفون به غيرهم عن الخير : (فلياتوا) أى على أى تقدير أرادوه
 (بحديث) أى كلام مفرق مجدد إتيانه مع الأوقات لا تكلفهم أن
 يأتوا به جملة (مثله) أى القرآن في البلاغة وصحة المعاني والإخبار
 بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هي عليه والحكم .

ولما كان المقصود هنا مطلق التعجيز للكاذبين لا بقيد الاجتماع كما
 في سبحان لأن نزول هذه أوائل ما نزل ، تحدام بالإتيان بالمثل في التنجيم
 والتطبيق على الوقائع سورا أو آيات أو دون ذلك ، تحدث وتجدد شيئا
 في أثر شيء - بما أشار إليه التعبير بالحدوث ، ولذلك أعراه عن تظاهرهم
 بالاجتماع ودعاء المستطاع ، ولكونهم ' كاذبين في جزمهم ' بنفسه إلى

(١) من مد ، وفي الأصل : لكونكم (٢) من مد ، وفي الأصل : جزمكم .

التقول وغيره، أشار إلى ذلك بقوله مقرعا لهم إلهابا إلى الخوض في المعارضة : (ان كانوا) أي كوناهم راسخون فيه (صدقين) أي في أنه تقوله من عند نفسه شيئا فشيئا، [كونا - ١] هم عريقون فيه كما يزعمون سواء ادعوا أنه شاعر أو كاهن أو مجنون أو غير ذلك، لأن العادة تحيل
 ٥ أن يأتي واحد من قوم وهو مساو لهم بما لا يقدر [كلهم - ١] على مثله، / و العاقل لا يجزم بشيء إلا وهو عالم به، ويلزم^٢ من عليهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتي به، فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في الفصاحة والبلد والنسب، وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء، ومزاولة الخطب والرسائل وغير ذلك، فلا يقدر على ما
 ١٠ يعجزون عنه إلا بتأييد إلهي، وهو المراد من تكذيبهم، وقد علم من هذا وما تقدم من نحوه مفرقا في السور التي فيها مثله أن المتحدى به في كل سورة غير المتحدى به في الأخرى - والله الهادي، وهذه الأقسام الماضية من تكذيبهم تنأى أن تكون على تقدير الاعتقاد للإله على ما هو عليه من صفات الكمال فأتبعها قسما على تقدير النعتيل، وإذا
 ١٥ لم يكن إله لم يكن رسول فيأتي التكذيب، ثم أتبع ذلك قسما آخر هو على تقدير إثبات الإله لكن مع الضعف بالشركة، ولكون الشركة تارة تكون من المتكلم وتارة من غيره، قدم منها ما للتكلم على زعمه، و قدم^٣ تقدير شركته بالخلق ثم بضبط الخزان ثم بالكتابة ثم بسام
 (١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل : يلزمهم (٣) من مد، وفي الأصل : لكن (٤) من مد، وفي الأصل : قد تقدم .

الأسرار ثم بضعف السعة بالرضا بالصنف الأردأ .
 ولما مضت فضيحتهم بالتحدى ، وكانت عندهم فضيحة التناقض دون
 فضيحة المعارضة ، فكانوا يقدمونها عليها ، فلم يحدث أحد منهم يوما من
 الأيام بشيء مما يعارضه به علما منهم بأنهم يصيرون بذلك إلى خزي
 لا يمكن أن يغسل عاره كما صار مسيلية ، لأنهم [كانوا -^١] أعقل العرب ٥
 وكان التقدير كما هدى إليه السياق : فانك مستو معهم بالنسبة إلى إيجاد الله
 لكم ، هو سبحانه خالقهم كما أنه خالقك ، ولا خصوصية لك منه على
 زعمهم : أهو خالقهم كما هو خالقك فيلزمهم أن يأتوا بمثل ما أتى به ،
 وكان ذلك على تقدير إقرارهم بالله وادعائهم لكذبه صلى الله عليه
 وسلم ، عادله سبحانه تبكيثا لهم وإظهارا لفضائحهم أشنع مما فروا^٢ ١٠
 منه من المعارضة بقوله على تقدير أن يكونوا منكرين للاله أو مدعين
 لأن يكونوا آلهة^٣ : (ام خلقوا) أى وقع خلقهم على هذه الكيفية
 المتقنة (من غير شيء) فيكونوا مخالفين لصريح العقل إذ تعلق الخلق
 بالخالق من ضرورة الاسم كتعلقه بال مخلوق ليسلم لهم أنك أتى بما لا يقدر
 على معارضته لأنك أقوى منهم بكونك مستندا إلى خالق وهم ليسوا مستندين ١٥
 إلى شيء أو ليكونوا لذلك أقوى منك وأعلى ، فيكون لهم التكبر
 عليك (ام هم المخلوقون^٤) أى الذين لهم هذا الوصف فيكونون قد
 خلقوا أنفسهم ليكونوا بذلك شركاء فيكون الخالق والمخلوق واحدا ،

(١) زيد من مد (م) من مد ، وفى الأصل : قرارا (م) زيد فى الأصل ؛
 فقالوا ، ولم تكن الزيادة فى مد لحدفناها (ع) من مد ، وفى الأصل : فيكونوا .

وهو مثل القسم الذي قبله في عدم الاستناد إلى شيء أو يكون ثبوت هذا الوصف لهم موجبا لأن يكونوا على ثقة مما يقولون وللتكبر عليك، فإن ادعوا ذلك حكم أدنى الخلق بجنونهم؛ (أم خلقوا) أي [على - ٢] وجه الشرك (السفوت و الارض ع) فهم / لذلك عالمون بما فيها على وجه الإحاطة واليقين حتى علموا أنك تقولته ليصير لهم رده و التهمك عليه .

و لما كان التقدير: لم يكن شيء من ذلك ليكون لهم شبهة في الكلام فيك، عطف عليه قوله: (بل لا يوقنون) أي ليس لهم نوع يقين ليسكنوا إلى شيء^٢ واحد لكونه الحق أو يعلموا أن هذه الملازم الفاضحة تلزمهم فيكفوا عن أمثالها (أم عندهم) أي خاصة دون غيرهم (خزائن) و لما كان ذكر الرحمة لا يقتضيه مقصود السورة الذي هو العذاب، لم تذكر كما في ص و سبحان قليل: (ربك) المحسن إليك برسالك بهذا الحديث فعملوا أن هذا الذي أثبت به ليس من قوله لأنه لا تصرف له في الخزائن إلا بهم، فيصح قولهم: إنك تقولته وحيث يلمهم فضايح لا آخرها، منها أن أتوا بجديد مثله بل أحسن منه من تلك الخزائن (أم هم) لا غيرهم (المسيطرون) أي الرقباء الحافظون و الجبارون و المسيطون الرؤساء الحكماء الكتبة، ليكونوا ضابطين للأشياء كلها كما هو شأن كتاب السر عند الملوك فعملوا أنك تقولت هذا

(١) من مد، وفي الأصل: لتنكر (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفي الأصل: قول (٤) زيد في الأصل: رحمة، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها.

الذكر لأنهم لم يكتبوا به إليك (ام لهم سلم) يصعدون به [إلى - ١]
 السماء (يستمعون) أى يتعمدون السمع لكل ما يكون فيها ومنها
 (فيه ج) أى فى ذلك السلم وبسببه كما يكون بعض من يحضر مجالس
 الملوك فى الدنيا [ويعلم ما - ١] يقع فيها ليكونوا ضابطين^١ لما يأتى من
 الملك فيعلبوا أن ما قالوه فيك حق . ولما كان من يكون هكذا متمكنا
 من الإتيان منها بالمجائب، سبب عنه قوله: (فليات مستمعهم) إن
 ادعوا ذلك (بسلطن ميين^٢) أى حجة قاهرة بينة فى نفسها، موضحة
 لأنها من السماء على صحة ما يرمونك به .

ولما كان ما مضى على تقدير وجود الإله مع الشركة، وكان
 ادعاؤهم الولد^٣ عظيما جدا لدلالته على حاجته وضعفه، وكان جملة بنات ١٥
 أعظم لأنه دال مع ضعفه على سفهه، دل على استعظامه بالالتفات إلى
 خطابهم بعذابهم فقال: (ام له البنت) [أى - ١] كما ادعيتهم
 (ولكم) أى خاصة (البنون^٤) لتكونوا أقوى منه فتكذبوا رسوله
 محمدا صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من
 عذاب يأتيكم منه اضعفه وقوتكم . وهذه الأقسام كلها على تقدير ١٥
 التكذيب، وهى هنا بذكر ما على تقدير التصديق، وإنما وقع الرد
 فيها لعارض عرض .

ولما كان المكذب بشيء قد يكون معترفا بأنه من عند إلهه، وأن

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل: للأشياء كلها، ولم تكن الزيادة فى مد
 لخذفاها (٣) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٤) من مد، وفى الأصل: هذا .

إلهه متصف بجميع 'صفات الكمال' فلا شريك له، وإنما تكذيبه لقادح لا يقدر عليه، وكرب رعى بجميع^١ أنكاده إليه، أعرض عنهم التفاتا إلى الأسلوب الأول فقال مخاطبا له صلى الله عليه وسلم تنويها بذكره ورفعا لعظيم قدره وتسلية لما يعلم من نفسه الشريفة البراءة منه: / (أم تستلهم) أي

٥ أيها الطاهر الشيم البعيد عن مواضع^٢ التهم (اجرا) على إبلاغ ما أتيتهم به (فهم من مغرم) ولو قل، والمغرم: التزام^٣ ما لا يجب (مقلون^٤) أي حمل عليهم حامل بذلك ثقلا فهم لذلك يكذبون من كان سبيا في هذا الثقل بغير مستند ليستر يحوا بما جره لهم من الثقل .

و لما كان من يدعى الانفراد بشيء يحسد من يدعى مشاركته فيه

١٠ قال: (أم عندهم) أي خاصة بهم (الغيب) أي علمه (فهم يكتبون^٥) أي يحددون للناس [كتابة - °] جميع ما غاب عنهم بما يتفهمهم ويضرم حتى يحددونك^٦ فيما شاركتهم به منه. فيردوه لذلك. وينسوك إلى ما نسبوك إليه مما يعلم كل أحد ترافعك عنه وبعدك منه (أم يريدون) بهذا القول الذي يرمونك به (كيدا^٧) أي مكر^٧ أو ضررا عظيما

١٥ يطفون به نور الله بزعمهم مع علمهم بأنك صادق فيه، [فهم - °] بسبب إرادتهم ذلك - هكذا كان الأصل، ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف: (فالذين كفروا) أي ستروا الأدلة تارة عنادا وتارة

(١ - ١) من مد، وفي الأصل: انواع الكلام (٢) من مد، وفي الأصل: بعظيم (٣) في مد: مواقع (٤) من مد، وفي الأصل: الزام (٥) زيد من مد . (٦) من مد، وفي الأصل: يحددون (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد .

بالإعراض عن تأملها (م) أى خاصة (المكيدون ه) أى يختص
وبالالكيد بلزومه لهم وقطعه لدابرهم لأن من كان الإله عليه كان
خاسرا، وأقرب ما لهم من الكيد الظاهر فى بدر عن انتهاء سنين عدتها
عدة ما هنا من "أم" وهى خمسة عشر مرة لأن بدرا كانت فى الثانية من
الهجرة، وهى الخامسة عشرة من النبوة، فقد سبب الله فيها من الأسباب ه
ما أوجب سعيهم^١ إلى هلاكهم بأمر غارقة للعادة، فلو كانت لهم
بصار لكفتهم فى الهداية، والرد عن الضلالة والغواية .

ولما كان التقدير: أكذلك الأمر عادله بقوله: (أم لهم الله)
يمنعهم من التصديق بكتابتنا، أو يستندون إليه للامان من عذابنا (غير الله^٢)
الذى أحاط بجميع صفات الكمال. فلا يمكن بوجه من الوجوه ولا على ١٠
تقدير من التقادير أن يكون معه إله، ولذلك وصل به قوله:
(سبحن الله) أى الملك الأعظم الذى تعالى أن يدانى جنبه شائبة
نقص (عما يشركونه) من الأصنام وغيرها، وأخر سبحانه هذا القسم
وهو من الشركة لكن بالغير لأنه أت على تقدير التصديق للرسول
صلى الله عليه وسلم ولأنه دينهم الذى أوقفهم عن الهدى، فأوقفهم فى ١٥
الردى، ليحتم بنفسه والتزيه عن الأقسام فيحصل به غاية القصد والمرام.
والحاصل أنه قسم به سبحانه حالهم فى ردهم القرآن إلى التكذيب وغيره،
ولما كان التكذيب - وهو النسبة إلى الكذب وهو عدم المطابقة
للواقع - إما فى الإرسال، وإما فى المعانى، [و-^٢] ما وقع به الإرسال

(١) من مد، وفى الأصل: سعيهم (٢) زيد من مد .

إما لنقص في الرسول 'أو إما' النقص في المرسل ، و الذي في الرسول
 إما أن يكون لأمر خارج عنه أو لأمر داخل فيه . و لما كان الخارج
 قد يكون معه نقص / دخل بذاته ، و لما كان ذلك قد يكون فيه ما يمدح
 به و لو من وجه ، و هو الكهانة بدأ بها ، و اتبعه الداخل لذلك بأدنا
 بما قد يمدح به و هو الشعر . و لما كان القول بجمع الكهانة و 'الشعر
 و الجنون' في شخص واحد على غاية من ظهور التناقض لا يخفى ، اتبعها
 الرمي بالتهكم على عقولهم . و لما كان الكذب في الرمي بالتقول قد يخفى ،
 أتبعه دليله بالعجز عن المعارضة . و لما قسم ما رواه الرسول ، أتبعهم
 ما ألزمهم به في المرسل ، و لما كان ذلك إما أن يكون بالتعطيل أولا ،
 ١٠ و كان التعطيل أشد ، بدأ به و هو الخلق من غير شيء ، و لما كان النقص
 مع الإقرار بالوجود إما أن يكون بالشركة أولا ، و كان ما بالشركة إما
 أن يكون المكذب هو المشارك أولا ، و كانت شركة المكذب [أقعد
 في التكذيب بدأ بها ، و لما كانت شركة المكذب -] إما أن تكون
 في الخلق أولا ، و كان الأول إما أن يكون بخلق النفس أو الغير ،
 ١٥ و كانت الشركة بخلق النفس الصق ، بدأ بها في قوله : " أم هم الخالقون "
 و لما كانت الشركة بغير الخلق إما أن يكون بضبط الحواس أولا ،
 و كان الثاني إما أن يكون بضبط الكتابة فيها و إليه الإشارة بالمسيطر ،
 أو بضبط ما يؤمر به فيها و إليه الإشارة بالسلم أو بسفه صاحب الخزان
 لرضاه بالبنات ، و كان كل قسم أشد مما بعده رتبة هكذا . و لما انتهى ما يرجع
 (١ - ١) في مد : او (٢ - ٢) في مد : الجنون و اشعر (٣) زيد من مد .
 (٤) من مد ، و في الأصل « و » (٥) في مد : رتبها .

إلى التكذيب، اتبعه الرد لا للتكذيب بل لأمر آخر. ولما كان ذلك الأمر إما من الآتى أو من المأتى إليه [أو من غيرهما، و كان ما من الآتى ألصق بدأ به و هو المعرم، و لما كان ما من المأتى إليه - '] إما لحسد أو غيره، و كان أمر الحسد أشد، بدأ به و هو المشاركة فى الأبناء بما يكون به الفخر و الرئاسة و هو علم الغيب - '] الناظر بوجه للكهانة ٥ المبدوء بها فى قسم التكذيب، و آخر ما من الغير^٢ و هو الشريك المانع لهم من القبول، و خلطه بهذا القسم مع كونه قسيما لما فرض فيه المكذب مشاركا لخلوه عما قارن تلك الأقسام من التكذيب، هذا تمام القول فى إبطال ما لزمهم فيما تقولوه فى أمر القرآن، و قد تضمن ما ترى من تأصيله و تقسيمه و تفصيله من بيان مقدورات الله و عجائب ١٠ مصنوعاته ما ألزمهم حتما التوحيد الملزم بتصديق الرسالة و الإذعان للحق مع ما له من الإعجاز فى ترتيبه و نظمه و تهذيبه و تسهيله و تقريبه مجلوا أسلوبه العظيم بألفاظ هى الدر النظيم، و معان علت عن لاحق بغيرزة أو تعليم، يكاد لها أثبت القلوب بهيم فيطير، و أبلغ البلغاء فى أفنان روحها يتدله و يجير، فكان ذلك كما قال جبير بن مطعم رضى الله عنه ١٥ كما روى البخارى و مسلم و أبو داود و النسائى و ابن ماجه رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ فى المغرب بالطور، و قال البخارى فى التفسير: فلما بلغ هذه الآية "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" [أم خلقوا السموات و الارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك

(١) زيد من مد (ر) من مد، و فى الأصل: الغيب.

أم هم المسيطرون“ كاد قلبي يطير، وقال ابن ماجه: فلما سمعته يقرأ ”أم من غير شيء أم هم الخالقون“ - [١] إلى قوله: ”فليات مستمعهم بسلطن مبین“ كاد قلبي يطير . وسبق في أول السورة ما ذكره البغوي من هذا الحديث .

٥ / ٧٩

ولما كان التقدير تسكيننا / لقلب من يريد إجابتهم إلى الآيات المقترحات طمعا في إيمانهم: فلقد تلونا عليهم في هذه السورة وغيرها من الآيات، وخلقنا من المعجزات البيّنات، وأتينا من تناقضهم في هذه التقسيمات، بما يهد الجبال الشامخات، وبيننا من فضأهم^١ بحسن سوقها وحلاوة ذوقها، وصحة معانيها وإحكام مبانيها، ما يزلزل الراسيات، ويحل العزمات، ويفرج الأزمام، ويصد ذوى المروات عن أمثال هذه النقائص الفاضحات، بما لها من الأدلة الواضحات، ولكنهم لما ألزمنهم به من العكس لا يؤمنون، وكذناهم بما^٢ أعيننا من بصائرهم فهم لا يعلمون أنهم المكيدون، عطف عليه قوله: ﴿وان يروا﴾ أى معاينة ﴿كسفا﴾ قطعة، وقيل: قطعا واحدها كسفة مثل سدره و سدر ﴿من السماء﴾ نهارا ١٥ جهارا ﴿ساقطا يقولوا﴾ لدا وتجلدا في البغي إضرارا، وتلقهم بما امكنهم من الشبه تخيلا على العقول وإيقافا لذوى الآراء والفهوم دأب الاصيل في نصر الباطل ومكارة الحق لما لهم من العراقة في عمى القلوب بما لنا من القدرة على صرفهم عن وجوه الامر: هذا ﴿سحاب﴾ فان قيل

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل: قضائهم (٣) زيد في الأصل: اعيناهم و، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها .

لهم: هو مخالف للسحاب بصلابته، قالوا: (مركوم^ه) أى تراكم بعضه على بعض فحصل، ولذلك سبب عن هذا الحال الدال على أنهم وصلوا فى عمى البصائر إلى أنه لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون، قوله لئيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعه: (فذرهم) أى اتركهم على شر أحرأهم (حتى يلقوا) سعيًا [بسوء أعمالهم -^٢] (يومهم) كما أنه هو^٥ يسعى إليهم لاستحقاقهم لما فيه (الذى فيه) لا [فى -^٢] غيره لأن ما حكنا [به -^٢] لا يتقدم ولا يتأخر (يصعقون لا) بالموت من شدة الأهوال وعظيم الزلزال كما صعق بنو إسرائيل فى الطور، ولكننا لانقيمهم كما أقنا أولئك إلا عند النفخ فى الصور لنحشرهم إلى الحساب الذى يكذبون به، والظاهر أن هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصرة فيه فإغنى أحد ١٠ منهم عن أحد شيئًا كما قال أبو سفيان بن الحارث: ما هو إلا أن لقيناهم فنحنهم أكثافنا يقتلوننا، كيف شاؤا وبأسرونا كيف شاؤا. (يوم لا يغنى) أى بوجه من الوجوه (عنهم كيدهم) الذى يرمونه بهذه الأقوال المتناقضة (شيئًا) أى من الإغناء فى دفع شيء يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون أنه يغنى عنهم فى غير ذلك من أحوال ١٥ هذه الدار بشييط الناس عن اتباع القرآن بما يصفونه به من البهتان (ولام بتصرون^٦) أى لا يتجدد لهم نصر من أحد ما فى ساعة ما. ولما أفهم هذا الكلام السابق أن التقدير: فان لكل ظالم فى ذلك

(١) من مد، وفى الأصل: لاقوا (٢) زيد من مد (٣-٣) من مد، وفى الأصل: انهم (٤) من مد، وفى الأصل: فيقتلوننا.

اليوم عذابا لا يحيط به الوصف، فان الإصعاق من أشد ما يكون من العذاب، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من الإنكار أن ينصر عليهم المؤمنون وهم من الكثرة والقوة / بحيث لامطمع فيهم لأحد لاسيما لمن هم مثل في الضعف والقلة (وان) وكان الأصل: لهم، ولكنه أظهر تعديما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: (لذين ظللوا) أى أوقعوا الأشياء في غير مواقعها كما يقولونه في القرآن و يفعلونه من العصيان و يعتقدون من الشرك و البهتان (عذابا دون ذلك) أى غير عذاب ذلك اليوم الصعب المرير، أو أدنى رتبة منه، إن كان المراد بالصعق ما يكون بعد البعث فبعذاب البرزخ في القبور، وإن كان المراد به الموت فيما يلقونه في الدنيا من عذابى بواسطتكم مثل تحيزكم إلى الأنصار في دار الهجرة و معدن النصر و صيرورتكم في القوة بحيث تناصبوهم^١ الحرب، و تعاطوهم الطعن و الضرب، فتكونوا بعد أن كنتم [طوع - ١] أيديهم قذى في أعينهم و شجيا في حلوقهم و دحضا لأقدامهم و نقضا لإرامهم، و مثل القحط الذى حصل لهم و السرايا التى لقيتموها^٢ فيها ١٥ مثل سرية حمزة أسد الله و أسد رسوله، و عبدة بن الحارث و عبدة الله ابن جحش التى كانت مقدمة لغزوة بدر .

و لما كان بعضهم يبصر هذا مثل عتبة بن ربيعة و الوليد بن مغيرة و النضر بن الحارث و يقولون: و الله ما هم شاعر و لا كاهن و لا ساحر و لا مجنون، و ليكون لقوله الذى يقول نبأ، قال: (ولكن أكثرهم) (١) من مد، و فى الأصل: تناصبوا منهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: اقيتموه .

بسبب ما يرون من كثرتهم و حسن حالهم في الدنيا وقوتهم (لا يعلمون هـ)
 أى يتجدد لهم علم بتقويتكم عليهم لأنهم لا علم لهم أصلا حتى يروا
 ذلك معاينة .

ولما كان العلم المحيط من الملك القاهر أعظم مسل للولى و أكبر
 مخيف للعدو، قال عاطفا على " قدرهم " أر على ما تقديره : فكن أنت ه
 من العلماء بذلك ليكون فيه لك أعظم تسلية : (واصبر) أى أوجد
 هذه الحقيقة لتصبر على ما أنت فيه من أداء الرسالة و ما لها من الكلف
 من أذى الناس و غيره و لكونه في مقام الإعراض^٢ عن الكفار و كون
 إعراضه عنهم أصعب عليه من مقاساة إنذاره و إن نشأ عنها تكذيبهم
 و استهزاؤهم ، اشتدت العناية هنا بالصبر فقدم ، و أيضا فان الإعراض ١٠
 عنهم مقتضى لعدم الفانين ، و ذلك هو مقام الجمع ، و الجمع لا يصلح
 إلا بالفرق ، فلذلك قدم الأمر بالصبر ، و ذكر الحكم إشارة إلى أنه متمكن
 في مقام الفرق كما أنه عريق في مقام الجمع بخلاف المدر ، فان سياقها
 للانذار الناشئ عنه غاية الأذى فاشتدت العناية هناك^٣ بتقديم ذكر الإله

نظرا إلى الفناء عن الفانين و إن كان مباشرا لدعائهم ، و عبر بما يذكر ١٥
 بحسن التربية زيادة في التعزية فاقضى هذا السياق أن رغبه سبحانه بقوله :
 (لحكم ربك) أى المحسن إليك فانه هو المرید لذلك ولو لم يرده لم يكن
 شيء منه ، فهو إحسان [منه -]^٤ إليك و تدريب لك و ترقية في معارج

(١) في مد : لأنه (٢) زيد في الاصل : عن الناس ، و لم تكن الزيادة في مد
 فخذناها (٣) من مد ، و في الأصل : هنا (٤) زيد من مد .

الحكم، و سبب عن ذلك قوله لما يغلب على الطبع البشرى / في بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان: ﴿فانك باعيننا﴾ جمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها، وهي ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوظ بالجود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه فهو مكلو مرعى به، ويجوده و فاعل في حفظه فعل من له أعين محيطه بمحفوظه من كل جهة من جهاته .

و لما كانت الطاعة أعظم ناصر و أكبر معز، وكانت الصلاة أعظمها قال: ﴿وسبح﴾ أى أوقع التزيه عن شائبة كل نقص بالقلب و اللسان و الأركان، متلبسا ﴿بحمد ربك﴾ أى المحسن إليك، فأثبت له كل كمال مع تزيهه له عن كل نقص، فلا يكون فى ملكه ما لا يريد و لا يريد ١٠ إلا [ما - ٢] هو حكمة بالغة ﴿حين تقوم لا﴾ أى من الليل فى جميع الأوقات التى هى مظنة القيام على الأمور الدينية و الأشغال النفسانية، و هى أوقات النهار الذى [هو - ٣] للانتشار بصلاة الصبح و الظهر و العصر، و تحمل العبارة التسيح عند كل قيام بكفارة المجلس و هو: «سبحانك اللهم و بحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك»

١٥ فانها تكفر ما كان فى المجلس - كما رواه أبو داود و الترمذى و قال: حسن صحيح غريب و النساءى و ابن جبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ و من الليل ﴾ الذى هو محل السكون و الراحة ﴿ فسبحه ﴾ كذلك بالنية و القول كلما انتهت و بالفعل بصلاة

(١) من مد، و، الأصل: عظمتنا (٢) من مد، و فى الأصل: لك (٣) زيد من مد (٤) فى مد: هى .

المغرب والعشاء وصلاة الليل، وتعظيمه صرح بذلك وقدمه على الفعل،
والضمير يعود على المضاف إليه، وأشار إلى التهجيد بعد دخوله فيما قبله
بقوله: ﴿ وادبار النجوم ﴾ أي رسيحه في وقت إدبارها أي إذا أدبرت،
وذلك من آخر الليل في نصفه الثاني، وكلما قارب الفجر كان أعلى
وبالإجابة الأولى، وإلى قرب انفجر تشير قراءة الفتح جمع دار أي في ه
أعقابها عند خفتها أو افولها، وذلك بصلاة الفجر سنة وفرضا أحق وأولى
لأنه وقت إدبارها حقيقة، فصارت [عبادة] الصبح محثوثاً عليها مرتين
تشريفا لها وتعظيما لتدبرها فان ذلك ينجي من العذاب الواقع، وينصر
على العدو الدارع، من المجاهر المدافع، والمناق المخادع، وقد رجع آخرها
على أولها، ومقطعها على موصلها، بحلول العذاب على الظالم، وبعده عن ١٠
الطائع سالم - [والله الموفق -]

(١) من مد، وفي الأصل: بالاحاطة (٢) راجع ثور المرجان ٧/٧٩ (٣) من مد،
وفي الأصل: محبونا (٤) من مد، وفي الأصل: تقدرتها (٥) من مد، وفي
الأصل: من (٦) من مد، وفي الأصل: على (٧) زيد من مد، وزيد بعده
فيه « تم الجزء المبارك على يد أقل عبيده وأحوجهم إليه الفقير سالم السنهوري
المالكي بعيد الثمين من يوم الأربعاء سابع عشرى محرم سنة ١٩٧١. وأدناه بيتان:

تم الكتاب تكاملت نعم السرور لصاحبه

وعفا الإله بفضله عن قارئه وكاتبه

ومن هنا اقل نجم نسخة مد لالشروق مرة أخرى .

سورة النجم

مقصودها دم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاق إلى الدنيا التي
 هي دار الكدور والبلاء، والتصرم والفناء، ومدح العلم لإيماره الهدى
 في الإقبال على الآخرة لأنها دار البقاء في السعادة أو الشقاء، والحث
 ٥ على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في نذارته التي بينتها سورة ق وصدقها
 / الذاريات و أوقعتها : عينها الطور كما تسع في بشارته لأن علمه هو العلم / ٨٢
 لأنه لا ينطق عن الهوى لا في صريح الكناية ولا في بيانه له لأن الكل
 عن الله الذي له صفات الكمال فلا [بد] من بعث الخالق إليه وحشرهم
 لديه لتظهر حكمته غاية الظهور فيرفع أهل التزكى والظهور، ويضع أهل
 ١٠ العجور، ويفضح كل متحل بالزور، متجل للشرور، وعلى ذلك دل
 اسمها النجم عن تأمل القسم والجواب وما نظم به من نجوم الكتاب
 ﴿ بسم الله ﴾ الذي أحاط بصفات الكمال فلا يكون رسوله إلا من ذى
 الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الموجودات بصفة الجمال ﴿ الرحيم ﴾ الذى
 خص أهل وده بالإنقاذ من الضلال والهداية إلى ما يرضى من الخلال
 ١٥ و صالح الأعمال .

ولما ختمت الطور بأمره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والتحميد،
 و كان أمره تكويناً لا تكليفاً، فكان فاعلاً لا محالة، وذاك بعد تقسيمهم
 القول في النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كاهن وساحر ومجنون، و كان

(١) الثالثة والخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٦٢ عند
 الكوفيين و ٦١ عند غيرهم - كما في نثر المرجان ٧ / ٧٩ (٢) في الأصل : صدقها .

لذلك تعلق بالشياطين، وكانت الشياطين مباينة للقرآن بختلها وبمنعها بالرجوم من النجوم كما بين آخر الشعراء، افتتحت هذه بالحك على الاهتداء بهديه والاستدلال بدله واتباع أثره، ولما كان من ذلك تسيحه بالحد في إدبار النجوم أقسم أول هذه بالنجم على وجه أعم بما في آخر تلك فعبّر بعبارة تفهم عروجه وصعوده لأنه لا يغيب في الأفق الغربي واحد من ٥ السيارة إلا وطلع من الأفق الشرقي في نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية، والأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السماء التي فيها ما توعدون والحراسة من المردة حفظا لنجوم الكتاب والاهتداء به في الدين والدنيا، وغير ذلك من الحكم التي يعرفها الحكماء، فقال تعالى: ﴿ والنجم ﴾ أي هذا ١٠ الجنس من نجوم السماء أو القرآن لنزوله منجا مفرقا وهم يسمون^١ التفريق تنجيا - أو النبات، قال البغوي^٢: سمي النجم^٣ نجما لطلوعه وكل طالع نجم. (إذا هوى لا) أي نزل للأفول أو لرجم الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة عن ابن عباس^٤ رضی الله عنهما إن كان المراد السائي، فكانت عنده العبادة والاستغفار والدعاء للملك الجبار بالأسحار، أو صعد ١٥ فكان به اهتداء المصلي والقارئ والساري، فانه يقال: هوى هويا - بالفتح إذا سقط، وبالضم - إذا علا وصعد، أو نزل به الملك للأصعاد وللإبعاد إن كان المراد القرآني لما يحصل من البركات في الدين والدنيا والشرح

(١) في الأصل: يسمعون (٢) في معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢١٢ .

(٣) في المعالم: الكوكب (٤) راجع المعالم .

للصدور، والاطلاع على عجائب المقدور، أو إذا سقط منبسطة على الأرض
أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات، لما فيه من غريب الصنعة و جليل
التقدير الدال على عام القدرة و كمال العلم و التوحد بالملك و الغنى المطلق .
ولما أقسم / بهذا القسم الجليل، أجابه بقوله معبرا بالماضى نفيا
لما كانوا رموه به و ليسهل ما قبل النبوة فيكون ما بعدها بطريق الأولى:
(ما ضل) أى عدل عن سواء المحجة الموصلة إلى غاية المقصود أى
إنه ما عمل عمل الضالين يوما من الأيام ففى تقول القرآن عنده و لا علم
فيه عمل المجانين و لا غيرهم ما رموه به و أما « وجدك ضالا » فالمراد غير
عالم، و عبر بالصحة مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيها و مقبلة بهم
إليه و مقبحة عليهم اتهامه فى إنذاره و هم يعرفون طيب أعرافه و طهارة
شماله و أخلاقه فقال: (صاحبكم) أى فى إنذاره لكم فى القيامة فلا
وجه لكم فى اتهامه .

/ ١٨٣

ولما كان الهدى قد يصحبه ميل لا يقرب الموصول إلى القصد
و إن حصل به نوع خلل فى القرب أو نحوه فقد يكون القصد مع غير
١٥ صالح قال: (و ما غوى ج) و ما مال أدنى ميل و لا كان مقصوده مما
يسوء فانه محروس من أسبابه التى هى غواية الشياطين و غيرها، و قد
دفع سبحانه عن نبينا صلى الله عليه و سلم، و أما بقية الانبياء فدفعوا عن
أنفسهم « ليس بى ضلالة » « ليس بى سفاهة »، و نحو ذلك - قاله القشبرى .
ولما كان قد يكون مع الهوى مصادقة [قال - ١]: (و ما ينطق)

(١) زيد و لا يد منه .

أى يجاوز نطقه فه فى وقت من الأوقات لافى الحال ولا فى الاستقبال،
نطقا ناشئا (عن الهوى^١) أى من أمره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم
والشعراء وغيرهم، وما تقول هذا القرآن من عند نفسه . ولما أكد
سبحانه فى نفسه ذلك عند التأكيد تنزيها له عما نسب إليه، فكان ذلك
مظنة السؤال عن أصل ما تقوله، أجاب بالحصص والآية أصرح وأدفع
لإنكارهم البالغ فقال: (ان) أى ما (هو) أى الذى يتكلم به من
القرآن وبيانه، وكل أقواله وأفعاله وأحواله بيانه (الا وحى) أى
من الله تعالى، وأكد بقوله: (يوحى^٢) أى يحدد إليه لإحاطة منا وقتنا
بعد وقت، ويجوز أن يجتهد صلى الله عليه وسلم، فاذا استقر اجتهاده على
شئ أوحى إليه أنك قد أصبت الحق، مع أنه سبحانه قد أذن له فى
الاجتهاد بالوحى مع أن من يرد ما يجتهد فيه إلى ما أوحى إليه برئ
من الهوى .

وقال أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه: لما قطع سبحانه تعليقهم بقولهم:
ساحر و شاعر و مجنون - إلى ما هو به مما علموا أنه لا يقوم على ساق،
ولكن شأن المنقطع المبهوت أن يستريح إلى ما أمكنه وإن لم يغن
عنه، أعقب الله سبحانه بقسمه على تنزيه نبيه و صفيه من خلقه عما تقوله
و توهمه الضعفاء فقال تعالى: " والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى "
ثم أتبع سبحانه هذا القسم ببسط الحال فى تقريره عليه السلام وإدائته
و تلقيه لما يتلقاه من ربه و عظيم / منزلته لديه، و فى إبداء ذلك يحركهم
عز وجل و يذكركم و يوبخهم على سوء نكاياتهم بلطف و استدعاء كريم

منعم فقال تعالى " افرأيتم اللات و العزى " و التحمت الآى على هذه
 الأغراض إلى الإعلام بانفراده سبحانه بالإيجاد و القهر و الإعزاز
 و الانتقام ، لا يشاركه فى شىء من ذلك غيره فقال " و ان الى ربك
 المنتهى و انه هو الضحك و ابكى " . و لما بين ذلك فقال " فباى الاء
 ربك تتمارى " اى فى أى نعمة تشكون أم باى آية تكذبون ؟ ثم قال
 " هذا نذير من النذر الاولى " و إذا كان عليه الصلاة و السلام
 فشان مكذبيه شأن مكذبى غيره - انتهى .

و لما كان الوحى ظاهرا فيما بواسطة الملك ، تشوف السامع إلى
 بيان ذلك فقال مينا له بأوصافه لأن ذلك أضخم فى حقه و أعلى لمقداره :
 (عليه) اى صاحبكم الوحى الذى أتاكم به (شديد القوى) أفلا
 تعجبون من هذه البحار الزاخرة التى فأقكم بها و هو أسمى فان معلمه بهذه
 الصفة التى هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله به (ذو مرة) اى جزم
 فى قوة و قدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به و الطاقة لحمله فى غير
 آية النشاط و الحدة كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس
 ماض فى مرآوته على طريقة واحدة على غاية من الشدة لا توصف
 لا التفات له بوجه إلى غير ما أمر به ، فهو على غاية الخلوص فهو
 مجتمع القوى مستحکم الشأن شديد الشكيمة ، لا يبان فى شىء بزواله و من
 جملة ما أعطى من القوه و القدرة على التشكل ، و إلى ذلك كله أشار
 بما سبب عن هذا من قوله : (فاستوى) فاستقام و اعتدل بغاية ما يكون

(١) فى الأصل : تشوق .

من قوته على أكمل حالاته في الصورة التي فطر عليها (وهو) أي
والحال أن جبرئيل عليه السلام ، وجوزوا أن يكون الضمير المنفصل
للنبي صلى الله عليه وسلم أي استوى جبرئيل عليهما السلام معه
(بالافق الأعلى) أي الناحية التي هي النهاية في العلو والفضل من
السموات مناسبة لحالة هذا الاستواء ، وذلك حين رآه النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق .

و لما كان الدنو من الحضرة الإلهية - التي هي مهية لتلقى الوحي -
من العلو والعظمة بحيث لا يوصف ، أشار إلى ذلك بأداة التراخي فقال :

(ثم) أي بعد ذلك الاستواء العظيم (دنا) أي جبرئيل عليه السلام
من الجناب الأقدس دنو زيادة في كرامة لادنو مسافة ، وكل قرب يكون ١٠
منه سبحانه فهو مع أنه منزه عن المسافة يكون على وجهين : قرب إلى

كل موجود من نفسه ، وقرب ولاية حتى يكون سمع الموجود وبصره
بمعنى أنه لا يسمع ولا يبصر إلا ما يرضاه - أشار إليه ابن برجان ، فأخذ

الوحي الذي أذن له في أخذه / في ذلك الوقت (فتدلى لا) عقب

٨٥ /

ذلك من الله رسولا إلى صاحبكم أي أزل إليه نزولا هو فيه كالتدلى ١٥
إليه بجبل فوصل إليه ولم يفصل عن محله من الأفق الأعلى لما له من

القوة والاستحكام ، قال البيضاوي : فان التدلى هو استرسال مع تعلق
كتدلى الثمرة (فكان) في القرب من صاحبكم في رأى من

يراه منكم (قاب) أي على مسافة قدر (قوسين) من قسيكم ، قال

الرازي في اللوامع : أي بحيث الوتر في القوس مرتين ، وعن ابن عباس ٢٠

رضى الله عنهما : القوس الذراع بلغة أزدشونه ، و قال ابن برجان : قاب
القوسين : ما بين السيين ، و قيل : ما بين القبضة و الوتر (أو ادني) بمعنى
أن الناظر منكم لو رآه لتردد و قال ذلك لشدة ما يرى له من القرب منه
صلى الله عليه و سلم ، روى مسلم فى الإيمان من صحيحه^١ عن الشيبانى قال :
٥ سألت زر بن حبیش عن قوله تعالى " فكان قاب قوسين " فقال : أخبرنى
ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم رأى جبرئيل عليه
السلام له ستمائة جناح (فإوحى^٢) أى ألقى سرا من كلام الله بسبب
هذا القرب ، و عقبه بقوله : (إلى عبده) أى عبد الله ، و إضماره من
غير تقدم ذكره صريحا لما هو معلوم مما تقدم فى آخر الشورى أن
١٠ كلام الله يكون و حيا بواسطة رسول يوحى بأذنه سبحانه ، و المقام يناسب
الإضمار لأن الكلام هو الوحى الخفى ، و عبر بالبعد إشارة إلى أنه لم يكن
أحد ليستحق هذا الأمر العظيم غيره لأنه لم يتعبد قط لأحد غير الله ،
و كل من عاداه حصل منهم تعبد لغيره فى الجملة ، فكان أحق الخلق
بهذا الوصف مع [انه] كان يتعبد لله فى غار حراء و غيره ، و هذه النزلة
١٥ - و الله أعلم - كانت على هذا التقدير فى أول الوحى لما كان بحراء و فرق
منه صلى الله عليه و سلم فرجع ترجف بوادره ، و قال : زملوني زملوني .
و أشار إلى عظمة ما أزل بقوله : (ما أوحى^٣) أى إنه يحمل عن
الوصف فأجمل له ما فصل له بعد ذلك ، هذا الذى ذكر من تفسير لضمار
مظاهر العبارة و إن كان الإضمار فى جميع الأفعال لا يخلو عن التباس

(١) راجع ١ / ٩٧ .

وإشكال، ويمكن لأجل احتمال الضمائر لما يناسبها من الظواهر أن يكون ضمير "دنا" وما بعده لله تعالى، وحينئذ يصير في "عبده" واضحاً كما تقدم في هذا الوجه جملة له سبحانه لأنه لا يجوز لغيره، روى البخاري في التوحيد في باب "وكلم الله موسى تكليماً" عن أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثاً نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، وكانت تلك الليلة، فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام / عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى اتقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيماناً وحكمة فخشا [به - °] صدره ولغاديدته - يعني عروق حلقه، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبرئيل، قالوا: ومن من معك، قال: معي محمد، قالوا: وبعث إليه، قال: نعم، قالوا: فرجبا به

(١) راجع ٢ / ١١٢٠ - كتاب التوحيد (٢) من الصحيح، وفي الأصل: ثلاث (٣) من الصحيح، وفي الأصل: قبله (٤) من الصحيح، وفي الأصل: فلم يكلموه (٥) زيد من الصحيح (٦) من الصحيح، وفي الأصل: تغاديدته - كذا.

وأهلاً - ثم ذكر عروجه إلى السماوات السبع ، وأنه لما وصل إلى السماء
السابعة^٢ علا به^٢ فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله [حتى -^٢] جاء سدرة
المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى منه فكان قاب قوسين أو أدنى ،
فأوحى إليه فيما يوحى الله إليه إليه خمسين صلاة - فذكر مشورة موسى عليهما
السلام في سؤال التخفيف حتى صارت خمسا كل واحدة بعشرة ، ودنا الجبار
رب العزة في هذا الوجه وهو رب العزة ، وهو في غاية الحسن إذا
جمعه مع ما يأتي في هذا الوجه المنقول عن جعفر الصادق رضي الله
عنه فيكون المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما استوى بالافق الأعلى فوصل
إلى حد لا يمكن المخلوق الصعود عنه تنزل له الخالق سبحانه ، ولذلك عبر
١٠ عنه بـ "ثم" يعني أنه سبحانه تنزل له تنزلاً لا يمكن الاطلاع على كنه
رتبه في العلو والعظمة ، ثم نزل ثم تنزل .

ولما كانت العبارة ربما أوهمت شيئاً لا يليق [به -^٥] نفاه صلى الله
عليه وسلم بما في الرواية من تخصيص التعبير باسم الجبار فعلم أنه قربه
تقريباً يليق به ، وسمى ذلك دنوا فكان الدنو والتدلى تمثيلاً لما وصل
١٥ منه سبحانه إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم بغاية السهولة واليسر
واللطف مع اتصاله بالحضرات القدسية ، والتعبير بالتدلى لإفهام العلو
مثل ما كنى بالنزول كل ليلة إلى سماه الدنيا عن إجابة الدعاء بفتح أبواب

(١) من الصحيح ، وفي الأصل : الملاذا - كذا (٢-٢) من الصحيح ، وفي
الأصل : علاه (٣) زيد من الصحيح (٤) في الأصل : تنزيلاً (٥) زيد
نظراً للسياق .

السما كما روينا في جزء العيشي من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه تمثيلا بما نعرفه من حال الملوك في أن أحدهم يكون زوله عن سريره أدنى في إتيان خواصه إليه ، وفتح بابه أدنى لمن يليهم ، وكلما زل درجه كان الإذن أعم إلى أن يصل إلى الإذن العام لجميع الناس ، هذا علم المخاطبين بأن ذلك على سبيل التمثيل بمن يحتاج إلى هذه الدرجات ، وأما ه من هو غنى عن كل شيء فله سبحانه المثل الأعلى ولا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شيء ، وفي "قرآن الفجر" من سورة سبحان لهذا مزبد بيان ، وقال القاضي عياض في الشفاء ما حاصله أن تلك الضمائر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : قال جعفر بن محمد - يعني الصادق بن الباقر / : أدناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين ، وقال أيضا : انقطعت الكيفية عن الدنو ، ألا ترى ١٠ كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أردع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب ، وقال جعفر أيضا : والدنو من الله تعالى لا حد له ، ومن العباد بالحدود - انتهى . وحينئذ يكون ضمير « استوى » له صلى الله عليه وسلم ، ويكون المعنى : فتسبب عن تعليم جبريل ١١ له استواءه - أي اعتدال عليه - إلى غاية لم يصلها غيره من الخائق علما وكسبا بالملك والملوكوت والحال أنه بالأفق الأعلى ليلة الإسراء ، وتدليه كناية عن وصوله بسبب عظيم حامل حمل السبب للتدلي ، وعبر به وهو ظاهر في النزول من علو مع عدم الانفصال منه لثلاث يوم اختصاص

(١) في الأصل : ما (٢) راجع ص ٩٥ .

جهة العلوه سبحانه دون بقية الجهات، ومنه «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وكذا قيل في الإشارة بـ "لا تفضلوني على يونس بن متى"، ومن المحاسن جدا أن تكون ألف "تدلى" المنقلبة عن ياء في هذا الوجه بدلا من لام فيكون من التدلل وهو الانبساط وثوقا بالمحبة، يقال: تدلل عليه، أى انبسط ووثق بمحبته فأفرط عليه، وانبساطه صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة إفراط كثيرة سؤاله، وشفاعته في أمته، وبذلك ظهر إلى عالم الشهادة أنه أرحم الخلق كما كان معلوما إلى عالم الغيب، فتسبب عنه زيادة تقريبه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وإرراز هذا الكلام في هذه الضمائر المتحملة لهذه الوجوه من غير ظاهر يعين المراد يناسب لتلك الحالة، فانها كانت حالة غيب وخفاء وستر، وكان العلم فيها واسعا، وسوق الضمائر هكذا يكثر احتمال الكلام للوجود، فيتسع العلم مع أنه ليس فيها وجه يؤدي إلى لبس في الدين ولا ركاكة في معنى ولا نظم ولا مجال للعلم - والله أعلم.

ولما أثبت هذا الكلام ما أثبت من القرب من النبي صلى الله عليه وسلم بمن أوحى إليه على كلا التقديرين، قرره على وجه أفاد الرؤية فقال: (ما كذب الفؤاد) أى القلب الذى هو فى غاية الذكاء والاتقاد (ما رأى) البصر أى حين رؤية البصر كان القلب، لا أنها رؤية بصر فقط تمكن فيها - للخلو' عن حضور القلب - النسبة إلى الغلط، وقال التشيرى ما معناه: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره، بل (١) فى الأصل: الحلو - كذا.

رآه على الوصف الذى عليه قبل أن رآه فكان عليه حق اليقين، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: نور إلى أراه، وفي صحيح مسلم أيضاً عن مسروق أنه قال لعائشة رضى الله عنها لما أنكرت الرؤية: ألم يقل الله تعالى "ولقد رآه بالأفق المبين" و"لقد رآه نزلة أخرى" فقالت: ه

٨٨/

أنا أول / هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنما هو جبرئيل عليه السلام، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض. قال البغوي^٢: وذهب جماعة إلى أنه رآه فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده، ثم روى من صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٠ أنه قال: رآه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس رضى الله عنه^٣، وقال ابن برجان ما معناه: إن النوم والصعق من آيات الله على لقائه الله وهي مقدمات لذلك، ولكل حقيقة حق يتقدمها كأشراط الساعة، والإسراء وإن لم يكن موتاً ولا صعقاً ولا نوماً على أظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا إلى مشاهدات ١٥ الأفق الأعلى فلا تنكر الرؤية هنالك، فالإسراء حالة غير حالة الدنيا، بل هي من أحوال الآخرة وعالم الغيب - والله الهادي.

و لما تقرر ذلك غاية التقرر، وكان موضع الإنكار عليهم، قال

(١) راجع ١/ ٩٩ (كتاب الإيمان) (٢) راجع ١/ ٩٨ (كتاب الإيمان).

(٣) في المعالم بهامش الباب ٦/ ٢١٤ (٤) زيد في المعالم: والحسن وعكرمة.

مسيا عن ذلك : (اقمرونه) أى تستخرجون منه بجدالكم له فيما أخبركم به شكافيه ولاشك فيه ، و عبر بالمفاعلة فى قراءة الجماعة عن حمزة و الكسائى و يعقوب إشارة إلى اجتهادهم فى تشكيكه ، من مرى الشئ : استخرجه ، و مرى الناقة : مسح ضرعها ، فأمرى : در لبنها ، والمرية

٥ - بالكسر و الضم : الشك و الجدل (على ما يرى) على صفة مطابقة القلب و البصر ، و ذلك مما لم تجر العادة بدخول الشك فيه و لا قبوله للجدال ، و زاد الأمر وضوحا بتصوير الحال الماضية بالتعبير بالمضارع إشارة إلى أنه كما أنه لم يههم لم يلبس الأمر عليه ، بل كأنه الآن ينظر .

ولما كان الشئ أقوى ما يكون إذا حسر البصر ، فاذا واقفه كون القلب فى غاية الحضور كان أمكن ، فاذا تكرر انقطعت الاطماع عن التعلق بالمجادلة منه . قال مؤكدا لاجل إنكارهم : (و لقد راه) أى الله تعالى أو جبرئيل عليه السلام على صورته الحقيقية ، روى مسلم فى الإيمان عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال " ما كذب الفؤاد ما رأى " [و لقد راه - ٢] نزلة اخرى ، قال : رآه بفؤاده مرتين ، و جعل

١٥ ابن بركان الإسراء مرتين : الأولى بالفؤاد مقدمة و هذه بالعين .

و لما كان ذلك لا يتأتى إلا بتزل يقطع مسافات البعد التى هى الحجب ليصير به بحيث يراه البشر ، عبر بقوله : (نزلة) و انتصب على الظرفية لأن الفعللة بمعنى المرة (اخرى لا) أى ليكمل له الأمر مرة فى عالم الكون و ففساد و أخرى فى المحل الأزه الأعلى ، و عين الوقت بتعين

(١) فى الأصل : لم تجرى (٢) راجع ١ / ٩٨ (٣) زيد من صحيح مسلم .

المكان فقال: ﴿عند سدرة المنتهى﴾ أى الشجرة التى هى كالسدر
و ينتهى إليها علم الخلائق و ينتهى إليها ما يعرج من تحت و ما ينزل
من فوق، فيتلقى هنالك، وذلك - والله أعلم - ليلة الإسراء فى السنة
الثالثة عشرة من النبوة / قبل الهجرة بقليل بعد الترقى فى معراج الكالات
٨٩ / من السنين على عدد السماوات و ما بينهما من المسافات، فاتمته إلى ه
منتهى يسمع فيه صريف الأقلام؛ و عظمها بقوله: ﴿عندها﴾ أى
السدرة ﴿جنة المأوى﴾ الذى لا مأوى فى الحقيقة غيره لأنه لا يوازى فى
عظمه، و زاد فى تعظيمها بقوله: ﴿اذ يغشى السدرة ما يغشى لا﴾ أى يغطيها
و يركبها و سمره (٩) من فراش الذهب و الرفراف الأخضر و الملائكة و النبق
و غير ذلك فان الغشو النبق ﴿ما يغشى﴾ لا تحملون وصفه و هو بحيث ١٠
يكاد أن لا يحصى، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم فى الحديث:
و غشيتها، ألا وإنى لا أدرى ما هى فليس أحد من خلق الله يستطيع أن
ينعتها أو كما قال صلى الله عليه و سلم، و أكد الرؤية و قررهما مستأنفا بقوله:
﴿ما زاغ﴾ أى ما مال أدنى ميل ﴿البصر﴾ أى الذى لا يبصر لمخلوق
أكل منه، فاقصر عن النظر فيما أذن له فيه و لا زاد ﴿و ما طغى﴾ ١٥
أى تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن
بنى آدم، و فيه من العجائب ما يبحر الناظر، بل كانت له العفة الصادقة
المتوسطة بين الشره و الزهادة على أنم قوانين العدل، فأثبت ما رآه على
حقيقته، و كما قال السهروردى فى أول الباب الثانى و الثلاثين من عوارفه:
و أخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية، و هذه غامضة من ٢٠

غوامض الأدب، اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكاراً لم يقع لهم في غيره مثله،
زاد في تأكيده على وجه يعم غيره فقال: ﴿ لقد رأى ﴾ أى أبصر
بسبب ما أهلكناه له من الرسالة إبصاراً سارياً إلى البواطن غير مقتصر
٥ على الظاهر ﴿ من آيت ربه ﴾ أى المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد
قبله ولا يصل إليه أحد بعده، ومن ادعى ذلك فهو كافر ﴿ الكبرى ٥ ﴾
من ذلك ما رآه في السماوات من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام
إشارة بكل شيء إلى أمر دقيق جليل وحالة شريفة، وقال الإمام
أبو القاسم السهيلي في الروض الأتف: ^{١٠} والذى أقول فى هذا أن مأخذ
فهو من علم التعبير، فانه من علم النبوة، وأهل التعبير يقولون: من
رأى نبياً بعينه فى المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي
فى ^٢ شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء فى
القرآن والحديث، وحديث الإسراء كان بمكة، ومكة حرم الله وأمنه،
وقطانها جيران الله لأن فيها بيته، فأول ما رأى صلى الله عليه وسلم من
١٥ / ٩٠ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آدم عليه الصلاة والسلام / الذى كان
فى أمن الله وجواره، فأخرجه إبليس عدوه منها، وهذه القصة تشبهها
الحالة الأولى من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه
من حرم الله وجوار بيته، فكربه ^٥ ذلك وغمه فأشبهت قصته فى هذا
(١) راجع ٢٥٠ / ١ (٢) من الروض الأتف، وفى الأصل: نبينا (٣) فى
الروض: من (٤) من الروض، وفى الأصل: تشبها (٥) من الروض، وفى
الأصل: كربه .

قصة آدم عليه الصلاة والسلام مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها، كما قال الله تعالى، ثم رأى في الثانية عيسى [ويحيى] عليهما الصلاة والسلام وهما الممتحنان باليهود، أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله ه فرفعه الله إليه^١، وأما يحيى عليه السلام فقتلوه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان، وكانت محنته فيها باليهود^٢ آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقطوه فنجاه الله كما نجي عيسى عليه السلام منهم، ثم سموه في الشاة ولم تزل تلك الأكلة تعاوده^٣ حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت ه وهكذا ١٠ [فعلوا -^٤] [بأبي الحنيفة يحيى وعيسى، لأن أم يحيى أشياح بنت عمران أخت مريم بنت عمران أمهما^٥ جنة، وأما لقائه يوسف عليه السلام في السماء الثالثة فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام، وذلك أن يوسف ظفر بأخوته من بعد ما أخرجوه من بين ظهرانيهم، فصفح عنهم وقال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، الآية، وكذلك نينا ١٥ صلى الله عليه وسلم أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوهم [فيهم -^٤] عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق، ومنهم من [قبل -^٤] أفديته،

(١) سقط من الروض (٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في الروض لحذفها (٣) من الروض، وفي الأصل: معاه (٤) زيد من الروض (ه) من الروض، وفي الأصل: اختها .

ثم ظهر [عليهم - ١] بعد ذلك عام الفتح لجمعهم فقال لهم : أقول ما قال أخى يوسف : لا تتريب عليكم اليوم ، ثم لقاؤه لإدريس عليه السلام فى السماء الرابعة وهو المكان الذى سماه [الله - ١] مكانا عليا [وإدريس - ١] أول من آتاه الله الخط بالقلم ، فكان ذلك مؤذنا بالحالة الرابعة وهو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل : لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الأصفر ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك^٢ الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشى و ملك بنى عمان ومنهم من هادنه وأهدى إليه وأتحفه كهرقل ١٠ والمقوقس ، و [منهم - ١] من تعصى عليه فأظهره الله عليه^٣ ، فهذا مقام على ، وخط بالقلم كنعنحو ما أوتى إدريس عليه السلام ، و لقاؤه فى السماء الخامسة لهارون عليه السلام المحبب فى قومه يؤذن بحب قرش وجميع العرب له بعد بعضهم فيه ، و لقاؤه فى السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر / بغزو الشام ، فظهر على الجبابرة^٤ الذين كانوا فيها ، وأدخل بنى إسرائيل [البلد - ١] الذى خرجوا منه بعد هلاك عدوهم ، و لذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة

(١) زيد من الروض (٢ - ٢) من الروض ، وفى الأصل : الملوك جميع .

(٣) من الروض ، وفى الأصل : به (٤) من الروض ، وفى الأصل : الجبابرة .

حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا، و اقتتح مكة و دخل أصحابه
 البلد الذي خرجوا منه، ثم لقاءه في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام
 لحكمتين: إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره إليه، و البيت
 المعمور جبال مكة، و إليه تخرج الملائكة كما أن إبراهيم عليه السلام هو
 الذي بنى الكعبة و أذن في الناس بالحج إليها، و الحكمة الثانية أن آخره
 أحوال النبي صلى الله عليه و سلم [حجه - ٢] إلى البيت الحرام، و حج
 معه في ذلك العام نحو من سبعين ألفا من المسلمين، و رؤية إبراهيم عليه
 السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه و الرافع لقواعد
 الكعبة المحجوجة - انتهى . و هذا المقام هو الإسراء و ما تفرع منه الموصل
 إلى أعلى ما يكون من تجميد التوحيد، فجعل سبحانه عنوانه المفروض ١٠
 فيه الجاجز بين الإسلام و الشرك و هو الصلاة الجامعة لمعانى الدين الشاملة
 لجميع البركات بأن جعلت خمسين مستغفرة لجميع الفراغ ثم ردت إلى خمس
 دون القوى بكثير ثم رتب عليها جزاء الخمسين و رفع كل واحدة من صلاة
 الجماعة إلى سبع و عشرين صلاة و فضل صلاتي الطرفين: الصبح الثانية
 و العصر الرابعة بشهادة فريق الملائكة و كتابتهما في صحيفتي كل من ١٥
 الجمعين، فقال حمزة الكرماني في جوامع التفسير: فأسرى به في شهر
 ربيع الأول قبل الهجرة من بيت أم هانئ رضي الله عنها، ثم ساق حديث
 الإسراء مساقا عجيبا جدا طويلا .

(١) من الروض، و في الأصل: أحدهما (٢) من الروض، و في الأصل:

الثالثة (٣) زيد من الروض (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من الروض .

و لما أخبر سبحانه من استقامة طريق نبيه عليه الصلاة و السلام بما
 ثبتت رسالته بما اوحى إليه و ما أراه من آياته التي ظهر بها استحقاقه
 سبحانه الإلهية متفردا بها، سبب عنه الإنكار عليهم في عبادة معبوداتهم
 على وجه دال على أنها لا تصلح لصالحه فقال: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبروني
 ٥ بسبب ما تلوت عليكم من هذه الآيات الباهرات . هل رأيتم رؤية خبرة
 بالباطن و الظاهر ﴿ اللت ﴾ و هو صنم ثقيف ﴿ والعزى لا ﴾ و هى شجرة
 لعطفان و هما أعظم أصنامهم فانهم كانوا يحلفون بهما ﴿ و مؤدة ﴾ و هو صخرة
 لهديل و خزاعة، و دل على أنها عندهم بعدهما في الربوية بقوله مشيرا
 بالتعدد بالتعبير عنه بما عبر به إلى أن شيئا منها لا يصلح لصالحه حتى و لا أن
 ١٠ يذكر: ﴿ الثالثة الاخرى ه ﴾ أى أنه ما كفاهم في خرق سياج منها العقل
 في مجرد تعدد الإله بجملة الاثنين حتى أضافوا ثالثا أقروا بأنه متأخر
 الرتبة فكان الإله عندهم قد يكون سافلا و يكون ملازما للانزال
 و للسفول بكونه / أنى، قال الرازى في اللوامع: و أتوا أسماءها تشبيها
 / ٩٢ لها بالملائكة على زعمهم بأنها بنات الله - انتهى، و لا شك عند من له
 ١٥ أدنى معرفة بالفصاحة أن هذا الاستفهام الإنكارى و التعبير بما شانهم
 بالولادة التي هى أحب الأشياء إلى الإنسان بل الحيوان لا يوافقه أن يقال
 بعده ما يقتضى مدحا بوجه من الوجوه، فحين بطلان ما نقل نقلنا واهيا
 من أنه قيل حين قرئت هذه السورة في هذا المحل: تلك الغرائق العلاء -
 إلى آخره لعلم كل عربى أن ذلك غاية في الهديان في هذا السياق، فلا
 ٢٠ و صلة بهذا السياق المعجز بوجه .

ولما كان التقدير بما أفهمه السياق: كيف ادعيتم أنها آلهة أهي كذلك مع أن عادتكم احتقار الإناث من أن تكون لكم أولادا، فكيف رضيتم أن تكون لكم آلهة و تكونوا لها عبادا مع أنها لم تنزل لكم وحيا ولا أرسلت لكم رسولا ولا فطمت مع أحد منكم شيئا مما كرمنا به عبدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا أرتكم قط آية ولا هي متأمله لشيء من ذلك، بل لا تملك ضرا ولا نفعا و ادعيتم أنها بناته واستوطنها جنيات هي بناته و ادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لا يلم به حاجة ولا شبه له أن له أبدأ الصنفين، فكان ذلك نقصا مضموما إلى نقص - وعلا سبحانه تعالى عن صاحبة أو ولد، فاستحققتم بذلك الإنكار الشديد، وعلم بهذا التقدير الذي هدى إليه السياق بطلان حديث الغرائق ولا سيما مع تعقيبه ١٠ بقوله: ﴿الكم﴾ أى خاصة ﴿الذكر﴾ أى النوع الأعلى ﴿وله﴾ أى وحده ﴿الائىء﴾ أى النوع الأسفل.

ولما كان الاستفهام إنكاريا رد الإنكار بقوله فذلكم لفعالهم: ﴿تلك﴾ أى هذه القسمة البعيدة عن الصواب ﴿إذا﴾ أى إذ جعلتم البنات له والبنين لكم ﴿قسمة ضيزىء﴾ أى حائرة ناقصة ظالمة فيما يحسن للحق ١٥ للغاية عرجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حيا، وقد علم أن الآية من الاحتباك: دل ذكر اسمها فى أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة و إنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته.

ولما أفهم هذا الإنكار بطلان قولهم هذا، حصر القول الحق فيها ٢٠

فقال مستأنفا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هى﴾ أى هذه الأصنام ﴿الآ اسماء﴾
 أى لاحقاً لها، فما ادعيت لها من الإلهية ليس لها من ذلك إلا الأسماء،
 وأكد ذلك بقوله مينا: ﴿سميتوها﴾ أى ابتدعتم تسميتها أتم، واجتث'
 قولهم من أصله فقال: ﴿وإاتم و الأبؤكم﴾ أى لاغير بمجرد الهوى لم تروا
 منها آية ولا كلمتكم قط كلة تعتدونها، وعلى تقدير أن تتكلم الشياطين
 على ألسنتها فأى طريقه قومية شرعت لکم و أى كلام ملبح أو بليغ وصل
 إليکم و أى آية كبرى أرتكبوها - انتهى .

/ ولما علم بهذا أن الله تعالى لم يأمرهم بشيء من ذلك، صرح به / ٩٢

١٠ نافية أن يدل على ما وسموه به دليل فقال: ﴿ما﴾ ولما قدم في
 الاعراف ترك النافي للتصريح لما تقدم بما اقتضاه، نفي هنا الإنفال النافي
 لأصل الفعل سواء كان بالتدرج أو غيره لأن المفصل لباب القرآن فهو
 للقاصد، وذلك كاف في ذم الهوى الذى هو مقصود السورة فقال:
 ﴿انزل الله﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿بها﴾ أى بالاستحقاق
 للأسماء و لا لما وسمتموها به من الإلهية، وأغرق في النفي بقوله:
 ١٥ ﴿من سلطن﴾ أى حجة تصلح مسطلاً على ما يدعى فيها .

ولما كان هذا النفي المستغرق موجبا للنخيم إيساع الحيلة في ذكر
 دليل على أى وجه كان، وكان هؤلاء قد ألبسوا عند سماع هذا الكلام
 ولم يجدوا ما يقولون ولا يجدوا، فكان من حقهم أن يرجعوا فلم يرجعوا،
 أعرض عنهم إيدانا بشديد الغبن قائلاً: ﴿ان﴾ أى ما ﴿يتبعون﴾

(١) في الأصل: أحيث .

أى فى وقت من الأوقات فى أمر هذه الأوثان بغاية جهدهم من أنها آلهة ،
وأنها تشفع لهم أو تقربهم من الله (الالظن) أى غاية أمرهم لمن
يحسن الظن بهم ، فالظن ترجيح أحد الجانبين على رغم الظان .

ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال :

(وما تهوى الاقنس ج) أى تشتهى ، وهى - لما لها من النقص - لا تشتهى ه

أبدا إلا بما يهوى بها عن غاية أوجها إلى أسفل حضيضها ، وأما
المعالى و حسن العواقب فانما تشوق إليها العقل ، قال القشيري : فالظن
الجميل بالله فليس من هذا الباب ، و التباس عواقب الشخص عليه ليس
من هذه الجملة بسبيل ، إنما الظن المعلوم فى الله و صفاته و أحكامه . (ولقد)

أى العجب أنهم يفعلون ذلك و الحال أنه قد (جآهم من ربهم) أى ١٠
المحسن إليهم (الهدى ه) أى الكامل فى بابه إلى الدين الحق الناطق
بالكتاب الناطق بالصواب على لسان الرسول صلى الله عليه و سلم ، و الرأى
يقضى أن من رأى الهدى تبعه ولو أتاه به عدوه ، فكيف إذا أتاه به
من هو أفضل منه من عند من إحسانه لم ينقطع عنه قط . و لما كان

التقدير : أعليهم أن يتركوا أهويتهم و يهتدوا بهدى ربهم الذى لا ملك ١٥
لهم معه (ام) لهم ما تمنوا - هكذا كان الأصل ، و لكنه ذكر
الأصل الموجب لاتباع الهوى فقال : (الانسان) أى الآنس بنفسه
المحسن لكل ما يأتى و ما ينذر (ما تمنى ذيل) أى من اتباع ما يشتهى
من جاه و مال و طول عمر و رفاهية عيش و من كفره و عناده ، و قوله

ولما كان الاستفهام إنكاريا . كان المعنى : ليس له ما تمنى ، وكان ذلك دليلا قطعيا على أنه مربوب مقهور بمن له الأمر كله ، فسبب عنه قوله : (فله) أى الملك الأعظم وحده . ولما كانت الأخرى دار اللذات وبلوغ جميع الأمانى وحرمانها ، وكانوا يدعون فيها / على تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعه آلهتهم وإجابتها إلى إسعادهم ٥ ونحو ذلك ، قدم قوله : (الأخره) فهو لا يعطى الأمانى فيها إلا لمن تبع هداه وخالف هواه (والاولى ٤) فهو لا يعطى جميع الأمانى فيها لأحد أصلا كما هو مشاهد ، فن ترك هواه فيها نال أمانيه فى الآخرة ، و من تبع هواه لم يصل إلى مراده فى الدنيا و حرم أمانيه فى الآخرة .

١٠ فلهذا قدمها لا للفاصلة فانه لو قيل « الأخرى » لصلحت للفاصلة .

ولما كان التقدير : فكم من شخص ترويه فى الأرض مع أنه فى غاية المكنة فيما يظهر لكم لا يصل إلى ربع ما يتمناه ، عطف عليه قوله ، مظهرًا لضخامة ملكه . وأنه لا يبالى بأحد ، دالا على الكثرة : (وكم من ملك) أى مقرب ، و دل على زيادة قربه بشرف مسكنه فقال : (فى السموات) ١٥ أى وهم فى الكرامة والرفق (لا تغنى) أى لا تجزى و تسد و تكفى ، ولما كان رد الجمع لحال اجتماعهم أدل على العظمة ، عبر بما يحتمل ذلك فقال : (شفاعتهم) أى عن أحد من الناس (شينا) فقصر الأمر عليه و رده بخذافيره إليه بقوله : (الا) و دل بأثبات الجار على أنه مع ما يحده سبحانه لا مطلقا فقال : (من بعد ان ياذن) أى يمكن و يريد (الله)

(١) فى الأصل : قطعا (٢) فى الأصل : باسباب .

أى الذى لا أمر لأحد أصلا معه، وعبر بأن والفعل دلالة على أنه لا عموم بعد الإذن بجميع الأوقات، وإنما ذلك يحدد بعد تجدد الإذن على حينه وقبل الأمر الباب؛ لعموم العظمة بقوله: ﴿ لمن يشاء ﴾ أى بتجدد تعلق مشيئته به لأن يكون مشفوعا أو شافعا.

ولما كان الملك قد يأذن فى الشفاعة وهو كاره، قال معلما أنه ليس هـ كأولئك: ﴿ ورضى هـ ﴾ فحينئذ تنفى شفاعتهم إذا كانوا من المأذون لهم - كل هذا قطعا لأطباعهم وعن قولهم بمجرد الهوى أى ألفتهم تشفع لهم . ولما أخبر باتباعهم للهوى ونفى أن يكون لهم من ذلك ما يتمنون . دل على اتباعهم للهوى بقوله موضع " انهم " : ﴿ ان الذين ﴾ وأكد تنبيها على أنه قول بالغ فى العجب الغاية فلا يكاد يصدق أن عاقلا بالآخرة ١٠ يقوله بما جرى لهم على قولهم ذلك وأمثاله بقوله: ﴿ لا يؤمنون ﴾ [أى - ١] لا يصدقون ولا هم يقررون بالآخرة، ولذلك أكد قوله: ﴿ ليسمون المشككة ﴾ أى كل واحد وم رسل الله ﴿ تسمية الآثى ﴾ بأن قالوا: هى بنات الله، كما يقال فى جنس الآثى: بنات ﴿ وما ﴾ أى والحال أنهم ما ﴿ لهم به ﴾ أى بما سموهم به، وأعرق فى النفي بقوله: ١٥ ﴿ من علم ﴾ ولما نفي عنهم تشوف السامع إلى الحامل لهم على ذلك فقال: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يتبعون ﴾ أى بغاية ما يكون فى ذلك وغيره ﴿ الا الظن ج ﴾ .

ولما كانوا كالقاطعين بأن ذلك يفهمهم، أكد قوله: ﴿ وان الظن ﴾

(١) زيد من السياق .

أى مطلقا فى هذا وغيره، و لذلك أظهر فى موضع الإضمار (لا يبنى)
 إغناء مبتدئا (من الحق) أى الأمر الثابت فى نفس الأمر الذى هو حقيقة
 الشئ و ذاته بحيث يكون الظن بدله، و الظن إنما يعبر [به] فى العمليات
 لا العمليات و لاسبيا الأصولية / (شيئا) من الإغناء^٢ عن أحد من الخلق
 ٥ فانه لا يودى أبدا إلى الجزم بالعلم بالشئ على ما هو عليه فى نفس الأمر
 فهو ممنوع فى أصول الدين، فان المقصود بتحقيق الأمر على ما هو عليه
 فى الواقع، و أما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه
 المأذون فيه، و هو رده إلى الأصول المستنبط منها لعجز الإنسان على
 القطع فى جميع الفروع، تنبيها على مجزه و افتقاره إلى الله ليقبل عليه
 ١٠ و يتبرأ من حوله و قوته ليكشف له من الأحقاف .

ولما كانوا بعد مجيء الهدى قد أصبروا على الهوى، و كانت هذه
 السورة فى أوائل ما نزل، و المؤمنون قليل، سبب عن ذلك :
 (فأعرض عن من تولى لا) أى كلف نفسه خلاف ما يدعو إليه
 العقل و الفطرة من (عن ذكرنا) أى ذكره إيانا، فأعرض
 ١٥ عن الذكر الذى أنزلناه فلم ينله و لم يتدبر معانيه فلا يلتفت إلى شئ
 علمه فانه مطموس^٣ على قلبه و لو كان ذهنه أرق من الشعر فانه لا يؤل^٢
 إلا إلى شئ " و لا تذهب نفسك عليهم حسرات " فانه ما
 عليك إلا البلاغ .

(١) فى الأصل : الاغنياء؛ (٢) فى الأصل : ملبوس (٣) فى الأصل : لا يقول .

ولما كان المعرض في وقت قد يقبل في آخر، دل على درامه
على وجه بليغ بقوله: (ولم يرد) أى في وقت من الأوقات
(إلا الحياة الدنيا) أى الحاضرة ليقصده بالمحسوسات كالبهايم في العمى
عن دناءتها وحقارتها، ثم ترجم جملتى الإعراض والإرادة بقوله: (ذلك)
أى الأمر المتناهى في الجهل والقباحة (مبلغهم) أى نهايه بلوغهم ٥
وموضع بلوغهم والحاصل لهم، وتهكم بهم بقوله: (من العلم) أنه
لا علم لهم لأن عيون بصائرهم عمى، ومرآتها كشيقة مظلمة لا تكشف
عن نظر الآخرة التى هى أصل العلوم كلها، ثم علل هذه الجملة بقوله
مؤكدًا قطعًا لطمع من يظن أن وعظه و كلامه يرد أحدا من غيه
وإن أبلغ في أمره ودعائه في سره وجهره، وإعلامًا بأن ذلك إنما ١٠
هو من الله، فمن وعظ له سبحانه راجيا منه في إيمانه أوشك أن
يتفع به كما فعل في وعظ مصعب بن عمير رضى الله عنه فصغى له أسيد
ابن حضير وسعد بن معاذ رضى الله عنهما في ساعة واحدة كما هو مشهور
(إن ربك) أى المحسن إليك بالإرسال وغيره (هو) أى وحده
(اعلم بمن ضل عن سبيله) ضلالا مستمرا، فلا تعلق أملك بأن يصل ١٥
عله إلى ما وراء الدنيا، وعبر بالرب إشارة إلى أن ضلال هذا من
الإحسان إليه صلى الله عليه وسلم لأنه لو دخل في دينه لافسد أكثر مما
يصلح كما قال تعالى " لا وضعوا خللكم ييغونكم الفتنة " وفيكم سماعون
لهم " وذلك لأنه جبل جبلة غير قابلة للخير (وهو) أى وحده

(اعلم بمن امتدى) أى ظاهرا و باطنا .

و لما كان هذا ربما أوهم أن من ضل على هذه الحالة ليس في قبضه ، قال نافعا لهذا الإبهام مبينا أن له الأسماء الحسنى و مقتضياتها في العالم موضع "و الحال أنه له" أو عطفًا على ما تقديره : فثقه من في السماوات
 ٥ و من في الأرض : (و لله) أى الملك الاعظم وحده (ما فى السموات)
 من / الذوات و المعاني فيشمل ذلك السماوات و الأراضى ، فان كل
 سماء فى التى تليها ، و الأرض فى السماء (و ما فى الأرض لا) وكذلك
 الأراضى و الكل فى العرش و هو ذو العرش العظيم .

/ ٩٦

و لما أمره صلى الله عليه و سلم بالإعراض عنهم و سلاه و أعلمه أن
 ١٠ الكل فى ملكه ، فلو شاء لهداهم و رفع النزاع ، ولكنه له فى ذلك حكم
 تحار فيها الأفكار ، علل الإعراض كما تقدم فى الجائية فى قوله " قل
 للذين آمنوا يغفروا " بقوله : (ليجزى) أى يعاقب هو سبحانه كافيا لك
 ما أهمك من ذلك ، و يجوز أن يكون التقدير : و كما أنه سبحانه مالك ذلك
 فهو ملكه ليحكم بجزاء كل على حسب ما يستحق ، فان الحكم نتيجة الملك
 ١٥ (الذين أسأوا) بالضلال (بما عملوا) أى بسية و بحسبه إما بواسطة
 و بسيفك و سيوف أتباعك إذا أذنت لكم فى القتال ، و إما بغير ذلك
 بالموت حتف الأنف بضرب الملائكة وجوههم و أديبارهم ، ثم بعذاب
 الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون مجل لهم فى الدنيا شىء ينقص
 بسية عذاب الآخرة (و يجزى) أى يثبت و يكرم (الذين احسنوا)
 ٢٠ أى على ثباتهم على الدين و صبرهم عليه و على أذى أعدائهم (بالحسنى)
 أى

أى الثبوت الذى هو فى غاية الحسن ما بعدها غاية، فان الحسنى تأنيث
الاحسن .

ولما وعد الذين وقع منهم الإحسان ، وصفهم فقال :
{ الذين يمتنون } أى يكلفون أنفسهم ويجهدون على أن يتركوا
{ كسب الأثم } أى ما عظم الشارع إثمه بعد تحريمه بالوعيد والحد ، ه
وعطف على " كسب الأثم " قوله : { والفواحش } و الفاحشة من
الكبائر ما يكرهه الطبع وينكره العقل ويستخسه .

ولما أنهم هذا التقييد [أن] من خالط ما دون فما دون كان مغفورا
له، صرح به فقال : { الا } أى لكن { اللهم } مغفوء، فن خالطه
لا يخرج عن عداد من أحسن ، فهو استثناء منقطع ، ولعله وضع فيه ١٠
" الا " موضع " لكن " إشارة إلى ' أن الصغير يمكن أن يكون
كبيرا باستهاتته مثلا كما قال تعالى " وتحسبونه مينا وهو عند الله عظيم " .
واللم هو صفار الذنوب ، والمراد هنا ما يحصل منها فى الأحيان كأنه
وقع فى صاحبه فلتة بغير اختيار منه ، لاما يتخذ عادة أو يكثر حتى
يصير كالعادة ، قال الرازى فى اللوامع : وأصله مقارنة الذنب ثم الامتناع ١٥
منه قبل الفعل ، قال ذو النون : ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من
غيره - انتهى . يقال : وألم بالمكان - إذا قل لبث فيه ، وقال البغوى :
قال السدى : قال أبو صالح أنه سئل عن اللم فقال : هو الرجل يلم بالذنب

(١) فى الأصل : الا (٢) آية ٢٤ / ١٥ (٣) فى العالم بهامش الباب ٦ / ٢٢٠ .

ثم لا يعاوده، قال: فذكرت [ذلك - ١] لابن عباس رضى الله عنهما
فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم، ثم قال البغوى: فأصل اللهم
والإمام [ما - ١] يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة^٢
ولا إقامة [عليه - ١] - انتهى - وعلى هذا يصح أن يكون الاستثناء
متصلا . ٥ / ٩٧

ولما كان الملوك لا يغفرون لمن تكررت ذنوبه إليهم وإن صغرت،
فكان السامع يستعظم أن يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا، علل ذلك
بقوله: (ان ربك) أى المحسن إليك بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف
عن أمتك (واسبح المغفرة) فهو يغفر الصغار حقا أوجه على نفسه
١٠. ويغفر الكبار إن شاء بخلاف غيره من الملوك فإنه لو أراد ذلك ما أمكنه
أتباعه، ولو جاهد حتى تمكن من ذلك فى وقت فسدت مملكته فأدى
ذلك إلى زوال الملك من يده أو اختلاله .

ولما وصف الذين أحسنوا فكان ربما وقع فى وهم أنه لا يعلمهم
سبحانه إلا بأفعالهم، وربما قطع من عمل بمضمون الآية أنه بمن أحسن،
١٥ قال نافيا لذلك: (هو اعلم بكم) أى بذواتكم وأحوالكم منكم بأنفسكم
(اذ) أى حين (انشأكم) ابتداء (من الارض) التى طبعها طبع الموت:
البرد واليبس بانشاء أيكم آدم عليه السلام منها وتهيئةكم للتكوين بعد
أن لم يكن فيكم تقوية قريية ولا بعيدة أصلا يميز الثواب الذى يصلح
لتكونكم منه والذى لا يصلح (واذ) أى حين (انتم اجنة) أى مستورون .

(١) زيد من العالم (٢) من العالم، وفى الأصل: عادة .

ولما كان البشر قد يكون في بطن الأرض وإن كان الجنين معروفا
للطفل في البطن، حقق معناه بقوله: (في بطون امهتكم ج) بعد أن مزج
بذلك التراب البارد اليابس الماء والهواء، فنشأت الحرارة والرطوبة، فكانت
هذه الأربعة الأخلاط الزكية والدينة، ولكن لا علم لكم أصلا، فهو
يعلم إذ ذاك ما أنتم صائرون إليه من خير وشر وإن عملتم مدة من ٥
العمر بخلاف ذلك فانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وأتم لاتعلمون
إلا ما يكون في أنفسكم حال كونه أنكم لاتحيطون به إذ ذاك علما .
ولما كان من عادة من أسلم من الذنوب أن يفنخر على من قارفها لما
بنى الإنسان عليه من عجة الفخر لما جبل عليه من القصان، وكان حاله
قد يتبدل فيسبق عليه الكتاب فيشقى، سبب عن ذلك قوله: (فلا تزكوا آ) ١٠
أى تمدحوا بالزكاة وهو البركة والطهارة عن الدناءة (انفسكم) أى
حقيقة بأن يثنى على نفسه فان تزكيتة لنفسه من علامات كونه محجوبا
عن الله - قاله القشيري - أو مجازا بأن يثنى على غيره من إخوانه فانه كثيرا
ما يثنى بشيء فيظهر خلافه، وربما حصل له الأذى بسببه "إذ إن العبد
ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع" ١٥
الحديث، ولذلك علل بقوله: (هو اعلم) أى منكم ومن جميع الخلق
(بمن اتقى) أى جاهد نفسه حتى حصل فيه تقوى، فهو يوصله فوق
ما يؤمل من الثواب في الدارين، فكيف بمن صارت له التقوى
وصفا ثابتا .

ولما أمره سبحانه بالإعراض / عن تولى عن التشرف بذكر الملك ٢٠ / ٩٨

الاعظم و اللجوء إليه ، و نهى عن التزكية للجهل بالعواقب ، و كان قد ارتد
ناس عن الإسلام ، كان سبب ارتدادهم إخباره صلى الله عليه و سلم عن
بعض ما رأى من الآيات الكبرى ليلة الإسراء ، و كان لما نزلت عليه
صلى الله عليه و سلم سجدة النجم و سجد فيها صلى الله عليه و سلم بسجدة معه
٥ - كما فى البخارى - المسلمون و المشركون و الجن و الإنس ، و لم يكن
فى ظن أحد من الخلق انقلابهم على أديبارهم بعد حتى و لا فى ظن المرتدین ،
سبب عن ذلك قوله : ﴿ افرءيت ﴾ أى أخبرونى ﴿ الذى تولى ﴾ أى
[عن] ذكرنا بعد أن كان حريصا عليه ، يظن هو و أهله أنه عريق فى
أهله بأيمانه و أعماله فى أيام إيمانه ﴿ و اعطى قليلا و اكديء ﴾ أى قطع
١٠ ذلك العطاء على مكده و قلته و أبطله و أفسده فصار كالحافر الذى وصل
فى حفرة إلى كدية ، يقال لحافر البئر : أجبل - إذا وصل إلى جبل ،
و أكديء - إذا وصل إلى كدية أى صفة عظيمة شديدة لاتعمل فيها
المعاول ، فصار لا يقدر معها على شىء من عمله ، و لا يستطيع النفوذ فيها
بشئ من حيله ، و قد كان قبل ذلك لما صادف العراب اللين يظن أنه
١٥ لا يمنعه مانع مما يريد ، فهذا دليل خبرى شهودى على أنه لا علم لاحد
من الخلق بما جابه الله فى نفسه فضلا عن غيره ، فلا ينبغي لاحد أن
يزكى نفسه و لا غيره ، قيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة أسلم ثم ارتد
لتعير بعض المشركين له ، و قوله له " ارجع و أنا أتحمل عنك العذاب "
و هى تصلح لكل من ارتد ظاهرا أو نافق أو انهزمك فى المعاصى بعد

(١) راجع ٢ / ٧٢١ (٢) راجع البحر المحيط ١ / ١٦٦ .

إيمانه معرضا عن الأعمال الصالحة .

ولما كان هذا - وقد وقع في خطر عظيم من إفساد العمل في الماضي وتركه في المستقبل فصار على خطأ عظيم في أحدهما - يتعلق بأصل الدين: الكفر والإيمان، وكان مثل هذا لا يفعله عاقل بنفسه إلا عن بصيرة، قال تعالى موجبا له مقرا: (اعننه) أى خاصة (علم الغيب) أى ٥ كله بحيث لا يشاركه فيه مشارك يمكن أن يخفى عليه شيء منه (فهو) أى فيسبب عن ذلك أنه (يرى ٥) أى الرؤية الكاملة فيعلم جميع ما ينفعه في تركه وجميع ما يضره فيجتنبه و يعلم أن هذا القليل الذي أعطاه قد قبل وأمن به من العطب فاكتفى به .

ولما كان النبي قد يظن أن عمل غيره ينفعه، عبر عنه جامعا للوعظ ١٥ و التهويل بقوله: (ام لم ينبا) أى يخبر إخبارا عظيما متابعا (بما في صحف موسى) أى التوراة المنسوبة إليه بانزالها عليه وكذا ما يتبعها من أسفار الأنبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها .

ولما قدم كتاب موسى عليه السلام لكونه أعظم كتاب بعد القرآن مع أنه موجود بين الناس يمكن مراجعته، قال: (و ابراهيم) ١٥ ومدحه بقوله دالا بتشديد الفعل على غاية الوفاء: (الذى وفى) أى أم ما أمر به وما امتحن به وما قلق شيئا من قلق، وكان أول من هاجر قومه وصبر على حر ذبح الولد وكذا على حر النار ولم يستعن بمخلوق، وخص هذين النبيين لأن المدعين / من نبى إسرائيل اليهود

و النصارى يدعون متابعة عيسى عليه السلام، ومن العرب يدعون متابعة إبراهيم عليه السلام، ومن عداهم لا متمسك لهم ولا سلف في نبوة محققة ولا شريعة محفوظة، ثم فسر الذى فى الصحف أو استأنف بقوله: ﴿الاتزر﴾ أى تأثم وتحمل ﴿وازره﴾ أى نفس بلغت مبلغا ٥ تكون فيه حاملة ﴿وزر اخرى﴾ أى حملها الثقيل من الإثم، يعنى فمن يحمل عنه أثم أحد الشقين الذى لزمه فلا بد أن يكون آثما وها قبل التولى وما بعده ٥

و لما نفي أن يضره إثم غيره، نفي أن ينفعه سعى غيره فقال: ﴿وان ليس للانسان﴾ كائنا من كان ﴿الا ما سعى لا﴾ فلا بد ان ١٠ يعلم الحق فى أى جهة فيسعى، ودعاء المؤمنين للؤمن سعيه بموادته لهم ولو بموافقته لهم فى الدين وكذا الحج عنه والصدقة ونحوهما، وأما الولد فواضح فى ذلك، وأما ما كان لسبب العلم ونحوهما (٩) فكذلك، وتضحية للنبي صلى الله عليه وسلم فى عزامته أصل كبير فى ذلك، فان من تبعه فقد وادده، وهذا أصل فى التصديق عن الغير وإهداء ما له ١٥ من الثواب فى القراءة ونحوها .

و لما ثبت أنه ليس له ولا عليه إلا ما عمل، وكان فى الدنيا قد يفعل الشيء من الخير والشر ولا يراه من فعله لأجله ولا غيره، نفي أن يكون الآخرة كذلك بقوله: ﴿وان سعيه﴾ أى من خير وشر ﴿سوف﴾ أى من غير شك بوعد لا خلف فيه وإن طال المدى ٥

(١) فى الأصل: ما .

و لما كان الاطلاع نفسه مرضيا أو مخزيا لا بالنسبة لاحد بعينه، بناء
للجهول بقوله : (يرى) و لما كان المخوف منه المجازاة مطلقا لا من
بجاز معين قال : (ثم يحزمه) و لما كان في هذه الدار ربما وقعت المساحة
بعض الأشياء والغفلة عن بعضها، قال : (الجزاء الاوفى) أى الإثم
الاكمل، إن كان خيرا فمع المضاعفة، وإن كان غيره فعلى السواء لمن
أراد الله ذلك له و يعفو عن كثير، لكنه تذكرة له .

و لما كانت رؤية الأعمال لا تقطع رؤية المتوكلين بها من الملائكة
أو غيرها من أقامه الله لذلك، وكان الرائي كلما كان أكثر كان الأمر
أهول، وكان رؤية الملك الأعظم أخوف، قال عاطفا على "لا تز" مبينا
بحرف الغاية أن الرائين للأعمال كثير لكثرة جنوده سبحانه : ١٠
(وان الى ربك) أى المحسن اليك لاغيره (المنتهى) أى الانتهاء
برجوع الخلاق حسا بالبعث ومعنى بالعمل والعلم، وإسناد الأمور
وإرسال الآمال، ومكان رجوعهم وزمانه كما كان منه المبتدأ، أكد
ذلك خلقا لذلك كله وحسابا عليه . روى البغوى من طريق أبى جعفر
الرازى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى ١٥
هذه الآية قال : لا فكرة فى الرب، قال : ومثل هذا ما روى عن أبى
هريرة رضى الله عنه مرفوعا : تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق
فانه لا يحيط به الفكرة . ورواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس
رضى الله عنهما : ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره، هذا [هو]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٢٣ .

المراد وهو واضح، فن أول الآية باتحاد أو غير ذلك من الإلحاد فعليه لعنة الله وعلى الذاب عنه والساكت عنه .

ولما ذكر تعالى الأمور الاختيارية / وقدمها لأنها محط للبلاء / ١٠٠

وسلب عليها عن أصحابها، وحذر من عاقبتها باحاطته بكل شيء، وكان معنى ذلك انه القادر لا غيره والعالم لا غيره، عطف عليه قوله ذاكرة للامور الاضطرارية التي هي في غاية التناهي إكالا للدليل على أنه يعلم ما في النفوس دون أصحابها وغيرهم وأنه إليه المنتهى إعادة وإبداء، يوقف ما يشاء على ما يريد من الأسباب التي تفعل باذنه من الضحك أو البكاء وغيرهما من الأمور المنافية التي لولا الالف لها لقضى الإنسان أن المتلبس بأحدهما لا يتلبس بـضده أصلا ومن غيرها (وأنه) ولما كانت التأثيرات الإدراكية تحال على أسبابها، أكد الكلام فيها فقال: (هو) أي لا غيره (اضحك و ابكي لا) أي ولا [يعلم] أحد قبل وقت الضحك أو البكاء انه يضحك أو يبكي ولا أنه يأتيه ما يعجبه أو يحزنه، ولو قيل له حالة الضحك انه بعد ساعة [يبكي] لانكر ذلك، وربما أدركه ما أبكاه وهو في الضحك وبالعكس .

ولما كانت الإمامة والإحياء أعظم تنافيا بما مضى، فكانت القدرة على إيجادهما في الشخص الواحد أعظم ما يكون، وكان ربما نسب إلى من قتل أو داوى من مرض أو أطلق من وجب قتله، أكد فقال: (. انه هو) أي لا غيره . ولما كان الإلباس في الموت أكبر، وكان الموت أنسب للبكاء، والإحياء أنسب للضحك، وكان طريق النشر المشوش

أفصح، قدمه فقال: (امات و احيا لا) و ان رأيتم اسبابا ظاهرية فانه
لا عبرة بها اصلا في نفس الامر بل هو الذى خلقها .

ولما كان ذكر الإحياء، وكان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهرا في
اختصاصه، بل وهو في غاية التعذر على [من] سواء، أعراه عن مثل التأكيد

في الذى قبله فقال: (وانه خلق الزوجين) ثم فسرها بقوله: ٥
(الذكر والاثني لا) فانه لو كان ذلك في غيره لمنع البنات لانها مكروهة

لكل أحد، ثم ذكر ما يظهر ولا بد أنه من صنعه فتسبب أن مادة
الاثنين واحدة وهو الماء الذى هو أشد الأشياء امتزاجا فقال: (من نطفة)

و صور كونها منها بقوله: (اذا تمى ص) أى تراق و تدفق بالفعل لا قبل

ذلك ليتمكن فيه طعن بأنه كان بدوًا أو غيره بل أتم تعلمون أنه لا يخلق ١٥
الولد إلا بعد الإتمام بالفعل، و خرج أصله ما يمكن خلقا من خلق الله

ان يعرف بمجرد رؤيته أهو صالح الاثني فقط أو للذكر فقط أو لهما
أو للاشكال بالحنوثة .

ولما ساق هذه الأشياء دليلا على إحاطة تلمه فلزمها أن دلت على

تمام قدرته، و ختمها بالنشأ الأولى فلزم من ذلك الإقرار حتما بأنه قادر ١٥

على البعث، عبر بما يقتضى أنه لما تقدم به وعده على جميع السنة رسله
صار واجبا عليه بمعنى أنه لا بد من كونه لانه لا يبدل القول لديه، لا غير ذلك،

فمربحرف الاستعلاء تأكيد له ردا لإنكارهم إياه فقال: (و ان عليه)

أى خاصا به علما و قنرة (النشأة) أى الحياة و هو محدود لابن

كثير و أبى عمرو و مقصور لغيرهما مصدر نشأ - اذا حنى و ربى و سن
 ﴿ الاخرى لا ﴾ أى التى ينشأ بها الخلق بعد ان يميتهم . و لما كان الغنى
 و الفقر من الأمور المتوسطة بين الاختيارية و الاضطرارية له بكل الأمرين
 لسبب و كان مقسوما بين الإناث و الذكور بحكمة ربانية لا ينفج الذكر
 فيها / قوته و لا يضر الأثى ضعفها، و كان ذكر النشأة الآخرة كالمعرض
 ١٠١ / ٥
 إنما أوجب ذكر النشأة الأولى، تعقب ذكرهما به و كان ذكر الغنى مع
 انه يدل على الفقر أليق بالامتنان، و النسبة إلى الرب، و كان الغنى الحقيقى
 إنما يكون فى تلك الدار، آخر ذكره فقال: ﴿ و انه ﴾ و لما كان ربما
 سب إلى السعى و غيره، أكد بالفعل فقال: ﴿ هو ﴾ أى وحده من
 ١٠ غير نظر إلى سعى ساع و لا غيره ﴿ اغنى ﴾ و لما كان الغنى فى الحقيقة
 إنما هو غنى النفس، و هو رضاها بما قسم لها و سكونها و طمأننتها،
 و إنما سعى ذو المال غنيا لأن المال بحيث تطمئن معه النفس، فمن كان
 راضيا بكل ما قسم الله به فهو غنى، و هو فى الجنان مغنى و إن كان
 فى الدنيا ﴿ واقى ﴾ أى أمكن من المال و أرضى بجميع الأحوال،
 ١٥ قال البغوى: أعطى أصول المال و ما يدخر بعد الكفاية، قال: و قال
 الأخصب أقى أفقر - انتهى . و نقل الإصبهانى مثله عن أبى زيد، فتكون
 الهمة للازالة^٢ و يقال، أفناه بكذا أرضاه، و أقناه الصد:
 أمكنه منه .

و لما كانت الشعرى لأنها تقطع السماء عرضا ادل النجوم بعد تمام

(١) فى الاصل: قسما (٢) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٢٤ (٣) فى

الأصل: للازليه .

القدرة على الفعل بالاختيار مع أنها بما دخل تحت ذلك الجنس المقسم به أول السورة، وهي لمورها في سيرها عرضا على جميع المنازل التي كانت العرب تستمطر بها وتفسب بالإتيان بالحد الموجب للنفي إليها كانت قد عبدها من دون الله أبو كبشة الخزاعي لكونها عنده أجل الكواكب، قال تعالى دالا بالتأكيد على سفاقة من عبدها: (وإنه هو) ٥
 أى لا غيره (رب الشعرى) أى الكاملة فى معناها وهى العبور، وأهل علم النجوم يقولون: إن الأحكام النجومية المنسوبة إليها أصح ما ينسب إلى العالم العلوى، وهى نجم بضئ [خلف] الجوزاء، ويسمى كلب الجبار، وسميت الجوزاء بالجبار تشبيها لها بملك على كرسية وعلى رأسه تاج، وقال الرازى فى اللوامع: هى أحد كوكبي ذراعى الأسد، وقال ابن القاص فى كتاب ١٠
 دلائل القبلة: وترى عند صلاة الصبح نيرة زائدا نورها على نور سائر الكواكب حولها، وقد طمس الصبح نور سائر الكواكب، وأما الشعرى الأخرى فهى الغميصاء - بالعين المعجمة والصاد المهملة - فهى أقل نورا منها، ولذلك سميت الغميصاء، وقال القزاز فى جامعه: وقيل: بكت على أختها فعمصت عينها، أى غارت وذهبت ١٥
 ولما دل سبحانه على كمال علمه وشمول قدرته بأمر الخافقين: العلوى والسفلى، فكان ذلك داعيا إلى الإقبال على ما يرضيه، وناها عن الإلمام بما يسخطه، شرع فى التهديد لمن وقف عن ذلك بما وقع فى مصارع الأولين من مجائب قدرته فقال: (وإنه أهلك عادا) ولم يأت بضمير الفصل لأنه لم يدع فى أحد غيره إهلاكهم، وهول أمره بقوله: ٢٠

(٥١ الأولى هـ) أى القدماء فى الزمان جدا دلالة على أنه المنصرف فى جميع الأزمنة ، و قدمهم لأن الشر أنام من حيث ظنوه خيرا و جزموا بأنه من الأنواء النافعة التى كانت عادتهم استمطارها ، و قيل : إن عادا قبيلتان : و الأولى قوم هود عليه السلام و الأخرى أرم ذات [العباد - ١] - قاله جماعة منهم القشيري . قال البغوى^٢ : و كان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى ، و قال ابن جرير^٣ : و عادا الأولى / هم الذين عنى الله بقوله ” ألم تركيف فعل ربك بعاد ارم “ و إنما قيل لهم عادا الأولى [لأن] نبي لقيم بن هزال هزيل بن عنبل بن عاد كانوا أيام ارسل الله على هؤلاء عذابه سكانا بمكة مع إخوانهم من العمالق و ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم و هم عاد الأخرى ، ثم هلكوا بعد بغى بعضهم على بعض فتفانوا ، و قال غير ابن جرير : إن أرم هم عاد الأخرى ، و عطف عليهم قوله : (و مؤدّا) أى أهلكتهم ثم سبب عن الإهلاك قوله : (فآ اتقى هـ) أى من الفريقين أحدا ، و من قال : إن عادا قبيلتان جعل عدم لإبقاء خاصا بشمرد ، و قراءة عاصم ١٥ و حمزة و يعقوب ؛ بمنع الصرف نص فى أنهم قوم صالح عليه السلام ، و قراءة الباقيين بالصرف أنسب للإهلاك و الإعدام .

و لما قدم من كان إهلاكهم بنفس الريح التى هى مبدأ الأمطار الآتية لهم فى السحاب ، و أتبعهم من إهلاكهم بها يحملها للصيحة و إرجافها

(١) زيد من القرآن (٢) راجع المعالم بهامش الباب ٦ / ٢٢٥ (٣) راجع تفسيره

٢٧ / ٤١ (٤) راجع ثمر المرجان ٧ / ١٠٦ .

بهم ، اتبعهم من كان إهلاكهم بالماء الذي هو غاية السحاب فقال :
 (و قوم نوح) أى أهلكهم لأجل ظلمهم بالتكذيب ، ولما كان
 إهلاكهم فى بعض الزمان الماضى قال : (من قبل^١) أى قبل الفريقين
 فصار فى الكلام تهويلان يهزان القلب و يفعلان فى النفس وصف هؤلاء
 بالقيستين ، أولئك بالأولى ، ولو لا تقديمهم ما كان هذا ، و علل ه
 هلاكهم بما يؤذن أنه لافرق عنده بين قوى و ضعيف و قليل و كثير مؤكدا
 لأن ما اشتهر من طغيان عاد يوجب أنهم أظلم الناس : (انهم كانوا)
 أى بما لهم من الأخلاق التى هى كالجبال التى لا انفكك عنها (م)
 أى خاصة (أظلم) من الطائفتين المذكورتين ؛ (و اظفى^٢) أى
 و أشد تجارزا فى الظلم و علوا و إسرافا فى المعاصى و تجبرا و عتوا لهادى ١٠
 دعوة نوح عليه السلام و لأنهم أطول أعمارا و أشد أبدانا ، و كانوا
 مع ذلك ملء الأرض ، و يجوز أن يكون الضمير للفرق الثلاثة .
 و لما ذكر الهلاك بالريح العاصفة الناشئة عنها ثم بالماء الناشئ عن
 السحاب الناشئ عن الريح ، ذكر الإهلاك بالريح و النار و الماء إعلاما بأنه الفاعل
 وحده بما أراد من العذاب من العناصر التى سبب الحياة مجتمعة و منفردة ، ١٥
 فقال مقدما عن العامل إعلاما بالتخصيص بما ذكر من العذاب إفادة
 بأنه تعالى قادر على كل شئ فلم يعذب فرقه بما عذب به الأخرى :
 (و انوثفك) أى المدن المقلبة عن و سورها إلى أقطانها بقدره جعلتها
 من شدتها و عظمتها كأنها انقلبت نفسها من غير قالب و ذلك أنه
 سبحانه فثقتها من الأرض فثقتها ثم دفعها فى الهواء إلى عنان السماء ثم ٢٠

قلها و أتبعها حجارة النار الكبريتية و غمرها بالماء الذي لا يشبهه شيء من
 مياه الدنيا، و لذلك قال: ﴿ اهوى ﴾ أى رفع و حط و أزل، فكان الإنزال
 إهواء حقيقيا، و الرفع مجازيا لأنه سببه و هى مدن قوم لوط عليه السلام،
 و أشار إلى الحجارة و الماء بقوله مسيا عن الإهواء و معقبا له :
 ٥ ﴿ فغشها ﴾ أى أتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء، و هو لها بقوله :
 ﴿ ما غشى ﴾ أى أمرا عظيما من الحجارة و غيرها لا يسع العقول وصفه،
 و قد اشتمل ما ذكره سبحانه من الصحف على بيان ما ينفع من الأعمال
 و ما يضر / و بيان التوحيد باحاطة الله سبحانه بالنهايات التى لانهاية
 بعدها علما و قدرة لا اختصاصه ببيان المصنوعات و ببيان البعث للتخويف
 ١٠ بالآجل و إهلاك المرتدين للتخويف بالمآجل لمن كان قلبه جافيا عن النفوذ
 إلى الآجل .

/ ١٠٣

و لا أهلك كل واحدة من هذه الفرق فلم يبق من مجارها احد،
 و أبجى من أطاعه منهم فلم يهلك منهم أحد، و كان إهلاكه لكل منها
 بشيء غير ما هلك به الفريق الآخر، فدل كل من ذلك على تمام علمه
 ١٥ و كمال قدرته، و كان كل ما تقدم فى هذه السورة من النعم و النقم لكونه
 كان أم أوجه الحكم نعمة على كل مؤمن لما فيها من الترغيب فى ثوابه
 و الترهيب من عقابه، خاطب سبحانه رأس المؤمنين لأن خطابه له أشد
 فى تذكر غيره فقال مسيا عما مضى: ﴿ فبأى الآء ربك ﴾ أى عطية المحسن
 إليك التى هى وجه الإنعام و الإكرام و هى إشارة المعرفة به سبحانه
 ٢٠ بمنزلة ظل الشخص من الشخص كما أنه لا يتصور ظل إلا لشخص
 فكذلك (٢٠) ٨٠

فكذلك فعل الفاعل ولا أثر للوثر (تبارى ه) أى تشك باجالة الخواطر
 فى فكرك فى إرادة هداية قومك بحيث لا تريد أن أحدا منهم يهلك
 وقد حكم ربك باهلاك كثير منهم لما اقتضته حكمته ، وكان بعض خطرك
 فى تلك الإجابة يشكك بعضا ، ولما تم الكلام على هذا المنهاج البديع
 والنمط الرفيع فى حسان البيان للواعظ والشرع والقصاص القديمة ه
 والإنذار العظيم التام على وجه معجز من وجوه شتى ، أنتج قوله مرعبا
 مرعبا خاتما السورة بما بدأ هنا به من ذكره صلى الله عليه وسلم : (هذا)
 النبى صلى الله عليه وسلم (نذير) أى محذر بليغ التحذير ، ولما كانت
 الرسل الماضون عليهم الصلاة والسلام قد تقررت رسالتهم فى النفوس
 وسكنت إليها القلوب ، بحيث أنه لا يسع إنكارها ، فكان قد أخبر عن ١٠
 إنكار من كذبهم لأجل تكذيبهم ، وإنجائهم وإنجاه من صدقهم لأجل
 نصرتهم ، وكان لا فرق بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك إلا أن
 الرحمة به أبلغ وأغلب ، مرعبا فى اتباعه مرعبا من نزاعه ، قال :
 (من النذر الأولى ه) يجب له ما وجب لهم وأتم كالمندرين الأولين ،
 فاحذروا ما حل بالمكذبين منهم وارجوا ما كان للصدقين . ١٥
 ولما كان كل آت قريبا ، وكانت الساعة - وهى ما أندر به من
 القيامة وما دونها - لا بد من إتيانها لما رقع من الوعد الصادق به المتحف
 بالدلائل التى لا تقبل شكاً بوجه من الوجوه ، فكان باعتبار ذلك لاشئ
 أقرب منها ، قال دالا على ذلك بصيغة الماضى الذى قد تحقق وقوعه
 وباشتقاق الواقع الفاعل مما منه الفعل : (ازفت الأزفة ه) أى دنت ٢٠

الساعة الدانية في نفسها التي وصفت لكم بالفعل بالقرب غير مرة لأنها محط
الحكمة وإظهار العظمة، وما خلق الخلق / إلا لأجلها، المشتعلة على الضيق / ١٠٤
وسوء العيش من القيامة، وكل ما وعدتموه في الدنيا مما يكون به ظهور
هذا الدين وقع المفسدين. ولما ضاق الخناق من ذكرها على هذا الوجه،
تشوف السامع إلى دفعها، فاستأق قوله: (ليس لها) واستدرك
بقوله: (من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل
شيء قدرة وعلما (كاشفة له) أي كاشف يوجد ما يقيها ويحلى علمها،
أو يدفع كربها وهمها وإن بالغ في الكشف وبذل الجهد فيه، فالهاء
للبالغة، ويجوز أن تكون مصدرا كالجائية والكاذبة والباقية فيكون
١٠. الهاء للتأنيث.

ولما أفهم هذا أن الله يكشفها أي يكشف كربها عن يريد من
عباده ويثقله على من يشاء، ويكشف علمها بأقامتها، ولا حيلة لغيره في
شيء من ذلك بوجه، سبب عنه وعمما تقدمه من الإنذار قوله منكرا
موبخا: (افن هذا الحديث) أي القول العظيم الذي يأتيكم على سبيل
١٥ التجدد بحسب الوقائع والحاجات (تعجبون لإ) إنكارا وهو في غاية
ما يكون من رقيق القلوب.

ولما كان المعجب قد يمسك نفسه عن الضحك، بين أنهم ليسوا كذلك
فقال: (وتضحكون) أي استهزاء تجمدون ذلك في كل وقت مبتدأ
ضحكم منه وهو بعيد من ذلك، ولما كان إنما يورث الحزن بكونه

(١) زيدت الواو في الأصل.

نزل بالحزن قال: (ولا تبكون لا) أى كما هو حق من يسمعه .
ولما كان البكاء قد يكون على التقصير فى العمل ، بين أن الأمر
أخطر من ذلك [فقال] : (واتم) أى والحال أنكم فى حال بكتكم
(سمدون ه) أى دائبون فى العمل جاهدون فى العمل ، فان الأمر جد ،
فالدأب فى العمل والجد فيه حيثند علة للبكاء ، فكأنه قيل : ولا تدأبون فى ه
العمل فبكون ، وإنما قلت ذلك لأن " سمد " معناه دأب فى العمل ورفع
رأسه تكبرا وعلا ، وسمد الإبل : جد فى السير ، وسار سيرا شديدا ،
واسماد : ورم ، وسمد : قام متحيرا وحزن وسر وغفل ولها وقام
وحصل ونام واهتم وتكبر وتحير واطر وأشر ، وسمد الأرض : سهلها ،
وأيضا جعل فيها السباد ، أى السرقيين ، والشعر : استأصله ، وهو لك سمد ١٠
أى سرمدا ، والسميد : الحوارى ، ذكر ذلك مبسوطا القزاز فى جامعهم
وصاحب القاموس . فالمادة كما ترى تدور على انتشارها على الدأب
فى العمل فتارة بذكر مبدئه الباعث عليه ، وتارة الناشئ عنه ، وتارة ما
بينهما ، وهو الجد فى العمل ، فينطلق الاسم على كل من ذلك تارة حقيقة
ومرة بمجاز الأول ، وأخرى بمجاز الكون ، فالتقصد باعث ، وكذا ١٥
الاهتمام والقيام ورفع الرأس ناشئان عنهما ، وذلك أوله ، والسدم
بمعنى الحرص والهم واللهم بالشيء ، والسديم : الضباب الرقيق ، هو مبدأ
الكشف ، والمسدم : البعير المهمل وما دب ظهره ، كأنه من الإزالة ، وركبة
سدم : متدققة - للمعالجة فى فتحها ، ولأن تدققها دأب فى العمل ، وكذا
سدم الباب أى ردمه ، والدمس / : الودك ، لأنه منشط على العمل ومنشأ ٢٠ / ١٠٥

منه، والوضر والدنس، ودسم المطر الأرض: بلها قليلا، لأنه مبدأ الكثير،
والقارورة: سدها، والباب: أغلقه، لأنه يعالج في فتحه، والدسمة:
غبرة إلى السواد - كأنه مبدأ السواد، والدسيم لما لم يكن أبواه من نوع
واحد - كأنه مبدأ لكل نوع منها ولأنه يلزم الخلط في العادة العلاج،
٥ ومنه الدسمة للردىء من الرجال - كأنه لم يكمل فيه النوع، ولأن نقص
الشيء عن عادته يلزمه العلاج والفعل بالاختيار، والديسم: الرفيق بالعمل
المشفق، وأنا على دسم من الأمر أى طرف منه، والمسد - محرمة:
المحور من الحديد، لأنه آلة القتل، وحبل من الليف أو ليف المقل لأنه
محل الدأب، والمساد: نحى السمن، ودمسه: دفته، يصلح أن يكون مبدأ
١٠ ومقصدا، ومنه دمس بينهم: أصلح، لأنه دفن أحقادهم وعالج في ذلك،
والدمس: إخفاء الشيء والظلام، لأنه منشق التعب، ودمس الموضع:
درس - للتعب في معرفته، ودمس الإهاب: غطاه فيمشط شعره، والدمس:
الشخص، وبالتحريك: ما غطى، والدودمس بالضم: حية مجرقة الغلاصيم
تنفخ فتحرق ما أصابت بنفخها، ومن آثاره الناشئة عنه الورم، وكذا
١٥ القيام متحيرا والغفلة والسرور والحزن واللهو والنوم والكبر والتبختر
والعلو والعتا، والسميد أى الحوارى، والسمد بمعنى السرد: والسمد: الهم
مع ندم أو الغيظ مع حزن، والديماس: الكن، وإنما بين ذلك سمد
الأرض والشعر والسير الشديد والجد فيه، وهو نفس الدأب، وكذا
السديم للكثير الذكر، وماء مسدم وعاشق مسدم: شديد العشق، والدسيم:
٢٠ ظلمة السواد، والدسيم: الكثير الذكر، ودسم البعير: طلاه بالحناء - والمسد:

إدآب السير - وبالتحريك : المضمور المحكم القتل ، ورجل سمود : جدول الخلق - شبه به - وهى بهاء ، ودمس^١ بينهم : أصلح ، وهو من الدفن أيضا لانه دفن أحقادهم فبين أن جعل السمود فى الآية بمعنى الدآب فى العمل هو الأولى ، وأن كون الجملة حالا من جعلها معطوفة على "تضحكون" - انتهى والله أعلم .

٥

ولما حث على السمود ، فسره مسيبا عن الاستفهام ومدخوله قوله : (فاسجدوا) أى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود الذى فى الصلاة (لله) أى الملك الأعظم (وابدوا) أى بكل أنواع العبادة فانه "ما ضل صاحبكم" عن الأمر بذلك "وما غوى" قال الرازى فى اللوامع : قال الإمام محمد بن على الترمذى : تعبدنا ربنا مخلصين أن نكون له كالعبيد ١٠ وأن يكون لعبيده كما هو لهم - انتهى ، ولو كان السمود بمعنى اللهو كان الانسب تقديمه على "تكون" - والله أعلم ، وقد ظهر أن آخرها نتيجة أولها ، ومفصلها ثمرة موصلها - والله الهادى .

(١) من القاموس ، وفى الأصل : مس .

سورة القمر، وتسمى "اقتربت" /

/ ١٠٦

مقصودها بيان آخر النجم في أمر الساعة من تحققها وشدة قربها
و تصنيف أهلها - باعتبار ما ذكر هناك من العجب من القرآن والضحك
و البكاء و العمل - إلى طالب علم مهتد به، و إلى متبع نفسه هواها وشهواتها
٥ ضال باهمالها فهو خائب، و ذلك لأنه سبحانه وعد بذلك باخبار نبيه
صلى الله عليه وسلم و تحقق صدقه بما أيده به من آياته التي ثبت بها
اقتداره على ما يريد من الإيجاد و الإعدام، فثبت تفرد المملك و أيد
اقترابها بالتأثير في آية الليل بما يدل على الاقتدار على نقض السماوات
المستلزم لإهلاك... فان ذلك... بأنه ما بقى إلا تأثير آية النهار و: عند ما
١٠ يكون طى الانتشار و عموم البوار المؤذن بالإحضار لدى الواحد القهار،
و أدل ما فيها على هذا الغرض كله أول آياتها، فلذلك سميت بما تضمنته
من الاقتراب و الساعة و القمر، و كانت تسميتها بالقمر أشهر لدلالته
بسرعة سيره و كثرة تقابله على الاقتراب المنجم به النجم بالإشارة
لا بالعبارة، و لم تسم بالانشقاق لأنه إذا أطلق انصرف إلى الآتم، فالسما
١٥ أحق به (بسم الله) الذي أحاط علمه فتمت قدرته (الرحمن) الذي
وسعت رحمته كل شيء فعمت الشقى و السعيد (الرحيم) الذي خص
بأتمام النعمة من اصطفاه فأسعدتهم رحمته .

لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التي ينكرونها بعد أن

(١) الرابعة و الخمسون من - و القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها (٥٥)

بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ١١٠ .

فتحتها بالأقسام البلس (٩) في النجم الذي هو أعم من القمر وغيره بتسييره
 طلوعا و أفولا و صعودا و هبوطا ، افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلا
 و سماعا في التأثير في أعظم آيات الله و غير ذلك ليقطع العباد عن الفساد ،
 و يستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد ، فقال دالا على عظيم اقتداره
 عليها بتأنيك فعلها : (اقتربت الساعة) اشددت قريبا الساعة : اللحظة التي ه
 لاساعة في الحقيقة غيرها التي تقوم فيها القيامة لأنه قل ما بقي بيننا وبينها
 بالنسبة إلى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الأنبياء الذي
 لم يبق بعد أمته أمة تنتظر ، فيكون في الزمان مهلة لذلك .

ولما كان الإخبار باقربها يحتاج عند المعاند [إلى] آية دالة عليه ، وكانت

الآيات السماوية أعظم ، فالتأثير فيها أدل على تمام الاقتدار ، وكان القمر ١٥
 أدل على الأنواء التي بها منافع الخلق في معاشهم ، وكانت العرب أعرف
 الناس بها ، دلهم على التأثير فيه على اقترابها مع الإرهاب من شذات
 العذاب باعدام الأسباب فقال : (و انشق) بغاية السرعة و السهولة
 (القمر) آية للرسول المنذر لكم بها ، فكان انشقاقه - مع الدلالة

على ذلك بإعجاز القرآن وغيره - دالا على كونها و قربها أيضا بالتأثير ١٥
 العظيم الحارق لعادة ما قبله من التأثير في أحد الثيرين اللذين هما أعظم

الأسباب / المقامة للمعاش الدال على القدرة على التأثير في الآخرة الدال
 ذلك على القدرة على تمام التصرف فيها من جمعها و خسفها و اعتدامها
 و لسببها (٩) الذي هو من أسباب خراب الأرض ، يقول الإنسان عنده : أن

المفر؟ المؤذن بطي العالم المعلم بأن له ربا فاعلا بالاختيار مدبرا بالحكم ٢٠

الدال على بعث عباده ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، فيثيب من تابع رسله ويعاقب من خالفهم، وانشقاق القمر على حقيقته في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أمر شهير جدا، وإجماع أهل التفسير عليه كما قاله القشيري، وقال: رواه ابن مسعود رضى الله عنه ولا يخالف له فيه - انتهى . وذلك أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن تريحهم آية فأراهم انشقاق القمر بحيث طلعت فرقة عن يمين حراء وأخرى عن يساره - رواه الشيخان^١ عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما، ومعلوم أن الأمة تلقت كتابيها بالقبول فهو يكاد يلحق بالتواتر وقد أبده القرآن فلم يبق فيه شك، قال القشيري: وروى أيضا ابن عمر وحذيفة ١٠ و ابن عباس وجبير بن مطعم رضى الله عنهم، وقال أبو حيان: سبب نزولها أن مشركى العرب من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، و وعدوه بالإيمان إن فعل ذلك، وكانت ليلة البدر فسأل ربه فانشق - انتهى، ومن قال: المراد به "سينشق" يحتاج في صرف الماضى عن حقيقته إلى المستقبل إلى صارف وأنى له ذلك ولا سيما وقد تأيدت الحقيقة بالنسبة الصحيحة الشهيرة .

١٥ وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أعلمهم سبحانه بأن إليه المنتهى، وأن عليه النشأة الأخرى، وإذ ذاك يقع جزاء كل نفس بما أسلفت، أعلمهم سبحانه بقرب ذلك وحسابه ليزدجر من وفقه للازدجار فقال تعالى "اقتربت الساعة وانشق القمر" ثم إن سورة ص تضمنت من عناد

(١) راجع صحيح البخارى - التفسير و صحيح مسلم - أبواب المنافقين (٢) راجع

المشركين وسوء حالهم وتوبيخهم في عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع ما يكاد يوجد في غيرها مما تقدمها، وبعد التنبيه في السورة قبلها والتحريك بآيات لا يتوقف عنها إلا من أضله الله وخذله، وأثبتت السورة بعد على تمهيد ما تضمنته سورة ص فلم يخل سورة منها من توبيخهم وتقريعهم لقوله في الزمر "والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا ه الى الله زلفى" وقوله "لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء" وقوله "قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه" وقوله مثلا لحالم "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون" الآية إلى ما بعد من التقريع والتوبيخ، وقوله في سورة غافر "ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد" وقوله "ذلكم باه ١٠ اذ دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله" وقوله "افلم يسيروا فى الارض" الآية، وقوله "ان الذين يجادلون فى آيت الله بغير سلطان اتاهم ان فى صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه /" وقوله ١٠٨ / "الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون" "الذين كذبوا بالكتب وبما ارسلنا به رسلا فسوف يعلمون" إلى قوله "فما نرىك بعض ١٥ الذى نعدم او ترفينك فالىنا يرجعون" وقوله "اولم يسيروا فى الارض" إلى ما تحلل هذه الآيات، وقوله فى السجدة "فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى اكنة" "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه" "ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا" إلى قوله "اولئك ينادون من مكان بعيد" وقوله "سزيهم آيتنا فى الافاق ٢٠"

وفي انفسهم " إلى آخر السورة، وقوله في الشورى " والذين اتخذوا
 من دونه اولياء الله حفيظ عليهم و ما انت عليهم بوكيل " " كبر على
 المشركين ما تدعوهم اليه والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له
 حاجتهم داحضة عند ربهم " الآية " ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين
 ما لم يأذن به الله " الآية، " فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان
 عليك الا البلغ " وقوله في الزخرف " انضرب عنكم الذكر صفحا "،
 الآية، " وجعلوا له من عباده جزءا " إلى ما تردد في هذه السورة
 مما قرعوا به أشد القرع، و تكرر في آيات كثيرة فتأملها مثل قوله تعالى
 في الدخان " بل هم في شك يلعبون " إلى قوله " يوم نبطش البطشة الكبرى "،
 انا منتقمون " وقوله " ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين " إلى قوله هذا
 " ما كنتم به تمترون " وقوله في الجاثية " فإي حديث بعده يؤمنون "،
 إلى قوله " والذين كفروا بايئت ربهم لهم عذاب من رجز اليم " وقوله
 " افريبت من اتخذ الله هواه "، إلى آخر السورة، وقوله في الاحقاف
 " والذين كفروا عما انذروا معرضون " ومعظم هذه الآية لم يخرج
 ١٥ عن هذا إلى ختامها، و كذلك سورة القتال ولم يتضمن إلا الأمر
 بقتلهم وأسرم و تعجيل حربهم " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
 الرقاب " وأما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة و الفتح أشد
 على الكفار من كل ما قرعوا به، ولم تخرج عن الغرض
 المتقدم، وكذا سورة الحجرات لتضمنها من الأمر بتقدير النبي صلى الله
 ٢٠ عليه و سلم : إجلاله ما يقرعين المؤمن و يقتل العدو الحاسد و ما فيها
 أيضا

ايضا من إتلاف أمر المؤمنين و جمع كلمتهم و تأخيهم، و موقع هذا لا يخفى على أحد، و أما سورة الذاريات و الطور و النجم فما تضمنته بما ذكرناه قبل أوضح شيء، و بذلك اقتنحت كل سورة منها فأمل مطالعها ففي ذلك كفاية في الغرض - و الله تعالى هو أعلم بالصواب، فلما انتهى ما قصد من تفرغ مسكذبى رسول الله صلى الله عليه و سلم ٥ و بلغت الآى فى هذه السورة من ذلك أقصى غاية، و تمحض باطلهم و انقطع دابرهم، و لم يحيروا جوابا فيما عرض عليهم سبحانه فى سورة القمر من أحوال الأمم مع أنبيائهم، و كان القصد من ذلك - و الله أعلم - مجرد التعريف بأنهم ذكروا فكذبوا فأخذوا ليتبين لهؤلاء أن لافرق بينهم و بين غيرهم و أن لا يغرمهم عظيم حمله سبحانه عنهم، فهذه ١٠ السورة إعدار عند تبكيتهم و انقطاع حججهم بما تقدم و بعد أن انتهى الأمر فى وعظهم و تنبيههم بكل آية إلى / غاية يعجز عنها البشر، و لهذا ١٠٩ / افتتح سبحانه هذه السورة بقوله تعالى ” و لقد جاءهم من الانباء ما فيه مردجر حكمة بالغة فا تنن النذر“ و ختمها سبحانه بقوله ” اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براة فى الزبر“ و هذا يبين ما قدمنا، و كان قد ١٥ قيل لهم: أى فرق بينكم و بين من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبهم و تظنوا أنكم ستفوزون بعظيم جزائكم، فذكر سبحانه لهم قصة كل أمة و هلاكها عند تكذيبها بأعظم إيجاز و أجزل إيراد و أغخم عبارة و أطف إشارة، فبدأ بقصة قوم نوح بقوله ” كذبت قوم نوح“ إلى قوله ” و لقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى و نذر“ ثم استمر فى ذكر الأمم ٢٠

مع أنبيائهم حسبما ذكروا في السورة الوارد فيها لإخبارهم من ذكر أمة
 بعد أمة إلا أن الواقع هنا من قصصهم أوقع في الزجر و أبلغ في الوعظ
 و أعرق في الإفصاح بسوء منقلبهم و عاقبه تكذيبهم، ثم ختمت كل
 قصة بقوله ” فكيف كان عذابي و نذري “ و تخلل هذه القصص بقوله
 ٥ تعالى ” و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر “ و هي إشارة إلى
 ارتفاع عذر من تعلق باستصعاب الأمور على زواجره و نتيحاته و مواعظه
 و يدعى بعد ذلك و استعلافه فقليل له أنه يسر قريب المرام، و هذا
 فيما يحصل عند التنبيه و التذكير لما عنده بكون الاستحابة باذن الله
 تعالى و وراء ذلك من المشكل و المتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكره و حسب
 ١٠ عموم المؤمنين الإيمان بجميعه و العمل بمحكمه، ثم يفتح الله تعالى فهم
 ذلك على من شرفه به و أعلى درجته، فيتبين بحسب ما يشرح الله تعالى
 صدره ” يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اتوا العلم درجات “ و من
 يسر المقصود المتقدم تكرار قصص الأنبياء مع أهمهم في عدة سورة
 أى حفظ منها اطلع على ما هو كاف في الاعتبار بهم، ثم إذا ضم بعضه
 ١٥ إلى بعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السورة، فسبحان
 من جعله حجة باهرة و برعانا على صدق الآتي به محمد صلى الله عليه و سلم،
 و صراطا مستقيما و نورا مبينا . و لما ذكر سبحانه عواقب الأمم في
 تكذيبهم قال لمشركي العرب ” اكفاركم خير من أولئكم “ و من هذا
 النمط قول شعيب عليه السلام ” و يقوم لا يجر منكم شقائي ان يصيكم
 ٢٠ مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح و ما قوم لوط منكم بعيد “

ثم قال تعالى " ام يقولون نحن جميع منتصر سبهزم الجمع و يولون الدر " ١١٠
 أى إنكم تعلقتم بتألفكم و جماعتكم فسأفرق ذلك بهزيمتكم يوم بدر / بقتل
 صناديدكم فاحجتكم بعد هذا ، إنما مساق القصص فى هذه السورة و اعتماد
 التعريف بحال من ذكر فى أن كذبوا و عاندوا ، فأعقب تكذيبهم
 أخذهم و هلاكهم ، ثم تعقب هذا كله بصرف الكلام فى مشركى
 العرب فى قوله " أكفاركم خير من أولئكم " و ليس شىء من السور المذكورة
 فيها قصص على هذا الاستيفاء كالاعراف و هود ، و بظاهرهما ليس
 فى شىء من ذلك تعقيب بذكر مشركى العرب على الصفة الواردة هنا ، فأبأ
 ذلك بكال المقصود من الوعظ و التحريك بذكره و انقضاء هذا الغرض ،
 و ذلك أنهم ذكروا أولاً بعرض أحوال الأمم و التعريف بما آل إليه ١٠
 أمرهم ، و كان ذلك فى صورة عرض من يريد تأديب طائفة من إليه
 نظرم قبل أن يظهر منهم تمرد و عناد ، فهو يستلطف فى دعائهم
 و لا يكلمهم تكليم الواجد عليهم ، بل يفهم الإشفاق
 و الاستعطاف و إرادة الخير بهم ثم يذكرهم بذلك و يكرره عليهم المرة
 بعد المرة و إن تخلل ذلك ما بين منهم فظاعة التهديد و شدة الوعيد ، ١٥
 فلا يصحبه تعيين المخاطب و صرف الكلام بالكلية إليه ، بل يكون ذلك
 على طريق التعريض و التوبيخ ، ثم لو كان لا يحتقر بما قبله و ما بعده من
 التلطف حتى إذا تكررت الموعظة فلم تقبل ، فهنا محل الغضب و شدة
 الوعيد ، و على هذا وردت السور المذكور فيها حال الأمم كسورة
 الأعراف و هود و المؤمنين و الظلة و الصافات ، و ما من سورة منها إلا ٢٠

والتي بعدها أشد في التعريف وأمل في الزجر بعد التعريف، فتأمل تعقيب القصص في سورة الأعراف بقوله تعالى " وكذلك نفضل الآيات ولعلمهم يرجعون " وقوله بعد موعظة بالغة بذكر من حرمه بعد إشرافه على الفوز وهو الذي أخلد إلى الأرض واتبع هواه فقال بعد ذلك ٥ " فاقصص القصص لعلهم يتفكرون " وتذكيره إياه لمح الغفلة إلى ما ختمت به السورة وذلك غير خاف في التلطف بالموعظة وقال تعالى بعد قصص سورة هود " وكذلك أخذ ربك " الآية، وقال تعالى " فلا تك في مرية بما يعبد هؤلاء - إلى قوله : وانا لموفوم نصيهم غير منقوص " وتكررت الآي إلى آخر السورة يجارى ما ذكر ولم تبق ١٠ هذه وآي الأعراف في تلطف الاستدعاء، وقال تعالى في قصص آخر سورة المؤمنين " فذرهم في غمرتهم إلى حين - إلى قوله : لا يشعرون " ثم قال " ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون " استمرت الآي على شدة الوعيد يتلو بعضها بعضا إلى قوله " الحسبم انما خلقنكم عبثا وانكم الينا لاترجعون " ١٥ وقوله تعالى بعد " انه لا يفلح الكافرون " ولم يبين هذه الآي، وبين الواقعة / عقب قصص سورة هود، وقال في آخر قصص الظلة " وانه لتنزيل رب العالين " إلى قوله خاتمة السورة " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " فونجهم وعتفهم ونزه نبيه صلى الله عليه وسلم [عن] توههم وعظيم إلفكهم وافترائهم، وكل هنا تعنيف وإن لم يتقدم له مثله ٢٠ في السورة المذكورة. ثم هو صريح في مشركي العرب معين لهم في غير تلويح

تلويح ولا تعريض، ثم إبه وقع عقب كل قصة في هذه السورة قوله تعالى "ان في ذلك" وفيه تهديد ووعد، وقال تعالى في آخر الصافات "فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملئكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم يقولون ولد الله وانهم لكاذبون" وهذا اعظم التوبيخ واشد التقرير، ثم زه نبيه سبحانه عن بهتان مقالهم وسوء ارتكابهم وقبح فعالهم، بقوله "سبحان ربك رب العزة عما يصفون"، فلما أخذوا بكل مأخذ فما أغنى ذلك عنهم قال تعالى في سورة القمر "ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدرج" "حكمة بالغة فما تغني النذر"، ثم قال تعالى لئيه صلى الله عليه وسلم "قول عنهم" ولم يقع أمره صلى الله عليه وسلم بتركهم والإعراض عنهم والتولى إلا بعد حصول ١٠ القصص في السورة المذكورة وأخذهم بكل طريق، وأول أمره بذلك صلى الله عليه وسلم في سورة السجدة "فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون" ثم في سورة والذريات "قول عنهم فما انت بملوم" بأشد وعيد وأعظم تهديد بعقب كل قصة بقوله "ولقد تركناها آية فهل من مدكر"، وقوله "فكيف كان عذابي ونذر" ثم صرف اليهم ١٥ بما تقدم قوله "اكفاركم خير من اولئكم أم لكم براءة في الزبر" فبلغ ذلك أعظم مبلغ في البيان وإعذار، ثم قال تعالى "وكل شئ فعلوه في الزبر" ففرق سبحانه بسابق حكمته فيهم "انا كل شئ خلقناه بقدر" وانقضى ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد إلى آخر الكتاب - فسبحان من رحم به عباده المتقين وجعله آية وأى ٢٠

آية باهرة إلى يوم الدين، وقطع عناد الجاحدين و غائلة المعتدين وجعله
 بيانا كافيا ونورا هاديا وواعظا شافيا - جعلنا الله سبحانه وتعالى من اهتدى
 واعتاق بسية إنه أهل الاستجابة والعفو والمغفرة - انتهى .

ولما كان التقدير: فأعرض الكفار عن آية انشقاقه وقالوا :

٥ سحر، مع علمهم بأنه دال قطعا على صدق من انشق لتصديقه، عطف

عليه الإعلام بحالهم في المستقبل فظلم لمن يطلبه من المؤمنين لإجابة مقترحة

من مقترحاتهم رجاء إيمانهم فقال: (وان يروا) أى فيما يأتي (آية)

أى آية آية كانت (يعرضوا) أى عن / الانتفاع بها كما أن أعرضوا

/ ١١٢

عن هذه لما وأوها، وقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم: أمهلوا حتى

١٠ يحىء السفار، فإن قالوا: إنهم رأوا كما رأيتم فليست بسحر، فإن محمدا

لا يستطيع أن يسحر أهل الأرض كلهم، فجاء السفار وشهدوا برؤيته

منشقا، ومع ذلك فلم يؤمنوا (ويقولوا) أى على سبيل التجديد

منهم والاستمرار: هذا (سحر) أى هذا الذى يأتينا به هذا الرجل

من وادى الخيال الذى لا حقيقة له وهو (مستمره) أى لأنه

١٥ فارق السحر بأنه لا ينكشف فى الحال لأنه محكم قوى ثابت دائم بشموله

وإحاطته بجميع الأنواع، ولذلك يتأثر عنه غاية الخوارق المتباينة

الأنواع الكثيرة .

ولما فطم عن التشوف إلى إجابتهم فى المقترحات على ما قدرته،

تسبب منهم عن الانشقاق بقوله: (وكذبوا) أى بكون الانشقاق

٢٠ دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا

أو خبنا منهم . و لما كان التكذيب في نفسه قد يكون حقا ، قال مينا أنه باطل ، فبين عن حالهم بقوله : (و اتبعوا) أى بمعالجة فطرم الأولى المستقيمة في دعائها إلى التصديق (هو آهم) أى حتى نابذوا ما دلتهم عليه بعد الفطر الأولى عقولهم ، قال القشيري : إذا حصل اتباع الهوى فن شؤمه يحصل التكذيب ، لأن الله سبحانه و تعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر الرشد ، و اتباع الرضى مقرون بالتصديق لأن الله تعالى بركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتى بالتصديق - و الله الهادى . و لما كان ذلك مفضلا لقلوب المحققين ، سلام بالوصول إلى محط تظهر فيه الحقائق و تضمحل فيه الشقايق ، فقال عاطفا على ما تقديره : فسيستقر أمر كل من أمر الحق و المبطل في قراره ، و يطلع على ١٠ دقائقه و أسراره : (و كل أمر) من أموركم و غيرها (مستقره) أى ثابت و موجود ، انتهاؤه إلى غاية تظهر فيها حقيقته من غير حيلة تصاحبه إلى رد ذلك القرار و لا خفاء على أحد ، فلا بد ان ينتهى الحق من كل شيء من الآجال و الهدايات و الضلالات و السعادات و الشقاوات و غيرها إلى نهايته فيثبت ثبوتا لا زوال له ، و ينتهى الباطل بما دعاه ١٥ الخلق فيه إلى غايته فيتلاشى تلاشيا لا ثبات له بوجه من الوجوه ، فإذا استقرت الأمور ظهر ما لهم عليه و علوا الخاسر من الفائز ، و فى مثل هذا قال ابن عمرو التيمي أخو القعقاع فى وقعة السى (؟) من بلاد العراق : و الموت خيلنا لما التقينا بقارن و الأمور لها انتهاء .

و قرأ أبو جعفر بالجر صفة لأمر ، فيكون معطوفا على الساعة أى و اقرب ٢٠

(١) راجع نثر المرجان ١١٢/٧ .

/ كل امر مستقر أى ثابت وهو الحق أى اقرب الظهور وثباته ، وذلك لا يكون إلا وقد كان خفاء الباطل و فواته . و لما حذر و بشر قال معلما أنه محيط العلم بأمرهم من قبل الإجابة إلى شق القمر وأنه ما شقه لطمع في إيمانهم بل للاعلام بخذلانهم مؤكدا لمن يتعلق رجاءه بأن تواتر الآيات ربما أوجب لهم التصديق المتضمن لأن ما جاءهم ليس فيه كفاية: ﴿ ولقد جاءهم ﴾ من قبيل الانشقاق ﴿ من الانباء ﴾ أى الامور العظيمة المرئية ، المسموعة التى تستحق لعظمتها أن يخبر بها إخبارا عظيما سيما ما جاء فى القرآن من تفصيل أصول الدين و فروعه و أخبار الاولين و الآخرين و الاولى و الاخرى ﴿ ما فيه ﴾ خاصة ﴿ مزدجر لا ﴾ ١٠ أى موضع للزجر من شأنه أن يكون لهم به انزجار عظيم عما فيه من الباطل ، و لكن لم يزدجر منهم إلا من أراد الله ، قال القشيري: لأن الله أسبل على أبصارهم يحجوف الجهل فعموا عن مواضع الرشد .

و لما كان ما فيه ذلك قد لا يكون محكما ، بينه بقوله: ﴿ حكمة ﴾ عظيمة ﴿ بالغة ﴾ أى لها معظم البلوغ إلى منتهى غايات الحكمة لصحتها ١٥ و طهارتها و وضوحها ، ففيها مع الزجر ترجية و مواعظ و أحكام و دقائق تجل عن الوصف . و لما تسبب عنها انزجارهم . سبب عن ذلك قوله: ﴿ فما ﴾ نفيا صريحا أو باستفهام إنكارى موبخ ﴿ تغن النذرا ﴾ الإنذارات و المنذرون و الامور المنذر بها - إنما المعنى بذلك هو الله تعالى ، فما شاءه كان و ما لم يشأه لم يكن ، و لعل الإشارة باسقاط ياء ” تغنى “ ٢٠ باجماع المصاحف من غير موجب فى اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية

أحرف الكلمة سقطت نمرة الإنذار وهو القبول .

ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم ، فهو لذلك

ربما انتهى إجابتهم إلى مقترحاتهم ، سبب عن ذلك قوله : (قول عنهم ٢)

أى كلف نفسك الإعراض عن ذلك فما عليك إلا البلاغ ، وأما الهداية

فالى الله وحده . ولما بين اقتراب الساعة بالإجابة إلى بعض مقترحاتهم ٥

القائمة مقامها كلها بدلالته على القدرة عليها، وأتبع ذلك الفطم عن طلب

الإجابة إلى شيء فيها لأنها لا تغنى شيئاً، تطلعت النفوس الكاملة إلى وصف

الساعة فأجاب عن ذلك على سبيل الاستئناف بذكر ظرفها وذكر... ما يقع

فيه من الأحوال ، فقال معلقاً بما تقديره : الساعة كائنة على وجه الاقتراب

الشديد : (يوم يدع) ويجوز - والله أعلم - أن يكون الناصب له "تول" ١٠

لأنهم لما عرضوا حين دعاهم كان جزاءهم أن يعرض عنهم يوم حاجتهم

إليه لأن الجزاء من جنس العمل ، فكأنه قيل بعد أن عد القيامة / أمراً ١١٤ /

محققاً لا يأتى النزاع فيه : تول عنهم فى ذلك اليوم العبوس الذى أنت فيه

الشافع المقبول... وأتركهم لأهواله ودواهيته ، فقد بان الخاسر فتولهم

إنما بضرهم ، لأن تولهم عنك لا يضرك شيئاً أصلاً ، وتوليك عنهم بضرهم ١٥

ضرراً ما بعده ضرر - والله أعلم ، وحذف واو يدعو ، للرسم باجماع

المصاحف من غير موجب لأن المقام لبيان اقترابها ، فكأنه إشارة إلى

كونها بأذن دعاه ، وأيضاً فى حذفه تشبيه للخبر بالأمر إشارة إلى أن

هذا الدعاء لا بد على أن يكون على أعظم وجه وأتقنه وأهوله وأمكنه

كما يكون كل أمور من الأمر المطاع ، والوقف على هذا وأمثاله ٢٠

بغير واو لجميع القراء موافقة للرسم لأن القاعدة أن ما كان فيها رواية اتبعت وإن خالفت الرسم أو الأصل، وما لم يرد فيه عن أحد منهم رواية اتبع فيه الرسم وإن خولف الأصل، لأن التخفيف معهود في كلام العرب كالوال والتمعال من أسمائه الحسنی، لكن قال علامة القراءات شمس الدين الجزرى في كتابه المسمى بالنشر في هذه الاحرف ٥ الاربعة: هذا و"يدع الانسان" في سبحان و"يبح الله الباطل" في شورى و"سندع الزبانية" في العلق: نص الحافظ أبو عمرو الداني عن يعقوب على الوقف عليها بالواو على الأصل، ثم قال: قلت: وهو من انفراده، وقد قرأت به من طريقه (الداع) أى النفع في الصور (الى شىء نكرًا) ١٠ عظيم الوصف في النكارة بما تكرهه النفوس فتوجل منه القلوب لأنه لاشىء منه إلا وهو خارج عما تقدمه من العادة .

ولما بين دعاه بما هال أمره، بين حال المدعويين زيادة في الهول فقال: (خشعا ابصارم) أى ينظرون نظرة الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذى هو بشر حال، ونسب الخشوع إلى الابصار ١٥ لأن العزو والذل يتبين من النظر، فان الذل ان يرمى به صاحبه إلى الارض مثلا مع هيئة يعرف منها ذلك كما قال تعالى "خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي" وإفراده في قراءة أبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائى على أن الخشوع بلغ في النهاية من الشدة ونسبته إلى كل بصر على حد سواء، وجمع على لغة "أكلوني البراغيث" في قراءة الباقيين بضم

راجع نثر المرجان ٧/ ١١٥ .

الحاء و تشديد الشين مفتوحة أو مستندا المدعون، و الإبصار يدل بعض الإشارة إلى أن كل ذلك موزع على الأبصار .

و لما بين من حالهم هكذا ما يدل على نكارة ذلك اليوم، بين

كيفية خروجهم بيانا لما يلزم من تصوره زيادة الذعر فقال: (يخرجون)

أى على سبيل التجدد الأشرف فالأشرف (من الاجداث) أى القبور ٥

المهياة لساع النفخ فى الصور (كأنهم) فى كثرتهم و تراكم بعضهم على

بعض من كبيرهم / و صغيرهم و ضعيفهم و قويهم (جراد منتشر) ١١٥ /

أى منبث متفرق حيران مطارع لمن نشره بعد ما كان فيه من سكون

مختلط بعضه ببعض، لاجهة له فى الحقيقة يقصدها لو خلى و نفسه .

١٠ و لما كان الانتشار قد يكون وجه المهل و الوقار، قال مينا أن

الامر على خلاف ذلك زيادة فى هول ذلك اليوم و تقريرا لما تقدم

من وصفه: (مهطعين الى الداع) أى مسرعين خائفين مقبلين بأبصارهم

عليه لا يقلعون عنه، مادين أعناقهم نحوه مصوبى رؤسهم لا يلتفتون

إلى سواه كما يفعل من ينظر فى ذل و خضوع و صمت و استكانة .

١٥ و لما بين حال الكل حصر حال المبطلين فقال: (يقول) أى على

سبيل التكرار: (الكافرون) أى الذين كانوا فى الدنيا عريقين فى ستر

الأدلة و إظهار الأباطيل المضلة: (هذا) أى الوقت الذى نحن فيه

بما نرى من الأحوال (يوم عسره) أى فى غاية العسر و الصعوبة و الشدة،

و ذلك بحسب حالهم فيه .

٢٠ و لما تقدم أمره سبحانه لنيه صلى الله عليه و سلم بالتولى عنهم

تهديدا لهم ، و صرح بما أراد من أمر الساعة لما دعا إلى ذلك من تقدم ذكرها ، ولأنها أشد هول يهددون به ، و بيانا أن الخلق ما خلق إلا لأجلها لأنها محط الحكمة ، و ختم بعسرها على الكافرين ، تتم ذلك التهديد بعذاب الدنيا ردعا لأهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات ، فذكر عسر يوم كان على الكافرين فيها ، فقال مهديا لقريش يجعل القصة مثلا لهم في إهلاكهم و في أمر الساعة من حيث أنه كما أهلك أهل الارض في آن واحد بما أرسله من الماء فهو قادر على أن يهلكهم في آن واحد بالصيحة ، و كما صرف هذا التصريف الذي [ما] سمع بمثله في الإهلاك فهو قادر على أن يصرفه في الإحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله تنبت فيه الأجساد و تحيا فيه العباد ، جوابا لمن كأنه قال : هذا ما يوعدهونه بعد الموت ، فهل لهم عذاب قبله دال على كمال القدرة : (كذبت) أى أوقعت التكذيب العظيم الذى عموا به جميع الرسالات و جميع الرسل ، و أنك فعلهم تحقيرا لهم و تهويانا لأمرهم في جنب قدرته .

و لما كان ما كان من تصميمهم عليه و عزمهم على عدم الانفكاك عنه لكونه جبلة مستغرقا لجميع ما بعدهم من الزمان ، و كانوا قد سنوا سنة التكذيب فكان عليهم مع وزرهم و زر من أتى بعدهم ، و كان ما قبلهم من الزمان يسيرا في جنب ما بعده عدما ، فلذلك ذكر الظرف من غير حرف [جر] لأنه مع أنه الحق أعظم في التسلية فقال : (قبلهم) أى فى جميع ما سلف من الزمان و مضى بعضه بالفعل و بعضه بالقوة لقوة ٢٠ / ١١٦ العزم / : (قوم نوح) مع ما كان بهم من القوة و لهم من الانتشار

في جميع الاقطار .

و لما ذكر تكذيبهم إشارة إلى أنه جلة لهم جحدوا بها النبوة رأسا
فلاحظ لهم في التصديق للحق فلا يفرق حالهم بالنسبة إلى أحد من
الناس كان من كان ، فلذلك سبب عن هذا المطلق قوله : (فكذبوا عبدنا)
أى على ما له من العظمة نسبة إلينا لكونه لم يتعد اغيرنا قط مع تشریفنا ه
إياه بالرسالة ، فكان تكذيبهم فرا عما دخل في تكذيبهم المطلق الشامل
لكل ما يمكن تكذيبه وهو ميد (؟) (وقالوا) مع التكذيب أيضا زيادة
على تغطية ما ظهر منه من الهداية : (مجنون) أى فهذا الذى يظهر له
من الخوارق من أمر الجن .

و لما كان إعلاء الصوت على النبي كائنا من كان عظيم القباحة جدا ١٠
زائد الفظاظة فكيف إذا كان مرسلا فكيف إذا كان من أولى العزم
فكيف إذا كان على سبيل الإنكار عليه ، فكيف إذا كان على صورة
ما يفعل بمن لاخطر له بوجه ، قال باذا للجهول إشارة إلى تبشيعه
من غير نظر إلى قائل وإيدانا بأن ذلك لم يكن من أكابرم فقط بل من
كبيرم وصغيرم : (وازدجره) أى أعمالوا أنفسهم في اتتهاره و توعده ١٥
و تهديده و اتشر ذلك في جميعهم بغاية ما يكون من العالظة كفاله عن
الرسالة و مناعله عنها ، و المعنى أنهم قالوا : إه استظهر عليهم بالجنون .
و لما طال ذلك منهم و مضت عليه أجيالهم جيلا بعد جيل حتى
مضى له من إنذارهم أكثر مما مضى من الزمان لامة هذا النبي الحاتم
إلى يومنا هذا ، و أخبره الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن معه ، ٢٠

تسبب عن ذلك الدعاء بالراحة منهم، فلذلك قال صارفا وجه الخطاب إلى صفة الإحسان و الربوبية^١ و الامتنان إذانا بأنه أجاب دعاءه و لبي نداه: ﴿ فدعاربه ﴾ أي الذي رباه بالإحسان إليه برسائه معلما له لما آيس من إجابتهم: ﴿ انى مغلوب ﴾ أي من قومي كلهم بالقوة و المنعة ٥ لا بالحجة، و أكده لأنه من يأبى عن الملك الأعظم يكون مظنة النصرة، و إبلاغا في الشكاية إظهارا لذل العبودية، لأن الله سبحانه عالم بسر العبد و جهره، فما شرع الدعاء في أصله إلا لإظهار التذلل، و كذا الإبلاغ فيه ﴿ فاتصره ﴾ أي أرقع نصرى عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه .

ولما استجاب له سبحانه، سبب عن دعائه قوله، عائدا إلى مظهر

١٠ العظمة إعلاما بمزيد الغضب الموجب دائما للاستيعاب بالغضب: ﴿ ففتحنآ ﴾

أي تسبب عن دعائه [أنا فتحنآ -^٢] فتحا يليق بعظمتنا ﴿ ابواب السماء ﴾

كلها في جميع الأقطار، و عبر بجمع القلة عن الكثرة / لأن عادة العرب

/ ٢١٧

أن تستعيره لها و هو أرشق و أشهر من بيان، و سياق العظمة بأبى كونه

أغيرها . و لما كان المراد تهويل أمر الماء بذكر حاله التي كان عليها حتى

١٥ كأن المحدث بذلك شاهده جعلت كأنه آية فتحت بها السماء فقال:

﴿ بمآ منهر قهلمى ﴾ أي منصب بأبلغ ما يكون من السيلان و الصب عظما

و كثرة، و لذلك لم يقل: بمطر، لأنه خارج عن تلك العادة، و استمر

ذلك أربعين يوما ﴿ و فخرنا ﴾ أي صدعنا بما لنا من العظمة و شققنا

و بعثنا و أسلنا ﴿ الارض عيونا ﴾ أي جميع عيون الأرض، و لكنه

(١) في الأصل: الرتبة (٢) زيد نظرا للسياق .

عدل عنه للتحويل بالإيهام ثم البيان، وإفادة لأن وجه الأرض صار كله عيوناً .

ولما كان الماء اسم جنس يقع على الأنواع المختلفة كما يقع على النوع الواحد، وكان قد ذكر ماء السماء والأرض، سبب عن ذلك قوله: (فالتقى الماء) أي المهود وهو ماء السماء وماء الأرض بسبب هـ فلنا هذا، وزاد في تعظيمه بأداة الاستعلاء فقال: (على أمر) ولما تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة، فكان ربما ظن أنه صار جزافاً، وزاد على الحد المأمور به، أشار إلى أنه بالنسبة إلى عظمته في غاية الحقايرة فقال: (قد قدر) أي مع كونه مقدوراً عليه في كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره في الأزل، فلم يستطع أن يزيد على ذلك قطرة فما فوقها ١٠ ولا أن يهلك غير من أمرناه بأهلاكه، وأشار بالتخفيف إلى غاية السهولة في ذلك سبحانه .

ولما ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة، وأن إجابته لدعوته عليه الصلاة والسلام، ذكر تمام الانتصار بنجاته فقال: (وحملته) أي بما لنا من العظمة على متن ذلك الماء بعد أن صار جميع وجه الأرض ١٥ بجري واحداً، وحذف الموصوف تهويلاً بالحث على تعرفه بتأمل الكلام فقال: (على ذات) أي سفينة ذات (الواح) أي أخشاب نجرت حتى صارت عريضة (ودسرلاً) جمع دسار وهو ما يشد به السفينة وتوصل بها ألواحها ويلج بعضها ببعض بمسار من حديد أو خشب أو من خيوط الليف على وجه الضخامة والقوة والدفع والمناطة، ولعله ٢٠

عبر عن السفينة بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد من فتح الرشق
ورشق الفشق بحيث يصير ذلك المصنوع، فكان إلى ما هيأه ليراد منه
وإن كان ذلك المراد عظيما وذلك المصنوع .

ولما كان ذلك خارقا للعادة فكان يمكن أن يكون في السفينة خارق

٥ آخر باسكانها على ظهر الماء من غير حركة، بين أن الامر ليس كذلك
فقال: **ظهرا خارقا آخر في جريها: (تجري) / أى السفينة (باعيناج)**

/ ١١٨

أى محفوظة أن تدخل بحر الظلمات، أو يأتي عليها غير ذلك من الآفات،
بمحافظة على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء كثرة ولا يغيب
عنه أصلا، و جوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء، ثم علل ذلك بقوله:

١٠ **(جزآء) أى لعبدنا نوح عليه السلام، ولكنه عبر هنا بما يفهم العلة**

ليحذر السامع وقوع مثل ذلك العذاب له إن وقع منه مثل فعل قومه
فقال: **(لمن) و عبر عن طول زمان كفرهم [بقوله]: (كان كفره) أى وقع**

الكفر به وهو أجل النعم، فقال (؟) على أهل ذلك الزمان وذلك جزاء
من كفر النعم، ويجوز أن يكون المراد به قومه بين أنه وقع الكفر

١٥ منهم وقوعا كأنهم مجبولون عليه حتى كأنه وقع عليهم لتوافق قراءة
مجاهد بالبناء للفاعل .

ولما تم الخبر عن نجاته بحمله فيها، نبه عن آثارها بقوله:

(ولقد تركنآ) أى هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على هذا

الوجه وإبقاء نوعها دالة على ما لنا من العظمة، وقيل: تلك السفينة

(١) راجع اثر الرجان ٧ / ١٢٠ .

بميتها بقيت على الجودى حتى أدرك بقايا ما هذه الأمة (آية) أى
علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة التامة (فهل من مدكره)
أى يجتهد فى التذكير بسبب هذا الأمر لما يحق على الخلق من شكر
الخالق بما هدت إليه رسله كما قاله .

ولما قدم تعالى قوله " فإتغن النذر " وأتبعه ذكر إهلاكه ه
المكذبين، وكان ما ذكره من شأنهم أمرهم فى الجلالة والعظمة بحيث
يحق للسامع أن يسأل عنه ويتعرف أحواله ليتهدى بها على ذلك بقوله
مسيا عن التذكير باستفهام الإنكار والتوبيخ: (فكيف كان) أى
وجد وتحقق (عذابى) أى لمن كذب وكفر وكذب رسلى (ونذره)
أى الإنذارات الصادرة عنى والمنذرون المبلغون عنى فانه أنجى نوحا عليه ١٠
السلام ومن آمن معه من أولاده وغيرهم ومتعمهم بعد إهلاك عدومهم
وجعل الناس الآن كلهم من نسله، قال القشبرى: فى هذا قوة لرجاء
أهل الدين إذا لقوا فى دين الله محنة فجحد غيرهم ما آتاه الله أن يهلك
الله عن قريب عدومهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم ويورثهم ما كان
إليهم، وكذلك سنة الله فى جميع أهل الضلال - انتهى . وكان المعنى ١٥
فى تكرير ذلك عليهم بعد التذكير بما أتياهم به من قصص هذه الأمم
ميسرا لفهم صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأثام كيف كان أخذى لهم
وعاقبة تخويفى لإياهم لعلمهم يتعظون فيتفهمون إنذار المنذرين .

ولما كان هذا التفصيل بما أنزل أول القرآن تيسيرا على الأمة، نبه
على ذلك / بقوله: (ولقد يسرنا) أى على ما لنا من العظمة ٢٠ / ١١٩

﴿ القرآن ﴾ أى على ما له من الجمع والفرق و العظمة المناسبة لكونه
صفة لنا ﴿ للذكر ﴾ أى الانعاط و التذكر و التدبر و الفهم و الحفظ
و التشریف لمن يراعيه، قال ابن برجان: أنزلناه باللسان العربى و أنزلناه
للأفهام تنزيلا و خاطبتناهم ببوائدهم و أعلننا من قبل أعمالهم و أتبسناهم
٥ المعرفة و اليقين من قبل ذواتهم و ضربنا لهم الأمثال و أطلنا لهم فى هذه
الإعمال ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم، و قال القشيرى: يسر قراءته
على أسنة قوم، و علمه على قلوب قوم، و فهمه على قلوب قوم، و حفظه
على قلوب قوم، و كلهم أهل القرآن و كلهم أهل الله و خاصته - انتهى -
و الآية ناظرة بالعطف و المعنى إلى " و لقد جاءهم من الأنباء " الآيتين، فالمعنى
١٠ أنا و لو شئنا بما لنا من العظمة لجئناهم بعبارات لا يشمون و اتحتنا؛
و بلاغات لا يهتدون إلى وجه معناها أصلا لكننا لم نفعل ذلك بل خاطبتناهم
بأبلغ من بلاغتهم مع تيسير فهم ما خاطبتناهم به فكان [فى] ذلك إعجازان :
أحدهما أنه فوق بلاغتهم، و الثانى أنه مع علوه يشترك فى أصل فهمه الذكى
و الغبى. و لما كان هذا القرآن العظيم الجامع ترجمة لأفعاله سبحانه فى هذا
١٥ الوجود الشاهد و الغائب الذى أخبرنا عنه و شرحنا لما أنزل علينا من
أسمائه الحسنى و صفاته العليا التى تعرف لنا بها، و كان سبحانه قد جعل
خلق الآدمى جامعا، فما من شىء من أفعاله إلا و فى نفسه منه أثر ظاهر
ناظر للتفكر فى القرآن و التعرف للأشهرار منه بالتذكر الذى يكون ...
لما كان الإنسان يعرفه ثم نسيه حتى صار لا يستقل باستحضاره فاذا ذكر به
٢٠ ذكره، فقال منها على عظيم فعل العلم و القرآن الذى هو طريقه بالتكرار

و التعبير بما هو من الذكر على أنه المحفوظ للانسان بما هيا له من تيسير
 أمره (فهل من مذكره) قال البخارى فى آخر صحيحه: قال مطر الوراق:
 هل من طالب علم فيمان عليه، وقد تكررت هذه الموعظة فى هذه السورة
 أربع مرات، وذكرت الجملة الاخيرة منها منفكة عن تيسير القرآن
 مرتين: مرة فى أول القصص وهى قصة نوح عليه السلام، ومرة كما يأتى ٥
 فى آخرها، وذلك عقب قصة فرعون وهو قوله "فكيف كان عذابي
 ونذر" مثل ذلك، وكررت "فباي الآء ربكما تكذبان" فى الرحمن إحدى
 وثلاثين مرة، فنظرت فى سر ذلك فظهر لى - والله الهادى - أن الذى
 تقدم فى سورة المفضل على هذه السورة أربع سور هذه السورة خاتمتها
 فأشير إلى التذكر بكل سورة منها حثا على تدبرها بآية ختمت كلماتها بكلمة ١٠
 عادت حروفها [فى] السور الخمس / وادغم حرف منها فى آخر بعد قلب ١٢٠/
 كل منها، فكانت هذه الكلمة التى مدلولها الذكر مشيرة إلى الحواس الخمس
 الظاهرة التى هى مبادئ العلم، و كان ما فى أول هذه المواضع و آخرها
 لخلوه عن ذكر القرآن موازيا للحرفين اللذين طرفهما للوهن بالتعبير والقلب
 لكن لما كان الحرفان بالإدغام كحرف واحد، كانت الجملتان الموازيتان ١٥
 لهما كآية واحدة من تلك الأربع، و كان هذا الأول و الآخر مشارا
 به إلى هذه السورة التى جمعت التذكير بالسور الأربع، و أعريت عن
 ذكر تيسير القرآن لافتتاح السور بمحو وما يقرب من المحو وهو آية
 الليل و التيسير فيها و الساعة التى هى أغيب الغيب، و كل من فيها سوى
 الله محوصرف لسلب الأمر كله عنهم و خصت بها الأولى و الآخرة ١٥

لجامع بينهما من غرق العصاة في الماء ونجاة المطيعين بعضهم بالسفينة
و بعضهم بنفس البحر الذي هو مسرح السفن ، و كانت الموعدة المذكور
فيها القرآن في ختام قصة نوح عليه السلام مع عمومها لجميع القرآن
إشارة إلى خصوص التذكير بسورة ق لما بينهما من جامع الإحاطة باحاطة
٥ جبل ق بالأرض كلها و طوفان قوم نوح عليه السلام بعموم جميع
الأرض و التي في سورة عاد إشارة إلى سورة الذاريات لأن كلام
كان بالريح ، و التي في قصة ثمود إشارة إلى التذكر بالطور بجامع ما بينهما
من الرج و الرجف و الذل و الصعق ، أما في قصة ثمود فظاهر ، و أما في
الطور فلما كان من دكة و صعق نبي إسرائيل فيه ، و قد ذكر الصعق في
١٠ آخر الطور ، و ما في قصة لوط إشارة إلى النجم لأن مدائهم ارتفعت
إلى عنان السماء ثم أهويت و أتبعته الحجارة ، فلما كان الأمر هكذا ،
و كانت النعم محيطة بالإنسان من جهاته الست . فضربت الحواس الخمس
في الجهات الست ، فكانت ثلاثين . كأنه قيل : هل مدكر بهذا القرآن ،
و لا سيما ما تقدم [على] هذه السورة منه في الفصل ما الله عليه من النعم
١٥ في نفسه و في الآفاق المشار إلى القسم الأول منها بمدكر . و إلى الثاني
بتكرير ذكر الآلاء فكل آية تكرر انتهى إلى العدد المخصوص و إلى
المجموع بالمجموع ليعلم أن نعم الله محيطة به على وجه لا يدر على صنعه
إلا الله الذي له الإحاطة بجميع صفات الكمال التي أعظمها - من حيث
كونه أساسا ينشأ عليه - الوحدانية المنزعة عن الشركه فيخشى من معصيته
٢٠ أن يسلبه نعمه أو واحدة منها فلا يجد من يقوم بها و لا بشيء منها

غيره أو يعذبه بشيء مثل عذاب هذه الأمم أو بغير ذلك بما له من إحاطة القدرة والعلم فلا يجد من يرد عنه شيئاً منه سبحانه، وأما الواحد الزائد فهو إشارة إلى أن المدار في / ذلك الإدراك هو العقل والحواس كما أن المقصود بذلك كله واحد وهو الله تعالى، وكل هذه الأشياء أسباب لمعرفته وأيضاً فالواحد إشارة إلى أن زيادة الآلاء من فضل الله تعالى لا تنقطع كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا يزال، فكما أغتت زيادتها [ابتداءً] دور ثم ابتداء دور آخر دائماً أبداً، وللتكثير نكتة أخرى بديعة جداً، وهي تأكيد التقرير دلالة على اشتداد الغضب المقضى لأنهى العقوبة كما أن من اشتد غضبه من إنكار شخص لشيء من قلة إذا بينه غاية البيان بأمر متنوعة وهو يتمرد وبلد غاية اللدد يأخذه ١٠ فيجمع له جمعا لا يقدر على العدول عن الحق بحضرتهم، وهو يدعن وهو في قبضته فيذكر تلك المعاني بين ذلك الجمع، فيصير كلما ذكر له نوعاً منها بحضرتهم، قال له: هل ظهر لك هذا؟ فيقول ذاك المنكر: نعم ظهر لي، فلا يريد ذلك إلا غضباً لما تقدم له من عظيم غضبه [أو] لدهه فيذكر له معنى آخر ثم يقول: هل ظهر لك هذا؟ فيقول: نعم والله لا يرجع ١٥ على اعترافه ذلك ويذكر له نوعاً آخر، ويقول مثل ذلك يريد الزيادة في تبكيته وتخجيله. وهكذا إلى أن يشتق - كل ذلك للتنبيه على لده وكفاية كل نوع منها لما أريد منه من البيان، ولقال في الكشاف: فآفته أن يمددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأدلين ادكاراً واماظاً وأن يستأقروا تنبها واستيقاظاً إذا سمعوا الحث عليه والبحث على ذلك ٢٠

كله و أن يقرع لهم العصي مرات و يقعق لهم السن تارات، لتلايلهم
السهود و يستولى عليهم حكم الغفلة، و هكذا حكم التكريرات لتكون
العبر حاضرة للقلوب مصورة الاذمان مذكورة غير منسية في أوان -
اتهى، و لمثل ما مضى أو قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات:
٥ أربع منها " فكيف كان عذابي و نذر " و اثنان منها " فذوقوا عذابي
و نذر " فهما بمنزلة واحدة من الأربع ليرجع الست إلى الخمس الدال
عليها " مذكر " إشارة إلى أن الحواس الخمس كما ضربت في الجهات
الست لأجل النعم التي هي جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع
النقم الذي هو درأ المفاسد و التحذير منها، و من فوائد تكرر الست
١٠ الراجعة إلى الخمس مرتين: مرة لجلب النعم و أخرى لدفع النقم أن
الحواس مكررة ظاهرا و باطنا، فن ذل لسانه بالقرآن ظاهرا صحت حواسه
الظاهرة و نورت له الباطنة، و من أبي عذب بسبب الباطنة تفسد الظاهرة،
و اختيار للوعظتين عدد الست مع إرادة جماعة إلى خمس لأن الست
عدد تام و ذلك لأن عدد كسورها إذ جمعت سادتها و لم تزد عنها و لم
١٥ تنقص و هي النصف و الثلث و السدس، و هذا العدد مساو لدعائم
الإسلام الخمس و حظيرته الجهاد التي هي عماد تقوى المتقين أهل مقعد
الصدق الذين يؤمنون بالغيب و يقومون الصلاة و بما رزقناهم ينفقون
و الذين يؤمنون بما أنزل إلى نبيهم صلى الله عليه و سلم و ما أنزل من قبله
المشار به إلى الصيام " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم"
٢٠ و الحج " و اذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا " و الجهاد " أم حسبتم إن
تدخلوا (٢٨) ١١٢

تدخلوا الجنة" إلى قوله "كتب عليكم القتال وهو كره لكم" وذلك إشارة إلى أن هذا الدين تام لا زيادة فيه ولا نقص لأن النبي الذي أرسل ختام الأنبياء، وتام الرسل الأصفياء. ولما كان قوم عاد قد تكبروا بشدتهم وقوتهم، وكانت حال قريش قرية من ذلك لقولهم إنهم أمنع العرب وأفوام وأجمعهم للكلمات وأعلام، كرر ذلك في قصتهم مرتين ٥ زيادة في تذكير قريش وتعذيرهم ولا سيما وقد كان بدء عذابهم من بلدهم مكة المشرفة كما هو مشروح في قصتهم، وكرر الأمر بالذوق في قصة لوط عليه السلام لأنهم عذبوا بما رددع من كان له قلب بالطمس، فلما لم ينفعهم ذلك أتاهم أكبر منه فكانوا كأس الدابر، فلكل مرة من العذاب من الأمر بالذوق، وخصوصا بالأمر بالذوق لما في فاحشتهم ١٠ الحبيثة ما يستندوه، وقد عم عذاب هذه الأمم جميع الجهات بما لقوم نوح ولوط عليهما السلام من جهة الغرق بالماء الماطر وحجارة السجيل ومن الحب (٩) من الماء التابع والخسف، وما في عموم عذابهم من استغراق بقية الجهات - والله الهادي .

ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم، كان ١٥ ذلك موجبا للسامع أن يظن أنه لا يقصر أحد بعدهم وإن لم يرسل رسول فكيف إذا أرسل، فتشوف إلى علم ما كان بعده هل كان كما ظن أم رجع الناس إلى طبايعهم؟ وكانت قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب فيصلح أن يكون واعظا لهم، وكان عذابهم بالريح التي أهلكتهم ونسفت جبالهم التي كانت في محالهم ٢٠

من الرمال المتراكمة ، فنقلها إلى أمكنة أخرى أقرب دليل إلى أنه تعالى يسير الجبال يوم الدين ، هذا إلى ما في صفها الخارج عن العوائد من تصوير / النفخ في الصور تارة للقيامة و تارة للحياء ، فأجيب بقوله :
 (كذبت عاد) أى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب
 ٥ تكذبيهم برسولى هود عليه السلام فى دعوته لهم إلى وإنذاره لهم عذابي .

/ ١٢٣

ولما كان عادة الملوك أو بعضهم أنه إذا أمكك قوما كثيرين من جنده نجما ناس مثلهم بمثل ذنوبهم أن يرفع بهم ، ويستأنفهم لتلايهلك جنده ، فيختل ملكه ، عقب الإخبار بتكذبيهم الإعلام بتعديهم لأنه لا يبالى بشيء لأن كل شيء فى قبضته ، ولما كان تكذبيهم إلا بارادته
 ١٠ كما أن عذابه بمشيئته ، قال مسيبا عن ذلك : (فكيف) أى فعلى الاحوال لاجل تكذبيهم (كان عذابي لهم و نذره) أى وإنذارى إياهم بلسان رسولى ، و كرر فى آخر قصتهم هذا الاستخبار ، فكان فى قصتهم مرتين كما تقدم من سره - والله أعلم .

١٥ ولما ذكر تكذبيهم و أعقبه تعديهم ، علم السامع أنه شديد العظمة فاستمطر أن يعرفه فاستأنف قوله ، مؤكدا تنبيها على أن قريشا أفعالهم فى التكذيب كأفعالهم كأنهم يكذبون بعذابهم : (أنا أرسلنا) بعظمتنا ، و عبر بحرف الاستعلاء إعلاما بالنقمة فقال : (عليهم ريحا) ولما كانت الريح ربما كانت عيانا ، وصفها بما دل على حالها فقال : (صرصرا) أى شديد البرد و الصوت . ولما كان مقصود السورة تقريب قيام الساعة

و وصف سيرهم إلى الداعي بالإسراع ، ناسب أن يعبر عن عذابهم بأقل ما يمكن ، فعبّر باليوم الذي يراد به الجنس الشامل للقليل والكثير و قد يعبر به عن مقدار من الزمان يتم فيه أمر ظاهر سواء لحظة أو أياما أو شهورا أو كثيرا من ذلك أو أقل كيوم البعث و يوم بدر و يوم الموت بقوله تعالى - " إلى ربك يومئذ المساق " - : (في يوم) و أكد هـ شؤمها بدم زمانها فقال : (نحس) أى شديد القباحة ، قيل : كان يوم الأربعاء آخر الشهر وهو شوال ثمان بقيت إلى غروب الأربعاء ، وحقق لأن المراد باليوم الجنس لا الواحد بالوصف فقال : (مستمر) أى قوى في محوسته نافذ ماض فيما أمر به من ذلك شديدة أسبابه ، موجود مرارته وجودا مطلوبا من مرسله في كل وقت ، مستحکم المرارة قوبها ١٠ دائمها إلى وقت إنفاذ المراد .

و لما علم وصفها في ذاتها ، أتبعه وصفها [بما] يفعل فيه فقال : (تزع) أى تأخذ من الأرض بعضهم من وجهها و بعضهم من حفر حفرها ليمتنعوا بها من العذاب ، و أظهر موضع الإضممار - يكون نصا في الذكور / و الإناث فعبّر بما هو من النوس تفضيلا لهم فقال : (الناس) الذين هم ١٥ / ١٢٤ صور لا نبات لهم بأرواح التقوى ، فتطيرهم بين السماء و الأرض كأنهم الهباء المنثور ، فقطع رؤسهم من جثثهم و تغير ألوانهم تغيما لهم إلى السواد ، ولذا قال : (كأنهم) أى حين يزعون فيلقون لا أرواح فيهم كأنهم (اعجاز) أى أصول (تحل) قطعت رؤسها . و لما كان الحكم هنا على ظاهر حالهم . و كان الظاهر دون الباطن ، حمل على اللفظ قوله : (منقره) ٢٠

أى منقصف أى منصرع من أسفل قعره وأصل مغرسه، و التشبيه يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤوسهم، و فى الحاقه وقع التشبيه فى الباطن الذى فيه الأعضاء الرئيسة، و المعانى اللطيفة، فأنت الوصف حملا على معنى النخل لا للطنها - والله أعلم .

٥ ولما طابق ما أخبر به من عذابهم ما هولاه به أولا، أكد ذلك لما تقدم من سره فقال مسيئا عنه مشيرا إلى أنه لشدة هولاه بما يجب السؤال عنه: (فكيف كان) أيها السائل، ولقت القول إلى الإقرار تنبيها للعبيد على المحافظة على مقام التوحيد: (عذابى) لمن كذب رسلى (ونذره) أى وإنذارى أو رسلى فى إنذارهم هل صدق .

١٠ ولما أتم سبحانه تحذيره من مثل حالهم بأمر ناظر أتم نظر إلى تدبير ما فى سورة الذاريات، أتبع ذلك التنبيه على أنه ينبغى للسامع أن يتوقع الحث على ذلك، فقال مؤكدا لما لاكثر السامعين من التكذيب بالقول أو بالحال معلما أنه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار إليه، و سوى من الاعتماد عليه، عائدا إلى مظهر العظمة إيذانا بأن تيسير

١٥ القرآن لما ذكر من إعجازه لا يكون إلا لعظمة تفوت قوى البشر، و تعجز عنها القدر (و لقد يسرنا) على ما لنا من العظمة فى الذات و الصفات

(القران) الجامع الفارق كله و ما أشارت إليه هذه القصة من مفصله (للذكر) للحفظ و الشرف و الفهم و التدبير و الوعظ و الاتعاط ما صرفنا فيه من أنواع الوعظ مع التنبيه للحفظ بالإيجاز و عذوبة اللفظ

٢٠ و قرب الفهم و جلالة المعانى و جزالة السبك و تنويع الفنون و تكثير

الشعب وإحكام الربط (فهل من مدكر) أي تسبب عن هذا الأمر العظيم الذي فعلناه أنه موضع السؤال عن أحوال السامعين: هل فيهم من يقبل على حفظه ثم تدبره وفهمه ويتعظ بما حل بالأمم السالفة، ويتذكر جميع ما صرف من الأقوال وينزلها على نفسه وما لها من الأحوال، ويجعل ذلك لوجهنا فيلقيه بتشريفه به أمر ديناه وأخراه . ٥

و لما كان هذا موضع الإقبال على تدبر مواعظ القرآن، وكان

١٢٥ /

ثمود أعظم وعظ كان بعد عاد لما في صيحتهم / الخارجة عن اليهود من تصوير الساعة بفتحها المميتة ثم المحيية، وقال مؤثنا فعلهم إشارة إلى سفول همهم وسفول فعلهم معلما أن من كذب هلك - على طريق الجواب

لمن لعله يقول استبعادا للتكذيب بعد ما جرى في القصتين الماضيتين من ١٠

التعذيب: (كذبت ثمود) أي قوم صالح (بالندرة) الإنذارات والمنذرين

كلهم لأنهم شرع واحد، ثم علل ذلك وعقبه بقوله معلما بالضمير أن

المباشر لهذا الكفر رجالهم لثلا يظن أنهم نساء فقط: (فقالوا) منكرين لما

جاءهم من الله غاية الإنكار: (ابشرا) إنكارا الرسالة هذا النوع ليكون إنكار

النبوة [إنكارا] لنبوة نبيهم على أبلغ الوجوه، وأعظم الإنكار بقولهم مقدمين ١٥

عدم الانفراد عنهم لخصوصيته: (منا) أي فلا فضل له علينا فواجه

اختصاصه بذلك من بيننا، وزادوا ذلك [تأكيدا] فقالوا: (واحدا)

أي ليس معه من يؤيده، ثم فسر الناصب لقوله " بشرا " بقوله:

(تتبعه لا) أي نجاهد أنفسنا في خلع مألوفنا وخلاف آباتنا والإقرار

على أنفسنا بسخافة العقل والعراقة في الجهل ونحن [أشد] الناس كثرة ٢٠

وقوه وفهما ودراية. ثم استنجوا عن هذا الإنكار الشديد قولهم
 مؤكدين الاستشعار بأن كلامهم أهل لأن يكذب (أنا إذا) أى
 إن اتبعناه (لى ضلل) أى ذهب عن الصواب محيط بنا (وسعوه)
 أى تكون عاقبتنا فى ذلك الضلال الكون فى أوائل أمر لاسرى عاقبته ،
 ٥ فانه لم يجرب ولم يجتبر ولم يمس أحد قبلنا سلفانا فيجرنا ذلك إلى
 جنون وجوع ونار كما يكون من يأتوه فى القفار فى أنواع من الحر بتوقد
 حر الجبال وحر الضلال وحر الهموم والآجال - وذلك من النار التى
 توعدا بها ، وهو معنى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما له بالعذاب ،
 وجعل سفيان ابن عيينه له جمع سعير ، والمعنى أنا [نكون] إذا اتبعناك
 ١٥ كما تقول جامعين بين الضلال والعذاب بسائر أنواعه .

ولما كان فيما قالوه أعظم تكذيب مدلول على صحته فى زعمهم بما
 أومأوا إليه من لونه آدميا مثلهم . هو مع ذلك واحد من أحادهم
 فليس هو بامثلهم وهو منفرد فلم يتأيد فكره بفكر غيره حتى يكون
 موضع الوثوق به ، دلوا عليه بأمر آخر ساقوه أيضا مساق الإنكار .
 ١٥ و اومأوا الإلقاء إلى أنه فى إسرعه كانه سقط من علو وقالوا : (الذى)
 أى أزل عتته فى سرعه لأنه لم يكن عندهم فى مضار هذا الشأن ولم يأتروا
 فيه قبل إتيانه به شىء منه بل أتاهم به عتته فى غاية الإسراع . ولما
 كان الإلقاء يكون للأجسام غالبا ، فكان لدفع هذا الوهم تقديم
 اللائب عن الفاعل إلى خلاف ما تقدم فى ص قالوا : (الذكر)

(١) راحة البحر المحيط ٧ ١٨٠

أى الوحي الذى يكون به الشرف الأعظم، وعبروا بعلی إشارة إلى أن مثل هذا الذى تقوله لا يقال إلا عن قضاء غالب وأمر قاهر فقال: ﴿عليه﴾ ودلوا على وجه التعجب والإنكار بالاختصاص بقولهم: ﴿من بيننا﴾ أى وبيننا من هو أولى بذلك سنا وشرفا ونبلا .

ولما كان هذا الاستفهام / لكونه إنكاريا بمعنى النفي، أضربوا عنه هـ / ١٢٦ بقولهم على وجه النتيجة عطفًا على ما أفهمه الاستفهام من نحو: ليس الأمر كما زعم: ﴿بل هو﴾ لما أبدياته من الشبه ﴿كذاب﴾ أى بليغ فى الكذب ﴿اشره﴾ أى مرح غلبت عليه البطالة حتى أعجبت نفسه بمرح وتجبر وبطر، ونشط فى ذلك حتى صار كالمنشار الذى هو متفرغ للقطع مهيا له خشن الأمر سىء الخلق والآثر فهو يريد الترفع .

١٠

ولما كان هذا غاية الذم لمن يستحق منهم غاية المدح، أجاب تعالى عنه موعظة لعباده لئلا يتقولوا ما يعلنون بطلانه أو يقولوا ما لا يعلنون صحته بقوله: ﴿سيعلمون﴾ بوعده لا خلف فيه . ولما كان المراد التقريب لأنه أقعد فى التهديد، قال: ﴿غدا﴾ أى فى الزمن الآتى القريب لأن كل ما حقق إتيانه قريب عند نزول العذاب فى الدنيا ويوم ١٥ القيامة، وقرأة ابن عامر وحمزة ورويس عن يعقوب بالخطاب التفات يعلم بغاية الغضب ﴿من الكذاب الاشرء﴾ أى الكذب والاشرو هو احتقار الناس والاستكبار على ما أبدوه من الحق محتص به ومقصود عليه لا يتعداه إلى مرميه وذلك بأنهم جعلوا الكذب ديدنه ولم يتقدم حتى

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٢٥ .

يدعى شيء منه لصالح عليه الصلاة والسلام، فكان الكلام معينا لهم في الكذب قاصرا عليهم بسياقه على هذا الوجه المبهم المنصف الذي فيه من روعة القلب وهز النفس ما لا يبلغه حق عليه إلا الله تعالى، وكلما كان الإنسان أسلم طبعيا وأكثر علما كان له أعظم ذوقا .

- ٥ ولما علم من هذا أنه سبحانه فصل الأمر بينهم، تشوف السامع إلى علم ذلك فقال تعالى مستأنفا دالا بأنهم طالبوه بآية دالة على صدقه: ﴿إنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿مرسلوا التافة﴾ أي موجدوها ومخرجوها كما اقترحوا من حجر أملائه لذلك وخصصناه من بين الحجارة دلالة على إرسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه، وذلك أنهم ١٠ قالوا لصالح عليه السلام: زيد أن نعرف المحق منا بأن ندعو آلهتنا وندعو إلهك فن أجابه إلهه علم أنه المحق، فدعوا آلهتهم فلم تجبهم، فقالوا: ادع أنت، فقال: فما تريدون؟ قالوا: تخرج لنا من هذه الصخرة تافة تعبر (٩) عشراء، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان، فوعده به بذلك وأكدوا فكذبوا بعد ما كذبوا في أن آلهتهم تجيبهم، وصدق هو صلى الله ١٥ عليه وسلم في كل ما قال، فأخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم إلى إخراجها ﴿فتنة لهم﴾ أي امتحانا يخالطهم به فيمليهم عن حالتهم التي وعدوا بها ويجيبهم عنها، وسبب سبحانه عن ذلك أمره بانتظارهم فيما يصنعون بعد إخراجهم لما توصلهم إليه عواقب الفتنة فقال: ﴿فارتقبهم﴾ أي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار من يحرسهم وهو ٢٠ عالم عليهم فانهم واصلون بأعمالهم إلى الداهية التي تسمى بأمر العرقوب ليكونوا (٣٠) ١٢٠

١٣٧ /

ليكونوا كمن جعل في رقبته، ودل بصيغته الافعال على أنه يكون / له منه
 أذى بالغ قبل انفصال النزاع فقال: ﴿ واصطبره ﴾ أى عالج نفسك
 واجتهد فى الصبر عليهم ﴿ ونبئهم ﴾ أى أخبرهم إخبارا عظيما بأمر
 عظيم، وهو أن الماء الذى يشربونه وهو ماء بئرهم ﴿ ان الماء قسمة بينهم ج ﴾
 أى بين ثمود وبين الناقة، غلب عليها ضمير من يعقل، يعنى إذا بعثاها
 كان لهم يوم لا تشاركهم فيه فى الماء، ولها يوم لا تدع فى البئر قطرة يأخذها
 أحد منهم، وتوسع الكل بدل الماء لبناء. ولما أخبر بتوزيع الماء، أعلم أنه
 على وجه غريب بقوله استئنافا: ﴿ كل شرب ﴾ أى من ذلك وحظ
 منه ومورد البر وقت يشرب فيه ﴿ محتضره ﴾ أى أهل لما فيه من الأمر
 العجيب أن يحضره الحاضرون حضورا عظيما، وتكلف أنفسهم لذلك ١٥
 لأنه صار فى كثرتة وحسنه كما الحاضرة للبادية وتأهل لأن تعارضه
 حاضروه من حسنه ورجعوا إليه وأن يجتمع عليه الكثير ويعودوا
 أنفسهم عليه .

ولما كان التقدير: فكان الأمر كما ذكرنا، واستمر الأمد الذى
 ضربنا فافتتوا [كما] أخبرنا ﴿ فنادوا ﴾ بسبب الفتنة ﴿ صاحبهم ﴾ قدار بن ١٥
 سالف الذى اتدبوه بطرا وأثرا لقتل الناقة، نذبتا فيها بوعدهم الإيمان
 وإكرامها بالإحسان وهو أشق الأثرين ﴿ فتعاطى ﴾ أى أوقع بسبب
 ندائهم التعاطى الذى لاتعاطى مثله، فتناول ما لا يحق له أن يتناوله بسبب
 الناقة وهو سيفه يده قائما فى الأمر الناشئ عن هذا الأخذ على كل
 حال. ورفع رأسه بناية الهمة ومد يديه مدا عظيما، ورفعها وقام على ٢٠

أصابع رجليه حين عاطوه ذلك أى سألوه فيه فطاوعهم و تبارل الناقة بذلك السيف غير مكترث ولا مبال (فمقره) أى فتسبب عن هذا الجد العظيم أن صدق فيما أثبت لهم الكذب فى الوعد بالإحسان إليها والأشر، وهو إيقاع المقر الذى ما كان فى ذلك الزمان عقر مثله ٥ وهو عقر الناقة التى هى آية الله وإهلاكمها .

ولما وقع كذبهم على هذا الوجه العظيم المبني على غاية الأشر، حقق الله تعالى صدقه فى توعدهم على تقدير وقوع ذلك، فأوقع عذابهم سبحانه على وجه هو من عظمه أهل لأن يتساءل عنه، فيه سبحانه على عظمه بإيراده فى أسلوب الاستفهام مسيا عن فعل الأشتى فقال: ١٠ (فكيف كان) و حافظ على مقام التوحيد كما مضى فقال: (عذابي) أى كان على حال و وجه هو أهل لأن يجتهد فى الإقبال على تعرفه و السؤال عنه (و نذره) أى إنذارى . ولما علم تفرغ ذهن السائل الواعى، استأنف قوله مؤكدا إشارة إلى أن عذابهم مما يستلذ و ينجح به، وإرغاماً لمن يستبعد النصيحة الواحدة بفعل مثل ذلك، وإعلاماً بأن القدرة ١٥ / ١٢٨ على عذاب من كذب من غيرهم / كهى على عذابهم فلا معنى للتكذيب: (أنا) بما لنا من العظمة (أرسلنا) إرسالاً عظيماً، و دل على كونه عذاباً بقوله: (عليهم صيحة) و حقر شأنهم بالنسبة إلى عظمة عذابهم بقوله تعالى: (واحدة) صاحبها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن بصيحته هذه التى هى واحدة طاقة، و تلاشى عندها صياحهم حين نادوا ٢٠ صاحبهم لعقر الناقة . ولما تسبب عنها هلاكهم قال: (فكانوا) كونا عظيماً

عظيماً (كهشيم المحتظرة) أى محطمين كالشجر اليابس الذى جعله
الراعى ومن فى معناه بمن يجعل شيئاً يأوى إليه و يحتفظ به و يحفظ به
ماشيته فى وقت ما لا يقاله (؟) و هو حظيره أى شىء مستدير مانع فى ذلك
الوقت لمن يدخل إليه فهو يتهشم و يتحطم كثير منه و هو يعمله فندوسه
الغنم ثم تتحطم أولاً فأولاً ، و كل ما سقط منه شىء فداسته الغنم كان ه
هشياً ، و كأنه الحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته .
و لما كان التقدير : فلقد أبلغنا فى الموعظة لكل من يسمع هذه
القصة ، عطف عليه قوله مؤكداً لأجل من يعرض عن هذا القرآن و يعطل
إعراضه عنه بصعوبته : (ولقد يسرنا) أى على ما لنا من القدرة
و العظمة (القرآن) أى الكتاب الجامع لكل خير ، الفارق بين كل ١٠
ملبس (للذكر) أى الحفظ و التذكير و التذكر و حصول النباهة به
و الشرف إلى الدارين . و لما كان هذا غاية فى وجوب الإقبال عليه
لجميع المتولين ، قال : (فهل من مدكره) أى ناظر فيه بسبب قولنا هذا
بعين الإنصاف و التجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فتعنه عليه .
و لما كان النذير : كأنه قال المنذرين (؟) لم يتعظوا به فزاد فى وعظهم ، و كانت ١٥
قصة لوط عليه السلام مع قومه أعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب
بالأخبار و رؤى الآثار ، و مع ما فى قصتهم من تصوير الساعة من
تبديل الأرض غير الأرض ، استأنف قوله : (كذبت قوم لوط)
أى وهم فى قوة عظيمة على ما يحاولونه و إن كانوا فى تكذيبهم هذا
فى ضعف و قوع النساء عن التجرد بما دل عليه تأنيث الفعل بالناء و كذا ٢٠

ما قبلها من القصص ﴿ بالنذره ﴾ أى الإنذار و الإنذارات و المنذرين ،
 و دل على تنهى القباحة فى مرتكبهم بتقديم الإخبار عن عذابهم فقال :
 ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ارسلنا ﴾ و دل على أنه إرسال إهانة
 بقوله : ﴿ عليهم ﴾ و دل على هوانهم و بلوغ أمره كل ما يراد به بقوله :
 ٥ ﴿ حاصبا ﴾ أى ربحا ترمى بحجارة هى دون ملء الكف فكانت مهلكة
 لهم محرقة خاسفة مفرقة ﴿ الآال لوط ﴾ و هم من آمن به و كان بحيث
 إذا رأته فكانك رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من أفعاله
 و المشى على منواله فى أقواله و أحواله و أفعاله .

و لما كان استنواؤهم مفعلا إنجازهم مع التجويز لإرسال شىء عليهم
 ١٠ غير مقيد بما ذكر ، قال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال : ما حاطم : ﴿ نجينهم ﴾
 أى نجية عظيمة بالتدرج ، و ذكر أول الشروع لإجرامهم فقال : ﴿ بسحر لا ﴾
 أى بأخر ليلة من الليالى و هى التى عذب فيها قومه ، فكان تنكيره لانا لانعرف
 تلك الليلة بعينها ، و لو قصدت سحر الليلة التى صبحت منها كان معرفة
 لا ينصرف ، و السحر : السدس الأخير من الليل : الوقت الذى يكون فيه
 ١٥ الإنسان لا سيما النساء و الأطفال فى غاية الغفلة بالاستغراق فى النوم ،
 و يفتح الله فيها ابواب السماء باذن الدعاء ليحصل منه الإجابة لأن الملوك
 إذا فتحوا أبوابهم كان ذلك إذنا للساس فى الدخول لقضاء الحوائج ،
 فالزول و فتح الأبواب كناية عن ذلك - و الله سبحانه و تعالى متعال عن
 حاجة إلى نزول أو فتح باب أو غير ذلك .

٢٠ و لما كان المراد من الموعظين الطاعة التى هى سبب النجاة ، فلذا

قال ذاكرا للإنعام معبرا عنه بغاية المتصود منه معرفا أن انتقامه عدل
ومعافاته فضل، لأن أحدا لا يقدر أن يكافئ نعمه ولا نعمة نها، معللا
للنجاة: (نعمت من عندنا) أي عظمة غريبة جدا لشكرهم، ولما كان كأنه
قيل: هل هذا محتص بهم... الإنجاة من بين الظالمين وهو محتص بهم،
أجاب بقوله: (كذلك) أي مثل هذا الإنجاة العظيم الذي جعلنا
جزاء لهم (نجزي) بقدرتنا وعظمتنا (من شكره) أي أرفع الشكر
بجميع انواعه فآمن وأطاع ليس... بالامر بالمعروف والنهي عن
المنكر كائنا من كان من سوقة أو سلطان جائر شجاع أو جبان، فانسا
عليه بالإنجاة بعد هلاك عدوه، قال القشيري: والشكر على نعم الدفع
أم من الشكر على نعم النفع، ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس، ١٠
فالآية من الاحتباك: ذكر الإنعام أولا - لأنه السبب الحقيقي - دليلا على
حذفه ثانيا، والشكر ثانيا - لأنه السبب الظاهر - دليلا على حذفه أولا .
ولما كان التقدير دفعا لعناد... استشراف السامع إلى ما كان
من حاله صلى الله عليه وسلم معهم قبل العذاب: لقد بالغ في شكرنا بوعظهم
ونصحهم ودعاتهم إلينا صرفا لما أنعمنا به عليه من الرسالة في أم مواضعه، ١٥
عطف عليه إيماء إليه قوله، مؤكدا لأن تهادى المحذور من العذاب على
الإقامة في موجه يكاد أن لا يصدق: (واقدر انذرهم) أي رسولنا
لوط عليه السلام (بطشتنا) أي أخذتنا لهم المقرونة بشدة ما لنا من
العظمة، ووحيد إشارة إلى أنه لا يستهان بشيء من عذابه سبحانه بل
الأخذة الواحدة كافية لما لنا من العظمة فهي غير محتاجة إلى الثانية، ٢٠

ودل على أن إنذاره كان جدرا بالقبول لكونه واضح الحقيقة بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿ قماروا ﴾ أى تكلفوا الشك الواهى ﴿ بالنذره ﴾ أى الإنذار مصدرا والإنذارات أو المنذرين حتى أدام إلى التكذيب . فكان سببا للأخذ .

٥ / ١٣٠ و لما كان ترك الاحتياط فى / إعمال الحيلة فى وجه الخلاص من إنذار النذير عظيم العرافة فى السفه . دل على أنهم تجاوزوا ذلك إلى انتهاك حرمة النذير ، فقال مقسما لأن مثل ذلك لا يكاد يقع فلا يصدق من حكاة : ﴿ ولقد راودوه ﴾ أى زادوا فى التكذيب الموجب للعنذب أن عاجلوا معالجة طويلة تحتاج إلى قتل و دوران ﴿ عن ضيفه ﴾ ليسلهم إليهم و هم ١٠ ملائكة فى هيئة شباب مرد ، و أفردوا و إن كان المراد الجنس استعظاما لذلك لو كان الضيف واحدا ﴿ فطمسنا ﴾ أى قسب عن مرادتهم أن طمسنا بعظمتنا ﴿ اعينهم ﴾ فسويناها مع سائر الوجوه فصارت بحيث لا يرى لها شق ، قال الغوى : هذا قول أكثر المفسرين ، و ذلك بصفحة صفقتها لهم جبريل عليه الصلاة و السلام ، و قال القشبرى : مسح بجناحه على وجوههم فعموا و لم يهتدوا للخروج ، و قال ابن جرير : و العرب تقول : طمست الريح الأعلام - إذا دفتها بما يسنى عليها من التراب . فانطلقوا هرابا مسرعين إلى الباب لا يهتدون إليه . لا يقعون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك و هم يقولون : عند لوط أسحر الناس ، و ما أدتهم عقولهم أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم مما حل بهم ، قال القشبرى :

(١) راجع المعالم بهامش اللب ٦ / ٢٣٠ (٢) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه .
وكذلك

و كذلك أجرى الله سبحانه سنته في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أوليائه ويخلصهم من كيدهم .
 ولما كان أول عذابهم قال : ﴿ فذوقوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن قال قائل عن الله بلسان القائل أو الحال : أيها المكذبون ذوقوا بسبب تكذيبكم لرسلى في إنذارهم ﴿ عذابي و نذره ﴾ أى وعاقبة انذارى على ٥ السنة رسلى .

ولما كان بقاؤهم بعد هذا على حال كفرهم عجبا إذ العادة قاضية بان من أخذ ارعوى ولو كان أجر الخلق ، و سأل العفو عنه صدقا أو كذبا خداعا و مكرًا ليخلص مما هو فيه ... بثباتهم على تكذيبهم حتى عذبوا على قرب العهد فقال مقسما : ﴿ ولقد صبحهم ﴾ أى أتاهم في وقت ١٠ الصباح ، و حقق المعنى [بقوله] : ﴿ بكرة ﴾ أى في أول النهار العذاب ، ولو كان أول نهارك الذى أنت به كان معرفة فامتنع ... ﴿ عذاب ﴾ أى قلع بلادهم ورفعها ثم قلبها ، و حسبها بحجارة من نار و خسفها و غمرها باماء الملتن الذى لا يعيش به حيوان ﴿ مستقره ﴾ أى ثابت عليهم غير مزابل بخيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكتهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل ١٥ بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الأكبر فى الطبقة التى تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال إن لم ينطق لسان القائل : ﴿ فذوقوا ﴾ بسبب أعمالكم ﴿ عذابي و نذره ﴾ .

و لما كرر هذا التكرير ، علم منه أن سبب العذاب / التكذيب

بالإنذار لآى رسول كان ، وكان استئناف كل قصة منها على أنها أهل ٢٠ / ١٣١

على حدتها لأن يتعظ [بها] ، علم أن التقدير: فلقد بلغت هذه المواعظ
 النهاية لمن كان له قلب ، فمظف عليه قوله مذكرا بالنعمة التي لا عدل لها:
 ﴿ ولقد يسرنا ﴾ أى تعالى جدنا و تاهى مجدنا ﴿ القرآن ﴾ الجامع
 الفارق ﴿ للذكر ﴾ و لو شئنا لأعليناه بما لنا من العظمة إلى الحد حتى تعجز
 ٥ القوى عن فهمه ، كما أعليناه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضته في نظمه ،
 أو مطلع لا يتشبث بأذيال أدنى علمه ، إلا الأفراد من حذاق العباد ، فكيف
 بما فوق ذلك .

ولما كانوا مع ذلك واقفين عن المبادرة إليه و الإقبال عليه ، قال
 تلطفا بهم و تعظفا عليهم مسييا عن ذلك : ﴿ فهل ﴾ و أكد فقال :
 ١٠ ﴿ من مدرك ﴾ مفتك لنفسه من مثل هذا الذى أوقع فيه هؤلاء أنفسهم
 ظنا منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه جهلا منهم و عدم أكثرات
 بالعواقب .

ولما كان الآخر ينبغي له أن يحذر ما وقع للأول ، وكان قوم
 فرعون قد [جاء] بعد قوم لوط عايبه السلام ، فكان ربما ظن أنهم لم يندروا
 ١٥ لأن من علم أن العادة جرت أن من كذب الرسل هلك أنكر أن
 يحصل بمن تبع ذلك تكذيب ، قال مقسما : ﴿ ولقد جاء آل فرعون ﴾
 أى ملك انقبط بمصر و أشرافه الذين [إذا] رؤوا كان كأنه رنى فيهم
 لشدة قربهم منه و تخلفهم بأخلاقهم ﴿ التدرج ﴾ أى الإنذارات
 و المندرون بنذارة موسى و هارون عليهما السلام ، فان نذارة بعض الأنبياء
 ٢٠ كندارة الكل لأنه لم يأت أحد منهم إلا و له من الآيات ما مثله آمن
 عليه (٣٣) ١٢٨

عليه البشر ، والمعجزات كلها متساوية في خرق العادة ، و كان قد أنذرهم يوسف عليه السلام . و لما كان كأنه قيل : فما فعلوا عند مجيء ذلك إليهم ، قال : ﴿ كذبوا ﴾ أى تكذبا عظيما متسهينين ﴿ باينتنا ﴾ التى أتاهم بها موسى عليه السلام و غيرها لاجل تكذيبهم بها على ما لها من العظمة المعروفة قطعا [عن] أنها من عندنا .

و لما كانت خوارق العادات كما مضى متساوية الأقدام فى الدلالة على صدق الآتى بها ، و كانوا قد صمموا على أنه مهما أتاهم بآية كذبوا بها ، كانوا كأنهم قد أتهم كل آية فلذلك قال : ﴿ كلها ﴾ و سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاخذنهم ﴾ أى بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الإغراق ﴿ اخذ عزيز ﴾ أى لا يغلبه شىء و هو يغلب كل شىء . ١٠ ﴿ مقتدره ﴾ أى لا يجعل بالأخذ لانه [لا] يخاف القوت و لا يخشى معقبا لحكمه ، بالغ القدرة إلى حد لا يدرك الوصف كنهه لأن صيغة الاقعال مبناها على المعالجة و من عاجل فعلا اجعل نفسه فيه ، فكان على أتم الوجوه ، و هذه الغاية هى المرادة ليس غيرها ، فهو تمثيل لانه سبحانه يخاطبنا بما نعبده ، و بهذه المبالغة فلم يلفت منهم أحد ، و قد ختمت القصص / يمثل ١٥ / ١٣٢ ما افتتحت به من عذاب المفسدين بالإغراق لطابق الختم البذا ، و كانت نجاة المصلحين من الأولين بالسفينة ، و كانت نجاة المصلحين من الآخريين بأرض البحر كانت هى سفينتهم ، ليكون الختم اعظم من البذا كما هو شأن أهل الاقدار .

و لما بلغت هذه المواعظ الانتهاء ، و علت أقدامها على رتبة السها ، ٢٠

ولم يُبين ذلك كفار قريش عن شرادهم، ولا أقر من جحودهم وعنادهم،
 كان لسان حالهم قائلاً : إنا لانخاف شيئاً من هذا، فكان الحال مقتضياً
 لأن يقال لهم إلزاماً بالحجة : ﴿ اكفاركم ﴾ الراسخون منكم في الكفر الثابتون
 عليه يا أيها المكذبون لهذا النبي الكريم السارون لشموس دينه ﴿ خير ﴾
 ٥ في الدنيا بالقوة و الكثرة أو الدين عند الله أو عند الناس ﴿ من ارأسنكم ﴾
 أى الكفار العظام الجبابرة الأشداء الذين وعظناكم بهم في هذه السورة
 ليكون ذلك سبباً لاقتراق حالهم منهم فيأمنوا العذاب مع جامع
 التكذيب وإن لم يكن لهم براءة من الله ﴿ ام لكم ﴾ اجمعين دينهم
 كفاركم وغير كفاركم ﴿ برآة ﴾ من العذاب من الله ﴿ فى الزبرج ﴾ أى الكتب
 ١٠ الآتية من عنده أأنتم بها من العذاب مع أنهم خير منكم، فالآية من
 الاحتباك : أثبت الخيرية أو لا دليلاً على حذفها ثانياً، والبراءة ثانياً دليلاً
 على حذفها أولاً .

ولما بلغوا إلى هذا الحد من التهادى في الكفر مع المواعظ البالغة
 والاستعطاف المكين، استحقوا أعظم الغضب، فأعرض عنهم الخطاب
 ١٥ إيذاناً بذلك وإهانة لهم واحتقاراً وإقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم
 تسلياً له فقال عاطفاً على ما تقديره : أيدعون جهلاً ومكابرة شيئاً من
 هذين الأمرين : ﴿ ام يقولون ﴾ أى هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم
 تعاملهم باللين فى القال والقيل والصفح الجميل امثالاً لأميرنا تعظيماً
 لقدرك فاستهانوا بك : ﴿ نحن جميع ﴾ أى جمع واحد مبالغ فى اجتماعه
 ٢٠ فهو فى الغاية من الضم فلا اقتراق له ﴿ متصره ﴾ أى على كل من

يناويه لأنهم على قلب رجل واحد، فالأفراد للفظ «جميع»، وإفهام هذا المعنى، أو أن كل واحد محكوم له بالانتصار .

ولما كان لسان الحال ناطقا بأنهم يقولون : هذا كله فأى الفريقين خير

مقاما وأحسن نديا وحوها . وقال بعضهم : لئن بعثنا لآوتينا مالا وولدا ،

ولاشك أنهم كانوا في غاية الاستحالة لغلبة المؤمنين لهم على قلتهم ؛ ضعفهم ، ه

أستأنف الجواب بقوله : (سيهزم) بأيسر أمر من أى هازم كان بوعد

لاخلف فيه ، وقراءة الجمهور ' بالبناء للفعول مفهومة للعظمة بطريقة كلام

القادرين ، فهى أبلغ من قراءة يعقوب بالنون والبناء للفاعل الدالة على العظمة

صريحا (الجمع) الذى تقدم أنه بولغ في جمعه فصدق الله وعده وهزموا

في يوم بدر وغيره في الدنيا عن / قريب ، ولم يزالوا يضعفون حتى ١٠ / ١٣٣

اضمحل أمرهم وزال بالكلية سرهم ، وهى من دلائل النبوة البينة

(ويولون الدبره) أى يقع توليتهم كلهم بهذا الجنس بأن يكون واليا لها

من منهم مع الهزيمة لأنه لم يتولهم في حال الهزيمة نوع مسكنة يطمعون

بها في الخيار ، وكل من أفراد الدبر والمتصر وجمع المولين أبلغ مما

لو وضع غيره موضعه وأقطع للتغنت . ١٥

ولما وقع هذا في الدنيا ، وكان في يوم بدر ، وكان ذلك من

أعلام النبوة ، وكان ربما ظن ظان أن ذلك هو النهاية ، كان كأنه قيل :

ليس ذلك الموعد الأعظم : (بل الساعة) القيامة التى يكون فيها الجمع

الأعظم والهلول الأكبر (موعدهم) أى الأعظم للجزاء المتوعد به

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٣٢ .

﴿و الساعة ادهى﴾ من كل ما يفرض وقوعه في الدنيا، أفضل تفضيل
 من الداهية و هي أمر هائل لا يهتدى لدوائه ﴿وامره﴾ لان عذابها
 للكافر غير مفارق و مزابل . و لما أخبر عن الساعة بهذا الإخبار الهائل،
 علله مقسما لاهلها بجملا بعض ما لهم عند قيامها بقوله مؤكدا لما [أظهروا]
 ٥ من التكذيب: ﴿ان المجرمين﴾ أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل
 ﴿في ضلل﴾ اى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث محيط بهم مانع
 من الخلاص من دواهي الساعة و غيرها، و من الوصول إلى شيء من
 مقاصدهم التي هم عليها الآن معتمدون ﴿و سره﴾ أى نيران تضطرم
 و تتقد غاية الانتقاد ﴿يوم﴾ أى في ذلك اليوم الموعود به ﴿يسحبون﴾
 ١٠ أى في الساعة دائما بأيسر وجه إهانة لهم من أى صاحب كان ﴿في النار﴾
 أى الكرامة في النارية ﴿على وجوههم﴾ لانهم في غاية الذل و الهوان
 جزاء بما كانوا يذنون أولياء الله تعالى، مقولا لهم من أى قائل اتفق:
 ﴿ذوقوا﴾ أى لانهم لامنة لهم و لاحية عندهم بوجه ﴿مس سقره﴾ أى
 ألم مباشرة الطبقة النارية التي تلفح بحرها فتلوح الجسم و تذيبه فيسيل ذهنه ...
 ١٥ و عصارا كما يسيل الديدس و عصارة الرطب قسمى النخلة بذلك مسقارا .
 و لما أخبر بقيام الساعة و ما يتفق لهم فيها جزاء لاعمالهم التي
 قدرها عليهم و هي ستر فِرِضوا بها لاتباع الشهوات و احتجوا على رضاه
 بها، و كان ربما ظن ظان أن تماديههم على الكفر لم يكن بارادته سبحانه،
 علل ذلك منبها على أن الكل فعله، و إنما نسبتبه إلى العباد بأمر ظاهرية،
 ٢٠ تقوم عليهم بها الحجة في مجارى عاداتهم، فقال: ﴿انا﴾ أى بما لنا من

العظمة (كل شيء) أى من الأشياء المخلوقة كلها صغيرها و كبيرها .
 و لما كان هذا التعميم فى الخلق أمرا أفهمه النصب ، استأنف
 قوله تفسيرا للعامل المطوى و إخبارا بجعل ذلك الخلق كله على نظام
 محكم و أمر مقدر مبرم (خلقته بقدره) أى قضاء و حكم و قياس مضبوط
 / وقسمة محدودة و قودة بالغة و تدبير محكم فى وقت معلوم و مكان ٥ / ١٣٤
 محدود مكتوب فى ذلك اللوح قبل وقوعه تقيسه الملائكة بالزمان
 وغيره من العد و جميع أنواع الأقيسة - فلا يخرم عنه مثقال ذرة
 لانه لا منازع لنا مع ما لنا من القدرة الكاملة و العلم التام ، فهذا العذاب
 بقدرتنا و مشيئتنا فاصبروا عليه و ارضوا به كما كنتم ترضون أعمالكم
 السيئة ثم تحتجون على عبادنا بأنها بمشيئتنا بنحو " و لو شاء الله ما اشركنا " ١٠
 فقد أوصلكم إلى ما تزون و انكشف آتم انكشاف أنه لا يكون شيء
 على خلاف مرادنا ، و لا يقال لشيء قدرناه : لم ؟ قال الرازى فى اللوامع :
 الكمية ساقطة عن أفعاله كما أن الكيفية و الكمية ساقطتان عن ذاته
 و صفته - انتهى . و لا يكون شيء من أمره سبحانه إلا ما هو على غاية
 الحكمة ، و لو كان الخلق لا يعشون بعد الموت ليقع القصاص و القياس ١٥
 العدل ليكون القياس جزافا لا بقدر و عدل ، لأن المشاهد أن الفساد فى
 هذه الدار من المكلفين من الصلاح أضعافا مضاعفة ، و قرئ فى الشواذ
 برفع " كل " و جعله ابن جنى أقوى من النصب ، و ليس كذلك لأن
 الرفع لا يفيد ما ذكرته ، و ما حمله على ذلك إلا أنه معتزلى ، و النصب
 على [ما] قدرته قاصم لاهل الاعتزال .

ولما بين أن كل شيء بفعله ، بين يسر ذلك و سهولته عليه فقال :
 ﴿ وما أمرنا ﴾ أى كل شيء أردناه وإن عظم أثره ، وعظم القدر
 وحقر المقدورات بالتأنيث فقال : ﴿ الا واحدة ﴾ أى فعلة يسيرة
 لامعاجة فيها وليس هناك إحداث قول لانه قديم بل تعلق القدرة
 بالمقدور على وفق الإرادة الازلية ، ثم مثل لنا ذلك بأسرع ما يعقله
 ٥ وأخفه فقال : ﴿ كلبح بالبصره ﴾ فكما أن ملح أحكم يبصره لا كلفة
 عليه فيه ، فكذلك الافعال كلها ، بل أيسر من ذلك .

ولما أخبر بتام قدرته ، و كان إهلاك من ذكر من الكفار وإنجاء
 من ذكر من الأبرار فى هذه السورة نحو ما ذكر من أمر الساعة فى
 ١٠ السهولة و السرعة ، دل على ذلك بانجاء أولياته وإهلاك أعدائه فذكر بهم
 حمة و بما كان من أحوالهم بأيسر أمر لأن ذلك أوعظ للنفوس و أزجر
 للعقول ، فقال مقسما تنبيها على عاداتهم فى الكفر مع هذا الوعظ فعل
 المكذب بهلاكهم لأجل تكذيبهم عاطفا على ما تقديره : ولقد أنجينا
 رسلنا و أشياعهم من كل شيء خطر : ﴿ ولقد اهلكنا ﴾ أى بما لنا من
 ١٥ العظمة ﴿ اشياعكم ﴾ الذين أتم و هم شرع واحد فى التكذيب ، و القدرة
 عليكم كالقدرة عليهم ، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فلذلك سبب
 عنه قوله : ﴿ فهل من مدكره ﴾ أى بما وقع لهم أنه مثل من مضى بل
 أضعاف ... ، و أن قدرته سبحانه عليه كقدرته / عليهم ليرجع عن غيه
 خوفا من سطوته سبحانه .

/ ١٣٥

٢٠ و لما تمت الدلالة على إحاطة القدرة بما شوهد من الأفعال الهائلة

التي لاتسعها قدرة غيره سبحانه ، وكانوا يظنون أن أحواله غير مضبوطة
لأنه لايمكن ضبطها ولا يسعها علم عالم ولا سيما إذا ادعى أنه واحد ،
شرع في إتمام الإخبار بعظمة القدرة بالإخبار بأن أفعالهم كلها مكتوبة
فضلا عن كونها محفوظة فقال : (وكل شيء فعلوه) أى الاشياء فى
أى وقت كان ، كأن بالكتابة (فى الزبره) أى كتب الحفظه فليحذروا ه
من أفعالهم فانها غير منسية ، هذا ما أطبق عليه القراء مما أدى إلى هذا
المعنى من رفع كل ، لأنه لو نصب لأوهم تعلق الجار بالفعل فيوم أنهم
فعلوا فى الزبر كل شيء من الأشياء وهو فاسد .

ولما خصهم ، عم بقوله واعظا و مخوفا و محذرا بأن كل شيء
محفوظ فمكتوب فمعرض على الإنسان يوم الجمع : (وكل صغير وكبير) ١٠
من الجواهر والمعاني منهم ومن غيرهم (مستطره) أى مكتوب على
وجه عظيم من اجتهاد الحفظه فى كتابته و تحريره مع يسر ذلك
و سهولته .

ولما أخبر عن أحوال الكفرة فى الدنيا والآخرة واعظا بها
وإعلاما بعظمتهم وعلّى صفاته وسعة مملكته وشامل علمه وقدرته ، ختم ١٥
بأحوال القسم الآخر من أهل الساعة وهم أهل طاعته تسميا لذلك وإشارة
وبشارة للسالك فى أحسن المسالك ، فقال مؤكدا ردا على المنكره :
(ان المتقين) أى العريقين فى وصف الخوف من الله تعالى الذى
أدام إلى أن لايفعلوا شيئا إلا بدليل . ولما كان من البساتين والمياه
ما هو ظاهر بكل مراد على عكس ما عليه الضال البعيد عن القصد ٢٠

الواقع في الهلاك والنار [قال]: ﴿ في جنت ﴾ أي في بساتين ذات أشجار
تسر داخلها، قال القشيري: و الجمع إذا قوبل بالجمع فالأحاد تقابل الأحاد .
ولما كانت الجنان لا تقوم و تدرم إلا بالماء قال: ﴿ ونهر ﴾ و أفرده
لأن التعبير بـ « في » مفهم لعمومهم به عموم ما كأنه ظرف و هم مظرورون
له، و لكثرة الأنهار و عظمها حتى أنها لقرب بعضها من بعض و اتصال
منابعها و تهيء جميع الأرض لجرى الأنهار منها كأنها شيء واحد، و ما
وعد به المتقون من النعيم في تلك الدار فرقاثة معجلة لهم في هذه الدار، فلهم
اليوم جنات العلوم و انهار المعارف، و في الآخرة الأنهار الجارية و الرياض
و الأشجار و القصور و الزخارف، و هو يصلح مع ذلك لأن يكون عما
١٠ منه النهار فيكون المعنى: أنهم في ضياء و سعة لا يزيلونه أصلا بضد
ما عليه المحرم من العمى الناشئ عن الظلام، [و] لمثل هذه الأغراض أفرد
مع إرادة الجنس لا للفاصلة فقط .

و لما كانت البساتين لا تسكن / في الدنيا لأنه ليس فيها جميع ما / ١٣٦

يحتاجه الإنسان، بين أن حال تلك غير حال هذه، فقال مبذلا عما
١٥ قبله: ﴿ في مقعد ﴾ أي تلك الجنان محل إقامتهم التي تراد للعود
﴿ صدق ﴾ أي فيما أراده الإنسان صدق وجوده الإرادة و لا يقعد
فيه إلا أهل الصدق، و لا يكون فيه إلا صدقه، لا لغو فيه و لا تأثيم،
و التوحيد لإرادة الجنس مع أن الإبدال يفهم أنه لا موضع في تلك
الجنان إلا و هو الصالح للتسمية بهذا الاسم و لأنهم لاتحاد قلوبهم و رضاهم

(١) في الأصل: ما .

- كانهم في قعد واحد على أنه قرئ بالجمع .
- ولما كان هذا غير معهود، بين أن سببه تمكين الله لهم منه
 لاختصاصه لهم و تقريبه إليهم لإرضائه لهم، فقال مقيدا لذلك بالتعبير بالعندية
 لأن عنديته سبحانه تعالى منزهة عن قرب الأجسام والجهات: (عند ملك)
 أى ملك تام الملك (مقتدر) أى شامل القدرة بالغها إلى حد لا يمكن
 إدراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريبا، فهو يوصلهم إلى كل خير ويدفع
 عنهم كل ضير، و كما أن لهم في الآخرة عندية الإشهاد، فلهم في الدنيا
 عندية الإمداد، ولهذا الاسم الشريف سر في الاتصاف على الظالمين، ولقد
 ختمت السورة كما ترى كما ابتدئت به من أمر الساعة، وكانت البداية
 للبداية والنهاية للنهاية، وزادت النهاية بيان السبب الموجد لها، وهو ١٠
 قدرته سبحانه وعز شأنه وعظمت رحمته وإحسانه، وعفوه ومغفرته
 ورضوانه، وتصنيف الناس فيها إلى كافر مستحق للانتقام، ومؤمن
 مؤهل لغاية الإكرام، لم يذكر الاسم الأعظم الجامع الذي يذكر في سياق
 مقتضى جمع الجلال والإكرام لصنف واحد وهو من يقع منه الإيمان
 و[لا] يتدنس بالعصيان، وهم الذين آمنوا، ولمشاركتها للسورتين اللتين بعدها ١٥
 في هذا الغرض، وهو الكلام في حق الصنفين فقط من غير ذكر عارض
 من آمن، أشرك الثلاثة في الخلو عن ذكر الاسم الأعظم، فلم يذكر
 في واحدة منها وجاء فيها من الصفات ما يقتضى العظمة على أهل
 الكفران، وما ينبىء عن الإكرام والإحسان لأهل الإيمان "وإن خاف
 مقام ربه جتان" ولهذا ختمت هذه بصفة الملك المقتضى للسطوة التامة ٢٠

والإكرام البالغ وعدم المبالاة بأحد كائنا من كان، لأن الملك من حيث هو ملك إنما يقتضى مقامه إهانة العدو وإكرام الولي، وجعل ذلك على وجه المبالغة أيضا، كل ذلك للاعلام بأن تصريفه سبحانه لأحوال الآخرة كما قصد في هذه السورة من تصريفه في أحوال الدنيا من إهلاك الأعداء وإنجاء الأولياء. و كأن هذه السورة كانت هكذا لأنها جاءت عقب النجم التي شرح فيها الإسراء وكان للنبي صلى الله عليه وسلم من العظمة بمحرق العوائد باختراق السماوات، والوصول إلى أنهي الغاية من المناجاة، وغيرها من سر الملكوت ومحل الجبروت، بعد أن لوح بمقامه عليه الصلاة والسلام بالطور ليعلم الفرق ويوصف كل بما هو الحق، فكان ذلك مقتضيا لثلاث يكون بعده من الناس إلا مؤمن خالص، فإن كان غيره فهو معاند شديد الكفر، وكأنها جعلت ثلاثا لإرادة غاية التأكيد لهذا المعنى الشديد، فلما انقضت الثلاث كان متبركا به في معظم آيات الحديد ثم توجت كل آية من آيات المجادلة به إشارة إلى أنه قد حصل غاية التشوف إليه وترهيبا لمن يعصى ولاسيما من يظاهر، وترغيبا في الطاعة للملك الغافر، والله الموفق لما يريد إنه قوى فعال لما يريد.

* * * * *

(١) في الأصل: انتهى (٢) ومن هنا تستأنف نسخة ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمن من ظ .

سورة الرحمن 'عز وجل' وتسمى عروس القرآن

مقصودها الدلالة على ما ختمت به سورة " القمر من عظيم الملك
وتمام الاقتدار بعموم رحمته و سبقها لفضبه، المدلول عليه بكال عليه،
اللازم عنه شمول قدرته، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته و بدائع
مصنوعاته في أسلوب التذكير بعمائه. و الامتتان بجزيل آياته، على وجه ٥
متج للعلم باحاطته بجميع أوصاف الكمال، فقصودها ' بالذات إثبات
الاتصاف بعموم الرحمة زغياً في إنعامه وإحسانه، وترهيا من انتقامه
بقطع مزيد امتنائه. و على ذلك دل اسمها الرحمن لانه العام الامتتان
و اسمها عروس القرآن واضح البيان في ذلك، لأنها الحاوية لما فيه من
حلى و حلل، و جواهر و كلل. و العروس بجميع النعم و الجمال، و البهجة ١٠
من نوعها و الكمال (بسم الله) الذي ظهرت إحاطة كماله بما ظهر من
عجائب مخلوقاته (الرحمن) الذي ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع
مصنوعاته و اشتهر من عظيم آياته و بيناته (الرحيم ٥) الذي ظهر اختصاصه
لأهل طاعته بما تحققوا به من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته .

لما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك و بليغ القدرة، و كان الملك ١٥
القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، و كانت رحمته لا تتم إلا بعمومها، قصر

(١) الخامسة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آياتها
(٧٨) عند الكوفيين و الشامي و (٧٧) عند المدنيين و المكي (٧٦) عند البصريين
كما في نثر المرحان ١٣٦/٧ (٢-٢) سقط ما بين الرمين من ظ (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ. و في الاصل. فالفقود.

هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقرّ الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة الاستهلال، وموازية لما حصل بالملك والاقدار من غاية التبرك والظهور والهيبة و ^٥ والرعب باسم هو مع أنه في غاية الغيب دال على أعظم الرجاء مفتتحا لها بأعظم النعم وهو تعليم الذكر الذي هز ذوى الهمم العالية في القمر إلى الإقبال عليه بقوله ” ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر“ لأنه لما كان للعظمة الدالة^٢ عليها نون / ” يسرنا“ التي هي عماد الملك

/ ١٣٨

نظران: نظر الكبرياء والجبروت يقتضى ان يتكلم بما يعجز خلقه من ١٠ كل جهة في الفهم والحفظ والإتيان بمثله وكل معنى من معانيه، ونظر الإكرام والرحمة، وكانت رحمته سابقة لغضبه نظر بها لخلقها لاسيما هذه الأمة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقا للرحمة بعد أن أبقى من آثار الجبروت الإعجاز عن النظر، ومن الإعجاز عن الفهم الحروف المقطعة أوائل السور، ومنع امتنعت من أن يقول: إنه لا معاني لها بأن فهم [بعض-^١] ١٥ الأصفياء بعض أسرارها، فقال جوابا لمن كأنه قال: من هذا الملك المقدر. فقيل: (الرحمن لا) أي العام الرحمة، قال ابن رجان: وهو ظاهر اسمه الله، وباطن اسمه الرب، جعل هذه الأسماء الثلاثة في ظهورها

(١) من ظ، وفي الأصل: في (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: الدال (٤) من ظ، وفي الأصل: الأيجاز (٥) من ظ، وفي الأصل: يكون (٦) زيد من ظ .

مقام الذات يخبر بها عنه و حجابا بينه و بين خلقه ، يوصل بها الخطاب منه إليهم ، ثم أسماؤه الظاهرة مينة لهذه الأسماء الثلاثة - انتهى .

و من مقتضى اسمه " الرحمن " اثبت جميع النعم ، ولذا ذكر في

هذه السورة أمهات النعم في الدارين .

و لما كان لا شيء من الرحمة أبلغ و لا أدل على القدرة من إيصال ٥

بعض صفات الخالق إلى المخلوق نوع إيصال ليتخلقوا به بحسب ما يمكنهم

منه فيحصلوا على الحياة الأبدية و السعادة السرمدية قال : (علم القرآن ١)

أى المرتى المشهود بالكتابة و المتلو المسوع - ٢ [الجامع لكل خير ،

الفارق بين كل لبس ، و كان القياس [يقتضى - ٢] أن لا يعلم المسوع

أحد لأنه صفة من صفاته ، و صفاته في العظم كذاته ، و ذاته غيب ١٥

محض ، لأن الخلق أحقر من أن يحيطوا به علما ، و أين الثريا من يد

المتناول ، فدل تعليمه القرآن على أنه يقدر أن يعلم ما أراد من أراد

" و علم آدم الأسماء كلها " و لا يخفى ما فى تقديمه على جميع النعم من

المناسبة لأن [أجل النعم - ٢] نعمة الدين التى تنبها نعمة الدنيا

و الآخرة ، و هو أعلى مراتب ، فهو سنام الكتب الساهوية و عمادها ١٥

و مصداقها و العبار عليها ، و فائدتها الإيصال إلى مقعد الصدق المتقدم

لأنه بين ما يرضى الله ليعمل به و ما يسخطه ليجنب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : من المعلوم أن الكتاب العزيز

(١) فى ظ : بسبب (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : قائده .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : معدم .

وإن [كانت - ١] آية كلها معجزة باهرة و سورة في جليل النظم و بديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة، فبعضها أوضح من بعض في تبين إعجازها، و تظاهر بلاقتها و إعجازها، ألا ترى إلى تسارع الأفهام إلى الحصول على بلاغة آيات و سور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله تعالى " [و - ١] قيل يا ارض ابلعي ماءك و يا سماء اقلعي " و قوله " فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين " الآيات، لا يتوقف في باهر إعجازها إلا من طبع الله على قلبه أو سد دونه باب الفهم فأنى له رلوجه وقوعه، و سورة القمر من هذا النمط /، ألا ترى اختصار القصص فيه مع حصول أطرافها و توفية أغراضها، و ما جرى مع كل قصة من الزجر و الوعظ و التنبيه و الإعذار، و لولا أن لم أقصد التعليق بما بينته عليه من ترتيب السور لا وضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه، و لعل الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به و يسر فيه، فلما انطوت هذه السورة على ما ذكرنا و بان فيها عظيم الرحمة في تكرر القصص و شفح العظات، و ظهرت حجة الله على الخلق، و كان ذلك من أعظم أطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن و وقته لفهمه و اعتباره، أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك و تعالى " الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان " و خص من أسمائه الحسنی هذا الاسم لإشعارنا برحمته بالكتاب و عظيم إحسانه به " و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها " ثم قد تمهد أن سورة القمر إعذار و من أين للعباد بجميل

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : عظام (٣) في ظ : الكتاب .

هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات وإيضاح
 الينيات إن تمدر إليهم زيادة في البلاغ، فأبأ تعالى أن هذا رحمة فقال
 "الرحمن علم القرآن" ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها
 وإعذارها خاصا ببنى آدم بل بمشركي العرب منهم فقط، فاتبعت سورة
 القمر بسورة الرحمن تنبيها للثقلين وإعذارا إليهم وتقريراً للجنسين على ٥
 ما أودع سبحانه في العالم من العجائب والبراهين الساطعة فتكرر فيها
 التقرير والتنبيه بقوله تعالى "فبأى آلاء ربكنا تكذبان" خطاباً للجنسين
 وإعذاراً للثقلين فإن اتصالها بسورة القمر أشد البيان - انتهى .

ولما كان كآته قيل: كيف [عله - '] وهو صفة من صفاته

ولمن عله، قال مستأنفاً أو معللاً: ﴿خلق الانسان لا﴾ أى قدره وأوجده ١٠
 على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلاً عن جميع الجمادات
 وأصله منها ثم^٢ عن سائر الناميات^٣ ثم عن غيره من الحيوانات،
 وجعله أصنافاً، وفصل بين كل قوم بلسانهم عن عدام وخلقهم لهم
 دليل على خلقه لكل شيء موجود "أنا كل شيء خلقته بقدر" والإنسان
 وإن كان اسم جنس لكن أحقهم بالإرادة بهذا أولهم وهو آدم عليه ١٥
 السلام، وإرادته - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - لا تمنع إرادة
 الجنس من حيث هو .

(١) من ظ، وفي الأصل: العام (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) من ظ، وفي
 الأصل: فيها، مع يسير من البياض (٤) من ظ، وفي الأصل: المناسبات .
 (٥) من ظ، وفي الأصل: خلقهم .

ولما كان كأنه قيل : فكان ما ذا بخلقه له ، قال : (عليه البيان ه)
 وهو القوة الناطقة ، وهي الإدراك للأشياء الكلية والجزئية والحكم
 على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم^٢ وأخرى بالحساب
 و مرة بالعيافة والزجر وطورا بالنظر في الآفاق وغير ذلك من الأمور
 ٥ مع التمييز بين الحسن والقبيح وغير ذلك مما أودعه سبحانه
 وتعالى له مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب في ضميره وإفهامه للغير
 / تارة بالقول وتارة بالفعل نطقا وكتابة وإشارة وغيرها ، فصار بذلك
 ١٠ / ١٤٠
 ذا قدرة على الكمال في نفسه والتكامل لغيره ، فهذا تعليم البيان الذي
 مكن من تعليم القرآن ، وهذا وإن كان سبحانه جلنا عليه وخلقنا به
 قد صار عندنا مألوفا ومشهورا معروفا ، فهو عند غيرنا على غير ذلك
 ٣ كما أرضحه لنا^٣ سبحانه نعمة علينا بمحاجته لملائكته الكرام عن نينا
 آدم عليه الصلاة والسلام وما أبدى لهم من علمه وبهرمه من رسم
 كل شيء بمعناه واسمه .

ولما بين سبحانه النعمة في تعليم القرآن الذي هو حياة الأرواح ،
 ١٥ و بين الطريق فيها ، دل على البيان بذكر الينات التي يجمعها أمر ويفرقها
 آخر ، ولها مدخل في حياة الأشباح ، وعددها على سبيل الامتنان بيانا
 لأنها من أكبر النعم فقال في جواب من قال : ما بيانه ؟ بادئا بالكوكب
 الأعظم الذي هو أعظم نورا وأكبر جرما وأعم نفعا ليكون خضوعه

(١) من ظ ، وفي الأصل : من خلقه (٢) من ظ ، وفي الأصل : بالنوم .

(٣-٢) من ظ ، وفي الأصل : كما أوضهته (٤) من ظ ، وفي الأصل : عدد .

لقبول الآثار أدل على خضوع غيره بيانا لحكمته في تدييره وقوته في تقديره: (الشمس) وهى آية النهار (والقمر) وهو آية الليل اللذان كان بهما البيان الإبراهيمي، واهله بدأ لهذه الأمة بغاية بيانه عليه الصلاة والسلام تشريفا لها بالإشارة إلى علو أفهامها (بحسبان م) أى جريهما، يجرى كل منهما - مع اشتراكهما في أنهما كوكبان سماويان^٥ - بحساب عظيم جدا لا تكاد توصف جلالاته في دقته وكثرة سمته وعظم ما يتفرع عليه من^٦ المنافع الدينية ولدنيوية، ومن عظم هذا الحساب الذى أفادته صيغة الفعلان أنه على نهج واحد لا يتعداه، تعلم به الأعوام والشهور والأيام والساعات والدقائق والفصول فى منازل معلومة، ويعرف موضع كل منهما فى الآفاق العلوية وما يحدث له وما يتأثر^٧ عنه فى الكوائن السفلية بحيث أن به انتظام غالب الأمور السفلية إلى غير ذلك من الأمور التى خلقها الله عليها ولها، وبين الإنسان وبين كل منهما من المسافات ما لا يعلمه على التحرر إلا العليم الخبير، وهذا على تطاول الأيام والدهور لا يحتل ذرة دلالة على أن صانع قیوم لا يغفل، ثم بعد هذا الحساب المستجد والحساب الأعظم الذى قدر^٨ لتكوير الشمس وانكدار القمر دلالة على أنه فاعل بالاختيار مع ما أفاد ذلك من تعاقب الملوين تارة بالاعتدال وتارة بالزيادة وأخرى بالنقص، وغير ذلك من الأمور فى أطراف المقدور .

(١) من ظ، وفى الأصل: اللذين (٢) من ظ، وفى الأصل: نعايان (٣) من ظ، وفى الأصل: بمن (٤) فى ظ، عظمة (٥) من ظ، وفى الأصل: خلقها .

ولما كان سيرهما على هذا المنهاج مع ما لهما فيه من الدؤب فيه
 بالتغير والتنقل طاعة منهما^١ لمدبرهما ومبدعهما ومسيرهما ، وكان
 خضوعهما - وهما النيران الأعظمان - دالا على خضوع ما دونهما من
 الكواكب بطريق الأولى ، كان ذكرهما مغنيا عن ذكر ما عداهما بخصوصه ،
 ٥ فأتبعهما حضور ما هو للأرض كالكواكب للسما في الزيتة والنفع والضرر
 والصغر والكبر / والكثرة والقلة من النبات مقدا صفاره لعموم / ١٤١
 نفعه وعظيم^٢ وقعه بأن منه أكثر الأقوات لجميع الحيوان والملابس
 من القطن والكتان وغير ذلك من عجيب^٣ الشأن ، معبرا بما يصلح لبقية
 الكواكب فقال : (والنجم) أى وجميع الكواكب السماوية وكل
 ١٠ نبات ارتفع من الأرض ولاساق له من النباتات الأرضية التي هي
 أصل قوام الإنسان وسائر الحيوان (والشجر) وكل ما له ساق
 ويتفكه به أو يقات (يسجدن^٤) أى يخضعان ويتقادان لما يراد منهما
 ويذلان للارتفاع بهما انقياد الساجد من العقلاء لما أمر به بحريهما لما
 سخر^٥ له وطاعتها لما قدر^٦ فيه من غير إياه على تجديد الأوقات من
 ١٥ نمو [فى - ١] النبات ووقوف و اخضرار و بيس وإثمار و عطل ،
 لا يقدر النجم أن يعاود إلى رتبة الشجر ولا الشجر أن يسفل إلى وهدة
 النجم إلى غير ذلك مما صرفنا فيه من سجود الظلال ودوران الجبال^٧

(١) من ظ ، وفى الأصل : منه (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : عموم دفعه .
 (٣) فى ظ : عظم (٤) فى ظ : فيما (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : قدره .
 (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الخيال .

والمثال مما يدل على وحدانية الصانع وفعله بالاختيار، ونفى الطبايع،
ومن تسيير في الكواكب وتديير في المنافع في الحر والبرد اللذين جعل
سبحانه بهما الاعتدال في النبات من الفواكه والأقوات، وغير ذلك
من وجود الانتفاعات .

ولما كان تغير ما تقدم من الشمس والقمر والنجم والشجر يدل ٥
دلالة واضحة على أنه سبحانه هو المؤثر فيه، وكانت السماء والأرض
ثابتين على حالة واحدة، فكان ربما أشكل أمرهما كما ضل فيهما خلق
من أهل الوحدة أهل الجود والاعتزاز والوقوف مع الشاهد وغيرهم،
وكان إذا ثبت أنه تعالى المؤثر فيهما، فلذلك قال مسندا التأثير
فيهما إليه بعد أن أعزى ما قبلها من مثله لما أغنى عنه من الدلالة ١٥
بالتغير والسير والتقل عطفًا على ما تقديره: وهو الذي دبر ذلك:
(والمسما رفعها) أى حسا بعد أن كانت ملتصقة بالأرض ففتتها منها
وأعلاها عنها بما يشهد لذلك من العقل عند كل من له تأمل في أن
كل جسم ثقيل مرفعه عما تحته إلا رافع، ولا رافع لهذه إلا الله فانه
لا يقدر على التأثير غيره، ولعظمها قدمها على الفعل تنبيها على التفكير فيما ١٥
فيها من جلالة الصنائع^٢ وأنواع البدائع، ومعنى بأنه جعلها منشأ أحكامه
ومصدر قضاياه ومنتزله^٣ أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين
يهبطون بالوحي على أنبيائه .

ولما كانت السماء مع علوها الدال على عزة موجدتها ومدبرها

(١) من ظ، وفي الأصل: هو (٢) من ظ، وفي الأصل: مشترك .

دالة على عدله باعتدال جميع أحوالها من الحر والبرد والمطر
 والثلج [والتدى-^١] والطل وغير ذلك في أن كل فصل منها معادل
 لضعده وأنها^٢ لا يزلها سبحانه إلا بقدر معلوم، وإلا لفسدت
 الأرض [كلها-^١]، ودلنا على أنه شرع لنا مثل ذلك العدل لتقوم
 ٥ / ١٤٢ أحوالنا وتصلح أحوالنا وأفعالنا بما قامت به السموات والأرض / فقال:
 ﴿ ووضع الميزان لا ﴾ أى العدل الذى دبر به الخافقين من الموازنة وهى
 المعادلة لتنظيم أمورنا .

ولما ذكر أولا القرآن الذى هو ميزان المعلومات، ودل على رحمانيته
 بأنواع من البيان، الذى رقى به الإنسان فصار أهلا للفهم، وذكره نعمة
 ١٠ الميزان للحسوسات، أقبل بالخطاب عليه لاقفاله عن أسلوب الغيبة تنشيطا له
 إلى ارتقاء مراتب الكمال بحسن الامثال معللا فقال: ﴿ان﴾ أى [لان-^١]
 ﴿لا تظنوا﴾ أى لا تتجاوزوا الحدود ﴿فى الميزان ٥﴾ أى الأشياء الموزونة
 من الموزونات المعروفة والعلم والعمل المقدر أحدهما بالآخر، وفى
 مساواة الظاهر والباطن والقول والفعل، فالميزان الثانى عام لميزان
 ١٥ المعلومات وميزان المحسوسات .

ولما كان التقدير: فاقتدوا بأفعالى ونخلقوا بكل ما أمر به من أقوالى،
 عطف عليه قوله: ﴿واقيموا الوزن﴾ أى جميع الأفعال التى يقاس
 لها الأشياء ﴿بالقسط﴾ .

ولما كان المراد العدل العظيم، بينه بالتأكييد بعد الأمر بالنهى عن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: لضعدها وانه .

الضد فقال: ﴿ ولا تخسروا الميزان ٥ ﴾ أى توقعوا فى شىء من آلة العدل التى يقدر بها الاشياء من الذرع والوزن والعدل والكيل ونحوه - نوعا من أنواع الخسر - بما دل عليه تجريد الفعل فتخسروا ميزان أعمالكم وجزائكم يوم القيامة، وقد علم بتكرير الميزان ما أريد من التأكيد فى الأمر به لما له من الضخامة سواء كان بمعنى واحد أو بمعان مختلفة . ٥

ولما ذكر إنعامه الدال على اقتداره برفع السماء، ذكر على ذلك الوجه مقابلا بعد أن وسط بينهما ما قامتا به من العدل تبيها على شدة العناية والاهتمام به فقال: ﴿ والارض ﴾ أى وضع الارض: ثم فسر ناصبا ليكون كالمذكور مرتين إشارة إلى عظيم تدبيره لشدة ما فيه من الحكم فقال: ﴿ وضعها ﴾ أى دحاها وبسطها على الماء ﴿ للانام ١٥ ﴾ أى كل من فيه قابلية النوم أو قابلية الونيم وهو الصوت بعد أن وضع لهم الميزان الذى لا تقوم الارض إلا به .

ولما كان فى سياق بيان الرحمة بمزيد الإنعام، وكانت إقامة البيئة أعظم نعمة، وكانت الفواكه الذى ما يكون، وكانت برقتها وشدة لطافتها منافية للأرض فى يبسها وكثافتها، فكان كونها فيها عجبا دالا على عظيم قدرته، وكان ذكرها يدل على ما تقدمها من النعم من جميع الأقوات،

(١) من ظ، وفى الأصل: من (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: ذلك على .
(٢) من ظ، وفى الأصل: الشدة (٤) فى ظ: المذكور (٥) من ظ، وفى الأصل: د و (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: بيان سياق .

بدأ بها ليصير^١ ما يتقدمها كالمذكور مرتين، فقال مستأنفا وصفها بما هو أعم: (فيها فاكهة^٢) أى ضروب منها عظيمة جدا يدرك الإنسان بما له من البيان تباينها^٣ في الصور والألوان، والطعوم والمنافع - وغير ذلك من بديع الشأن .

٥ ولما كان المراد بتكبيرها^٤ تعظيمها، نبه عليه بتعريف نوع منها، ونوه به لأن فيه مع التفكه التقوت، وهو أكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الأول فقال: (والنخل) ودل على تمام القدرة بقوله: (ذات) أى صاحبة / (الأكام^٥) أى أوعية ثمرها، وهو الطلع قبل أن يفتق بالثمر، وكل نبت يخرج ما هو مكمم فهو ذو كمام،
١٠ ولكنه مشهور في النخل لشرفه وشهرته عندهم، قال البغوى: وكل ما ستر شيئا فهو كم وكمة، ومنه كم القميص، وفيه تذكير بثمر الجنة الذي يفتق عن نيام، وذكر أصل النخل دون ثمره للتنبيه على كثرة منافعه من الليف والسعف والجريد والجدوع وغيرها من المنافع التي الثمر منها .

١٥ ولما ذكر ما يقتات من الفواكه وهو في غاية الطول، أتبعه الأصل في الاقبات للناس والبهائم وهو بمكان من القصر^٦، فقال ذاكرًا ثمرته لأنها المقصودة بالذات: (والحب) أى من الخنطة وغيرها، ونبه على
(١) من ظ، وفي الأصل: البصير (٢) في ظ: شأنها (٣) من ظ، وفي الأصل: بانكارها (٤) راجع العالم بهامش الباب ٧ / ٣ (٥) من ظ، وفي الأصل: الفضة (٦) زيد في الأصل: عنه، ولم تكن الزيادة في ظ لحدفاها .

تمام القدرة بعد تنبيهه بتمايز هذه المذكورات مع أن أصل الكل الماء بقوله : ﴿ ذو العصف ﴾ أى الورق و البقل الذى إذا زال عنه ثقل الحب كان مما تعصفه الرياح التى تطيره ، و هو الثبن الذى هو من قوت البهائم . و لما كان الريحان يطلق على كل نبت [طيب الرائحة خصوصا ، و على كل نبت - '] عموما ، أتبعه به ليعم و يخص جميع ما ذكر من سائر النباتات و غيره على وجه مذكر بنعمه بغذاء الأرواح بعد ما ذكر غذاء الأشباح فقال : ﴿ والريحان ﴾ و لما كان من كفر به سبحانه بإنكاره أو إنكار شيء من صفاته ، أو كذب بأحد من رسله قد أنكر نعمه أو نعمة منها فلزمه 'بانكاره لتلك' النعمة إنكار جميع النعم ، لأن الرسل داعية إلى الله بالتذكير بنعمه ، و كان ما مضى من هذه السورة إلى هنا اثنتى عشرة آية ١٠ على عدد الكوفى و الشامى ، عدد فيها أصول نعمه سبحانه على وجه دل بفاية البيان على أن له كل كمال ، و كان هذا العدد أول عدد زائد إشارة إلى تزايد النعم لأن كسوره النصف و الثلث و الربع و السدس تزيد على أصله ، و كان قد مضى ذكر الثقلين الجن و الإنس فى قوله " الإناام " قال تعالى إشارة إلى أنهم المقصودون بالوعظ ، منكرًا موجهاً مبكتا لمن ١٥ أنكر شيئاً من نعمه أو قال قولاً أو فعل فعلاً يلزم منه إنكار شيء منها مسيياً عما مضى من تعداد هذه النعم المتزايدة التى لا يسوغ إنكارها و لا إنكار شيء منها فيجب شكرها : ﴿ فبأى آلاء ﴾ أى نعم و عطايا ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بما أسدى من المزايا التى أسداها إليك على

(١) زيد من ظ (٢-٣) من ظ ، و فى الأصل : لانكار تلك .

وجه الكبرياء والعظمة وهي دائمة لاتقطع من غير [حاجة إلى -']
مكافأة أحد ولاغيرها - أيها الثقلان - المدبر لكما الذي لامدبر ولاسيد
لكما غيره، من آياته وصنائه وحكمه وحكته وعزته في خلقه واستسلام
الكل له وخضوعهما إليه، فان كل هذه النعم الكبار آيات دالة عليه
و صنائع محكمة وأحكام وحكم ظهرت بها عزته وبانت بها قدرته
(تكذبون) فخاطبته بهذا الثقلين دليل على أن هذه الأشياء نعم على
الجن كما أنها نعم على الإنس، وأن لهم من ذلك ما لهم، وذكره
لهذه الآية بعد ذكر هذا العدد من الآيات إشارة إلى أن زيادة النعم
إلى حد لا يحصى بحيث ان استيفاء عددها لا تحيط به / عقول المكلفين
١٠ لتلايظنوا أنه لانعمة غير ما ذكر في هذه السورة، والتعبير عنها بلفظ
الآلاء من أجل أنها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من اللعان والصف
المميز لها [من] غيرها ولما لرؤيتها من الخير والدعاء، وهي وإن كانت
من الوا فيمكن أخذها من اللؤواء إلى أن الاصل الهمزة واللام، فاذا
انضم اليها لام أخرى أو ألف ازداد المعنى الذي كان ظهورا لأن الألف
١٥ غيب الهمزة و باطنها، واللام هي عين ما كان فلم يحصل خروج عن
ذلك المعنى، فاذا نظرت إلى الآل كان المعنى أن تلك النعم الكبار
المالوكية تظهر للعباد معرفته سبحانه وأنه يؤل إليه كل شيء أولا من
غير نزاع كما أنه كان بكل شيء، وتكل عن نظرها الابصار النواقذ
كما تكل عن رؤية الأشخاص التي يرفعها الآل لأنها تدل عليه سبحانه...

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الاصل: الانسان .

نعم عظيمة وإن كانت تقا لأنه لا نعمة تدل مثل ما دل عليه سبحانه ،
وكرر هذه الآية في هذه السورة من هنا بعد كل آية إلى آخرها لما
تقدم في القمر من أن المنكر إذا تكرر إنكاره جدا بحيث أحرق الأكباد
في المجاهرة بالعناد حسن سرد ما أنكره عليه ، وكلما ذكر بفرد منه قيل
له : لم تنكره ؟ سواء أقر به حال التقرير أو استمر على العناد ، فالتكرار ه
حيث يفتد التعريف بأن إنكاره تجاوز الحد ، ولتغاير النعم وتعددها
واختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة واحدة تنبها على جلالها ،
فإن كانت نعمة فالأمر فيها واضح ، وإن كانت قنمة [فالنعمه - ١] دفعها
أو تأخير الإيقاع بها ، ولما تقدم [من - ١] أن كل تذكير^٢ بما أفاده
الله تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة في الجهات الست على أنك ١٠
إذا اعتبرت نفس الآية وجدتها مشيرة إلى ذلك ، فإن كل كلمة منها
- إلا الأخيرة في رسم من أثبت ألفها من كتبه المصاحف - خمسة أحرف
إن اعتبرت هجاء الأولين والثالثة خمسة في الرسم ستة في الهجاء والنطق ،
فهي للحواس وللجهات لأن الكل من الرب ، والكلمة الأخيرة ستة
أحرف إن اعتبرت رسمها في المصاحف التي أسقطت ألفها ، فإن في ١٥
إثباتها وحذفها اختلافا بين أئمة المصاحف ، وهي إشارة إلى الجهات
لأنها التي يملك الإنسان التصرف فيها ، أما^٢ الحواس فلا اختيار له فيها ، وإن
اعتبرت هجاءها بحسب النطق كانت سبعة أحرف إشارة إلى أن النعم
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : مذكو تذكروا (٣) من ظ ، وفي
الأصل : او .

أكثر من أن تحصى لما تقدم من أسرار عدد السبعة وإلى أن تكذيب
المكلفين متكاثر جدا، فلذلك كان في غاية المناسبة ان تبسط هذه النعم
على عدد ضرب الحواس الخمس في الجهات الست، وذلك في الحقيقة فائدة،
فانه من المألوف المعروف والجميل الموصوف أن التكرير [عند] التكذيب
٥ يوجب التكرير عند التقرير، ويبلغ به النهاية في حسن التأثير، وزاد
العدد على مسطح الخمس في الست واحدة / إشارة إلى أن نعم الواحدة / ١٤٥
لا انقطاع لها، ولذلك فصلت إلى ثمان ذكرت أولا عقب النعم، فكانت
على عدد السبع الذي هو أول عدد تام لأنه جمع الفرد و الزوج وزوج الفرد
و زوج الزوج، وزاد بواحد إشارة إلى أنه كلما انقضى دور من عدد
١٠ تام جدير لنعم أخرى فهي لا تنتهي لأن موليتها له القدرة الشاملة
و العلم التام ورحمته سبقت غضبه، وفي كونها ثمانية إشارة إلى أنها سبب
إلى الجنة ذات الأبواب الثمانية إن شكرت، وفي تعقيبها بسبع نارية
إشارة إلى أنها سبب للنار ذات الأبواب السبعة إن كفرت، وفي تعقيبها
بها إشارة إلى أن سيئتها للنار أقرب لكونها حفت بالشهوات، وفي ذلك
١٥ إشارة إلى أن من اتقى ما توعد عليه بشكر هذه النعم وقى أبواب النار
السبعة، ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين إشارة إلى أن من عمل
لما وعده كما أمره به الله نال أبواب الجنة الثمانية، وثمانية أخرى عقب جنة
أصحاب اليمين إشارة إلى مثل ذلك والله أعلم، وكان ترتيبها في غاية
الحسن، ذكرت النعم أولا استعطافا وترغيبا في الشكر ثم الأهوال ترهيبا
٢٠ ودرأ للفسدة بالعصيان و الكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح، وبدأ
بأشرفها

بأشرفها فذكر الجنة العليا لأن القلب إثر التخويف يكون أنشط والهمم تكون أعلى والعزم يكون أشد، فحيتئذ هذه الآية الأولى من الإحدى والثلاثين مشيرة إلى أن نعمة البصر من جهة الامام، فكأنه قيل: أنعمة البصر بما يواجهكم أو غيرها [تكذبان].

ولما كان قد تقدم في إشارة الخطاب الامتتان بخلق الإنسان، ثم ذكر أصول النعم عليه على وجه بديع الشأن، إلى أن ذكر 'غذاء روحه': الريحان، أتبع ذلك تفصيلا لما أجمل فقال: (خلق الانسان) أى أصل هذا النوع الذى هو من جملة الانام الذى خلقنا الريحان لهم والغالب عليه الانس بنفسه وبما أله.

ولما كان أغلب عناصره التراب وإن كان من العناصر الأربعة، ١٠ عبر عنه إشارة به^١ إلى مطابقة اسمه - بما فيه مما يقتضى الانس الذى حاصله الثبات^٢ على حالة واحدة - لسماه الذى أغلبه التراب لقله وثباته ما لم يحركه محرك، وعبر عن ذلك بما هو فى غاية البعد عن قابلية البيان فقال: (من صلصال) أى طين يابس له صوت إذا نقر عليه (كالفخار^٣) أى كالخزف المصنوع المشوى بالنار لأنه أخذه^٤ من التراب^٥ ثم خلطه ١٥ بالماء حتى صار طينا ثم تركه حتى صار حماه مستونا مننا، ثم صوره كما يصور الإبريق وغيره من الاواني ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة فصار كالخزف الذى إذا نقر عليه صوت صوتا يعلم [منه -^٦] هل

(١-١) من ظ، وفى الأصل: روجه - كذا (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ، وفى الأصل: بالتراب (٤) زيد من ظ.

فيه عيب أم لا، كما أن الآدمي بكلامه يعرف حاله وغاية أمره ومآله،
فالمذكور هنا 'غاية' / تخليقه' وهو أنسب بالرحمانية، وفي غيرها تارة
مبدأه و تارة إنشاؤه، فالارض أمه و الماء أبوه بمزوجين بالهواء الحامل
للجزء الذي هو من فيج جهنم، فمن التراب 'جسده و نفسه'، و من الماء
روح و عقله، و من النار غوايته و حدة، و من الهواء حركته و قلبه
في محامده و مذامه .

/ ١٤٦

و لما كان الجان الذي شمله أيضا اسم الانام مخلوقا من العناصر
الاربية، و أغلبها في جبلته النار، قال تعالى: ﴿ وخلق الجآن ﴾ أى
هذا النوع المستتر عن العيون بمخلق أبيهم، و هو اسم جمع للجن . و لما
١٠ كان الجن [يطلق - ٢] على الملائكة لاستنارهم، بين أنهم لم يرادوا
به هنا فقال: ﴿ من مارج ﴾ أى شئ صاف خالص مضطرب
شديد الاضطراب جدا و الاختلاط، قال البغوى^٤: و هو الصافي من
لهب النار الذى لا دخان فيه، و قال القشيري، هو اللهب المختلط بشواد
النار - انتهى . و مرجت نارهم - أى اختلقت - يبرد الزمهير . و لما
١٥ كان المارج عاما^٥ في النار و غيرها، بينه بقوله: ﴿ من نار ﴾ هى أغلب
من عناصر، فمعين المراد بذكر النار لأن الملائكة عليهم السلام من نور
لا من نار، و ليس عندهم مروج و لا اضطراب، بل هم في غاية الثبات
على الطاعة فيما أمروا به، و قد عرف بهذا كل مضطرب^٦ قدره

(١ - ١) فى ظ: آخر تخليقة (٢ - ٢) من ظ، و فى الأصل: نفسه و جسده .
(٣) زيد من ظ (٤) راجع العالم بهامش الاباب ٤/٧ (٥) من ظ، و فى
الأصل: ما (٦) من ظ، و فى الأصل: مطرب .

ثلاثا يتعدى طوره .

ولما كان خلق هذين القبيلين على هذين الوجهين اللذين هما في غاية التناقى مستورا أحدهما عن الآخر مع منع كل [من - '] التسلط على الآخر إلا نادرا، إظهارا لعظيم قدرته و باهر حكته من أعظم النعم، قال مسيبا عنه: (فبأى الآء ربكما) أى النعم الملوكة الناشئة عن مبدعكما هـ و مريبكما و سيدكما (تكذبين هـ) أى بنعمة البصر من جهة الوراثة و غيرها من خلقكم على هذا النمط الغريب، و إيداعكم ما أودعكم^٢ من القوى، و جعلكم خلاصة مخلوقاته، و من منع أحد قبيلكم عن الآخر، و تيسيره لكم الأرزاق و المنافع، و حملكم على الخفيفة السمحة، و قدرته على إعادتكم كما قدر على ابتدائكم .

١٠

ولما ذكر سبحانه هذين الجنسيتين اللذين أحدهما ظاهر و الآخر مستتر، إرشادا إلى التأمل فيما^٢ فيها من الدلالة على كمال قدرته، فكانا محتاجين إلى ما هما فيه من المحل، و كان صلاحه مما دبر سبحانه فيه من منازل الشروق الذى هو سبب الأنوار و الظهور، و الغروب الذى هو منشأ الظلمة و الخفاء، أتبعه قوله منبها على النظر فى بديع صنعه الدال ١٥ على توحيده: (رب) أى هو خالق و مدير (المشرقين) و مديرها على كيفية لا يقدر على شئ منها غيره (و رب المغربين) كذلك، و هذه المشارق و المغارب هى ما للشتاء من البروج، السافلة الجنوبية التى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: ابدعكم (٣) من ظ ، و فى الأصل: لا (٤) من ظ ، و فى الأصل: هى .

هي سبب الامطار و الثلوج ، التي هي سبب الحياة و الظهور ، حال كون
 الشمس منحدره في افاق السماء ، و ما للصيف من البروج العاليه / في
 جهة الشمال التي هي سبب التهشم و الافول و الشمس مصعده في جو
 السماء ، و ما بينهما من الربيع الذي هو للنمو ، و الخريف الذي هو
 للذبول ، فهي آية الإيجاد و الإعدام ، فأول المشرق الصيف وقت استواء
 الليل و النهار [عند - ٢] حلول الشمس بأول البروج الشماليه صاعده
 و هو الكبش ، يعتدل الزمان حينئذ بقطعها الجنوبية و استقبالها الشماليه ،
 ثم آخر مشارقه إذا كانت الشمس في آخر الشماليه و اول الجنوبيه عند
 حلولها برأس الميزان يعتدل الزمان ثانيا لاستقبالها البروج الجنوبيه ، ثم
 ١٠ بحلولها بآخر القوس و رأس الجدى يكون الانتهاء في قصر الأيام و طول
 الليالي لتوسطها البروج الجنوبيه ، ثم بحلولها كذلك عند خروجها من برج
 التوأمين إلى السرطان من بروج الشمال ، و هي آخر درجات الشمس ،
 يكون طول الأيام و قصر الليالي ، فيختلف على هذين الفصلين الحر
 و البرد ، و كون الشمس في أول برج الحمل هو بمثابة طلوعها من المشرق
 ١٥ في أول كل نهار ، و كونها في الاعتدال الثاني عند استقبالها البروج الجنوبيه
 إذا حلت برأس الميزان هو بمثابة غروبها ، ثم بكونها في الانتهاءين في
 طول الأيام حين حلولها برج السرطان هو بمنزلة استوائها في الصيف
 في كبد السماء كما أن حلولها برأس الجدى عند الانتهاء في الشتاء
 [في - ٢] قصر الأيام و طول الليالي هو بمثابة استوائها فيما يقابل

(١) مس ظ . و في الأصل : بحال (٢) زيد من ظ .

استواءها في الشتاء في كبد السماء في النهار^١ - ذكر ذلك ابن برجان و قال بعد ذلك : سخر سبحانه لعباده جهنم - أى بواسطة الشمس - و هى أعدى عدو لهم ، فأخرج لها بواسطة الزرع و الزيتون و الرمان و النخيل و الأعتاب و الجمان المعروشات و غير المعروشات و من كل الثمرات .

و لما كان في^٢ هذا من^٣ النعم ما لا يحصى ، قال مسيبا : (فبأى الآء ربك)^٥ الذى^٤ دبر لكم^٢ هذا التدبير العظيم (تكذبين^٥) أى بنعمة البصر من جهة اليمين أو غيرها من تسخير الشمس و القمر دائبين دائرين لإدارة الزمان و تجديد الأيام ، و عدد الشهور و الأعوام ، و اعتدال الهواء و اختلاف الأحوال على الوجه الملائم لمصالح الدنيا و معاشها على منهاج محفوظ و قانون لا يزيغ .

١٠

و لما كانت باحة البحر لجرى^١ المراكب كساحة السماء لسير الكواكب مع [ما -^٢] اقتضى ذكره من تضمن ذكر المشارق و المغرب للشتاء الحاصل فيه من الأمطار ما لو جرى على القياس لأفاض البحار ، فأغرقت البرارى و الفقار ، و علت^٣ على الأمصار و جميع الأقطار ، فقال : (مرج)

أى أرسل الرحمن (البحرين) أى الملح و العذب فجعلها مضطربين ،^{١٥} من طبعها الاضطراب ، حال كونها (يلتقين^{١٥}) أى يتماسان^{١٥} على ظهر الأرض بلا فصل بينهما في رؤية العين و فى باطنها ، فجعل الخلو آية دالة

(١) من ظ ، و فى الأصل : النار (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : در لما (٤) من ظ ، و فى الأصل : تجرى (٥) من ظ ، و فى الأصل : غلب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتمسان .

على مياه الجنة، و الملح آية دالة على بعض شراب أهل النار / لا يروى
شربه ولا يئنه، بل يحرق بطنه و يعيه، أو بحرى فارس و الروم هما
ملتقيان فى البحر المحيط لكونهما خليجين منه .

٥ ' و لما كان التقاء المايين و لاسيما مع الاضطراب الدائم الاختلاط'
فيحيل ما لاحدهما أو لكل منهما من الصفات إلى الصفات الأخرى،
فتشوفت النفس إلى المانع^٢ من مثل ذلك فى البحرين، قال^٣ مستأقفا:
(بينهما برزخ) أى حاجز عظيم من القدرة المجردة على الأول و تسبب
الأرض على الثانى بمنعها مع^٤ الالتقاء من الاختلاط، و قال ابن برجان:
البرزخ ما ليس هو بصريح هذا و لا بصريح هذا، فكذلك السهل
١٠ و الجبل بينهما برزخ يسمى الخيف، كذلك الليل و النهار بينهما برزخ
يسمى غشا، كذلك بين الدنيا و الآخرة برزخ ليس من هذا و لا من
هذا و لا هو خارج عنهما، و كذلك الربيعان هما^٥ برزخان بين الشتاء
و الصيف بمنزلة غبش أول النهار و غبش آخره، جعل بين^٦ كل صنفين
من الموجودات برزخا ليس من هذا و لا من هذا و هو منهما كالجماد
١٥ و النبات و الحيوان^٧ .

و لما كانت نتيجة ذلك كذلك قال : (لا يغيين^٨) أى لا يظنيان
فى هلاك الناس كما ظنوا فأملكنا من على الأرض أيام نوح عليه الصلاة
(١ - ١) سقط ما بين الرميين من ظ (٢) فى ظ : المنافع (٣) من ظ ، و فى
الأصل : قال (٤) فى 'ظ : من (٥) من ظ ، و فى الأصل : هو (٦) من ظ ،
و فى الأصل : سر (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحيوانات .

والسلام ، ولا يبنى واحد منهما على الآخر بالمهارة ، ولا يتجاوزان ما حده لهما خالفهما ومدبرهما لا في الظاهر ولا في الباطن ، فتى حفرت على جنب المالح وجدت الماء العذب ، وإن قربت الحفرة منه بل كلما قربت كان أحلى ، فغلطها الله سبحانه في رأى العين و حجز بينهما في رأى عين القدرة ، هذا وهما جمادان لانطق لهما ولا إدراك ، فكيف يبنى بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء .

ولما كان هذا أمرا باهرا دالا دلالة ظاهرة على تمام قدرته لاسيما على الآخرة ، قال مسيبا عنه : (فبأي الآء ربك) أى الموجد لكما والربى (تكذبن) أى بنعمة الإبصار من جهة اليسار أو غيره ، فهلا اعتبرتم بهذه الاصول من أنواع الموجودات فصدقتم بالآخرة لعلمكم بهذه البرازخ ١٠ أن موتكم هذه برزخ وفصل بين الدنيا والآخرة كالعشاء بين الليل والنهار ، و لو استقرأتم ذلك فى آيات السماوات والأرض وجدتموه شامعا فى جميع الأكوان .

ولما ذكر المنة بالبحر ذكر النعمة بما يثبت فيه كما فعل بالبر ، فقال معبرا بالبنى للفعول لأن كلا من وجوده فيه والتسليط على إخراجه ١٥ منه خارق من غير نظر إلى مخرج معين ، والنعمة نفس الخروج ، ولذلك قرأ [غير - ٢] نافع والبصريين بالبناء^٢ للفاعل من الخروج : (يخرج منهما) أى بمخالطة العذب الملتخ من غير واسطة أو بواسطة السحاب ، فصار ذلك

(١) من ظ ، وفق الأصل : استقرانكم (٢) زيد من مد (٣) راجع

نثر المرجان ١٤٤/٧ .

كالذكر والآنثى ، قال الرازى : فيكون العذب كاللقاح للبحر ، وقال أبو حيان :
قال الجمهور : إنما يخرج من الأجاج في المواضع التي يقع فيها الأنهار والمياه
العذبة فناسب إسناد ذلك إليهما ، وهذا مشهور عند الغواصين ، وقال
ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة مولاة رضى الله عنه : / تكون هذه الأشياء
في البحر بنزول المطر لأن الصدف [وغيرها] تفتح أفواهاها للطر - انتهى .
فكون الأصداف كالأرحام للنطف وماء البحر كالجسد الغازى ، والدليل
على أنه من ماء المطر كما قال الأستاذ حمزة الكرماني : إن من المشهور
أن السنة إذا أجذبت هزلت الحيتان ، وقلت الأصداف والجواهر -
انتهى . ثم لاشك في أنهما وإن كانا بجرين فقد جمعها وصف واحد
١٠ بكونهما [ماء - ٢] ، فيسوغ إسناد الخروج إليهما كما يسند خروج
الإنسان إلى جميع البلد ، وإما خروج من دار منها كما نسب الرسل إلى
الجن والإنس بجمعهما في خطاب واحد فقال " رسل منكم " وكذا
" وجعل القمر فيهن نورا " ومثله كثير (اللؤلؤ) وهو الدر الذي
[هو - ٢] في غاية البياض والإشراق والصفاء (والمرجان) أى
١٥ القمضان المجر التي هي في غاية الحمرة ، فسبحان من غاير بينهما في اللون
والمنافع والكون - نقل هذا [القول - ٢] ابن عطية عن ابن مسعود
رضى الله عنه ، وقال : [و - ٢] هذا هو المشهور الاستعمال - [انتهى - ٢] ،
وقال جمع كثير : [إن - ٢] اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره .
ولما كان ذلك من جليل النعم ، سبب عنه قوله : (فبأي آلاء ربكما)

(١) راجع البحر المحيط ١٩١/٨ (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الاصل : النعم ،
ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها .

أى المالك لكما الذى هو الملك الأعظم (تكذبين هـ) مع هذه الصنائع [العظمى - ١] ، أبنعمة البصر من جهة الفوق أو غير ذلك من خلق المنافع فى البحار و تسليطكم عليها و إخراج الحلى الغريبة و غيرها .

و لما كان قد ذكر سبحانه الحاج منه بماء السماء ، ذكر السائر عليه^١ بالهواء ، و أشار بتقديم الجار إلى أن السائر فى الفلك لا تصريف له ، وإن ه ظهر له تصريف فهو لضعفه كلا تصريف ، فقال : (وله هـ) أى لا لغيره ، فلا تغتروا بالأسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا شيئاً من ذلك إليها كما وقف أهل الاغترار بالشاهد ، الذين هم أجد أهل الأرض أذهانا و أحقرم شأننا فقالوا بالاتحاد و الوحدة (الجوار هـ) أى السفن الكبار و الصغار الفارغة و المشحونة . و لما كانت حياة كل شىء كونه على صفة كماله ، ١٠ و كانت السفن تبنى من خشب يجمع و توصل حتى تصير على هيئة تقبل المنافع الجمة ، و كانت تبنى بذلك الجمع كما تبنى النباتات و الحيوان ، و كانت ترتفع على البحر و يرفع شراعها و تحدث فى البحر بعد أن كانت مسترة بجمال الأمواج قال تعالى : (المنشئت هـ) من نشأ - إذا حيى و ربا ، و السحابة : ارتفعت ، و أصل الناشئ . كل ما حدث بالليل و بدأ ، و معنى ١٥ قراءة حمزة ؛ و ابن بكر بكسر الشين أنها رافعة شراعها بسبب استمساكها عن الرسوب و منشئة للسير ، و معنى قراءة الباقين أنه أنشأها الصانع و أرسلها و رفع شراعها .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عنه (٣) من ظ ، و فى الاصل :

الاموال (٤) راجع ثر المرجان ١٤٠/٧ .

و لما كانت مع كونها عالية على الماء منغمسة فيه مع أنه ليس لها
من نفسها إلا الرسوب والغوص قال : (في البحر) و لما كانت ترى
على البعد كالجبال على وجه الماء قال : (كالأعلام ع) / أى كالجبال الطوال .
و لما كان ما فيها من المنافع بالتكسب من البحر بالصيد وغيره و التوصل
٥ إلى البلاد الشاسعة للفوائد الهائلة ، و كانت أعمالهم في البحر الإخلاص
[الذى - ١] يلزم منها الإخلاص في البر ، لأنها بالنسبة إلى إبداعه لها
و قدرته على التصرف فيها بكل ما يريد على حد سواء ، سبب عن ذلك
قوله : (فبأى الآء ربك) أى النعمة العظمى (تكذبن ع) أبنعمة البصر
من تحتكم أو غيرها من الأسفار ، في محل الأخطار ، و الإنجاء عند الاضطراب
١٠ و الريح في محل الخسار ، و الإرشاد إلى ذلك بعد خلق مواد السفن
و تعليم صنعتها و تسخيرها و الفلك لعدسى لوها (٢) بمثابة جميع الكون ،
نقدامها كالملائكة في إقامة الملكوت و تحسين تماسكها باذن ربهم ،
و المسافرين بها الذين أنشئت لأجلهم و زان المأمورين المكلفين المتهيين
الذين من أجلهم خلقت السماوات و الأرض و ما بينهما فعبّر بهم من
١٥ غربتهم إلى قرارهم ، و من غيبتهم إلى حضورهم و مشاهدتهم ، و مدبرها أمرها
في أعلاها بأمرهم بأمره فيعده و يسمعون له ، ثم قد يصرف الاعتبار
إلى أن تكون آية على قطع المؤمن أيام الدنيا فالدنيا هي البحر ، و السفينة
جسمه ، و باطن العبد هو المحمول فيها ، و العقل صاحب سياستها ، و القوى
خدمتها ، و أمر الله و تدبيره محيط بها ، و الإيمان أمتها ، و التوفيق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الشخص .

ريحها، و الذكر شرعها، و الرسول سائقها بما جاء به من عنده، و العمل
الطيب يصلح شأنها - ذكر ذلك ابن برجان .

و لما أخبر تعالى أنه خلق السماوات و الأرض و ما بث فيها من
المنافع [من الأعيان - ١] و المعاني، و استوفى الأرض بقسميها برا و بحرا،
مضمنا ذلك العناصر الأربعة التي أسس عليها المركبات، و كان أعجب ه
ما للخلق من الصنائع ما في البحر، و كان راكمه في حكم العدم، دل
على أنه المتفرد بجميع ذلك بهلاك الخلق، فقال مستأنفا معبرا بالاسمية
الدالة على الثبات و بدم، للدلالة على التصريح تهويلا بفناء العاقل
[على فناء غير العاقل - ١] بطريق الأولى: (كل من عليها) أى
الأرض بقسميها و السماء أيضا (فان جعل) أى مالك و معدوم بالفعل ١
بعد أن كان هو و غيره من سائر ما [سوى - ١] إليه، و ليس لذلك
كله من ذاته إلا العدم، فهو فان بهذا الاعتبار، و إن كان موجودا
فوجوده بين عدمين أولهما أنه لم يكن، [و] ثانيهما أنه يزول ثم هو فيما
[بين - ١] ذلك يتعاوره ٢ الإيجاد و الإفناء في ٢ حين من أحواله و أعراضه
و قواه، و أسباب الهلاك محيطة به حسا و معنى و هو لا يراها كما أنها ١٥
محيطه بمن هو في السفينه من فوقه و من تحته و من جميع جهاته .

و لما كان الوجه أشرف ما في الوجود، و كان يعبر به عما أريد
به صاحب الوجه مع أنه لا يتصور بقاء الوجه بدون صاحبه، فكان

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: الذى (٣ - ٣) سقط ما بين
الرتين من ظ .

التعبير به عن حقيقة ذلك الشيء أعظم وأدل على الكمال، وكان من المقرر عند أهل الشرع أنه سبحانه ليس كمثل شيء فلا / يتوهم أحد [منهم - ١] من التعبير به نقصا قال: ﴿ويبقى﴾ أى بعد فناء الكل، بقاء مستمرا إلى ما لا نهاية له ﴿وجه ربك﴾ أى الربى لك بالرسالة والترقية بهذا الوحي إلى ما لا يحد من المعارف، وكل عمل أريد به وجهه سبحانه وتعالى خالصا. ولما ذكر مباينته للخلوقات، وصفه بالإحاطة الكاملة بالنزاهة والحمد، وقال واصفا الوجه لأن المراد به الذات الذى [هو] أشرفها معبرا به ولأنها أبلغ من «صاحب»، وبما ينبه على التنزيه عما ربما توهمه من ذكر الوجه بليد جامد مع المحسوسات يقيس الغائب ١٠ - الذى لا يعتريه حاجة ولا يلم بجناحه الأقدس نقص - بالشاهد الذى كله نقص وحاجة ﴿ذو الجلال﴾ أى العظمة التى لاترام وهو صفة ذاته التى تقتضى إجلاله عن كل ما لا يليق به ﴿والاكرام ع﴾ أى الإحسان العام وهو صفة فعله .

ولما كان الموت نفسه فيه نعم لاتتكر. وكان موت ناس نعمة ١٥ على ناس، مع ما ختم به الآية من وصفه بالإتمام قال: ﴿فبأى الآء ربك﴾ أى [الربى لكما على هذا الوجه الذى مآله إلى العدم إلى أجل مسمى - ١] ﴿تكذبون﴾ أى أيها الثقلان^٢ الإنس والجان، أبنعمة السمع من جهة الامام أو غيرها من إيجاد الخلق ثم إعدامهم وتخليف بعضهم فى أثر بعض

(١) زيد من ظ (٢-٢) وقع ما بين الرقيين فى الأصل قبل «تكذبان» والترتيب من ظ .

وإبراث البض ما في يد البض - ونحو ذلك من أمور لا يدركها على
جهتها إلا الله تعالى .

- و لما كان أدل دليل على عدم الحاجة ، وعلى دوام الوجود الغنى ،
قال دليلا على ما قبله : (يستله) أى على سبيل التجدد والاستمرار
(من في السنوت) أى كلهم (و الارض) أى كلهم من ناطق ٥
أو صامت بلسان الحال أو القال [أربها - ٢] ، و لما كان كأنه قيل :
فما إذا يفعل ٢ عند السؤال ، وكان أقل الأوقات المحددة المحسوسة "اليوم" ،
عبر به عن أقل الزمان كما عبر [به - ٢] عن أخف الموزونات بالذرة
فقال مجيبا لذلك : (كل يوم) أى وقت من الأوقات من يوم السبت
و على اليهود لعنة الله و غضبه حيث قالوا فى السبت ما هو مناف لقوله ١٠
سبحانه و تعالى " و اقمنا خلقنا السنوت و الارض و ما بينهما فى ستة
ايام و ما مسنا من لغوب " " و لا يؤده حفظهما و هو العلى العظيم "
(هو فى شان ٤) أى من إحداث أعيان و تجديد معان أو إعدام ذلك ،
قال القشيري : [فى - ٢] فنون أقسام المخلوقات و ما يجرىه عليها من اختلاف
الصفات - انتهى . و هو شؤون يديها لاشئون يبتدئها تتعلق قدرته على وفق ١٥
إرادته على ما تعلق به العلم فى الازل أنه يكون أو يعدم فى أوقاته ، فكل شىء
قانت له خاضع لديه ساجد لعظمته شاهد لقدرته دال عليه " و ان من شىء
الايسبح بحمده " و ذلك التعبير - مع أنه من أجل النعم - أدل دليل على
(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : سوال (٢) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : هو
الفعل (٤) فى ظ : فى (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختلاف و .

صفات الكمال [له و صفات - ١] النقص للتغيرات و أنها عدم في نفسها
 و لأنها نعم قال : (فبأي آلاء ربكما) أي الرب لكما بهذا التدبير العظيم
 لكل ما يصلحكما (تكذبين) أنعمة السمع من [جهة - ١] الخلف
 أو غيرها من تصريفه إياكم فيما خلقكم له هو أعلم به منكم من معاشكم
 و جميع تقلباتكم ، و قد تكررت في هذه الآية المقررة على النعم من أولها
 ٥ إلى هنا ثمانى مرات عقب النعم إشارة - و الله أعلم - إلى أن نعمة الله
 سبحانه و تعالى / لا تحصى لأنها تزيد على السبعة التي هي العدد التام
 / ١٥٢ الواحد هو مبدأ لدور جديد من العدد إشارة إلى أنه كلما انقضى منها
 دور ابتداء دور آخر ، و وجه آخر و هو أن الأخيرة صرح فيها بـ من
 ١٠ في السماوات و الأرض ، و السبع التي قبلها يختص بأهل الأرض إشارة
 إلى أن أمهات النعم سبع كالسماوات و الأرض و الكواكب السيارة
 و نحو ذلك .

ولما انقضى عد النعم العظام على وجه هو في غاية الإمكان من
 البيان ، و كان تغير سائر الممكنات من النبات و الجماد و الملائكة و السماوات
 ١٥ [و الأرض - ١] و ما حوتا مما عدا الثقلين على نظام واحد لا تفاوت
 فيه ، و أما الثقلان فأحوالهما لأجل تنازع العقل و الشهوات لا تكاد
 تنضب ، بل تغير حال الواحد منهم في اللحظة الواحدة إلى ألوان كثيرة
 متضادة لما فيهم من المكر و أحوال المغالبة و البغى و الاستئثار باللهو

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : حد (٣) من ظ ، وفي
 الأصل : حوت .

بالامر والنهي ، وكان أكثرهم يموت بناره من غير أخذ ثأره ، واقتضت
الحكمة ولا بد أنه لابد لهم من يوم يجتمعون فيه يكون بينهما فيه الفصل
على ميزان العدل ، خصهما بالذكر فقال آتيا في النهاية بالوعيد لأنه ليس
للعصاة بعد الإنعام والبيان إلا التهديد الشديد للرجوع إلى طاعة الملك
الديان ، والاتفات في قراءة الجماعة بالنون إلى التكلم أشد تهديدا من ه
قراءة حمزة والكسائي بالتحية على نسق ما مضى : (سنفرغ) أى
بوعده^٢ قريب لاخلف فيه من^٣ جميع الشؤون التي ذكرت (لكم) أى
نعمل عمل من يفرغ للشئ فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا
من الملائكة وغيرهم مما أمرناهم به مما سبق به كلتنا ومضت به
حكمتنا من الآجال والأرزاق وغير ذلك فينتهى كله ولا يكون لهم ١٠
حينئذ عمل إلا جمعكم ليقضى بينكم : (آية الثقلين ٤) بالنصفة^٤ ، والثقل
هو ما يكون به قوام صاحبه ، فكأنهما سميا بذلك تمثيلا لهما بذلك إشارة
إلى أنها المقصودان^٥ بالذات من الخلائق ، [و - ٦] قال الرازى فى
الوابع : وصفا بذلك يعظم ذلك شأنهما ، كأن ما عداهما لا وزن له^٦
بالإضافة إليهما - انتهى . وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم " انى تارك ١٥
فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى " وقال جعفر الصادق : سميا بذلك لأنهما
مثقلان بالذنوب .

(١) راجع نثر المرجان ١٤٧/٧ (٢) من ظ ، وفى الأصل : بوعيد (٣) فى ظ :

عن (٤) من ظ ، وفى الأصل : بالنصفة (٥) من ظ ، وفى الأصل : المقصود .

(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : لها .

ولما كان هذا من اجلّ النعم التي يدور عليها العباد، ويصلح بها البلاد، و تقوم بها الساعات والارض، لان مطلق التهديد يحصل به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر ولا ينفع، فكيف بالتهديد يوم الفصل قال: ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بهذا الصنع ٥ [المحكم - ١] ﴿ تكذبين ٥ ﴾ أبنعمة السمع عن اليمين أو بغيرها من إثابة امل طاعته و عقوبة امل معصيته، و سمي ابن برجان هذا الإخبار الذى لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته و ما هو خالقه، قال: و ذلك إخبار منه عن محض الواحدانية، و ما قبله من "سفرغ" و نحوه و ما فيه نون الجمع إخبار عن وصف ملكوته و جنوده و هو ١٠ خطاب البسط .

ولما كان التهديد بالفراغ ربما أوهم أنهم الآن معجوز عنهم او عن بعض أمرهم، بين بخطاب القبض المظهر لمحض الواحدانية أنهم فى القبضة، لا فعل لأحد منهم بدليل أنهم / لا يصلون إلى جميع مرادهم بما هو فى مقدورهم، و لكنه ستر ذلك بالاسباب التى يوجب انتقيد بها إسناد الامور ١٥ إلى مباشرتها فقال بيانا للراد بالتقلين: ﴿ ينمشر ﴾ أى يا جماعة فيهم الاهلية و العشرة و التصادق ﴿ الجن ﴾ قدمهم لمزيد قوتهم و نفوذهم فى المسام و قدرتهم على الخفاء و التشكل فى الصور بما ظن أنهم لا يعجزهم شئ. ﴿ و الانس ﴾ أى الخواص و المستأنسين و الموائسين المبنى أمرهم على الإقامة و الاجتماع .

٢٠ ولما بان بهذه التسمية المراد بالثنية، جمع دلالة على كثرتهم فقال:

(ان استطعتم) [أى - ١] إن وجدت لكم طاعة الكون في (ان تفذوا)
 أى تسلكوا بأجسامكم وتمضوا من غير مانع يمنعكم (من اقطار) أى
 نواحي (السموت و الارض) التى يتخللها القطر لسهولة انفتاحها لشيء.
 تريدونه من هرب من الله من إيقاع الجزاء بينكم، أو عصيان عليه في قبول
 أحكامه^٢ و جرى مراداته و أفضيته عليكم من الموت وغيره أو غير ذلك ه
 (فانفذوا) وهذا يدل على أن كل واحدة منها محيطة بالأخرى لأن
 التفوذ لا يكون حقيقة إلا مع الخرق .

ولما كان تفوذهم^٣ في حد^٤ ذاته ممكنا ولكنه منعهم من ذلك بانه
 لم يخلق في أحد منهم قوته ولا سيما وقد منعهم منه يوم القيامة بأمر
 منها إحداق أهل السماوات السبع [بهم - ١] صفا بعد صف و سرادق ١٠
 النار قد أحاط بالكافرين ولا منفذ لأحد إلا على الصراط ولا يجوزه إلا كل
 ضامر يخف، أشار إليه بقوله مستأنفا: (لا تفذون) أى [من - ١]
 شيء من ذلك (الا بسلطن ج) إلا بتسليط عظيم منه سبحانه بأمر قاهر
 و قدرة بالغة و أنى لكم بالقدرة على ذلك، قال البغوى: و في الخبر:
 يحاط^٥ على الخلق^٦ بالملائكة و بلسان من نار^٧ تم ينادون: يا معشر الجن ١٥
 - الآية . انتهى، وهذا حكاية ما يكون من ذلك يوم القيامة لأنه
 خاص بهم .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: احكامها (٣-٣) من ظ، و في
 الأصل: الابد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦/٧ (٥-٥) من ظ
 و المعالم، و في الأصل: بالخلق (٦) زيد في الأصل: جهنم، و لم تكن الزيادة في
 ظ و المعالم مخذوناها .

ولما كان هذا نظرم فيما بينهم وبين بقية الحيوانات بما أعطاهم من القوى^١ الحسية و المعنوية و ما نصب لهم من المصاعد العقلية و المعارج العقلية التي ينفذون بها إلى غاية الكائنات و يتخللون بما يؤديهم^٢ إليه عليها إلى أعلى المخلوقات، ثم نظرم فيما بين الحيوانات و بين النباتات ثم بينها و بين الجمادات دالا دلالة واضحة على أنه سبحانه و تعالى يعطى من يشاء ما يشاء، فلو أراد قوامهم على النفوذ منها، و لو قوامهم على ذلك لكان من أجل النعم، و أنه سبحانه قادر على ما يريد منهم، فلو شاء أهلكتهم و لكنه يؤخرهم إلى آجالهم حليماً منه و عفواً منه عنهم، سبب عن ذلك قوله: (فبأي آلاء ربكما) أي المحسن إليكما الربن لكما بما تعرفون به قدرته على كل ما يريد (تكذبن) أنعمة السمع من جهة اليسار أو غيرها من جعلكم سواء في أنكم لا تقدرون على مخالفة مراده سواء كنتم جمعا أو فرادى، أو من ضمكم إلى يوم الجمع و قد جمعكم قبل حين ابتداء بخلقكم أو اليوم المشهود و قد أشهدكم قبل على أنفسكم و عهد إليكم أو بتكشيط السماوات و قد شاهدتم / تكشيط السحاب بعد بسطه، ١٥٤

١٥ أو بالجزاء و قد رأيتم الجزاء العاجل و شاهدتم ما أصاب الأمم الماضية . و لما سلب عنهم القدرة على النفوذ المذكور تنبيها على سلب جميع القدرة عنهم و على أن ما يقدرون عليه إنما هو بتقديره لهم نعمة منه عليهم، و لما كان منهم من بلغ الغاية في قسوة القلب و جهود الفكر

(١) من ظ ، و في الأصل : القوة (٢) من ظ ، و في الأصل : يؤديهم .
(٣) من ظ ، و في الأصل : حكما .

فهو يحيل العجز عن بعض الأمور إلى أنه لم يحجر بذلك عادة، لا إلى أنه سبحانه المانع من ذلك، فعمهم (١) شيء من ذلك سطوته فقال:

(يرسل عليكما) أى أيها المعاندون، قال ابن عباس رضى الله عنهما:

حين [تخرجون من القبور -^٢] بسوقكم إلى المحشر (شواظ) أى لهب عظيم منتشر مع التضايق محيط بكم من كل جانب له صوت شديد كهيبته ه ذى الخلق الضيق الشديد النفس .

ولما كان الشواظ يطلق على اللهب الذى لا دخان فيه وعلى دخان النار وحرها وعلى غير ذلك، يفنه بقوله: (من نارٌ ونحاس) أى دخان هو فى غاية الفظاعة فيه شرر متطاير و قطر مذاب، قال ابن جرير^٣:

والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرهما، وأجمع القراء على ١٠ ضمها - انتهى . وجرها أبو عمرو وابن كثير عطفًا على "نار" ورفعها الباقون عطفًا على "شواظ" .

ولما كان ذلك ممكنًا عقلا وعادة، وكانوا عارفين بأنهم لو وقعوا فى مثل ذلك لم يتخلصوا منه بوجه، سبب عنه قوله: (فلا تنصرون^٤)

قال ابن رجان: هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج عنق ١٥ من نار فيقول بكل جبار عنيد فيلتقطهم من بين الجمع لقط الحمام حب السمسم، ويغشى المجرمين دخان جهنم من بين المؤمنين ولا يضرهم، وآية الشواظ

(١) من ظ، وفى الأصل: فعمم (٢) زيد من ظ (٣) راجع جامع البيان ٢٧/ (٤) تفسير هذه الآية (٤) راجع نثر الرجان ٢٧/١٥٠ (٥) من ظ، وفى الأصل: ملك.

و عنق النار هنالك صواعق ما هنا وبروقه و النار المهودة .
 و لما كان التهديد بهذا اطفاء بهم فهو نعمة عليهم و العفو عن المعالجة
 بارساله لذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى المرقى لكما بدفع
 البلايا و جلب المنافع ﴿ تكذبين ﴾ أبئعنة السمع من فوق أو غيرها ،
 ٥ ألم يكن لكم فيما شهدتموه فى الدنيا من دلائل ذلك و آياته ما يوجب
 لكم الإيمان . و لما كان هذا بما لم تجر عادة بعمومه و إن استطردت بحرياته
 منه فى أشياء منه فى أماكن متفرقة كأشخاص كثيرة ، بين لهم وقته بقوله :
 ﴿ فاذا ﴾ أى فيقتسب عن هذا الإرسال أنه إذا ﴿ انشقت السماء ﴾
 من هولها و عظمتها فكانت أبوابا لنزول الملائكة و غيرهم ، و غير ذلك
 ١٠ من آيات الله ﴿ فكانت ﴾ لما يصيبها من الحر ﴿ و ردة ﴾ أى حرها
 مشرقة من شدة لهبها ، و قال البغوى : كلون الفرس الورد و هو
 الأبيض الذى يضرب إلى حمرة و صفرة . ﴿ كالدهان ﴾ أى ذاتها صافية
 كالشيء الذى يدهن به أو كاللاديم الأحمر و المكان الزلق ، و آية ذلك فى
 الدنيا الشفقان عند الطلوع و عند الغروب ، و جواب « إذا » محذوف
 ١٥ تقديره : علمتم ذلك علما شهوديا ، أو فما اعظم الهول حينئذ و نحو ذا أن
 يكون الجواب شيئا دلت عليه ' الآيات الآتية ' نحو : فلا يسأل أحد
 إذ ذاك عن ذنبه ، و حذفه أنعم / أيذهب الوهم فيه كل مذهب .

/ ١٥٥

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٧/٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من نظم .
 (٣) من نظم ، وفى الأصل : هى (٤) من نظم . وفى الأصل : التأخير (٥) و العبارة
 من هنا إلى ما سنبه عليه جرى نسخها من نظم الطمس نسخة الأصل .

و لما كان حفظ السماء عن مثل ذلك بتأخير إرسال هذا وغيره من
الاسباب وجعلها محل الروح والحياة والرزق من اعظم القواضل
قال مسيبا عنه : (فباي الآء ربكنا) أى الربى لكما هذا التدبير المتقن
(تكذبين) أبغمة السمع من تحت أو غيرها وليس شيء بما أخبرتكم
به من أحوال الآخرة إلا قد أقت لكم فى الدنيا ما تهتدون به إلى العلم
بكونه . و لما كان يوم القيامة ذا ألوان كثيرة و مواقف مهولة طويلة
شهيرة تكون فى كل منها شوؤن عظيمة و أمور كبيرة ، ذكر بعض ما
سببه هذا الوقت من التعريف بالعاصى و الطائع بآيات جعلها الله سببا فى
علها فقال : (فيومئذ) أى فسبب عن يوم انشقت السماء لأنه (لايسئل)
سؤال تعرف و استعلام بل سؤال تقرير و توبيخ و كلام ، و ذلك أنه ١٠
لايقال له : هل فعلت كذا؟ بل يقال له : لم فعلت كذا ، على أنه ذلك اليوم
طويل ، و هو ذو ألوان تارة يسئل فيه و تارة لايسئل ، و الامر فى غاية
الشدّة ، و كل لون من تلك الألوان يسمى يوما ، فقد مضى فى الفاتحة أن
اليوم عبارة عن وقت يمتد إلى اقضاء أمر مقدر فيه ظاهر من ليل أو نهار
أو غيرهما لقوله تعالى ” إلى ربك يومئذ المساق “ أى يوم إذا بلغت ١٥
الروح التراقي و هو لا يختص بليل و لا نهار ، و بناه للفعول تعظيما للأمر
بالإشارة إلى أن شأن المعترف بالذنب لا يكون خاصا بعهد دون عهد بل
يعرفه كل من أراد عليه ، و أضمر قبل الذكر لما هو مقدم فى الرتبة ليفهم
الاختصاص فوحد الضمير لأجل اللفظ فقال : (عن ذنبه) أى خاصة
و قد سئل المحسن عن حسنته سؤال تشریف له و تنديم لمن دونه .

ولما كان الإس اعظم مقصود بهذا . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منهم ، وكان التعريف بالشاهد المألوف أعظم في التعريف ، وكان علم أحوال الشيء الظاهر أسهل ، قدمهم فقال : (انس) ولما كان لا يلزم من علم أحوال الظاهر علم أحوال الخفي ، بين أن الكل عليه سبحانه هين فقال : (ولا جان ع) ولما كان هذا التمييز من أجل النعم لئلا يؤدي الالتباس إلى رويع بعض المطيعين عاملا (٥) أو نكايه بالسؤال عنه قال : (فبأي الآء ربكما) أي الذي روى كلامكم بما لا مطمع في إنكاره ولا إخفاء فيه (تكذبن ه) أبنعمة الشم من الامام أم من غيرها . ولما كان الكلام عاما عرف أنه خاص بتعرف المجرم من غيره دون التعزير بالذنب أو غيره من الأحوال فقال معللا لعدم السؤال : (يعرف) أي لكل أحد (المجرمون) أي العريقون في هذا الوصف (بسينهم) أي العلامات التي صور الله ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة ، وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف أن الليل إذا جاء لا يخفى على أحد أصلا وكذلك النهار ونحوهما لغير الاعمى ، وتلك السيام - والله أعلم -

١٥ زرقه العيون وسواد الوجوه والعمى والصمم والمشى على الوجوه ونحو ذلك ، وكما يعرف المحسنون سيام من يياض الوجوه أو إشراقها وتبسمها ، والغرة والتحجيل ونحو ذلك ، وسبب عن هذه المعرفة قوله مشيرا بالبناء للفعول إلى سهولة الأخذ من أي آخذ كان (فيؤخذ بالنواصي) أي منهم وهي مقدمات الرؤس (والاقدام ع) بعد أن يجمع بينها

(١) من هنا استأنف الأصل (٢) من ظ ، وفي الأصل : بن

كما انهم كانوا [م - '] يجمعون ما أمر الله به ان يفرق . و يفرقون
ما أمر الله به أن يجمع ، فيسحبون بها سبحانه من كل صاحب اقامه الله
لذلك لا يقدرّون على الامتناع بوجه فيلقون في النار .

ولما كان ذلك نعمة لا يقام بشكرها لئلا من يسمعها لان كل أحد
ينتفى من الإجمام^٢ و يود للجرمين^٤ عظيم الانتقام ، سبب عنه قوله : ه
(فباي الآه ربكما) اي النعم الكبار من الذي دبر مصالحكم بعد ان
أوجدكم (تكذبن^ه) أنعمة الشم من الوراها أم بغيرها بما يجب ان
يفعل من الجزاء في الآخرة لكل شخص بما كان يعمل في الدنيا أو غير
ذلك من الفضل .

ولما كان أخذهم على هذا الوجه مؤذنا بانه [يصير] إلى خزي عظيم ، ١٠
صرح به في قوله ، بانبا على ما هدى إليه السياق^١ من نحو^١ : أخذنا مقولا فيه
عند وصولهم إلى محل النكال على الحال التي ذكرت من الأخذ بنواصيهم
وأقدامهم : (هذه) [أي - '] الحفرة العظيمة الكريهة المنظر
" القرية منكم " [الملازمة للقرب لكم - '] (جهنم التي يكذب)

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : من (٣) زيد في الأصل : ويفرق ،
ولم تكن الزيادة في ظ لحدناها (٤) من ظ ، وفي الأصل : سحب (٥) من
ظ ، وفي الأصل : يلتقون (٦) من ظ ، وفي الأصل : يفتنى (٧) من ظ ،
وفي الأصل : الاحترام (٨) من ظ ، وفي الأصل : المجرمون (٩) من ظ ،
وفي الأصل : يفعل (١٠-١٠) من ظ ، وفي الأصل : بنحو (١١-١١) من ظ ،
وفي الأصل : القريب لكم .

أى ماضيا و حالا و مآلا استهانة و لو ردوا إلى الدنيا - بعد إدخالهم إياها - لعادوا لما نهوا عنه ، (بها المجرمون هـ) أى العريقون فى الإجرام ، وهو قطع ما من حقه أن يوصل [وهو - '] ما أمر الله به ، وخص هذا الاسم إشارة إلى أنها تلقام بالتجهم و العبوسة و الكلاحة و الفضاطة ه كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الإجرام [المذكور - '] ؛ قال ابن برجان : وقرأ عبد الله " هذه جهنم التى كتتم بها تكذبين فصليانها " لا تموتان فيها ولا تحيان " ثم استأنف ما يفعل بهم فيها فقال : (يطوفون بينها) أى بين دركة النار التى تتجهمهم (وبين حميم) أى ماء حار هو من شدة حرارته ذو دخان .

١٠ . لما كان هذا الاسم يطلق على البارد ، بين أمره فقال : (ان)

أى بالغ حره إلى غاية ليس و راءها غاية ، قال الرازى فى اللوامع : و قيل : حاضر ، و به سمي الحال بالآن لأنه الحاضر الموجود ، فان الماضى لا تدارك له و المستقبل أمل و ليس لنا إلا الآن ، ثم الآن ، ليس بثابت طرفه عين ، لان الآن هو الجزء المشترك بين زمانين ، فهم دائما

١٥ يترددون بين عذابى النار المذية للظاهر و الماء المقطع بحره للباطن الذى لا يزال حاضرا لهم ترداد الطائف الذى لا أول لتردده و لا آخر .

و لما كان عذاب المجرم - القاطع لما من شأنه أن يكون متصلا - من أكبر النعم و أسرها لكل أحد حتى لمن سواه من المجرمين ، سبب

(١) زيد من إظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بان تصليانها ، و فى نثر المرجان ١٠٣/٧ : تصليان (٣) من ظ ، و فى الأصل : يدرك (٤) من ظ ، و فى الأصل : الخيرة

قوله: ﴿ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَ ﴾ اى المحسن إليكما أيها الثقلان باهلاك المجرم
 فى الدارين وإنجاه المسلم بما أهلك به المجرم لطفًا بالمهتدين ليرتدعوا
 / ١٥٧ / ويزجرُوا عما يكون سبب إهلاكهم 'هم ومن والاهم' (تكذيب ٤)
 أبنعمة الشم من العيين أم من غيرها بما أراكم من آياته، وظاهر عليكم
 من بيناته، فى السماوات والأرض، 'وما' أراكم من مطالع الدنيا من هـ
 الشمس التى هى آية النهار والقمر الذى هو آية الزمهير، وغير ذلك
 من آياته المحكمة المرئية والمسوعة، وقد كررت هذه الآية عقب ذكر
 النار وأهوالها سبع مرات تنبيهًا على استدفاع أبوابها السبعة^٢ كما مضى -
 والله المستعان .

'ولما كان' قد عرف ما للمجرم المجترئ على العظام، وقدمه لما ١٠
 اقتضاه مقام التكبر من الترهيب وجعله سبعا إشارة إلى أبواب النار
 السبعة. عطف عليه ما للخائف الذى أداه خوفه إلى الطاعة وجعله
 [ثمانية - ٤] على [عدد - ٤] أبواب الجنة الثمانية فقال: ﴿ولمن﴾
 [أى - ٤] والكل [من - ٤]، ووحده الضمير مراعاة للفظ «من»
 إشارة إلى قلة الخائفين ﴿خاف﴾ أى من الثقلين . ١٥

ولما كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب [والتدبير
 والمكان المعد لها أبلغ من ذكر الخوف من الملك المحاسب - ٤] المدبر،
 والخوف مع ذكر وصف الإكرام أبلغ من ذكر الخوف عند ذكر

(١-١) سقط ما بين الرهين من ظ (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: بما (٣) من
 ظ، وفى الأصل: السبع (٤) زيد من ظ .

ارصاف الجلال، قال دلا بذلك على ان المذكور رأس الخائفين :
 (مقام ربه) أى مكان قيامه الذى يقبضه و غيره فيه المحسن إليه للحكم
 'و زمانه الذى ضرب به' له و قيامه عليه و على [غيره -] بالتدبير، فهو
 رقيب عليه و عليهم، فكيف إذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك
 د لهذا ما يغضبه و فعل ما يرضيه (جشن ج) عن يمين و شمال، واحدة
 العلم و العقل و أخرى للعمل، و يمكن أن يراد بالثنية المبالغة إفهاما لأنها
 جنان متكررة و متكررة مثل "القيما فى جهنم كل كِبَارٍ عَسِيدٌ"
 و نحو ذلك .

ولما كانت هذه نعمة جامعة، سبب عنها قوله: (فبأى الآء ربكنا)
 ١٠ أى نعم الربى لكما^٢ و المحسن إليك^٢ باحسانه الكبار التى لا يقدر غيره
 على شيء منها (تكذبين لا) أنعمه الشم من اليسار المنبعتة من القلب
 أو غيرها من تربه جنان الدنيا بنفس جهنم من حر الشمس و حرورها،
 فجعل من ذلك جميع الفواكه و الزروع إلى غير ذلك من المراقب التى
 طبخها بها "و كآين من آية فى السموات و الارض يمرون عليها] و هم
 ١٥ عنها معرضون" - [٢] و غير ذلك من نعمه التى لا تحصى .

ولما كانت البساتين لا يكمل مدحها إلا بكثرة الأنواع و [الألوان -]
 و الفروع المشتبكة^٣ و الأغصان، قال واصفا لهما: (ذواتا) أى صاحبنا^٤

(١) من ظ، و فى الاصل: الخافقين (٢-٢) عبارة ما بين الرقيين تكررت فى
 الأصل، و لم يكن التكرار فى ظ نحدفناها (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٥) من ظ، و فى الاصل: النبعث (٦) فى ظ: المسكة (٧) من
 ظ، و فى الاصل: صاحبنا .

رد عين الكلمة فان اصلها ذوو، (افان ع) أى جمع فن يتنوع فيه الثمار،
وفن وهو الغصن المستقيم طولا الذى تكون به الزيتة بالورق والتمر وكال
الانتفاع، قال عطاء: فى كل غصن فنون من الفاكهة؛ ولهذا سبب عنه
قوله: (فبأى الآء ربكأ) [أى] الربى لكأ والمحسن إليك (تكذبين ه)
أبنعمة الشم من جهة الفوق أو غيرها مما ذكره لكم من وصف الجنة الذى ه
جعل لكم من أمثاله ما تعجبون به .

ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال: (فيهما عين) أى

١٥٨ /

فى كل واحدة عين (تجرئين ه) أى فى كل مكان شاء صاحبها / وإن
علا مكانه كما تصعد المياه فى الأشجار فى كل غصن منها، وإن زاد
علوها جرى على عنبى دموعه الجاريتين من خشية الله . وذلك على ١٥
مثال جنان الدنيا، والشمس صاعدة فى البروج الشمالية من تكامل
المياه وتفجرها عيوننا فى أيام الربيع والصيف لقرب العهد بالأمطار
(فبأى الآء ربكأ) أى المالك لكأ والمحسن إليك (تكذبين ه) أبنعمة
الشم من جهة التحت [أو غيرها - ٢] مما ذكره وجعل له فى الدنيا
أمثالا كثيرا .

١٥

ولما كان بالمياه حياة النبات وزكاؤه، قال ذاكرا أفضل النبات:

(فيهما) أى هاتين الجنتين العاليتين، ودل على جميع كل ما يعلم
وزيادة بقوله: (من كل فاكهة) أى تعلقونها أو لا تعلقونها (زبونج ع)

(١) - قط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: البرزخ (٣) فى ظ : حين .

(٤) زيد من ظ .

أى صنفان' يكمل أحدهما بالآخر كما لا يدرك كنه أحد الزوجين بسبب العمل بما يرضى و الآخر بالانتهاء عما يسخط (فبأى الآء ربكاً) أى النعم الكبار التى رباها الموجد لكما المحسن إليكما (تكذبين ٥) أنعمة اللس من الامام أو غيرها من أنه أوجد لكما جنان الدنيا بواسطة حر النار التى هى أعدى عدوكا' إشارة إلى أنه قادر على أنه يوجد رضوانه و محبته من موضع غضبه و انتقامه إكراما، فقد جعل ما فى الدنيا مثالا^٢ لا ذكر فى الآخرة، فبأى^٣ شىء من ذلك تكذبان، لا يكمل الإيمان حتى يصدق المؤمن أنه تعالى قادر على أن يجعل من جهنم جنة بأن يجعل من^٤ موضع سخطة رحمة و يشاء ذلك و يعتبر ذلك بما أرانا ١٥ من نموذج .

و لما كان التفكه لا يكمل حسنه إلا مع التتعم من طيب الفرش وغيره، قال مخبرا عن الذين يخافون مقام ربهم من قبلى الإنس و الجن مراعىا معنى "من" بعد مراعاة لفظها تحقيقا للواقع : (متكئين) أى لهم ما ذكر فى حال الاتكاء و هو التمكن بهيئة المتربع أو غيره من ١٥ الكون على جنب، قال فى القاموس : توكأ عليه : تحمل ، و اعتمد كأوكأ ، و التكاء كهزمة : العصا، و ما يتوكأ عليه ، و ضربه فأتكأه : ألقاه على هيئة التكىء أو على جانبه الأيسر، و قال ابن القطاع : و ضربه حتى أتكأته

(١) من ظ ، و فى الأصل : صنفين (٢) فى الأصل و ظ : عدوكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : مثالا (٤) زيد فى الأصل : الآء ربكاً ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخلافها (٥) سقط من ظ (٦) راجع كتاب الأفعال ١٢١/١ .

أى سقط على جانبه، وهو يدل على تمام التمتع بصحة الجسم و فراغ البال (على فرش) وعظمتها بقوله مخاطبا للكافرين بما تحتمل عقولهم 'وإلا فليس' فى الجنة ما يشبهه على الحقيقة شئ من الدنيا (بطائنها) أى فما ظنك بظواهرها' ووجوهها (من استبرق^٢) وهو تخمين الديقاج يوجد فيه من حسنه بريق كأنه [من - ٢] شدة لمعانه يطلب إيجاد ه حتى لانه نور مجرد .

ولما كان المتكى^٢ قد يشق عليه القيام لتناول ما يريد قال : (وجنا الجنة) أى مجنيهما اسم بمعنى المفعول^٤ - كأنه عبر به ليفهم سهولة نفس المصدر الذى هو الاجتناء (دان^٣) أى قريب من كل من^١ يريد من متكى وغيره لايخرج إلى صعود شجرة، و موجود من كل ١٠ حين يراد غير مقطوع ولا ممنوع .

ولما كان ربما وجد مثل من ذلك شاهد [له - ٢] من أغصان تعطف بجملتها فقرب وأخرى تكون قريبة من ساق الشجرة فيسهل تناولها قال : (فباى الآه ربك) أى النعم الكبار الملوكية التى أوجدها لكما / هذا المرئى لكما الذى يقدر على كل ما يريد (تكذبن^٥) أبعمه ١٥ / ١٥٩ اللس من جهة الورا أم غيرها من قدرته [على - ٢] عطف الأغصان و تقرب الثمار .

(١ - ١) من ظ ، وفى الأصل : ليس (٢) فى الأصل : بظاهاها ، وفى ظ : ظواهرها (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : مفعول (٥) فى ظ : فى .

ولما كان ما ذكر لا يتم نعمته إلا بالنسوان الحسنان، قال ذالا على
الكثرة بعد سياق الامتان بالجمع الذي هو أولى من التثنية بالدلالة على
أن في كل بستان جماعة من النسوان، لما بهن من عظيم اللذة وفرط
الانس: ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان التى علم بما مضى أن لكل فرد من
٥ الخائفين منها جنتين . ولما كان سياق الامتان معرفا بأن جمع القلة
أريد به الكثرة مع ما ذكر من محسناته فى سورة «ص»، قال معرابه:
﴿ قصرت الطرف لا ﴾ أى نساء مخدرات هن فى وجوب الستر بحيث يرض
من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح، قد قصرن طرفهن وهمهن
على أزواجهن ولهن من الجمال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات
١٠ إلى غيرهن لفتور الطرف وسحره وشدة أخذه للقلوب جزاء لهم على
قصرهمهم فى الدنيا على ربهم .

ولما كان الاختصاص بالثنى لاسيما المرأة من أعظم الملهذات
[قال -] : ﴿ لم يطمئن ﴾ أى يجامعن ويتسلط عليهن فى هذا الخلق
الذى أنشئت فيه نوع من أنواع السلطة سواء من إنسيات أو جنيات أو غير
١٥ ذلك، يقال: طمئت المرأة كضرب وفرح: حاضت، وطمئها الرجل:
اقضها وأيضاً جامعها، والبعير عقلته (٤)، فكأنه قيل: هن أباكر لم يخاط
موضع الطمئ منهن ﴿ انس ﴾ ولما كان المراد تعميم الزمان أسقط
الجار فقال: ﴿ قبلهم ﴾ أى المتكئين ﴿ ولا جان ﴾ وقد جمع هذا

(١) من ظ، وفى الأصل: الخائفين (٢) من ظ، وفى الأصل: جنتان .

(٣) زيد من ظ .

كل من^١ يمكنه جماع من ظاهر و باطن ، وفيه دليل على أن الجنى
يعنى الإنسى كما نقل عن الزجاج (فباي الآه ربكما) أى النعم الجسم
[من] المربى الكامل العلم الشامل القدرة القيوم (تكذبين) أنعمه
الأس من جهة اليمنى أم غيرها مما جعله الله لكم مثالا لهذا من الأبرار
الحسان ، أو غير ذلك من أنواع الإحسان .

ولمادل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة والنفاة ، زاده
على وجه أفاد أنه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس وقوة
القلب وشدة البدن واعتدال الدم وغير ذلك من خواص ما شبههن به
فقال : (كانهن الياقوت) الذى هو فى صفاته بحيث يشف عن سلكه وهو
جوهر معروف ، قال فى القاموس : أجوده الأحمر الرمانى نافع للوسواس
والخفقان وضعف القلب شرابا وجمود الدم تعليقا . (والمرجان)
فى يياضه ، وصغار الدر أنصح يياضا ، قال أبو عبد الله القزاز : والمرجان
صغار اللؤلؤ ، وهذا الذى يخرج من نبات البحر أحمر معروف - انتهى .
وفد يستفاد من ذلك أن ألوانهن البياض والحمر على نوع من الإشراب
هو فى غاية الإعجاب من الشفوف والصفاء ، وهو مع ذلك ثابت لا يعتره
تغير ليطابق الحديث الذى فيه " يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة " .
وقال / أبو حيان^٢ : شبههن بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت فى إملاسه
وشفوفه والمرجان فى إملاسه وجمال منظره (فباي الآه ربكما) أى

/ ١٦٠

(١) زيد فى الأصل : حميم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لغذفناها (٢) من ظ ،

وفى الأصل : المقدر (٣) راجع البحر المحيط ٨ / ١٩٨ .

النعم الغريبة البالغة في الحسن من المالك المالك المرئي يسدائع التربية
 ﴿ تكذبن ٥ ﴾ أبنعمة اللس من جهة اليسرى ام غيرها بما جعله مثالا لما
 ذكر من وصفهن من تشبيه شيء بشيئين البلوغ الامر في الحسن إلى حد
 لا يساويه فيه شيء واحد^١ يشبه به ، فهو [كا - ٢] قيل : بيضاء في دعيج
 ٥ صفراء في نعيج كأنها فضة قد شابها ذهب ، وقد جعل سبحانه الأشياء
 الشفافة مثالا لذلك وأنت ترى بعض الأجسام يكاد يرى فيه الوجه
 [بل في سواد العين أعظم غرة حيث يرى فيه الوجه - ٢] فان السواد
 منشأ الظلام .

و لما كان ألد ما أفاده الإنسان من النعم ما كان تسبب منه ، قال
 ١٠ سارا لهم بذلك مع ما فيه من لذة المدح لاسيما والمدح الملك الأعلى ،
 معظما له بسياق الاستفهام المفيد للاثبات بعد النفي المفيد للاختصاص على
 وجه الإنكار الشديد على من يتوهم غير ذلك : ﴿ هل جزاء الاحسان ﴾ أى
 فى العمل [الكاف - ٢] من الإنس أو الجن أو غيرهم ﴿ الا الاحسان ٥ ﴾
 أى فى الثواب ، فهذا من المواضع التى أعيدت فيها المعرفة والمعنى
 ١٥ مختلف ، روى البغوى^١ بسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله
 عليه وسلم قال : هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ،
 قال : يقول : هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة . وذلك جزاء
 إحسان العبد فى العمل فى مقابلة إحسان ربه إليه بالتربية ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : كاحد (٣) زيد من ظ .

(٤) راجع العالم بهامش الباب ٧ / ١٠ .

أى النعم العظيمة الحسن من السيد الكريم العظيم الرحيم الجامع لأوصاف الكمال (تكذبنه) أبنعمة اللس من جهة الفوق أم غيرها مما جعله الله سبحانه مثالا فى أن من احسن قوبل بمثل إحسانه ، وهذه الآية ختام ثمان آيات حائنة على العمل الموصل إلى الثمانية الأبواب الكائنة لجنة المقربين - والله الهادى .

و لما كان قد علم بما ذكر أول هذا الكلام من الخوف مع ذكر وصف الإكرام ، وآخره من ذكر الإحسان أن هذا الفريق محسنون ، وكان من المعلوم أن العاملين طبقات ، وأن كل طبقة أجرها على مقدار أعمالها ، اقتضى الحال بيان ما أعد لمن دونهم : (ومن دونهما) أى من أدنى مكان ورتبة مما تحت جنتى هؤلاء المحسنين [المقربين] (جنتن ٣) ١٠
أى لكل واحد لمن دون هؤلاء المحسنين - ١ [من الخائفين وهم أصحاب اليمين ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : دونهما فى الدرج ، وجعل ابن برجان الأربيع موزعة بين الكل ، وأن تخصيص هذه العدة إشارة إلى أنها تكون جامعة لما فى فصول الدنيا الأربعة : الشتاء والربيع والصيف والخريف ، وفسر بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : جنتان من ذهب ١٥
أوتيتهما وما فيهما ، جنتان من فضة أوتيتهما وما فيهما . ثم جوز أن يكون المراد بالدون الأدنى إلى الإنسان ، وهو البرزخ ، فتكون هاتان لاهل البرزخ كما كان "وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك" من عذاب القبر (فبأى آية ربك) أى المحسن بنعمه السابقة إلى الأعلى ومن دونه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : فى .

(تَكْذِبُنَّ) أبنعمة اللس من جهة التحت أم غيرها / مما جعله الله في الدنيا مثلا لهذا من أن بعض البساتين أفضل من بعض إلى غير ذلك من أنواع التفضيل .

ولما كان ما في هاتين من الماء دون ما في الباقيتين، فكان ربما
 ٥ ظن أن ماءهما لا يقوم بأعلى كفايتهما قال : (مدهامتن ٤) أي خضراوان
 خضرة تضرب من شدة الري إلى السواد، من الدهمة، قال الأصهباني: الغالب
 على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وفي
 الأوليين الأشجار والفواكه (فباي الآء ربكأ) أي نعم المحسن إلى العالی
 منكأ ومن دونه بسعة رحمته (تَكْذِبُنَّ) أبنعمة الذوق من جهة
 ١٥ الإمام أم غيرها مما جعله مثلا لذلك من جنان الدنيا الكثيرة الري
 وغيره .

ولما كان ذكر ما يدل على ربهما، حققه بقوله : (فيهما) أي
 في كل جنة لكل شخص منهم (عيشن نضاخن ٥) أي تفوران بشدة
 'توجب لها رشاش' الماء بحيث لا ينقطع ذلك، ولم يذكر جريهما فكأنهما
 ١٥ بحيث يرويان جنتهما ولا يبلغان الجرى، والنضخ دون الجرى وفوق
 النضخ، قال الأصهباني: وأصل النضخ بالمعجمة - انتهى . وكأنهما لمن تغرغر
 عيناه بالدمع فتمتلئان من غير جرى، وقال ابن رجان ما معناه أن
 حر (٥) عدم جريهما لكونهما على مثال جنة خريف ما ههنا وشتاء
 [٥-٢] لبعد عهدهما بنزول الماء [و-٢] سكتا في أعماق الأرض

(١-١) من مد، وفي الأصل: توحدهما رشاشا (٢) زيد من ظ .

لينعكس بالنبع والفوران صاعدا مع أن الجنة لا مطر فيها ﴿ فباي الآء ربكما ﴾
 أى نعم الربى البليغ الحكمة فى الترية ﴿ تكذبين ٥ ﴾ أبنعمة الذوق
 من جهة ما وراء اللسان أم غيرها مما جعله مثلا لذلك من الاعين التى
 تفور ولا تجرى والآناب المصنوعة للفوران لأنها بحيث تروق ناظرها
 لعودها بقوة نبعا و ترشيشها من النعم الكبار . ولما ذكر الرى والسبب ٥
 فيه ، [ذكر - ٢] ما ينشأ عنه فقال : ﴿ فيها فاكهة ﴾ أى من كل الفاكهة ،
 وخص أشرفها وأكثرها وجدانا فى الحريف والشتاء كما فى جنان الدنيا
 التى جعلت مثلا لهاتين الجنةين فقال : ﴿ ونخل و رمان ٣ ﴾ فان كلا
 منهما فاكهة وإدام ، فلذا خص تشريفا وتنبها على ما فيها من التفكه
 وأولاهما أعم نفعا وأعجب [خلقا - ٢] فلذا قدم ﴿ فباي الآء ربكما ﴾ أى ١٠
 نعم المحسن إليك أيها الثقلان بجليل الترية ﴿ تكذبين ٤ ﴾ أبنعمة الذوق
 من اليمين أم من غيرها مما جعل مثلا لهذا من جنان الدنيا وغير ذلك .
 ولما كان ما ذكر لا تكمل لذته إلا بالأنيس ، وكان قد ورد أنه
 يكون فى بعض ثمار الجنة وحمل أشجارها نساء و ولدان كما أن امثال ذلك
 فى بطن مياه الدنيا " وجعلنا من الماء كل شىء حى " قال جامعا على نحو ٥
 ما مضى من الإشارة إلى أن الجنةين لكل واحد من أفراد هذا الصنف :
 ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان الأربع أو الجنان التى خصت للنساء ، و جوز ابن برجان
 أن يكون الضمير للفاكهة والنخل والرمان فانه يتكون منها نساء و ولدان
 (١) من ظ ، وفى الأصل : تروق (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 قبلها (٤) من ظ وفى الأصل : بنعمه .

في داخل قشر الرمان و نحوه (خيرت) اي نساء / بليغ ما فيهن
من الخير، أصله حير مثقلا لأن " خير " الذي للتفضيل لا يجمع جمع
سلامة، ولعله خفف لاتصافهن^١ بالخفة في وجودهن وجميع شأنهن،
و لكون^٢ هاتين الجنتين دون ما قبلهما (حسان ع) أي في غاية الجمال
٥ خلقا و خلقا (فباي الآء ربكما) اي نعم الكامل الإحسان [إليكما -^٣
(تكذبين ع) أنعمه الذوق من جهة اليسار أم من غيرها مما جعله مثلا
لتكوين النساء و الولدان و الملابس و الحلوى من ثمار الأشجار و الزروع
التي من المياه^٤ التي بها العيش، ففيها^٥ التوليد و غير ذلك مما تظهره الفكرة
لأهل العبرة لأن كل ما في الجنة ينشأ عن الكلمة من الرزق كما ينشأ
١٠ عنه سبحانه في هذه الدار على تسليب... والحكمة^٦، ثم يبين بقوله:
(حور) أي ذوات أعين شديدة سواد السواد و شديدة بياض
البياض، و قال ابن جرير^٧: بيض جمع (مقصورت) أي على أزواجهن
و محبوسات، صيانة عن التبذل، فهو كناية عن عظمتهم (في الخيام ع)
التي هي من الدر المجوف الشفاف جزاء لمن قصر نفسه عن... الله فكف
١٥ جوارحه عن الزلات، و صان قلبه عن الغفلات (فباي الآء ربكما)
أي الجليل الإحسان إليكما (تكذبين ع) أنعمه الذوق من جهة الفوق

(١) من ظ . و في الأصل : لاتصافه (٢) من ظ ، و في الأصل : لكن .
(٣) ريد من ظ (٤) من ظ . و في الأصل : ما (٥) من ظ ، و في الأصل :
الثمار (٦) من ظ . و في الأصل : عندها (٧) ومن هنا انقطعت نسخة ظ .

(٨) في حاشية حاشية ٢٧ / ٨٢

أم بغيرها مما جعله مثالا لهذا في الدنيا، فانه كما خلقنا من تراب ثم طورنا
 في أطوار الخلق بحسب حكمة الاسباب كذلك خلق أولئك من أرض
 الجنة ورياضها وفواكهها عن كلمة السكان من غير أسباب .
 ولما كانت أنفس الاخيار ذوى الهمم العالية الكبار في الالتفات
 إلى الأبيكار قال : (لم يطمئن) أى يتسلط عليهن نوع سلطة ه
 (انس) وعم الزمان بحذف الجار فقال : (قبلهم) أى اتقى الطمئ
 المذكور في جميع الزمان الكائن قبل طمئ أصحاب هذه الجنان لمن ،
 فلو وجد في لحظة من لحظات القبل لما صدق النفي (ولا جان)
 فهن في غاية الاختصاص كل بما عنده (فبأى) أى فتسبب عن هذا
 التعدد لمثل هذه النعم العظيمة أنا نقول تعجيبا من يكذب تويخا له ١٠
 وتنبها على ما له تعالى من النعم التي تفوت الحصر : بأى (الآ ربك)
 أى النعم الجليلة من المدبر لكما بما له من القدرة التامة والعظمة
 الباهرة العامة (تكذبين) أبعمة الذوق من تحت أم بغيرها مما جعله
 مثالا لهذا من الأبيكار المخدرات ، وجميع ما ذكر من النعم العامة الظاهرة
 في كل حالة في الدنيا والآخرة ، وختم بالتقرير أربع وعشرون ١٥
 ثمان منها أول السورة من النعم الدنياوية ، وست عشرة جنان ، وجعلها
 على هذا العدد ، إشارة إلى تعظيمها بتكثيرها فانه عدد تام لانه جامع
 لاكثر الكسور ، ولذا قسم الدرهم وغيره أربعة وعشرون قيراطا . ولما
 تم التقرير بالنعم المحيطة بالجهات الست والحواس الخمس على الوجه
 الأكمل من دره المفاسد وجلب المصالح كما تقدمت الإشارة إليه بمدكر ، ٢٠

بقوله فهل من مدكره في القمر، / بالحسن (٤) فيها إلى الحواس الخمس وبتكرارها .
 و تكرار " فكيف كان عذابي و نذري " سقا إلى الجهات الست من جهة
 الورا و الخلف، أوزها بعمه أخرى واحدة إشارة إلى أن السبب في
 هذا اعتقاد وحدانية الواحد تعالى اعتقادا أدى الخضوع لأمر مرسل كلما
 ٥ جاء من عنده تعالى فلذلك كانت نعمة لا تنقطع أصلا، بل كلما تم
 دور منها ابتداء دور آخر جديد، وهكذا على وجه لا انقطاع له أبدا
 كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا انتهاء له أصلا، وهذه النعمة
 الدالة على الراحة الدائمة التي هي المقصودة بالذات على وجه لا يرى أغرب
 منه ولا أشرف، فقال تعالى مينا حال المحسنين و من دونهم شركاهم
 ١٠ في الراحة على ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر: ﴿ متكئين ﴾ أي لهم ذلك في حال الاتكاء دينا لأنهم لا شغل
 لهم بوجه إلا التمتع ﴿ على رفرف ﴾ أي ثياب ناعمة و فرش رقيقة
 النسيج من الدياج لينة و وسائد عظيمة [و -] رياض باهرة و بسط
 لها أطراف فاضلة . و رفرف السحاب هدبه أي ذيله المتدل .

١٥ و لما كان الأخضر أحسن الألوان و أبهجها قال: ﴿ حضر و عبقرى ﴾
 أي متاع كامل من البسط و غيرها هو في كماله و غرابته كأنه من عمل
 الجن لنسبته إلى بلدهم، قال في "قاموس": عبقر موضع كثير الجن،
 و قرية بناؤها في غاية الحسن، و العبقرى الكامل من كل شيء، و السيد
 و الذي [ليس -] [هوقه شيء . و قال الرازي: هو الطنافس الخميعة،

(١) زيد من ظ و القاموس .

قال ابن جرير^١: الطنافس الثخان. وقال القشيري: العبقري عند العرب كل ثوب موشى. وقال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضى الله عنه^٢: فلم أربعقربا من الناس يفرى فريه. وقال قطرب: ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسى وبختى.

و لما كان المراد به الجنس. دل على كثرته بالجمع مع التعمير بالمفرد إشارة إلى 'وحدة تكامله' بالحسن فقال: (حسان ع) أى هى فى غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف (فبأى الآء ربكنا) أى النعم العظيمة من المحسن الواحد الذى لا يحسن غيره [و-°] لا إحسان إلا منه ولا تعد نعمه ولا تحصى ثناء عليه (تكذبين ه) وهذه الآية تمت النعم ١٠ الثمان المختصة بجنة أصحاب اليمين إشارة إلى العمل لأبوابها الثمانية - والله الموفق.

ولما دل ما ذكر فى هذه السورة من النعم على إحاطة مبدعها بأوصاف الكمال. ودل بالإشارة بالنعمة الأخيرة على أن نعمه لا نهاية لها لأنه مع أن له الكمال كله متعال عن شائبة نقص، فكانت ترجمة ذلك ١٥ قوله فى ختام نعم الآخرة مناظرة لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبرا هناك بالبقاء لما ذكر قبله، من الفناء، وهذا [بما-°] من البركة إشارة

(١) من ظ، وفى الأصل: قيل (٢) راجع جامع البيان ٢٧/٥ (٣) راجع صحيح البخارى - المناقب (٤-٤) من ظ، وفى الأصل: الوحدة الكاملة (ه) زيد من ظ (٦) زيد فى الأصل. ولا يكاد، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

إلى [أن] نعمه لا اقتضاء [لها-١]: (تبرك) قال ابن برجان: تفاعل من البركة، ولا يكاد يذكره جل ذكره إلا عند أمر معجب - انتهى، ومعناه ثبت ثباتا لا يسع العقول جمع وصفه لكونه على / صيغة المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته، وذلك مع اليمن والبركة والإحسان. وما كان تعظيم الاسم أقدم وأبلغ في تعظيم المسمى قال: (اسم ربك) أي المحسن إليك بانزال هذا القرآن الذي جبلك على متابته فصرت مظهرا له و صار خلقا لك فصار إحسانه إليك فوق الوصف، ولذلك قال واصفا للرب في قراءة الجمهور: (ذو الجلال) أي العظمة الباهرة فهو المنتقم من الأعداء (والإكرام ع) أي الإحسان الذي لا يمكن الإحاطة به فهو المتصف بالجمال الأقدس المقتضى لفيض الرحمة على جميع الأولياء، وقراءة ابن عامر "ذو" صفة للاسم، وكذا هو في مصاحف أهل الشام، والوصفان الأخيران من شبه الاحتباك لأنه حذف من الأول متعلق بالصفة وهي النعمة للأعداء، ومن الثاني أثر الإكرام وهو الرحمة للأولياء، فإثبات الصفة أولا يدل على حذف ١٥ ضدها ثانيا، وإثبات الفعل ثانيا يدل على حذف ضده أولا، وقال الرازي في اللوامع: كأنه يريد بالاسم الذي افتتح به السورة وقد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن وغيره والانتقام بادخال النيران وغيرها - الله سبحانه وتعالى هو الموقف للصواب.

(١) راجع نشر المرجان ١٦١ / ٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٣-٣) من ظ، وفي الأصل: اول السورة على آخرها .

سورة الواقعة

مقصودها شرح^١ احوال الاقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن للاولياء من السابقين واللاحقين و الاعداء المشاققين^٢ من المصالحين و المناقين^٣ من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذي دل عليه آخر الرحمن باثبات الكمال [و - °] دل عليه آخر هذه بالتنزيه بالنفي لكل هـ شئ به نقص ثم الإثبات بوصف العظمة بجميع الكمال من الجمال و الجلال ، و لو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة ، فان استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة ، و اسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آياته و ما يتعلق الظرف به (بسم الله) الذي له الكمال كله فتاوت بين الناس في الاحوال (الرحمن) الذي عم بنعمة البيان و فاضل في ١٠ قبولها بين أهل الإدبار و أهل الإقبال (الرحيم) الذي أقبل بأهل حبه إلى أهل قربه ففاضوا بمحاسن الأقوال و الأفعال .

لما صنف سبحانه الناس [في - °] تلك إلى ثلاثة اصناف : مجرمين و سابقين و لاحقين ، و ختم بعملة ذلك و هو أنه ذو الانتقام و الإكرام ، شرح احوالهم في هذه السورة و بين الوقت الذي يظهر فيه ١٥

(١) السادسة و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مكة ، و عدد آياتها (٩٦)

عند الكوفيين و (٩٧) عند البصريين ، و (٩٩) عند المدنيين و المكي و الشامي .

(٢) من ظ ، و في الأصل : سر (٣) من ظ ، و في الأصل : المناقين .

(٤) من ظ ، و في الأصل : المشاققين (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في

الأصل : عم (٧) من ظ ، و في الأصل : و .

إكرامه و انتقامه بما ذكر في الرحمن غاية الظهور فقال بانبا على ما أرشده السياق إلى أن تقديره : يكون ذلك كله كونا يشترك في علمه الخاص و العام : ﴿ اذا وقعت الواقعة لا ﴾ أى التى لا بد من وقوعها و لا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال و تاء المبالغة غيرها ، و هى النسخة الثانية التى يكون عنها البعث الأكبر / الذى هو القيامة الجامعة لجميع الخلق للحكم بينهم على الانفراد الظاهر الذى لامدعى للمشاركة فيه بوجه من الوجوه ، و يجوز أن يكون " إذا " منصوبا بالمحذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيكون أهول^١ أى إذا وقعت كانت " أمور يضيق عنها " نطاق الحصر .

١٠ و لما كان هذا معناه الساعة التى أبرم القضاء بأنه لا بد من كونها ، عبر عنه بانبا على مبتدأ محذوف فقال : ﴿ ليس لوقعتها ﴾ أى تحقق وجودها ﴿ كاذبة ؟ ﴾ [أى كذب]^٢ فهى مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بأنه ليس فى أحوالها شيء يمكن أن ينسب^٣ إليه كذب و لا يمشى فيها كذب أصلا و لا يقر عليه ، بل كل ما أخبر بمجيئه جاء من غير أن يرد^٤ شيء ، و كل ما أخبر بنفيه اتقى فلا يأتي به شيء ، و قرر عظمتها و حفق بعث الأمور فيها بقوله مخبرا عن مبتدأ محذوف :

﴿ خافضة ﴾ أى هى لمن يشاء الله خفضه^٥ من عظام أهل النار و غيرهم
 (١) من ظ ، و فى الأصل : أهوال (٢-٣) من ظ ، و فى الأصل : أسرها
 و يضيق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) من ظ ، و فى
 الأصل : سبب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يره (٧) من ظ ، و فى
 الأصل : الحفضة .

بما يشاءه من الجبال وغيرها إلى أسفل سافلين (رافعة لا) أى لضعفاء أهل الجنة وغيرهم من منازلهم وغيرها بما يشاءه إلى عليين، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه. ولما كان في هذا من الهول ما يقطع القلوب الواعية أكد به بقوله وزاد ما يشاء منه أيضا بقوله مبدلا من الظرف الأول بعض ما يدخل في الرفع والخفض: (إذا رجعت الارض) أى كلها على ه سعتها وثقلها بأيسر أمر (رجالا) أى زلزلات زلزلا شديدا بعنف فانخفضت وارتفعت ثم انفضت بأهلها اتفانضا شديدا، قال البغوى^١: والرج في اللغة التحريك. ولما ذكر حركتها المزعجة، أتبعها غايتها فقال: (وبست الجبال) أى إقتت على صلابتها وعظمتها بأذن إشارة وخط حبرها بترابها حتى صار شيئا واحدا، وصارت كالعهن المنفوش، وسيرت وكانت ١٠ تمر مر السحاب (بسال فكانت) أى بسبب ذلك (هباء) غبارا [هو-^٢] في غاية الانمحاق، وإلى شدة لطافته أشار بصيغة الاتفعال فقال: (منبثالا) أى منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى في شعاع الشمس إذا دخل^٣ في كوة.

ولما ذكر غاية مبادئها المرجفه المرهبة، ذكر مبادئ غاياتها فقال: ١٥ (وكنتم) أى قسمتم بما كان في جلاتكم وطباعكم في الدنيا (ازواجا ثلثة ه) أى أصنافا لا تكمل حكمة صنف منها إلا بكونها [قسمين-^١]: أعلى ودونه، ليكون ذلك أدل على تمام القدرة وهم أصحاب الميمنة المقسمين إلى سابقين وهم المقربون، وإلى لاحقين وهم (١) راجع العالم بهامش الباب ١٢/٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: دخلت.

الأبرار أو أصحاب اليمين، و كأنهم من أولى القلب الذى هو العدل السواء من أصحاب المشئمة إلى آخر أصحاب الميمنة فأصحاب السواء هم المقربون، و بقية أصحاب الميمنة أصحاب اليمين، و أصحاب المشئمة هم أصحاب القسم الثالث، و كل من الثلاثة ينقسم إلى أعلى و دونه، و قد تبينت الأقسام الثلاثة آخر السورة، قال البيضاوى: و كل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج. و لما قسمهم إلى ثلاثة / أقسام و فرع تقسيمهم، ذكر أحوالهم و ابتدأ ذلك بالإعلام بأنه ليس الخبز كالخبز كما أنه ليس العين كالآثر فقال: ﴿ فاصْحَبِ الْمَيْمَنَةَ ۗ ﴾ أى جهة اليمين و موضعها و أعمالها، ثم فخم أمرهم بالتمجيب من حالهم بقوله منبها على أنهم ﴿ أهل - ١ ﴾ لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين من الخير و البركة فكيف إذا عبر عنها بصيغة مبالغة فقال: ﴿ مَا ۙ ﴾ و هو مبتدأ ثان ﴿ اصْحَبِ الْمَيْمَنَةَ ۗ ﴾ أى جهة اليمين و موضعها و أعمالها، و الجملة خبر عن الأولى، و الرابط تكرار المبتدأ بلفظه. قال أبو حيان رحمه الله تعالى^٢: و أكثر ما يكون ذلك فى موضع التهويل و التعظيم .

١٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم الإعذار فى السورتين المتقدمتين و التقرير على عظيم البراهين، و أعلم فى آخر سورة القمر أن كل واقع فى العالم فى قضاءه سبحانه و قدره "انا كل شئ خلقته بقدر"

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: ثم فخم أمرهم بالتمجيب من حالهم بقوله منها على أنهم أهل لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين، و هو تكرار لحذفتاها .
(٣) راجع البحر المحيط ٢٠١ / ٨ .

”وكل شيء فعلوه في الزر“ و اعلمهم سبحانه في الواقعة بانقسامهم الأخرى فافتح ذكر الساعة ” اذا وقعت الواقعة “ إلى قوله ” وكنتم ازواجاً ثلاثة “ فجردت هذه السورة للتعريف بأحوالهم الأخرى ، و صدرت بذلك كما جرد في هذه السورة قبل التعريف بحالهم في هذه الدار ، وما انجر في السور الثلاث جارياً على غير هذا الأسلوب فبحكم استدعاء الترغيب و الترهيب اضافة بالعباد و رحمة و مطالعها مبنية على ما ذكرته تصريحاً لا تلويحاً ، و على الاستيفاء لا بالإشارة و الإيماء ، و لهذا قال تعالى في آخر القصص الأخرى في هذه السورة : ” هذا نزلهم يوم الدين “ فأخبر أن هذا حالهم يوم الجزاء و قد قدم حالهم الدنياوى في السورتين قبل و تأكيد التعريف المتقدم فيما بعد ، و ذلك قوله ” فاما ان كان ١٠ من المقربين “ إلى خاتمتها - انتهى .

و لما ذكر الناجين بقسميهم ، أتبعهم أضدادهم فقال :
 (و اصحب المشمة لا) أى جهة الشؤم و موضعها و أعمالها ، ثم عظم ذنبهم فقال : (ما اصحب المشمة) أى لأنهم أهل لأن يسأل عما أصابهم من الشؤم و الشر و السوء بعظيم قدرته التى ساقتهم إلى ما وصلوا ١٥ إليه من الجزاء الذى لا يفعل به نفسه عاقل بل و لا بهيمة مع ما ركب فيهم من العقول الصحيحة و الأفكار العظيمة و صان الأولين عن خذلان هؤلاء فأوصلهم إلى النعيم المقيم .

و لما ذكر القسمين ، و كان كل منهما قسمين ، ذكر أعلى أهل

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذكر .

القسم الأول ترغيباً في أحسن حالهم ولم يقسم أهل المشقة توهيباً من
سوء مآلهم فقال: ﴿ والسبقون ﴾ أى إلى أعمال الطاعة أصحاب
الجنيتين الأولين في الرحمن وهم أصحاب القلب ﴿ السابقون ﴾ أى هم الذين
يستحقون الوصف بالسبق لا غيرهم لأنه منزلة أعلى من منزلتهم فلذلك
سبقوا إلى منزلتهم وهى جنتهم وهم قسمان كما يأتي عن الرازى، وعن
المهدوى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: السابقون الذين إذا أعطوا
الحق قبلوه وإذا سلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم .

/ ١٦٧

ولما بين علو شأنهم ونسب السبق إليهم، ترجمه نازعاً للفعل منهم
بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة جدا من الذين هم أصحاب الميمنة
١٠ ﴿ المقربون ﴾ أى الذين اصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه أو
أنعم عليهم [بقربه - ٢] ولو لا فعله فى تقريبهم لم يكونوا سابقين، قال
الرازى فى اللوامع: المقربون تخلصوا من نفوسهم فأعمالهم كلها لله دينا
ودنيا من حق الله وحق الناس، وكلاهما عندهم حق الله، والدنيا عندهم
آخرتهم لأنهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والانتقاد،
١٥ وهم صنفان، فصنف قلوبهم فى جلاله وعظمته هائمة قد ملكتهم هيبتهم
فالحق يستعملهم، وصنف آخر قد أرخى من عنائه، فالأمر عليه أسهل
لأنه [قد - ٢] جاور بقلبه هذه الحطة ومحلّه أعلى فهو أمين الله فى
أرضه، فيكون الأمر عليه أسهل لأنه قد جاور - انتهى . ثم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: «و» (٣) زيد

من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: ملكهم (٥) من ظ، وفى الأصل: رجا .

[بين - ١] تقريره لهم بقوله: (في جنت النعيم ه) أى الذى لانعيم
 غيره لأنه لا كدر فيه بوجه ولا منقص ، والصنف الآخر منهم المتقربون
 والمتشاققون من أصحاب المئمة ، أولئك المغضوب عليهم المبعودون ،
 ومن دونهم الضالون البعيدون وهم أصحاب الشمال .
 و لما ذكر السابقين فصلهم فقال: (ثلثة) أى جماعة كثيرة حسنة ، ه
 وقال البغوى^٢: و الثلثة جماعة غير محصورة العدد ، (من الاولين لا) و هم
 الانبياء الماضون عليهم الصلاة والسلام ، و من آمن بهم من غير واسطة
 رضى الله عنهم (و قليل من الآخرين ه) و هم من آمن بمحمد - عليه
 الصلاة والسلام - كذلك بغير واسطة رضى الله عنهم ، فقد كان الانبياء
 عليهم الصلاة والسلام مائة ألف و نيفا و عشرين ألفا ، وكان من خرج ١٠
 مع موسى عليه السلام من مصر و هم من آمن به من الرجال المقاتلين من
 هو فوق العشرين و دون الثمانين و هم ستمائة ألف فافظنك^٢ بمن عداهم
 من الشيوخ و من دون العشرين من التابعين و الصبيان و من النساء ،
 فكيف بمن عداه من سائر النبيين عليهم الصلاة والسلام المجتدين من
 بنى إسرائيل وغيرهم ، و قيل: الثلثة و القليل كلاهما من هذه الأمة ، رواه ١٥
 الطبرانى و ابن عدى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، و فيه أبان بن أبى
 عياش و هو متروك و رواه إسحاق بن راهويه و مسدد بن مسرهد
 و أبو داود الطيالسى و إبراهيم الحربى و الطبرانى^٢ من رواية على بن زيد

(١) زيد من ظ (٢) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ١٣ (٣) من ظ ، و فى
 الأصل: فان (٤) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٨٨ .

و هو ضعيف عن عقبه بن صهبان عن أبي بكره رضى الله عنه مرفوعا
 و موقوفا ، و الموقوف أدلى بالصواب ، و تطبيقه على هذه الأمة سواء
 كان مرفوعا أو موقوفا صحيح لا غبار عليه ، فتكون الصحابة رضى الله عنهم
 كلهم من هذه الثلاثة و كذا من تبعهم باحسان إلى رأس القرن الثالث
 ٥ و هم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، [و - ١] من المعلوم أنه تناقص الأمر
 بعد ذلك إلى أن صار / السابق في الناس أقل من القليل لرجوع الإسلام
 [إلى الحال - ١] الذى بدأ عليها من الغربية ” بدأ الإسلام غريبا و سيكون
 غريبا فطوبى للغرباء “ و يجوز أن يقدر أيضا : [و - ١] ثلثة - أى جماعة
 كثيرة هلكى - من الأولين ، و هم المعاندون من الأمم الماضين ، و قليل من
 ١٠ الآخرين - و هم المعاندون من هذه الأمة .

/ ١٦٨

و لما ذكر السابقين في الخير [بصفيتهم مشيرا إلى السابقين في الشر - ١]
 بصفيتهم ، ذكر جزاء أهل الخير ليعلم منه جزاء أولئك ، فقال مينا أنهم
 ملوك لكن ملكهم لا ينافس [فيه - ١] و لا يحاسد ، بل هو كله
 يقابل بالوداد و الصفاء (على سرر) و هو ما يسر الإنسان من المقاعد
 ١٥ العالية المصنوعة للراحة و الكرامة التى هى آية الملك و هو العرش
 (موضونة لا) أى منسوجة نسجا مضاعفا منسودة داخلا^٢ بعضها في
 بعض مقارب النسج معجا كالدرع لكن نسجها بالذهب مفصلا بالجوهر
 من الدر و الياقوت .

و لما ذكر السرر و بين عظمتها ، ذكر غايتها فقال : (متكئين)

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : داخل

أى متكئين هيئة المتربع أو غيرها من الجنب أو غيرها (عليها) ولما كان الجمع إذا كثر كان ظهور بعض أهله إلى بعض، أعلم أن جموع أهل الجنة على غير ذلك فقال: (متقبلين ه) فلا بعد ولا مداورة لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض ولا يكره بعضهم بعضا .

ولما كان المتكى قد يصعب عليه القيام لحاجته قال: (يطوف عليهم) ه
أى لكفاية كل ما يحتاجون إليه (ولدان) على أحسن صورة وزى
وهية (مخلد ن لا) قد حكم الله ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة، قال
البعوى^١: تقول العرب لمن كبر ومن شمت: إنه مخلد، قال: قال الحسن:
هم أولاد أهل الدنيا، لم يكن لهم حسنات يثابون^٢ عليها ولا سيئات يعاقبون
عليها لأن الجنة لا ولادة فيها، فهم خدام أهل الجنة .

١٠

ولما كان مدخهم هذا في غاية الإبلاغ مع الإيجاز، وكان فيه
- إلى تبليغ ما لهم - تحريك إلى مثل أعمالهم، وكان الأكل الذى هو من
أعظم المآرب مشارا إليه بالمدح العظيم الذى^٣ من جملة الاستراحة على
الأمرة التى علم أن من عادة الملوك أنهم لا يتسمنونها إلا بعد قضاء الوطر

منه فلم يبق بعده إلا ما تدعو الحاجة إليه من المشارب وما يتبعها قال ١٥
تعالى: (باكواب) أى كيزان مستديرة الأفواه بلا عرى ولا خراطيم
لا يعوق الشارب منها عائق عن الشرب من أى موضع أراد منها فلا
يحتاج أن يحول الإناء إلى الحالة التى تناوله عنها ليشرب، ويمكن أن تكون

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ١٤ (٢) من ظ ، وفى الأصل : يتاهبون .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : التى .

البداة بالشراب لما نالوا من المتاعب من العطش كما لمن يشرب من
الحوض فيكون حيثئذ قبل الأكل والله أعلم (و اباريق لا) أى أواني
لها عرى و خراطيم فيها من أنواع المشارب ما تشتهى الأنفس و تلذ
الاعين (و كاس) أى إناء معد للشرب فيه و الشراب نفسه .

٥ و لما كان الشراب عاما بينه بقوله : (من معين لا) أى خمر جارية

صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها بل ينبع كما ينبع الماء . و لما

أثبت نفعها و ما يشوق إليها، نفي ما ينفر عنها فقال : (لا يصدعون)

/ أى تصدعا يوجب المجاوزة (عنها) أى بوجع فى الرأس و لا تفرق

/ ١٦٩

لملالة (و لا ينفون لا) أى يذهب بعقولهم بوجه من الوجوه أى يصرع

١٠ شرابهم، من نرفت البئر - إذا نزع ماؤها كله، و نرف فلان : ذهب

عقله أو سكر، و بنى الفعلان للجهول لأنه لم تدع حاجة إلى معرفة الفاعل،

و قال الرازى فى اللوامع : قال الصادق : لا تذهل عقولهم عن موارد

الحقائق عليهم و لا يغيبون عن مجالس المشاهدة بحال .

و لما بدأ بالألذهاضم للأكل، تلاه بما يليه مما يدعو إليه الهضم

١٥ تصریحا به بعد التلويح فقال : (و فاكهة مما يتخيرون لا) أى هو فيها

بحيث لو كان فيها جيد وغيره و اختاروا و بالغوا فى التتقية لكان مما

يقع التخير عليه، و لما ذكر ما جرت العادة بتناوله لمجرد اللذة، أتبعه

ما العادة انه لإقامة اليئة و إن كان هناك لمجرد اللذة أيضا فقال :

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يذهب (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن .

الزيادة فى ظ لحذفها .

(ولحم طير) و لما كان في لحم الطير ما يرغب عنه ، احترز عنه بقوله : (مما يشتهون) أى غاية الشهوة بحيث يجدون لآخره من اللذة 'ما لأوله' .

و لما كان لم يكن بعد الأكل والشرب أشهى من الجماع ، قال عاطفا على " ولدان " : (و حور عين) أى يظفن عليهم ، و جره حمزة ه و الكسائي عطفًا على " سرر فان النساء في معنى الاتكاء لانهن يسمين فراشا . و لما كان المثل في الأصل الشيء نفسه كما مضى في الشورى قال : (كماثال) أى مثل أشخاص (اللؤلؤ المكنون) أى المصون في الصدف عما قد يدنسه .

و لما أبلغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء ، دل على أن أعمالهم ١٠ كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى : (جزاء) أى فعل لهم ذلك لأجل الجزاء (بما كانوا) جبلة و طبعا (يعملونه) أى يجدون عمله على جهة الاستمرار .

ولما أثبت لها الكمال وجعله لهم ، نفي عنها النقص فقال : (لا يسمعون) أى على حال من الأحوال (فيها لغوا) أى شيئًا مما لا ينفع فان ١٥ انكأ... بالسميع الحكيم ذلك ، و اللغو : الساقط (و لا تائبيا) أى ما يحصل به الإثم أو النسبة إلى الإثم ، بل حركاتهم و سكناتهم [كلها -] رضى الله ، و ما قطع قلوب السائرين إلى الله إلاها تان الخصلتان بينا أحدم

(١-١) من ظ ، و في الأصل : ما لا يجدون لآخره (٢) راجع نر المرجان ١٦٨/٧ .

(٣) من ظ ، و في الأصل : بما (٤) زيد من ظ .

ينى ما ينفعه مجتهدا فى البناء إذ هو قد غلبه طبعه فهدم أكثر ما بنى ،
وبينا هو يظن أنه قد قرب إذا هو 'تحقق بمثل ذلك أنه قد بعد ، نزحت
داره وشط مزاره ، فانه المستعان .

ولما كان الاستثناء ، معيار (٩) العموم ، ساق بصورة الاستثناء قوله :

٥ ﴿ الاقلا ﴾ أى هو فى غاية اللطافة و الرقة بما دل عليه المبنى على ما
قبلها محاسن مع ما تدل عليه مادة قوله . ولما تشوف السامع إليه
بالتعبير بما ذكر ، بينه بقوله : ﴿ سلنا ﴾ ودل على دوامه بتكريره
فقال : ﴿ سلناه ﴾ أى لا يخطر فى النفس ولا يظهر فى الحس منهم قول
إلا دالا على السلامة لأنه لا عطب فيها أصلا ، [و - '] ساقه مساق
١٠ الاستثناء المتصل دلالة على أنه إن كان فيها لغو فهو ذلك حسب ، وهو
ما يؤمنهم و ينعمهم و يبشرهم مع انه دال على حسن العشرة و جميل الصبغة
و تهذيب / الأخلاق و صفاء المودة .

/ ١٧٠

ولما آم سبحانه القسم الأول القلى السواى المودلى من الثلاثة
بقسميه ، و ذكر فى جزائه بما لأصحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول إليه ،
١٥ عطف عليه الثانى الذى هو دونه لذلك وهم والله أعلم الأبرار وهم أيضا
صنفان ، و ذكر فى جزائهم من جنس ما لأهل البوادرى أنهى ما
يتصورونه و يتمنونه فقال : ﴿ واصحب اليمين لا ﴾ ثم نغم أمرهم و أعلى
مدحهم لتعظيم جزائهم ، و الإشارة^٢ إلى أنهم أهل لأن يسأل عن حالهم
فانهم فى غاية الإعجاب فقال : ﴿ ما اصحب اليمين^٣ ﴾ ولما عبر عنهم بما

(١) من ظ ، و فى الأصل : قد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى .
الأصل : اشارة .

أنهم أنهم أولو القوة والجد في لأعمال، والبركة في جميع الأحوال، ذكر
عيشهم بادئا بالفاكهة لان عيش الجنة كله تفكه، ذاكرا منها ما يبت في
بلاد العرب من غير كافة بغرس ولا خدمة، وأشار إلى كثرة ما يذكره
بأن جعله ظرفهم، فقال من غير ذكر لسرير الملك الذي حبا به المقربين
من الملك، ولم يزد على ذلك المأكول وما معه بما يتصور للبهائم: ٥
(في سدر) أى شجر نبق متدلى الاغصان من شدة حمله، من سدر
الشعر - إذا سده (محضود لا) أى هو مع أنه لاشوك له ولا عجم
حيث تنقى أغصانه من شدة الحمل، من خضد الشوك: قطعه، والغصن: ثناه
وهو رطب، وفي ذكر هذا تنبيه على أن كل ما لانفع فيه أو فيه نوع
أذى له في الجنة وجود كريم لان الجنة إنما خلقت للنعيم . ١٠
ولما ذكر ما يطلع في الجبال والاماكن المعطشة والرمال، اتبعه
ما لا يطلع إلا على المياه دلالة على أن اماكنهم في غاية السهولة والرى
فقال: (و طلع) أى شجر موز أو نخل، وقال الحسن: شجر له ظل
بارد طيب، الرائحة [وقال الفراء وأبو عبيدة: شجر عظام لها شوك، وقيل:
هو أم غيلان، وله نور كثير - ١]، ويحكى عن أبى تراب النخشي ١٥
أنه كان ساراً مع قوم من الصوفية على قدم التوكل، فجاعوا أياها
فقال: آریدون ان تأكلوا، قالوا: نعم، فضرب يسه على شجرة أم
غيلان فاذا عليها عراجين موز، فأكلوا إلا شابا منهم، فقال: لا آكل

(١) من ظ، وفي الأصل: ذلك هذا (١) زيد من ظ .

ولا اصحبك بعدها ، لأنى كنت أسير بلا معلوم ، وقد صرت أنت الآن معلومى ، كلما جمعت التفتت نفسى إليك . (منضود لا) أى منظوم بالحمل من أعلاه إلى أسفله متراكم يترآكب بعضها على بعض على ترتيب هو فى غاية الإعجاب ، قال فى القاموس : الطلح : شجر عظيم ، و الطلع : والموز ، و الطلع من النخل : شئ يخرج كأنه نملان مطبقان والحمل بينهما منضود ، و الطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته أول ظهورها .

ولما ذكر ما لا يكون إلا فى البلاد الحارة قال : (وظل ممدود لا) أى مستوعب للزمان والمكان فهو دائم الاستمداد كما بين الإسفار و طلوع الشمس لافناء له ولانهاية . ولما كان ما ذكر من الرى لا يستلزم الجرى^٢ قال : (وماء مسكوب لا) أى جار فى منازلهم من غير أ حدود ولا يحتاجون فيه إلى جلب من الأماكن البعيدة ، ولا الإدلاء فى بئر كما لأهل البوادي .

ولما ذكر ما تقدم ، عم بقوله : (وفاكهة كثيرة لا) أى اجناسها وأنواعها وأشخاصها . ولما كانت لا تكون عندنا إلا فى أوقات يسيرة ، بين أن أمر الجنة على غير ذلك فقال : (لامقطوعة لا) ولما كانت فى الدنيا قد يعز التوصل إليها مع وجودها لشيء من الأشياء أقله صعود الشجرة أو التحجز / بمجدار أو غيره قال : (ولا ممنوعة لا) ولما كان التفكه لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة قال : (وفرش مرفوعة لا) أى هى رفيعة القدر وعالية بالفعل لكثرة الحشو ولترآكم بعضها على بعض

(١) من ظ ، وفى الأصل : الحبر .

ولأنها على السرر، وروى البيهقي^١ من طريق النسائي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام.

ولما كانت النساء يسمين فرشاً، قال تعالى معيذا للضمير على غير

ما يتبادر إليه الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكداً لأجل ٥
إنكار من ينكر البعث: ﴿أنا﴾ أي بما لنا من القبرة والعظمة التي لا يتعاطفها شيء ﴿انشأتهن﴾ أي الفرش التي معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت ولو عن الهرم والعجز بالبعث^٢، وزاد في التأكيد فقال: ﴿انشأه لا﴾ أي من غير ولادة، بل جمعناهن من التراب كما فعلنا في سائر المكلفين ليكونوا كأبيهم آدم عليه الصلاة والسلام في خلقه من ١٠ تراب، فتكون الإعادة كالبداءة، ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه الصلاة والسلام، ويجوز أن يكون المراد^٣ بهن الحور العين فيكون إنشاء مبتدعاً لم يسبق له وجود.

ولما كان للنفس أتم التفات إلى الاختصاص، وكان الأصل في

الإنشئ المنشأة أن تكون بكراً، به على أن المراد بكرة لا تزول إلا حال ١٥
الوطئ ثم تعود، فكلمة عاد إليها وجدها بكراً، فقال: ﴿لجملتهن﴾ أي الفرش الثيبات وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء ﴿ابكاراً لا﴾ أي

(١) في معالم التنزيل بهامش إباب التأويل ٧ / ١٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقيم من ظ (٣-٣) مز ظ ، وفي الأصل: للبعث بالعجز (٤) من ظ ، وفي الأصل: جعلناهن (٥-٥) في ظ: يراد .

بكاره دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص .

ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تنضرر من الزوج لما يلحقها من الوجع بازالة البكاره، دل [على] أنه لا نكد هناك أصلا بوجع ولا غيره بقوله: ﴿عربا﴾ جمع عرب، وهي الغنجة المتحبة إلى زوجها،
 ٥ قال الرازي في اللوامع: الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب . ولما كان الاتفاق في السن أدعى إلى المحبة ومزيد الألفة قال: ﴿أرابا﴾ أى على سن واحدة وقد واحد، بنات ثلاث وثلاثين [سنة - ١] وكذا أزواجهن . قال الرازي في اللوامع: أخذ من لعب الصبيان بالتراب - انتهى،
 وروى البغوى^٢ من طريق عبد بن حميد عن الحسن: قال أتت عجوز^١ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان! [إن - ١] الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكى، قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: إنا انشأناهن، الآية، رواه الترمذى عنه في الشمائل هكذا مرسلا، ورواه البيهقى في كتاب البعث عن عائشة رضى الله عنها والطبرانى في الأوسط من وجه
 ١٥ عنها، ومن وجه آخر عن أنس رضى الله عنه، قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر: وكل طريقه ضعيفة، وروى البغوى^٢ أيضا من طريق الثعلبى عن أس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية.

(١) من ظ، وفي الاصل: ما (٢) زيد من ظ (٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٦ / ٧ (٤) زيد في الاصل: إلى، ولم تكن الزيادة في ظ والمعالم غذفناها .
 (٥-٥) من ظ والمعالم، وفي الاصل: الى ان أدخل (٦) زيد من المعالم .

قال: مجازكن في الدنيا عمشا رمسا فعملهن أبارا .

ولما كان هذا الوصف البديع مقتضيا لما يزدهي [عنه - ١]
النفس لأن يقال: لمن هؤلاء؟ وإن كان قد علم قبل ذلك، به عليه
بقوله تعالى: ﴿ لا صحب اليمين طي ﴾ ويجوز أن يتعلق بـ "أترابا"
نصا على أنهم في أسنان أزواجهن .^٥

١٧٢ / / ولما أنهى وصف ما فيه أهل هذا الصنف على أنهى ما يكون
لأهل البادية بعد أن وصف ما للسابقين بأعلى ما يمكن أن يكون لأهل
الحاضرة، وكان قد قدم المقايسة في السابقين بين الأولين والآخريين،
فعل هنا كذلك فقال: ﴿ ثلثة من الأولين لا ﴾ أى من اصحاب اليمين
﴿ و ثلثة ﴾ أى منهم ﴿ من الآخريين ﴾ فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة،^{١٠}
و الظاهر أن الآخريين أكثر، فإن وصف الأولين بالكثرة لا ينافي كون
غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذه الأمة
ثلثا أهل الجنة، فانهم عشرون ومائة صف، هذه الأمة منهم
ثمانون صفا .

ولما آتم وصف ما فيه الصنفان المحمودان، وبه تمت أقسام اصحاب ١٥
الميمنة الأربعة الذين هم اصحاب القلب واليمين، أتبعه أضدادهم فقال:
﴿ و اصحاب الشمال لا ﴾ أى الجهة التى تتشامم العرب بها وعبر بها عن
الشيء الأخرس والحظ الأنقص^٢، والظاهر أنهم أدنى اصحاب المشامة كما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: أزواج (٣) من ظ، وفى
الأصل: الأنفس .

كان أصحاب اليمين دون السابقين من أصحاب الميمنة ، ثم عظم ذمهم
ومصائبهم فقال : ﴿ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ ۗ ﴾ [أى - ١] إنهم بحال من الشوم
هو جدير^٢ بأن يسأل عنه^٣ . ولما ذمهم وعابهم ، ذكر عذابهم ليعلم أن
القسم الأشد منهم في الشؤم أشد عذابا فقال : ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ أى
ظرفهم المحيط بهم لفتح من لفتح النار شديد يتخلل المسام ﴿ وحميم ۗ ﴾
أى ماء حار بالغ في الحرارة إلى حد يذيب اللحم .

ولما كان للتهكم في القلب من شديد الوجد ما يجعل عن الوصف
والحدقال : ﴿ وَظَلٍ ﴾ ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال : ﴿ مِنْ يَحْمُومٍ ۗ ﴾
أى دخان أسود كاللحم أى الفحم شديد السواد بما أفهمته الزيادة وشبه
١٠ صيغة المبالغة . ولما كان المعهود من الظل البرد والإراحة ، نقي ذلك
عنه^٤ فقال : ﴿ لَا بَارِدٍ ﴾ ليروح النفس ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ۗ ﴾ ليؤنس به ويبلغا
إليه ويرجى خيره^٥ ويعول في حال عليه بأن يفعل ما يفعله الواسع
الخلق الصفوح من الإكرام ، بل هو مهين ، سماه ظلا لتراتح النفس إليه
ثم نقي عنه نفع الظل و بركته لينضم حرقان : الياس بعد الرجاء إلى
١٥ إحراق اليحوم فتصير العصه غصتين .

ولما أنتج هذا أنه على خلق اللثيم فهو موضع الحرارة والضيق
والخسة والشدة ، علاه بقوله : ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أكده وإن كان فيهم أهل
(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : هم جديرون (٣) من ظ ،
وفى الأصل : عنهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : متحلل (٥-٥) من ظ ، وفى
الأصل : عن ذلك (٦) من ظ ، وفى الأصل : غيره .

الضر لاجتماعهم في الاسترواح إلى مناقذة الدين باتباع الشهوات، ولأن ما مضى لهم بالنسبة إلى هذا العذاب حال ناعم، وعبر بالكون دلالة على العراقة في ذلك ولو تبهوهم له جبلة وطبعا فقال: ﴿ كانوا ﴾ أى في الدنيا. ولما كان ذلك ملازما للاستغراق في الزمان بميل الطباع، نزع الجار فقال: ﴿ قبل ذلك ﴾ أى الأمر العظيم [الذى - '] وصلوا ه إليه ﴿ مترفين قديلة ﴾ أى في سعة من العيش منتمكين في الشهوات مستمتعين بها متمكين فيها لترامى طباعهم إليها فأعقبهم ما في جلاتهم من الإخلاد إلى الترف عدم الاعتبار والاتعاض في الدنيا والتكبر على الدعاة إلى الله، وفي الآخرة شدة الألم لرقة أجسامهم المهمة للترف بتعودها بالراحة باخلادها إليها وتحويلها عليها ﴿ وكانوا ﴾ أى مع الترف ١٠ ﴿ بصرون ﴾ أى يقيمون ويدومون على سبيل التجديد مما لهم من الميل الجبلى إلى ذلك ﴿ على الخنث ﴾ أى الذنب /، ومنه قولهم: بلغ الغلام الخنث، أى الحلم الذى هو وقت المواخذه بالذنب، ويطلق الخنث على الكذب والميل إلى الأباطيل واليمين الغموس ونقض العهد المؤكد.

ولما كان ذلك قد يكون من " المعهود بما يغتفر بكونه صغيرا ١٥ أوفى وقت يسير قال: ﴿ العظيم ٤ ﴾ دالا على أنهم يستهينون العظام من القباح والفواحش.

ولما وصفهم بالترف والإصرار على السرف، وكان ذلك يلازم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: يدعون (٣) من ظ، وفي الأصل: ف.

البطالة، وكان يلزم عنها الغباوة و الفساد الموجب للشقاوة، ذكر إنكارهم
لما لا أئين منه، فقال عاطفا على ما أفهمه التعبير عن الإثم بالحنث
[من نحو - ١]: فكانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم لا يبعثون و أن
الرسل كاذبون: ﴿ و كانوا يقولون لا ﴾ أى إنكارا مجددين لذلك دائما
٥ جلافة أو عنادا: ﴿ انذا ﴾ أى أنبث إذا، وحذف العامل لدلالة "مبعوثون"
عليه، ولا يعمل هو لأن الاستفهام و حرف التأكيد اللذين لهما الصدر
منه (متنا) أى فلم يبق فى رد أرواحنا طب بوجه ﴿ و كنا ﴾ أى
كونا ثابتا ﴿ ترابا و عظاما ﴾ و لما كان استفهامهم هذا لإنكار ان يكون
فى شىء من إقامة أبدانهم أو رد أرواحهم طب، أعاد الاستفهام
١٠ تأكيداً لإنكارهم فقال: ﴿ انا لمبعوثون لا ﴾ أى كائن و ثابت بعثنا ساعة
من الدهر، و أكدوا ليكون إنكارهم لما دون المؤكد بطريق الأولى .
و لما كانت أفهامهم واقفة مع المحسوسات لجودهم. و كان البلى كلما
كان أقوى كان ذلك البلى فى زعمهم من البعث أبعد، قالوا مخرجين
فى جملة فعلية عاطفا على الواو من "مبعوثون" من غير تأكيد بضمير
١٥ الفصل بالاستفهام: ﴿ او أبأونا ﴾ أى يبعث أبأونا أى يوجد بعثهم من
حين، و زادوا الاستبعاد على ما أفهموا بقولهم: ﴿ الاولون ﴾ أى
الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم، فصاروا كلهم ترابا و لاسيما إن
حملتهم السيول ففرقت ترابهم فى كل أوب، و ذهبت به فى كل صوب،
و سكن نافع و ابن عامر الواو على أن العاطف "أو" و يجوز أن

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اعدوا .

يكون العطف على محل ' ان ' واسمها .

ولما كانوا في غاية الجلالة، رد إنكارهم بأثبات ما نفوه، وزادهم الإخبار باهانتهم ثم دل على صحة ذلك بالدليل العقلي لمن يفهمه، فقال مخاطبا لأعلى الخلق وأوقفهم به لأن هذا المقام لا يذوقه حق ذوقه إلا هو كما أنه لا يقوم بتقريره لهم والرفق بهم [إلا هو]: ﴿ قل ﴾ أى لهم و لكل من ٥ كان مثلهم، وأكد لإنكارهم: ﴿ ان الاولين ﴾ الذين جعلتم الاستبعاد فيهم أوليا، ونص على الاستفراق بقوله: ﴿ والأخريين ﴾ ودل على سهولة بعثهم وأنه في غاية الثبات، منها على أن نقلهم بالموت والبلي تحصيل لا تفويت: ﴿ لمجموعون ﴾ بصيغة اسم المفعول، في المكان الذى يكون فيه الحساب . ولما كانت جمعهم بالتدرج، عبر بالغاية فقال: ١٠ ﴿ الى ميقات ﴾ أى زمان و مكان ﴿ يوم معلوم ﴾ أى معين عند الله، ومن شأنه أن يعلم بما عنده من الأمارات، والميقات: ما وقت به الشيء من زمان أو مكان أى حد .

ولما كان زمان البعث متراخيا عن نزول القرآن، عبر بأداته و أكد لأجل إنكارهم فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد البعث بعد الجمع المدرج ١٥ ﴿ انكم ﴾ / و أيد ما فهمه من أصحاب الشمال هم القسم الأدنى من أصحاب المشأمة فقال: ﴿ ايها الضالون ﴾ أى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون، ثم أتبع ذلك ما أوجب الحكم عليهم بالضلال فقال: ﴿ المكذبون ﴾ أى تكذبا ناشئا عن الضلال و التقيد بما لا يكذب

به^١ إلا عريق في التكذيب بالصدق (لا كلون من شجر) منبته النار .
 و لما كان الشجر معدن الثمار الشهية^٢ كالسدر و الطلح ، بينه بقوله :
 (من زقوم^٣) أى شىء هو في غاية الكراهة و البشاعة في المنظر و متن
 الرائحة و الأذى ، قال أبو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع و عبد الحق
 ٥ في واعيه : الزقم^٤ : شوب اللبن و الإفراط فيه ، يقال : بات يزقم اللبن
 زقما ، و من هذا الزقوم الذى ذكره الله^٥ تبارك و تعالى ، و قالوا : قال
 أبو حنيفة : الزقوم شجرة غبراء صغيرة [الورق -] لا شوك لها زفرة لها
 كعابر في رؤسها و لها ورد تجرشه النحل ، و نورها أبيض و رأس و رنفها
 قبيح جدا ، و هى مرعى ، و منابتها السهل ، قال في القاموس : في الدفر
 ١٠ بالبدال المهملة ، الدفر - بالتحريك : وقوع الدود في الطعام و الذل
 و التن ، و يسكن ، و قال في المعجمة : الدفر - محركة : شدة ذكامة^٦ الريح كالذفرة
 أو يخص^٧ برائحة الإبط المتين ، و التن و ماء الفحل ، و الذفراء من الكتاب :
 السهكة من الحديد ، و الكعبرة بضمتين و عين و راء مهملتين : عقدة أنبوب
 الزرع ، و عن السهيلي أن أبا حنيفة ذكر في النبات أن شجرة بالين
 ١٥ يقال لها الزقوم لا ورق لها ، و فروعها أشبه شىء برؤس الحيات ، و قال
 البيضاوى : شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة ، و فى القاموس :
 و لزقة : الطاعون . و قال في النهاية : فعول من الزقم : اللقم الشديد

(١) من ظ و فى الأصل : فيه (٢) من ظ ، و فى الأصل : المشبهة (٣) من ظ ،
 و فى الأصل : الزقوم (٤) من ظ ، و فى الأصل : ذكر (٥) زيد من ظ .
 (٦) من ظ ، و فى الأصل : ذكامة (٧) فى القاموس : يخصان .

و الشرب المفرط، و قال ابن القطاع^١: زقم زقما: بلع، و قد علم من [مجموع - ٢] هذا الكلام تفسيره بالطاعون تارة و الشرب المفرط أخرى، و من الاشتراط و الشجرة المنتنة و البشعة المنظر أنه شيء كرهه يضطر آكله إلى التملؤ منه بنهمة و همة عظيمة، و من المعلوم أن الحامل له على هذا مع هذه الكراهة لا يكون إلا في أعلى طبقات ه الكراهة، و لذلك حسن جدا [موقع - ٢] قوله مسيبا عن الأكل: (فالتون) أي ملثا هو في غاية الثبات و أتم في غاية الإقبال عليه [مع ما هو عليه - ٢] من عظيم الكراهة (منها) أي الشجر، أنه لأنه جمع شجر أو^٢ هو اسم جنس، و هم يكرهون الإناث فتأنيثه - والله أعلم - زيادة [في - ٢] تفيرهم منه (البطون ج) أي لشيء عجيب يضطركم إلى ١٠ تناول هذا الكره بما هو أشد منه كراهة بطبقات من جوع أو غيره، و إن فسرت بما قالوا [من - ٢] أنه معروف لهم أنه الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى أنهم يتملؤن منها تملا^٢ من يأكل من هذا في الدنيا مع أنه من المعلوم أنه لا شيء في النار المعدة [للعذاب - ٢] لمن أعدت لعذابه حسن .

١٥

ولما كان من يأكل كثيرا يعطش عطشا شديدا فيشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش، سبب عنه قوله: (فشربون عليه) أي على [هذا - ٢] الملىء أو الأكل / (من الحميم ج) أي الماء الذي هو في غاية الحرارة بحيث ضوعف إحماؤه وإغلاؤه .

١٧٥ /

ولما كان شربهم^١ لادنى قطرة من ذلك في غاية العجب، ٢٠

(١) في كتاب الأفعال ٢ / ٨٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: و .

(٤) من ظ، وفي الأصل: شومهم .

أتبعه ما هو اعجب منه وهو شدة تملؤهم منه فقال مسيبا عما مضى:
 (فشربون) أى منه (شرب) بالفتح فى قراءة الجماعة وبالضم
 لنافع وعاصم وحمزة، وقرئ شاذا بالكسر والثلاثة مصادر، قال فى
 القاموس: وشرب كسمع شربا ويثك أو الشراب مصدر وبالضم والكسر
 ٥ اسمان، وبالفتح القوم: يشربون، وبالكسر: الماء والحظ منه، والمورد
 ووقت الشرب، والكل يصلح هنا (الهيم) أى الإبل العطاش لأن
 بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، وقال القزاز: جمع هيام
 وهو اى - الهيام - بالضم: داء يصيب الإبل قشرب ولا تروى -
 انتهى. وقال: ذو الرمة^١:

١٠ فأصبحت كالهيام لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها

ويقال: الهيم: الرمل، ينصب فيه كل ما صب عليه، والمعنى أنه يسلط عليهم من
 الجوع ما يضطرهم إلى الأكل ثم من العطش ما يضطرهم إلى الشرب على هذه الهيئة.
 ولما كان كأنه قيل: هذا عذابهم كله، قيل تهكما بهم ونكاية لهم:
 (هذا نزلهم) أى ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعد للضيف أول
 ١٥ حلوله كرامة له (يوم الدين) أى الجزاء الذى هو حكمة القيامة،
 وإذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتى بعده على طريق من يعنى
 به فما ظنك بما يكون [لمن - ٢] هو أغنى منهم من المعاندين وهو
 فى طريق التهنيم مثل قول أنى الشعراء الضبى:

و كنا إذا الجبار^٢ بالسيف^١ صافنا جعلنا القنا والمرفات له نزلا

(١) راجع البحر المحيط ٢٠٨/٨ (٢) زيد من ظه والبحر المحيط (٣) من ظه،
 وفى الأصل: ما الجار (٤) فى البحر: بالحيش.

ولما ذكر الواقعة وما يكون فيها للأصناف الثلاثة، وختم بها على وجه بين فيه حكمتها وكانوا ينكرونها، دل عليه بقوله: ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا ﴿ خلقكم ﴾ أى بما لنا من العظمة، ولعل هذا الخطاب للدهرية المعطلة من العرب. ولما كانوا منكرين [للبعث عدوا منكرين للابتداء-١] وإن كانوا من المخلصة (٢) بالمقرين بالخالق لأنها لما بينهما من ٥ الملازمة لا انفكاك لاحدهما عن الآخر فقال: ﴿ فلو لا ﴾ أى تسبب عن ذلك أن يقال تهديدا ووعيدا: هلا ولم لا ﴿ تصدقون ﴾ أى بالخالق الذى شاهدتموه ولا منازع لنا فيما فيه فتصدقوا بما لا يفرق بينه وبينه إلا بأن يكون أحق منه فى مجارى عاداتكم، وهو الإعادة فتعملوا عمل العبيد لساداتهم ليكون حالكم حال مصدق بأنه مريبوب. ١٠

ولما حضضهم على التصديق بالاستدلال بإيجادهم، وكان البعث إنما هو تحويلهم من صورة بالية إلى الصورة التى كانوا عليها من قبل، سبب عن تكذيبهم به مع تصديقهم بالخالق عدم النظر فى تبديل الصور فى تفاصيله، أو سبب عن قول من عساه يقول من أهل الطبائع: إنما خلقنا من نطفة حدثت بحرارة كامنة، فقال: ﴿ افروا ﴾ أى أخبروني هل ١٥ رأيتم بالبصر أو البصيرة أنا خلقناكم فيهدىكم ذلك أنا تقدر على الإعادة كما قدرنا على البداية فرأيتم ﴿ ماتمون ﴾ أى تريقون - / من النطف التى هى منى فى الأرحام بالجماع.

ولما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب، نه على ذلك بتجديد الإنكار

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: كامله.

تنبيها على أنهم وإن كانوا معترفين بتفرده بالإبداع، فإن إنكارهم للبعث مستلزم لإنكارهم لذلك فقال: ﴿أنتم تخلقونه﴾ أي 'توجدونه مقدرا' على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة إلى صورة العلقة ثم من صورة العلقة إلى صورة المضغة ثم منها إلى صورة العظام و الأعصاب ﴿أم نحن﴾ خاصة . ولما كان المقام لتقرير المنكرين ذكر^٢ الخبر المفهوم من السياق على وجه أفهم أن التقدير: أو أنتم الخالقون له أم نحن؟ فقال: ^٣ بل نحن ^٤ ﴿الخالقون﴾ أي الثابت لنا ذلك، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا "تخلقون" دليلا على حذف مثله [له -^٤] سبحانه ثانيا، وذكر الاسم [ثانيا -^٤] دليلا على حذف مثله ١٠ لهم أولا، وسر ذلك [أنه ذكر -^٤] ما هو الأوفق لأعمالهم بما يدل على وقت التجدد [ولو -^٤] وقاما، وما هو الأولى بصفاته سبحانه بما يدل على الثبات و الدوام .

ولما كان الجواب: أنت الخالق وحدك، وكان الطبيعي ربما قال: اقتضى ذلك الحرارة [المخمرة -^٤] للنطفة، وكانت المفاوطة للأجال مع المساواة في اسمية الحياة من الدلائل العظيمة على تمام القدرة على الإفناء و الإبداء بالاختيار مبطله لقول أهل الطبائع دافعة لهم، أكد ذلك الدليل بقوله: ﴿نحن﴾ أي بما لنا من المظمة لا غيرنا ﴿قدرنا﴾ أي تقديرا

(١ - ١) من ظ ، وفي الأصل : تجدونه مقدورا (٢) من ظ ، وفي الأصل : أكد (٣-٢) -قط ما بين الرقین من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : ما .

عظيما، لا يقدر سوانا على تقض شيء منه (بينكم) أى كلكم لم تترك أحدا منكم بغير حصة منه (الموت) أى أوجباه على مقدار معلوم لكل أحد لا يتعداه، فقصرنا عمر هذا وربما كان فى الأوج من قوة البدن وصحة المزاج، فلو اجتمع الخلق كلهم [على] إطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه لحظة، وأطلنا عمر هذا وقد يكون فى الحضيض من ضعف هـ البدن واضطراب المزاج فلو تماثلوا على تقصيره طرفه عين لعجزوا، وأتم معترفون بأنه سبحانه رب أفعاله على مقتضى الكمال والقدرة والحكمة البالغة، فلو كانت فائدة الموت مجرد القهر لكانت تقصا لكونه يعم الغنى والفقير والظالم والمظلوم، ولكان جعل الإنسان مخلدا أولى وأحكم، فقائده غير مجرد القهر وهى الحمل على إحسان العمل للقاهر خوفا من ١٠ العرض عليه والمحاسبة بين يديه ثم النقلة إلى دار الجزاء والترقية إلى العلوم التى البدن حجابها من تمييز الخبيث والطيب والعلم بمقادير الثواب والعقاب، وغير ذلك مما يبصره أولو الأبواب .

و لما كان حاصل الموت أنه تغيير الصورة التى كانت إلى غيرها،

و كان من قدر على تحويل صورة شيء إلى شيء قدر على تحويلها ١٥ إلى شيء آخر مماثل لذلك الشيء قال: (وما نحن) أى على ما لنا من العظمة، وأكد النقي فقال: (بمسوقين) أى بالموت ولا عاجزين ولا مغلوبين (على^٢ ان تبدل) تبديلا عظيما (أمثالكم) أى صوركم وأشخاصكم لما تقدم فى الشورى من أن المثل فى الأصل هو الشيء نفسه (وننشكم) أى إنشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم (فى ما لا تعلمونه) ٢٠

فان بعضهم تأكله السباع أو الحيتان/ أو الطيور فنشأ أبدانها منه، بعضهم
يصير ترابا فربما نشأ منه نبات فأكلته الدواب، فنشأ منه أبدانها، وربما
صار ترابه من معادن الأرض كالذهب والفضة والحديد والحجر ونحو
ذلك، وقد لمح إلى ذلك قوله تعالى "قل كونوا حجارة أو حديدا
٥ 'أو خلقا'" إلى آخرها، أو يكون المعنى كما قال البغوي^٢: نأتى بخلق
مثلكم بدلا منكم وتخلقكم فيما لا تعلمون من الصور. أى بتغيير أوصافكم
و صوركم فى صور أخرى بالمسح، ومن قدر على ذلك قدر على الإعادة .
ولما كان التقدير: فلقد علمت النشأة الثانية النطفية، عطف عليه
قوله مؤكدا تنبيها على أنهم لما كانوا يعملون بخلاف ما يعلمون كانوا كأنهم
١٠ منكرون لهذا العلم: ﴿ ولقد علمتم ﴾ أى أيها العرب ﴿ النشأة الاولى ﴾
التراية لأبيه آدم عليه الصلاة والسلام: أو اللحمية لأبكم حواء عليها
السلام حيث لم يكن هناك طبيعة تقتضى ذلك، وإلا لوجد مثل ذلك
بعد ذلك، والنطفية لكم، وكل منها تحويل من شىء إلى غيره، فالذى
شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا إلى
٥ ما كنتم عليه أولا من الصورة؟ ولهذا سبب عما تقدم قوله: ﴿ فلولا ﴾
أى فهلا ولم لا ﴿ تذكرون ه ﴾ أى تذكرنا عظيما تكبرهون أنفسكم وإن
كان فيه خفاء ما - بما أشار إليه الإدغام من أن الملموم عليه غيب، وكذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: آخره .

(٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٩/٧ (٤) من ظ، وفى الأصل: بتغير (ه) فى

ظ: إلى (٦) سقط من ظ .

بعض ما قيس به ان من قدر على هذه الوجوه من الإبداعات قدر على الإعادة، بل هي أهون في مجارى عاداتكم .

ولما كان عليهم بأمر النبات الذى هو الآيية العظمى لإعادة الاموات أعظم من عليهم بجميع ما مضى، وكان أمره فى الحرث وإلقاء البذر [فيه - ١] أشبه شىء بالجماع وإلقاء النطفة، ولذلك سميت المرأة حرثا، وصل بما مضى مسييا عنه قوله منكرا عليهم: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبروني هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نهناكم عليه وفيما تقدم فتسبب عن تنبهكم لذلك أنكم رأيتم ﴿ ما تحرثون ﴾ أى تجددون حرثه على سبيل الاستمرار بتهيئة أرضه للبذر وإلقاء البذر فيه .

ولما كانوا لا يدعون القدرة على الإنبات بوجه، وكان القادر عليه ١٠ قادرا على كل شىء، وهم يعتقدون فى أمر البعث ما يؤدى إلى الطعن فى قدرته، كرر الإنكار عليهم فقال: ﴿ ااتم تزرعون ﴾ أى تتبونه بعد طرحكم البذر فيه وتحفظونه إلى أن يصير مالا ﴿ ام نحن ﴾ خاصة، وأكد لما مضى بذكر الخبر المعلوم من السياق فقال: ﴿ الزرعون ﴾ أى المنتبون له والحافظون، فالآيه من الاحتباك بمثل ما مضى فى ١٥ أختها قريبا سواء .

ولما كان الجواب قطعا: أنت الفاعل لذلك وحدك ؟ [قال - ١]

موضحا لأنه ما زرعه غيره بأن الفاعل الكامل من يدفع عما صنعه ما

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ، وفى

الأصل: بما .

يفسده، ومن إذا أراد إفساده لم يقدر أحد على منعه (لو نشأ) أى
لو عاملناكم بصفة العظمة، وأكد لأن فعلهم فعل الآمن [من - ١]
ذلك مع أنهم فى غاية الاستبعاد لأن يهلك زرعهم كما زرعه أو لأن
المطعم أهم من المشروب و أعظم، فانه الاصل فى إقامة البدن و المشروب
٥ تبع له فقال: (لجعلناه) أى بتلك العظمة (حطاما) أى مكسرا
مفتتا / لاحب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج أو بعده يبرد مفرط
أو حر مهلك أو غير ذلك فلا ينتفع به (فظلتم) أى فأقتم بسبب
ذلك نهارا فى وقت الأشغال العظيمة و فى كل وقت و تركتم كل ما
يهمكم (تفكهون) قال فى القاموس: فكهم بملح الكلام: أظرفهم
١٠ بها و فكه - كفرح فكها فهو فكه و فاكه: طيب النفس أو يحدث
صحة فيضحكهم و منه تعجب كتفكه، و التفاهة: التمازح، و تفكه: تندم،
و الأفكوكه: الأجموبة، و قال ابن برجان: الفكه هو المتردد فى القول
الذاهب فيه كل مذهب - انتهى. فأقتم دائما تندمون على العاقم (٩)
أو معاصيكم التى سببت ذلك التلف أو تتعجبون أو تتحدثون فى ذلك
١٥ و لم تخرجوا على شغل غيره كما تفعلون عند الأشياء السارة التى هى فى
غاية الإعجاب و الملاحة و الملازمة، ولهذا عبر عما المراد به الإقاة مع
الدوام بـ "ظل" الذى معناه أقام نهارا إشارة [إلى ترك الأشغال التى
تهم و محلها النهار: يمنع الإنسان من أكثر ما يهيمه من الكلام لهذا النازل
الأعظم، و حذف إحدى لامي ظل و تاء الفعل من تفكه إشارة - ١]

/ ١٧٨

(١) زيد فى ظ: تفكه.

إلى ضعف المصابين عن الدفاع في بقائهم وفي كلامهم حال بقائهم الضعيف، وكون المحذوف عين الفعل وهو الوسط، إشارة إلى خلع القلب واختراق الجوف والقهر العظيم، فلا قدرة لأحد منهم على ممانعة هذا النازل بوجه ولا على تبريد ما اعتراه منه من حرارة الصدر وخوف الفقر بغير الشكاية إلى آماله ممن يعلم أنه لا ضرر في يده ولا نفع، ه وربما كان ذلك إشارة إلى [أنه - ١] عاداته سبحانه قرب الفرج في شدائد الدنيا ليكون الإنسان متمكنا من الشكر لا عذر له في تركه، ويكون المعنى أنكم مع [كثرة - ١] اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تياسون أول ما يصدكم البلاء، فتقبلون على كثرة الشكاية، ولا ينفعكم كثرة التجارب لإدراك النعم أبدا .

١٠

ولما ذكر تفكهمهم، وكان التفكك يطلق على ما ذكر من التعجب والتندم وعلى التعم، قال الكسائي: هو من الأضداد، تقول العرب: تفككت أي تعامت، وتفككت، أي حزنت، بين المراد بقوله حكاية لتفكهمهم: (أنا) وأكد إعلاما بشدة بأسهم [فقال - ١]: (لمغرمون لا) أي مولع بنا وملازمون بشر دائم وعذاب وهلاك لهلاك رزقنا، ١٥ أومكرمون بغرامة ما أنفقنا ولم يتنفع به، وقراءة أبي بكر عن عاصم بالاستفهام لإنكار هذا الواقع والاستظام له والتعجب منه، وهي منبهة على أنهم لشدة اضطرابهم^٢ من ذلك الحادث مذنبون تارة يجزمون باليأس والشر وتارة يشكون فيه وينسبون الأمر إلى سوء تصرفهم، وعليه يدل

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: اضطرابهم .

إضرابهم^١: (بل نحن) أى خاصة (محرومون^٢) أى حرمانا غيرنا
 وهو من لا يرد قضاؤه، فلا حظ لنا فى الاكتساب، فلو كان الزارع ممن
 له حظ لأفلح زرعه، قال فى القاموس: الغرام: الولوع^٣ والشر الدائم والهلاك
 والعذاب، والغرامة ما يلزم أدائه، وحرمة: منعه، والمحروم، الممنوع عن
 الخير ومن لا ينمى له مال والمخارف - [أى -^٤] بفتح الراء - وهو الممنوع
 من الخير الذى لا يكاد يكتسب، وقال الاصهاني فى تفسيره: والمحروم
 ضد المرزوق، أى والمرزوق المجرود بالجيم وهو المحظوظ .

/ ولما وقفهم على قدرته فى الزرع مع وجود أسبابه، وقدمهم
 بشدة إليه، وكان ربما ألبس نوع لبس لأن لهم فيه سببا فى الجملة،
 ١٠ أتبعه التوقيف على قدرته على التصرف فى سببه الذى هو الماء الذى لا سبب
 لهم فى شئ من أمره أصلا، فقال مسيبا عما أفادهم هذا التنبه مذكرا:
 بنعمة الشرب^٥ الذى يحوج إليه الغذاء: (أفريتم) أى أخبرونى هل
 رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نهنا عليه بما مضى فى المطعم وغيره، أفريتم
 (الماء) ولما كان منه ما لا يشرب، وكانت النعمة فى المشروب أعظم،
 ١٥ قال واصفا له بما أغنى عن وصفه بالعدوية، وبين موضع النعمة التى
 لا يحيد عنها فقال^٦: (الذى تشربون^٧) ولما كان عنصره فى^٨ جهة
 العلو، قال منكرا عليهم مقررا لهم: (اتم انزلتموه) ولما كان الإنزال

(١) فى الأصل: اضطرابهم، وفى ظ: اصرارهم (٢) من ظ و القاموس،
 وفى الأصل: الوداع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: مذكر (٥) من
 ظ، وفى الأصل: الرب (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من
 ظ، وفى الأصل: من .

قد يطلق على مجرد إيجاد الشيء النفيس ، و كان السحاب من عاداته
المرور مع الريح لا يكاد يثبت ، عبر بقوله تحقياً لجهة العلو و توقيفا
على موضع النعمة في إثباته إلى أن يتم حصول النفع به : (من المزن)
أي السحاب المملوء المدوح الذي شأنه الإسراع في المضي ، و قال
الأصبهاني : [و - ١] قيل : السحاب الأبيض خاصة ، و هو أعذب ماء ه
(ام نحن) أي خاصة . و أكد بذكر الخبر و هو لا يحتاج إلى ذكره
في أصل المعنى فقال : (المنزلون ه) أي له ، رحمة [لكم - ١] و إحسانا
إليكم بتطيب عيشكم على ما لنا من مقام العظمة الذي شأنه الكبر و الجبروت
و عدم المبالاة بشيء ، و الآية من الاحتباك بمثل ما مضى في الآيتين
السابقتين سواء .

١٠

و لما كان الجواب : أنت وحدك فعلت ذلك على غناك عن الخلق
بمالك من الرحمة و كمال الذات و الصفات ، قال مذكرا بنعمة أخرى :
(لونها) أي حال إزاله و بعده قبل أن ينتفع به . و لما كانت صيرورة
الماء [ملحا - ١] أكثر من صيرورة التبت حطاما ، لم يؤكد لذلك
و للنتية على أن السامعين لما مضى التوقيف على تمام القدرة صاروا في ١٥
حيز المعترفين فقال تعالى : (جعلته) أي بما تقتضيه صفات العظمة
(اجاجا) أي ملحا مرا محرقا كأنه في الأحشاء لهيب النار الموجه فلا
يبرد عطشا و لا يبت نباتا ينتفع به . و لما كان هذا بما لا يساغ^٢ لإنكاره ،
(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : له ، و لم تكن الزيادة في ظ لخذفها .

سبب عنه على سبيل الإنكار والتحضيض قوله : ﴿ فلو لا تشكرون ﴾
 أى فهل لا ولم لا تجدون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم
 ذلك من القوى فى طاعة الذى أوجده لكم ومكنكم منه وجعله ملائماً
 لطباعكم مشتتهى لنفوسكم نافعا لكم فى كل ما زونه .

٥ ولما كانت النار سبباً لعنصر ما فيه الماء فيتطلب فيتقاطر كما

كان الماء سبباً لتشقيق الأرض بالزرع ، ولم يكن لمخلوق قدرة على
 التوصل بنوع سبب ، أتبعه بها كما أتبع الزرع بالماء لذلك وليان القدرة
 على ما لا سبب فيه لمخلوق فى السفلى كما كان إنزال الماء عريان سنهم
 فى العلو ، فقال مسيباً عما مضى تنبيهاً على أنه أهلهم للتأمل فى مصنوعاته

١٠ / ١٨٠ والتبصر فى عجائب آياته فقال : / ﴿ افرايم ﴾ أى أخبرونى هل رأيتم

بالأبصار والبصار ما تقدم فرايم (النار) ولما كان المراد ناراً
 مخصوصة توقفهم على تمام قدرته وتكشف لهم ذلك كشفاً بيناً بايجاد

الاشياء من أضدادها فقال : ﴿ التى توروون ﴾ أى تستخرجون من الزند
 فتوقدون به سواء كان الزند يابساً أو أخضر بعد أن كانت خفية فيه

١٥ لا يظن من لم يجرب ذلك أن فيه ناراً أصلاً ، فكان ذلك مثل التورية

التي يظهر فيها شيء ويراد غيره ، ثم صار بعد ذلك الخفاء إلى ظهور

عظيم وسلطة متزايدة وعظمة ظاهرة تحرق كل ما لا يسها حتى ما
 خرجت منه ، والعرب أعرف الناس بأمر الزند ، وذلك أنهم يقطعون

(١) من ظ ، وفى الأصل : افاد (٢) من ظ ، وفى الأصل : توقم (٣) من

ظ ، وفى الأصل : الاخفاء (٤) فى ظ : باهرة .

غصنا من شجر المرخ و آخر من العفار، و يمكن احدهما على الآخر
 فتدح منها النار على أن النار في كل شجر، وإنما خص المرخ و العفار
 لسهولة القدح منهما، و قد قالوا: في كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار.
 و لما كان هذا من عجائب الصنع، كرر التقرير و الإنكار تنبيها
 عليه فقال: (و اتم انشأتم) أى اخترعتم و أوجدتم و أودعتم ٥
 و أحيتهم و ربيتم و أوقعتهم (شجرتها) أى المرخ و العفار التى تتخذون
 منها الزناد الذى يخرج منه. و أسكنتموها النار مخلطة بالماء الذى هو ضدها
 و خبأتموها فى تلك الشجرة لايبدو واحد منها على الآخر مع المضادة
 فيغلبه حتى يمحقه و يعدمه (ام نحن) أى خاصة، و أكد بقوله:
 (المنشون ٥) أى لما بنا لنا من العظمة على تلك الهيئة، فن قدر على ١٥
 [إيجاد - ٢] النار التى هى أيبس ما يكون من الشجر الأخضر مع ما
 فيه من المائية المضادة لها فى كفيتهما، كان أقدر على إعادة الطراوة
 و الغضاضة فى تراب الجسد الذى كان غضا طريا فيبس و يلى، و الآية
 من الاحتباك بمثل ما مضى فى أخواتها سواء .

و لما كان الجواب قطعا: أنت وحدك، قال دالا على ذلك ١٥
 تنبيها على عظم هذا الخبر: (نحن) أى خاصة (جعلناها) بما اقتضته
 عظمتنا، و قدم من منافعها ما هو أولى بسياق البحث الذى هو مقامه فقال:
 (تذكرة) أى شيئا تتذكرونه ' و تتذكرون ' به تذكرنا عظيما جليلا عن'

(١) من ظ ، و فى الأصل: واحدا (٢) من ظ ، و فى الأصل: ذلك (٣) زيد
 من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: مثل (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٥) سقط من ظ .

كل ما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم 'وغير ذلك' مما نيره لاولى البصائر والفهوم من العلوم، قال ابن برجان: فوزان قدح الزناد من الشجر، والزناد وزان الصيحة بهم ووزان إنشائه الأجسام ووزان إنشائه الشجرة النار، ويتذكر بانشائها ٥ في الشجر إنشاء الحياة في الأجسام وانشائها من غيبها أن النار الكبرى في غيب ما نشاهده، وهذا من آثار كونها في الجو - انتهى . وعلق بها سبحانه كثيرا من أسباب المعاش التي لاغنى عنها ليكون مذكرا لهم بما أوقدوا به حاضرا دائما فيكون أجدر باتعاظهم (و متاعا) أى إنشاء وبقاء و تعميرا ونفعا وإيصالا إلى غاية المراد من الاستضاءة والاصطلاح ١٠ و الإنضاج والتحليل والإذابة والتعقيد والتكليس، وهروب السباع وغير ذلك، والمراد أنها سبب لجميع ذلك (للقوين ؟) أى الجياع الذين أقوت بطونهم - أى خلت - من الفقر والإغناء من الناقلين بالارض^٢ القواء، والقواء بالكسر والمد أى القفر الخالية المتباعدة الأطراف / البعيدة من العمران، وكل آدمى مهياً للقواء فهو موصوف به وإن لم يكن حال الوصف كذلك، وقال الرازى: أقوى من الأضداد: اغتنى و افتقر، ١٥ وقال أبو حيان^٣: وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقفهم عليها من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب، والنار من أعظم الدلائل على البعث إذ فيها انتقال من شىء إلى شىء وإحداث

/ ١٨١

(١ - ١) من ظ ، وفي الأصل : غيرك (٢) من ظ ، وفي الأصل : بارض .

(٣) راجع البحر المحيط ٢١٢/٨ .

شيء من شيء، ولذلك امر في آخرها بالتنزيه - انتهى .
 ولما دل [سبحانه - ١] في هذه الآيات على عجائب القدرة و غرائب
 الصنع، فبدأ بالزرع و ختم بالنار و الشجر، و أرجب ما نبه عليه من
 التذکر لأمرها و التبصر في شأنها [أنها - ١] من أسباب ما قبلها،
 و أنه سبب لها لكونه سببا لها للإثبات ما هي له، و كان مجموع ذلك إشارة ٥
 إلى ٢ العناصر الأربعة، قال ابن برجان: إلا أن الماء و الأرض لخلق
 الأركان، و الأخلاق و الصفات للهواء و النار، و كان ذلك من جميع
 وجوهه أمرا باهرا، أشار إلى زيادة عظمته بالأمر بالتنزيه مسييا عما
 أفاد ذلك، فقال معرضا عن قد يلزم به الإنكار مقبلا على أشرف خلقه
 إشارة إلى ٢ أنه لا يفهم هذا المقام حق فهمه سواه و لا يعمل به حق عمله ١٠
 غيره ٢: (فسبح) أى أوقع التنزيه العظيم عن كل شائبة نقص من
 ترك البحث و غيره و لا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة إلى حد المحسوس
 تسليح متعجب من آثار قدرته الدالة على تناهى عظمته و تسليح شكر
 له و تعظيم له و إكبار و تنزيه عما يقول الجاحدون و تعجب منهم
 مقتديا بجميع ما فى السماوات و الأرض، و من أعجب ذلك أنه سخر لنا ١٥
 فى هذه الدار جهنم، قال ابن برجان: جعل منها بجمرة الشمس جنات
 و ثمرات و فواكه و زروع ١ و معاش .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) زيد فى الأصل: قال،
 ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفنا (٤) من ظ، وفى الأصل: زرع .

ولما كان تعظيم الاسم اقعداً في تعظيم المسمى قال : (باسم)
 أى متلبساً بذكر اسم (ربك) أى المحسن بعد الترية إليك بهذا البيان
 الأعظم بما خصك به مما لم يعطه أحداً غيرك ، وأثبتوا ألف الوصل هنا
 لأنه لم يكثر دوره كثرته في البسمة منها وحذفوه منها لكثرة دورها
 ٥ وهم شأنهم الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه ، وهذا معروف
 لا يجهل ، وإثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه ،
 وكذا لا تحذف الألف مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير
 الجلالة من الأسماء لما تقدم من العلة .

ولما كان المقام للتعظيم قال : (العظيم ^{ثلاثة}) الذى ملا الأكوان كلها
 ١٠ عظمة ، فلا شيء منها إلا وهو مملوء بعظمته تبرزها عن أن تلحقه شائبة
 نقص أو يفوته شيء من كمال ، قال القشيري : وهذه الآيات التى عددها
 سبحانه تمهيد لسلك طريق الاستدلال وكما فى الخبر " تفكر ساعة خير
 من عبادة ستين سنة " هذه الفكرة التى نبه الله عليها .

ولما كان من العظمة الباهرة^٢ ما ظهر فى هذه السورة من أفانين
 ١٥ الإنعام فى الدارين ، وبدأ بنعمة الآخرة لكونها النتيجة ، ثم دل عليها
 بانعامه فى الدنيا فكان تذكيراً بالنعم لتشكر ، ودلالة على النتيجة لتذكر ،
 وفى كل حالة تستحضر فلا تكفر ، فوصلت الدلالة إلى حد هو أوضح
 من المحسوس وأضواً من المشموس ، وكان / مع هذه الأمور الجليلة

/ ١٨٢

(١) من ظ ، وفى الأصل : انقذ (٢) من ظ ، وفى الأصل : هو (٣) من ظ ،
 وفى الأصل : التى نبه الله عليها .

في مظهر أعجز الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه، [أما - ١] من جهة الجواب عن^٢ تشبههم وتعتهم فلكونه يطابق ذلك مطابقة لا يمكن أن يكون شيء مثلها^٣، ويزيد على ذلك بما شاء الله من المعارف من غير أن يدع لبسا، و [أما - ١] من جهة المفردات فلكونها النهاية في جلالة الألفاظ ورشاقة الحروف وجمع المعاني، فيفيد ذلك أنه لا تقوم كلمة ه أخرى مقام كلمة منه أصلا، وأما من^٤ جهة التركيب فلكون كل [كلمة - ١] منها أحق في مواضعها بحيث أنه لو قدم شيء منها أو آخر لاخل المعنى المراد في ذلك السياق بحسب ذلك المقام، وأما من جهة الترتيب^٥ في الجمل والآيات والقصص في المبادئ والغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات، كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام [الدر - ١] اليتيم في العقد المحكم النظيم، ١٠ لأنها إما أن تكون علة لما تلت أو دليلا أو متممة بوجه من الوجوه الفائقة^٦ على وجه تمتع الجناب جليل الحجاب لتكون أحلى في فه، وأجلى بعد ذوقه في نظمه و سائر علمه، فكان ثبوت جميع ما أخبر به على وجه لامعتر فيه و لاوقفه في اعتقاد حسنه، فثبت أن الله تعالى أرسل الآتى بهذا القرآن صلى الله عليه وسلم بالهدى وبالحق، لا أنه أتاه كل ما ينبغي ١٥ له، فأتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها، و الموعظة الحسنة، وهي الأمور المرققة للقلوب المنورة للصدور، و المجادلة التي هي على أحسن الطرق في نظم معجز موجب^٧ للإيمان، فكان من سمعه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: على (٣) من ظ، وفي الأصل: منها (٤) من ظ، وفي الأصل: ان (٥) من ظ، وفي الأصل: التركيب (٦) من ظ، وفي الأصل: الفايحة (٧) في ظ: منسقط .

ولم يؤمن لم يبق له من الممحلات إلا أن يقول: هذا البيان ليس لظهور المدعى و ثبوته بل لقوة عارضة المدعى وقوته على تركيب الأدلة و صوغ الكلام و تصريف وجوه المقال ، و هو يعلم أنه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله^١، كما أنه ربما يقول أحد المتناظرين عند انقطاعه لخصمه: أنت تعلم أن الحق معي لكنك تستضعفي و لاتصفي، لحينئذ لا يبقى للخصم جواب إلا الإقسام بالإيمان التي لا يخرج عنها أنه غير مكابر و أنه منصف، وإنما يفزع^٢ إلى الإيمان لأنه لو أتى بدليل آخر لكان معرضاً لمثل هذا، فيقول: وهذا غلبتي فيه لقوة جدالك و قدرتك على سوق الأدلة بيلاغة مقالك، فذلك كانوا إذا ألجمهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: إنه يريد أن يتفضل علينا فيما نعلم خلافه، فلم يبق إلا الإقسام، فأنزل الله أنواعاً من الإقسام بعد الدلائل العظام، و لهذا كثرت [الآيات - ٤] في أواخر القرآن، و في السبع الأخيرة خاصة أكثر، فذلك سبب عن هذه الأدلة الرائجة و البراهين القاطعة قوله: ﴿ فلا أقسم ﴾ بإثبات " لا " النافية^٣، إما على أن يكون مؤكدة بأن

١٥ بنفي^٤ ضد ما أثبتته القسم، فيجمع الكلام بين إثبات المعنى المخبر به و نفي ضده، و إما على تقدير أن هذا المقام يستحق لعظمته و إنكاركم له أن

(١) من ظ ، و في الأصل: صدع (٢) من ظ ، و في الأصل: لمقاله .

(٣) من ظ ، و في الأصل: يصوع (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و في

الأصل: الناهية (٦) من ظ ، و في الأصل: يبقى .

يقسم عليه بأعظم من هذا على ما له من العظمة لمن له علم^١ -
والله أعلم .

- ١٨٢ / و لما كان [الكلام - '] السابق في الماء الذي جعله سبحانه مجهما .
- لنعم الدنيوية الظاهرة و قدر تب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره
و قانون أحكمه ، و جعل إنزال القرآن نجوما مفرقة و بوارق متلثة .
متألقة قال : (بمواقع النجوم)^٢ أى بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة
النافعة المحيية للقلوب ، و بهبوطها الذى ينبى عليه ما ينبى من الآثار الجليلة
و أزمان ذلك و أماكنه و أحواله ، و بمساقط الكواكب و أنوائها و أماكن
ذلك و أزمانه فى تدبيره على ما روى من الصنع المحكم و الفعل المتقن
المقوم ، الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطى بعد النشر و الإعدام^{١٠}
بعد الإيجاد ، و بطوعها الذى يشاهد أنها ملجأة إليه لإجاء الساقط من علو
إلى سفلى لا يملك لنفسه شيئا ، لقدرة على الإيجاد بعد الإعدام ، و بآثار
الأنواء على مثل ذلك بأوضح منه - إلى غير ذلك من الدلالات التى يضيق
عنها العبارات ، و يقصر دون عليها مديد الإشارات ، و لمثل هذه
المعاني الجليلة و الخطوب العظيمة جعل فى الكلام اعتراضا بين القسم^{١٥}
و جوابه ، و فى الاعتراض اعتراضا بين الموصوف و صفته تأكيدا للكلام ،
و هذا لناقد الأفهام تنبيها على أن الأمر عظيم و الخطب فادح جسيم ،
فقال موضعا له بالتأكيد رحمة للعبيد بالإشارة إلى أنهم جروا على غير
ما يعلمون من عظمتنا فدعوا غير عالمين : (وانه)^٣ أى هذا القسم على
(١) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لفظناها (٢) زيد من ظ .

[هذا - ١] المنهج (لقسم لو تعلمون) أى لو تجدد لكم فى وقت علم
لعلتم أنه (عظيم) وإقسامه لنا على ذلك ونحن أقل قدرا وأضعف
أمرأ إعلاما بما له من الرحمة التى من أعظمها أنه لا يتركنا سدى - كل
ذلك ليصلح أنفسنا باتباع أمره والوقوف عند زجره، قال ابن برجان :
ومن إلقانه جل جلاله فى خليقته وحكمه فى بريته أن جعل لكل
واقع من النجوم الفلكية طالعا يسمى بالإضافة إلى الواقع الرقيب دون
تأخر، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى " رب المشرقين ورب المغربين
فبأى الآء ربكنا تكذبان " يجمع ذلك الشمس والقمر والنجوم وهى
نجوم منازل القمر عددها ثمانية وعشرون منزلة سوى تحجبها الشمس
١٠ فتمت تسع وعشرون منزلة يستشرفها القمر، فربما استر ليلة وربما
استر ليلتين، فالقمر ينزل فى هذه المنازل كل ليلة منزلة حتى يتمها
[تمام - ١] الشهر، وأما الشمس فانها تقيم فى كل منزلة [منها - ١]
ثلاثة عشر يوما خلا الجهة فانها تقيم فيها أربعة عشر يوما ويسمى
حلولها فى هذه المحال ثم طلوع المنزلة التى تليها لوقوع هذا رقيب لها
١٥ نوء - انتهى. وهوى معنى أن من تأمل هذه الحكمة علم ما فى هذا القسم من
العظيم، وأشبع القول فيها أبو الحكم، وبين ما فيها من بدائع النعم، ثم
قال: ويفضل الله - ١ [بفتح رحمة كما شاء فينزل] من السماء - ١
ماء مباركا يكسر به من برد الزمهرير فيرطبه ويرد من حر السعير فيعدله،
وقسم السنة على أربعة فصول آتم / فيها أمره فى الأرض بركاتها وتقدير

/ ١٨٤

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: لنجوم.

أقواتها ، [قال : وبارك فيها وقدر بها أقواتها - ١] في أربعة أيام ، ثم قال : وجعل هذه الدنيا على هذا الاعتبار الجنة الصغرى ، ولو آتم القسم على هذا الوجه تم على الاعتبار تخفيفه الفيح وإثارته الزمهيرر والسعير هي جهنم الصغرى .

ولما آتم القسم على هذا الوجه الجليل ، أجابه بقوله مؤكدا [لما - ١] ه
لهم من ظاهر الإنكار : (انه) أى القرآن الذى أفهمته النجوم بعموم أفهامها (لقران) [أى - ٢] جامع سهل قريب مفقه مبين للغوامض ذو أنواع جليلة (كريم) ظهرت فيه أفانين إنعامه سبحانه فيما دق من أمور هذه الدنيا و جل ٢ من أمور الدارين بما ذكر في هذه السورة وما تقدمها من إصلاح المعاش والمعاد ، فهو بالغ الكرم منزه عن كل شائبة نقص ولؤم ودناءة ، من كرمه كونه من الملك الأعلى إلى خير الخلق بسفارة ٢ روح القدس و بلسان العرب [الذين اتفق الفرق على أن لسانهم أفصح الألسن وعلى وجه أعجز العرب - ١] .

ولما ذكر المعنى ، ذكر محل النظم الدال عليه بلفظ دال على نفس النظم فقال : (فى كتب) أى خط و مخطوط فيه جامع على وجه ١٥ هو فى غاية الثبات (مكنون) أى هو فى ستر مصون لما له من النفاسة والعلو فى السماء فى اللوح المحفوظ ، وفى الأرض فى الصدور المشرفة ،

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : فيها ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .
(٣) من ظ ، وفى الأصل : جعل (٤) من ظ ، وفى الأصل : لسعار (هـ) فى ظ : العلو والنفاسة .

وفي السطور في المصاحف المكرمة المطهرة، محفوظا مع ذلك من التغيير والتبديل .

ولما كان ما هو كذلك قد يحصل له خلل يسوء خدامه قال :
 ﴿ لا يمسّه ﴾ أى الكتاب الذى هو مكتوب فيه أعم من أن يكون
 ٥ فى السماء أو فى الأرض أو القرآن أو المكتوب منه فضلا عن أن
 يتصرف فيه ﴿ الا المطهرون ٥ ﴾ أى الطاهرون الذين بولغ فى تطهيرهم
 وهم رؤس الملائكة الكرام، ولم يكن السفير به إلام ولم يسر [الله -^٢]
 حفظه إلا لأطهر عباده، ولم يعرف معناه إلا لأشرف حفاظه وأطهرهم
 قلوبا، ومن عموم ما يتحملة اللفظ من^٢ المعنى بكونه كلام العالم لكل
 ١٠ شئ. فهو لا يحمل لفظا إلا وهو مراد له أنه يحوم منه على من لم يكن
 له فى غاية الطهارة؛ بالبعد عن الحديثين الأكبر والأصغر، فهو على هذا
 نفي بمعنى النهى وهو أبلغ، قال البغوى : وهو قول أكثر أهل العلم،
 وروى باسناد من طريق أبى مصعب عن مالك عن عبد الله بن
 أبى بكر بن عمرو بن حزم أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله
 ١٥ عليه وسلم لعمر بن حزم رضى الله عنه أن لا يمس القرآن إلا طاهر،
 والمراد به المصحف للجوار كما فى النهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض
 العدو. وما يحتمله أيضا التعبير باللس أنه لا يقرأه بلسانه إلا طاهر،

(١-١) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل :
 فى (٤) من ظ، وفى الأصل : الظاهر (٥) راجع المعالم بهامش الباب ٢١/٧ .
 (٦) زيد فى الأصل : وهو، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها .

فان اريد الجنابة كان النهي للحرمة أو للاكمل .

ولما ذكر الذى منه صيائه ، أتبعه شرفه بشرف منزله و إزاله على حال هو فى غاية العظمة مسميا له باسم المصدر للبالغة ولأن هذا المصدر

أغلب أحواله ، ولذلك [غلب - ٢] عليه هذا الاسم : (تنزيل) أى

وصوله إليكم بالتدرج بحسب الوقائع و التقريب للافهام و التأنى و الترقية ه
من حال إلى حال و حكم إلى حكم بواسطة الرسل من الملائكة . ولما

كان هذا فى غاية الاتفاق و اليسر ذكر من صفاته / ما يناسبه * فقال :
١٨٥ / (من رب العالمين ه) من الخالق العالم بتريتهم .

ولما أفصح^٦ من وصف هذا الكتاب العظيم ما يقتضى أن يكون

بمجرده مثبتا^٧ لما لا^٨ تدركه العقول من كماله و كافيًا فى الإذعان لاعتقاده ١٠
فكيف إذا كان ما تحمك العقول و تقضى بفساد ما سواه ، فكيف إذا

كان بما يتذكر الإنسان مثله فى نفسه ، عجب منهم فى جعله سببا لإنكار
البعث الذى إذا ذكر الإنسان أحوال نفسه كفاه ذلك فى الجزم به

فقال منكرا تعجبا : (أفهكذا) ولما كان الإنسان مغرما بما يجدد له

من النعم ولو خلق فكيف إذا كان أعلى النعم قال : (الحديث) ١٥

أى الذى تقدمت أوصافه العالية و هو متجدد إليكم إزاله وقتا بعد وقت

(أتم) أى و أتم العرب الفصحاء و المفوهون البلغاء (مدهنون لا)

(١) زيد من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى

الأصل : بوسائط (٤) من ظ ، وفى الأصل : التيسير (٥) من ظ ، وفى

الأصل : يناسب (٦) من ظ ، وفى الأصل : اتضح (٧-٧) من ظ . وفى

الأصل : لدركه .

أى كذابون مافقون بسببه تظهرون غير ما تبطنون أنه كذاب^١ و اتم
تعلون صدقه بحسن معانيه، و معجزكم عن مماثلته فى نظومه و مبانيه،
و تقولون: لو شئنا لقلنا مثل هذا: و جميع أفعالكم تخالف هذا فانكم تصبرون
لوقوع السيوف و معانقة الختوف، و لا تأتون بشيء يعارضه يبادئ شيئاً منه
٥ أو يناقضه أو تلائنون أيها المؤمنون من يكذب به و يطعن فى علاه،
أو يتوصل و لو على وجه خفى إلى نقض^٢ شيء من عراه، تهاوناً به
و لا يتصلبون فى تصرفه^٣ تعظيماً لأمره حتى يكونوا أصلب من الحديد،
قال فى القاموس: دهن: نافع، [و-^٤] المداهنة: إظهار خلاف ما
تبطن^٥ كالادهان و الغش، و قال البغوى رحمه الله: هو الادهان و هو
١٠ الجرى فى الباطن على خلاف الظاهر، و قال الرازى: و الفرق بين
المدارة و المداهنة يرجع إلى القصد، فما قصد به غرض سوى الله فهو
المداهنة، و ما قصد به أمر يتعلق بالدين فهو المدارة، و قال ابن رجان:
الادهان و المداهنة: الملاينة فى الأمور و التغافل و الركون إلى التجاوز
- انتهى. فهو على هذا إنكار على من سمع أحداً يتكلم فى القرآن بما
١٥ لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة، و أهل الاتحاد كإن عربى الطائى صاحب
الفصوص و ابن الفارض صاحب التائية أول من صوبت^٦ إليه هذه الآية،
فأهم تكلموا فى القرآن على وجه يبطل الدين أصلاً و رأساً و يحلله عروة
عروة، فهم أضر الناس على هذا الدين، و من يؤول لهم أو ينافح عنهم

(١) من ظ، و فى الأصل: كذب (٢) من ظ، و فى الأصل: بعض

(٣) من ظ، و فى الأصل: نصرته (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: تضمير

(٦) راجع للعالم بهامش الباب ٧ / ٢٢ (٧) من ظ، و فى الأصل: صوب.

و بتدريجهم او بحسن الظن بهم مخالف لإجماع الأمة أجمس حالا منهم فان^١
مراده إبقاء كلامهم الذي لأفسد الاسلام منه من [غير - ٢] أن يكون
لإبقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه .

ولما كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين ، قال تعالى :

(و يجعلون رزقكم) أى حظكم [و نصيبكم - ٢] و جميع ما تنتفعون به ٥

١٨٦ /

من هذا الكتاب و هو نعمكم كله (انكم تكذبون ٥) / أى توجدون حقيقة
التكذيب فى الماضى و الحال ، و تجددون ذلك فى كل وقت به و بما
أرشد إليه من الامور الجليلة ' و هى ' كل ما هو أهل للتصديق به
و تصفونه بالأوصاف المتناقضة ، و من ذلك ما أرشد إليه من أنه لا فاعل
إلا الله تعالى فتقولون أنتم إذا أمطركم ما يرزقكم به : هذا بنوه كذا ، معتقدين ١٥
تأثير ذلك النوء ، و إنما هو بالله تعالى ، لجعلتم جزاء الرزق و بذل الشكر
على الرزق التكذيب ، و قال ابن برجان : و يجعلون رزقى إياكم من
قرآن عظيم أنزته ، و كلام عظيم نزلته ، و نور إيمان بينته ، و ضياء يقين جليته ،
و ما أنزلته من السماء [من] بركات قدرتها [و] من رياح أرسلتها ، و سحب
أفقتها ، يجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب .

١٥

و لما أنكر عليهم هذا الإنكار ، و عجب منهم هذا التعجب فى أن
ينسبوا غيره فعلا أو يكذبوا له خبرا . سبب عن ذلك تحقيقا لأنه لا فاعل
سواه قوله : (فلولا) و هى أداة تفهم طلبا بزجر و توبيخ و تبريع

(١) مس ظ ، و فى الأصل : فانه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
بمصلحة (٤) فى ظ : الحلية (٥) مس ظ ، و فى الأصل : هو .

بمعنى هل لا ولم لا ﴿ اذا بلغت ﴾ [أى - ١] الروح منكم ومن غيركم
 عند الاحتضار، أضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة
 ﴿ الحلقوم لا ﴾ وهو مجرى الطعام فى الحلق، و الحلق مساغ الطعام
 و الشراب معروف، فكان الحلقوم أدنى الحلق إلى جهة اللسان لأن الميم
 لمنقطع التمام ﴿ و أنتم ﴾ أى و الحال أنكم أيها العاكفون حول المحتضر
 المتوجعون له ﴿ حيثئذ ﴾ أى حين إذ بلغت الروح ذلك الموضع .
 و لما كان بصرم لكونه لا ينفذ فى باطن كالعدم [قال - ٢] : ﴿ تنظرون لا ﴾
 أى و لكم وصف التحديق إليه و لاحيلة لكم و لافعل بغير النظر، و لم يقل :
 تبصرون، لئلا يظن أن لهم إدراكا بالبصر لشيء^٣ من البواطن^٢ من
 ١٠ حقيقة الروح و غيرها نحوها ﴿ و نحن ﴾ أى و الحال أنا نحن بما لنا
 من العظمة ﴿ اقرب إليه ﴾ أى المحتضر حقيقة بعلنا و قدرتنا التامة
 و ملائكتنا ﴿ منكم ﴾ على شدة قربكم منه ﴿ و لكن لا تبصرونه ﴾ أى
 مع تحديقكم إليه لا يتأثر عن ذلك التحديق غايته، و هو الإبصار لقربنا
 منه، و لا ملائكتنا الموكلين بقبض روحه، تعلموا أن الفعل لنا لا لغيرنا،
 ١٥ فلا يتجدد لكم شيء من هذا الوصف لتدركوا به حقيقة ما هو فيه، فثبت
 ما أخبرنا به من الاختصاص بباطن العلم و القدرة اللذين عبرنا عنهما
 بالقرب الذى هو أقوى أسبابهما .

و لما كان الكلام لإثبات هذه الأغراض المهمة قبل جواب "لولا"
 أعادها تأكيداً لها و تبيننا فقال : ﴿ فلولا ان كنتم ﴾ أيها المكذبون

(١) زيد من ظ (٢) زيد و لا بد منه (٣-٢) من ظ، و فى الأصل : بالباطن .

بالبعث وغيره (غير مدينين لا) أى مقهورين مملوكين مجربين محاسبين
بما عملتم فى دار البلاء التى أقامكم فيها أحكم الحاكمين بامتناعكم بأنفسكم
عن أن يجازيكم أو يمنع غيركم لكم منه ، وأصل تركيب " دان " للذل
والانقياد - قاله البيضاوى (رجعوها) أى الروح إلى ما كانت عليه
(ان كنتم) أى كوننا ثابتا (صدقين) أى فى أنكم غير / مقهورين على ٥ / ١٨٧ /
الإحضار على الملك الجبار الذى أقامكم فى هذه الدار للابتلاء والاختبار ،
وأنه ليس لغيركم أمركم ، وفى تكذيبكم لما يخبر به من الأمور الدنيوية
بذل شكركم ، وهذا دليل على أنه لاهياة لمن بلغت روحه الحلقوم أصلا
وهذا إلزام لهم بالبعث حاصله أنه سبحانه إن كان لا يعيدكم فليس هو
الذى قدر الموت عليكم ، وإن [كان - ١] لم يقدره فالكم لازفونه عنه ١٠
لأنه من الفوادح التى لا يدرك علاجها ، وأتم تعالجون مقدماته . وإن
قلتم : إنه مقدر لا يمكن علاجه ، لزمكم الإقرار بأن البعث مقدر لا يمكن
علاجه ، فإن أنكرتم أحدهما فأنكروا الآخر ، وإن أقرتم بأحدهما فأقروا
بالآخر ، وإلا فليس إلا العناد ، فإن قلتم : [نحن - ١] لانعلم أنه قدره
فاعلموا أنه [لو] لم يكن بتقديره لأمكنت مقاومته وقتا ما لاسيما والنفوس ١٥
مجبولة على كراهته ، وفى الموتى الحكماء والملوك ، و تقريره أنكم قد بالقتم
فى الجحود بآيات الله تعالى و أفعاله فى كل شىء إن أرسل إليكم رسولا قلتم :
ساحر كذاب ، وإن صدقه مرسله بكتاب معجز قلتم : سحر و افتراء
و أمر عجاب ، وإن رزقكم من الماء الذى به حياة كل شىء مطرا ينعشكم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : وان .

به قلت: صدق نوه كذا. على حال مؤد إلى التعطيل والإهمال 'والعبث'،
 فالكم لا ترجعون الروح إلى البدن عند بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم
 مدبر لهذا الكون بالإرسال والإنزال وإفاضة الأرواح وقبضها وبعث
 العباد لدينوتهم^١ على ما فعلوا فيما أقامهم فيه. فهو تمثيل بأفعال الملوك
 ٥ على ما يعهد. فكما أن ملوك الدنيا لا يرسل^٢ أحد منهم إلى أحد من رعيته
 يأخذه قهرا إلا للدينونة فكيف يظن بملك الملوك غير ذلك، فتكون
 ملوك الدنيا أحكم منه، فان كان ليس بتمام القدرة فافعلوا برسله كما
 تفعلون برسل الملوك، فانه ربما خلص المطلوب منهم بنوع من أنواع
 الخلاص بعد بلوغه إلى باب [الملك - ٤] فارساله سبحانه هو مثل^٣
 ١٠ إرسال الملوك غير أنه لتمام قدرته يأخذ أخذا لا يقدر احد على رده،
 ولا أن يتبع مأخوذه أصلا لا لينجده بعد الأخذ ولا ليخفف عنه شيئا
 بما هو فيه بغير ما امر به سبحانه على السنة رسله من الدعاء والصدقة
 ولا ليعلم حاله بوجه [من الوجوه - ٤] بل الأمر كما قيل:

إذا غيب المرء استسر حديثه ولم يخبر الأفكار عنه بما يقى

١٥ ولما كان التقدير: لا يقدر أحد أصلا على ردها بعد بلوغها إلى
 ذلك المحل لآنا نريد جمع الخلاق للدينونة بما فعلوا فيما أقامهم فيه وأمرناهم
 به ولا يكون إلا ما نريد، فكما أنكم مقرون بأنه خلقكم من تراب وبأنه
 يعيدكم قهرا إلى التراب [يلوكم حتما أن تقررا بأنه قادر على أن يعيدكم

(١-١) من ظ، وفي الأصل: أي الغيب (٢) من ظ، وفي الأصل: لدنولهم.

(٣) في ظ: لا ينزل (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: قيل.

من التراب - ١] فان أنكرتم هذا اللازم لزمكم إنكار ملزومه ، و ذلك
مكافرة في الحس فليكن الآخر مثله ، فثبت أنا إنما نعيد الخلاق إلى
التراب لنجمعهم فيه ثم نبعثهم منه لنجازي كلا بما يستحق و نقسمهم
إلى أزواج ثلاثة (فأما ان كان) / أي الميت منهم (من المقربين)

١٨٨ /

أي السابقين الذين اجتذبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين ٥
قبل أن يكونوا مرادين ، وليس القرب قرب مكان لأنه تعالى منزه
عنه ، و إنما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير
الإنسان روحا خالصا كالملائكة لاسيلا للحظوظ والشهوات عليه ، فان
قربهم إنما هو بالانخلاع من الإرادة أصلا ورأسا ، و ذلك أنه لاشهوات
لهم فلا أغراض فلا فعل إلا ما أمروا به فلا إرادة ، إنما الإرادة للولي ١٠
سبحانه و هو معنى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى ، أي مطلق الإرادة
في [غير - ١] أمر من الله ، لأن المملوك الذي هو لغيره لا ينبغي أن يكون
له شيء لا إرادة ولا غيرهما - و فقا الله تعالى لذلك (فروح) [أي - ١]
فله راحة و رحمة و ما ينعشه من نسيم [الريح - ١] و معنى قراءة يعقوب ٢
بالضم طمأنينة في القلب و سكينه و حياة لا موت بعدما (وريحان ١) ١٥
أي رزق عظيم و نبات حسن بهج و أزاهير طيبة الرائحة .

و لما ذكر هذه اللذذة ، ذكر ما يجمعها و غيرها فقال : (و جنت)
أي بستان جامع للفواكه و الرياحين و ما يكون عنها و تكون عنه .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : مرادين (٣) راجع نثر

الرجان ١٩٤/٧ .

ولما كان جنان الدنيا قد يكون فيها نكد، أضاف [هذه الجنة - ١] إلى المراد بهذه الجنان إعلاما بأنها لا تنفك عنه فقال: (نعيم ه) أى ليس فيها غيره بل هى مقصورة عليه (و اما ان كان) أى الميت منهم (من اصحاب اليمين لا) أى الذين هم فى الدرجة الثانية من أصحاب الميمنة (فسلم) [أى سلامة - ١] ونجاة وأمر وقول دال عليه .
ولما كان ما يواجه به الشريف من ذلك أعلى قال: (لك) أى يا أعلى الخلق أو يا أيها المخاطب .

ولما كان من [أصاب - ١] السلام على وجه من الوجوه فائزا، فكيف إذا كان مصدرا للسلام و منبعا منه قال: (من اصحاب اليمين ه) أى أنهم فى غاية [من - ١] السلامة وإظهار السلام، لا يدرك وصفها، وهو تمييز فيه معنى التعجيب، فان إضافته لم تفده تعريفا، وفى اللام ودم، مبالغة فى ذلك، فالمنى: فأما هم فعجبا لك و أنت أعلى الناس فى كل معنى، وأعرههم بكل أمر غريب منهم فى سلامتهم و سلامهم و تعافيهم و ملكهم و شرفهم و علو مقامهم، و ذلك كله إنما أعطوه لأجلك زيادة
١٥ فى شرفك لا تباعهم لديك، فهو مثل قول القائل حيث قال^٢:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مقار العمل شدت مدبل
٢ وقول القائل أيضا حيث قال^٢:

لله در أنو شروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل
أى عجبا لك من ليل وعجبا من أنوشروان .

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: قوله .

و لما ذكر الصنفين الناجيين ، أتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لأن من أريدت له السعادة يكفيه ذلك ، ومن ختم بشقائه لا ينفعه ذلك الإغلاظ والإكثار فقال : (وأما ان كان) أى ذلك الذى أخذناه من أصحاب المشأمة و أتم حوله تنقطع أكبادكم له ولا تقدرن له على شئ أصلا (من المكذبين) .

١٨٩ / ٥

و لما كان المكذب تارة يكون معاندا ، وتارة [يكون - '] جاهلا مقتصرا ، قال : (الضالين لا) أى أصحاب الشمال الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم فى البعث (فنزل) أى لهم وهو ما يعد للقادم على ما لاح (من حميم لا) أى ماء متناه فى [الحرارة - '] بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به القادم ليرد^١ به غلة عطشه ، يغسل به وجهه ويديه (و تصليه جحيم ه) أى لهم بعد النزول^٢ أن يصلوا النار الشديدة التوقد صليا عظيما .

و لما تم ما أريد من إثبات البعث على هذا الوجه المحكم البين ، وكانوا مع البيان يكذبون به ، لفت الخطاب عنهم إلى أكمل الخلق ، و أكد تسميها لهم ، فقال سائقا له مساق النتيجة : (ان هذا) أى الذى ١٥ ذكر فى هذه السورة من أمر البعث الذى كذبوا به فى قولهم " أنا لمبعوثون " و من قيام الأدلة عليه . و لما كان من الظهور فى حد لا يساويه فيه غيره ، زاد فى التأكيد على وجه التخصيص فقال :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ايرد (٣) من ظ ، و فى الأصل : ترك (٤) من ظ ، و فى الأصل : له .

(هو حق اليقين ع) أى لكونه - لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة -
 كأنه مشاهد مباشر، قال الأصهباني: قال قتادة في هذه الآية: إن الله عز
 وجل ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن،
 فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنتفعه ذلك، وأما المنافق فأيقن يوم القيامة
 ٥ حيث لا يفتعه - انتهى .

ولما تحقق له هذا اليقين، سبب عنه أمره بالتنزيه له سبحانه عما
 وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالمعجز بعد تقسيمه للأزواج الثلاثة على
 طريق الإيجاز كما أمره بذلك بعد الفراغ من تقسيمهم على طريق
 الإطناب إشارة إلى أن المغاوتة بينهم مع ما لهم من العقول من أعظم
 ١٠ الأدلة على الفعل بالاختيار وعلى فساد القول بالطبيعة: (فسبح) أى
 أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل والصلاة
 وغيرها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الأسماء الحسنى وتنزهه
 عن كل ما نزه عنه نفسه المقدس، ولقصره الفعل لإفادة العموم أثبت
 الجار بقوله: (باسم ربك) أى المحسن إليك بما خصك به مما لم يعطه
 ١٥ أحدا غيرك عما وصفه به الكفرة من التكذيب بالواقعة، وإذا كان
 هذا لاسمه فكيف بما له وهو (العظيم ع) الذى ملأت عظمته جميع
 الأقطار والآكران، وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لأن من
 له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم، وهذا الكلام [الأعز الأكرم - ٢]، لا ينبغي
 (١) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ لخذناها (٢) من ظ،
 وفي الأصل: نفسه (٣) زيد من ظ .

لشائبة نقص أن تلم بجهابه، أو تدنو من فناء بابه، وقد انطبق آخر السورة على اولها في الإخبار بالبعث وتصنيف الخلائق فيه إلى الاصناف المذكورة في أولها أي انطبق، وزاد هذا الآخر بأن اعتنق بدليله أي اعتنق، واتفق مع أول التي بعدها أي اتفق، وطابقه / أجل طباق، وختمت بصفتي الرحمة والعظمة، وجلت عن الاسم الجامع كاللتين قبلها ه لما ذكره في أواخر القمر من أنه لم يذكر في واحدة من الثلاث أحد من أهل المعصية المصاحبة للإيمان، ليخاطب' بالاسم الجامع للاهانة والإحسان، وإنما ذكر أهل الكفران المستوجبين للهوان بالخلود في النيران، وأهل الإيمان المتأهلين للإحسان بتأييد الإمكان في أعلى الجنان - انتهى .

١٠

(١) من ظ، وفي الأصل محاطب .

سورة الحديد^١

مقصودها بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث [إلى -^٢] الأزواج
 الثلاثة المذكورة في السورتين الماضيتين من الثقلين تحقيقاً لأنه سبحانه
 مختص بجميع صفات الكمال تحقيقاً انتزعه عن^٣ كل شائبة^٤ نقص المبدره
 ٥ به هذه السورة المختوم به ما قبلها الراد لقولهم "أنا لمجموعون أو أبوانا
 الاولون" المقتضى لجهاد^٥ من يحتاج إلى الجهاد بمن عصى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالسيف وما ترتب عليه من النفقة ردا لهم عن النقائص الجسمانية
 وإعلاء إلى الكمالات الروحانية التي دعا إليها الكتاب حذرا من سواء
 الحساب يوم التجلي للفصل بين العباد [بالعدل -^٦] ليدخل أهل
 ١٥ الكتاب وغيرهم في الدين طوعا أو كرها ، ويعلم أهل الكتاب الذين كانوا
 يقولون : ليس أحداً فضل منهم ، فضيلة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم
 على جميع من تقدمه من الرسل عليهم الصلاة والسلام بعموم رسالته وشمول
 خلافته ، وانتشار دعوته وكثرة أمته تحقيقاً لأنه لا حد لفائض رحمته^٧
 سبحانه لتكون هذه السورة التي هي آخر النصف الأول والتي بعدها التي
 ١٥ هي أول النصف الثاني من حيث العدد غاية المقصود من السورة التي هي
 أوله عند الالتفات والرد كما كانت السورة التي^٨ غاية النصف الأول^٩

(١) السابعة والخمسون من القرآن الكريم ، مدنية ، وعدد آياتها (٢٩) عند
 الكوفيين والبصريين و (٢٨) عند المدنيين والمكي والشامي - كما في ثمر المرجان
 ٧ / ١٩٦ (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) من ظ ، وفي الأصل : شائبة كل (٤) من
 ظ ، وفي الأصل : بجهاد (٥) في ظ : فضله (٦-٧) - سقط ما بين الرقيين من ظ .

في المقدار وهي الإسراء، وكذا السورة التي هي أول النصف الثاني وهي الكهف كاشفتين لمقصد الأروى فيما دعت إليه من الهداية وشدت إليه من الإنذار، على ذلك دل اسمها الحديد بتأمل آياته وتدر سر ما ذكر فيه وغاياته. أسند صاحب الفردوس^٢ عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت يوم الثلاثاء. (بسم الله) الذي أحاطت إلهيته بجميع الموجودات (الرحمن) الذي وسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات (الرحيم) الذي خص من بينهم بما له من الاختيار في كمال الاقتدار أهل ولايته بما يرضيه / من العبادات .

١٩١ /

لما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث، ١٥
 جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه [و - '] تبينه بالدليل والبرهان
 والسيف والسنان فقال تعالى كالتعليل لآخر الواقعة: (سبح) أى أوقع
 التسييح بدلالة الجلبة تعظيما له سبحانه وإقرارا بربوبيته وإذعانا لطاعته،
 وقصره، وهو متعد ليدل على العموم بقصره، وعلى الإخلاص بتعديته
 باللام وجعله ماضيا هنا وفي الحشر والصف ومضارعا في الجمعة والتغابن ١٥
 ليدل على أن ما أسند إليه التسييح هو من شأنه وهجيره ودينه
 وتخصيص كل من الماضى والمضارع بما افتتح به لما يأتي [في '] أول
 الجمعة، والإتيان بالمصدر أول الإسراء أبلغ من حيث أنه يدل باطلاقة
 (١) زيد من ظ (٢) راجع المخطوطة ص: ٢٠٤/ب (٣) من ظ، وفي الأصل:
 جميع (٤) في ظ: هنا .

على استحقاق التسييح [من كل شيء - ١] و في كل حال (الله)
 أى الملك المحيظ بجميع صفات الكمال (ما فى السموات) أى الأجرام
 العالية و الذى فيها و هى الارض و من فيها و كل سماء و من فيها ،
 و ما بينهما لأنها كلها فى العرش الذى هو أعلى الخلق .

٥ و لما كان الكلام آخر الواقعة مع أهل الخصوص بل هو أخص
 أهل الخصوص ، لم يحتج إلى تأكيد مخذف ما جعلنا للخافقين كشيء
 واحد لأن نظره لها نظر علو نظرا واحدا لما أخبر به عنها من التنزيه
 فقال : (و الارض) أى و ما فيها و كذا [نفس - ١] الاراضى كما
 تقدم ، فشمّل ، ذلك جميع الموجودات لأنه إذا سبح ذلك كله فتسييح العرش
 ١٥ بطريق الأولى و تنزيه هذه الأشياء بما فيها من الآيات الدالة على أنه
 سبحانه لا يلى بجانبه شائبة نقص ، و ان كل شيء واقف على الباب يشاهد
 الطلب ، قال القشيري : التسييح : التقديس و التنزيه ، و يكون بمعنى سباحة
 الأسرار فى بحار الإجلال ، فيظفرون بجواهر التوحيد ، و ينظّمونها فى
 عقد الإيمان ، و يرصعونها فى أطواق الوصلة .

١٥ و لما قرر ذلك ، دل على أنه لاقدرة اشيء على الانفكاك عنه ،
 و أن له كل كمال ، فهو المستحق للتسييح و الحمد فقال : (وهو) أى
 وحده (العزيز) الذى يغاب كل شيء و لا يغلبه شيء (الحكيم)
 الذى أتقن كل شيء صنعه .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير العاصمى فى برهانه : لما تقدم قوله

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تنزيهه .

[سبحانه - ١] تعالى "فلولا تصدقون" وفيه من التقرير والتويخ لمن قرع به ما لا خفاء به، ثم اتبع بقوله تعالى "افرهيم ما تمنون" الآيات إلى قوله "ومتاعا للمقوين" فعزروا وبنخوا على سوء جهلهم وقبح ضلالهم، ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك "ابهذا الحديث انتم مدهنون، واستمر تويخهم" إلى قوله "ان كنتم صدقين"، فلما أشارت هذه الآيات ه إلى قبائح مرتكباتهم، أعقب تعالى [ذلك - ١] تنزيهه عز وجل عن سوء ما انتحلوه و^٢ضلالهم فيما^٣ جهلوه فقال تعالى "فسبح باسم ربك العظيم" أى نزّهه عن عظيم ضلالهم وسوء اجترانهم، ثم أعقب ذلك بقوله "سبح لله ما فى السموات والارض"، أى سبح باسم ربك، فهى سنة العالم بأسرهم / "وله أسلم من فى السموات والارض" "سبح لله ما ١٠ / ١٩٢ فى السموات والارض" ثم أتبع ذلك بقوله "له الملك وله الحمد" [فبين تعالى انفراده بصفة الجلال ونوت الكمال، وأنه المتفرد بالملك والحمد - ١] وأنه الأول والآخرو الظاهر والباطن إلى قوله "وهو عليهم بذات الصدر" فضمنت هذه الآيات إرغام من أشير إلى حاله فى الآية المتقدمة من سورة الواقعة و قطع ضلالهم و التعريف بما جهلوه من صفاته ١٥ العلى و اسمائه الحسنى جل و تعالى، و افتتحت آى السورتين و اتصلت معانيها ثم صرف الخطاب إلى عباده المؤمنين فقال تعالى "أمنوا بالله ورسوله" و استمرت الآى على خطابهم الى آخر السورة - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تويخه (٣ - ٣) من ظ ، و فى

الأصل : ضلال ما .

و لما أخبر بذلك، دل على وجه مصرح بما أفهمه الأول من تسييح
 السماوات والأرض بقوله: ﴿له﴾ أى وحده ﴿ملك السموات والأرض﴾
 أى وملك ما فيها وما بينهما ظاهرا وباطنا، فالملك الظاهر ما هو
 الآن موجود فى الدنيا من أرض مدحية وسماء مبنية وكواكب مضية
 ٥ وأفلاك عليّة ورياح محسوسة وسحاب مرئية - وما تفصل إلى ذلك من
 خلق وأمر، و الملك الباطن [الغائب - ١] عنا، وأعظمه المضاف إلى
 الآخرة وهو الملكوت، قال القشيري: الملك مبالغة من الملك يعنى
 بدلالة الضمة، قال، و الملك بالكسر أى القدرة على الإبداع^٢ فلا مالك
 إلا الله، وإذا قيل لغيره: مالك، فعلى المجاز بالأحكام المتعلقة فى الشريعة
 ١٠ على ملك الناس أى بتصحيحه أو إفساده ونحوه ذلك، فالآية من الاحتباك:
 ذكر ما بين السماوات والأرض أولا دليلا على حذف ما بينهما ثانيا،
 وذكر الخافقين ثانيا دليلا على حذف مثل ذلك أولا ليكون التسييح
 و الملك شاملا للكل .

و لما كان ذلك مما لا نزاع فيه، و كان ربما عاند معاند، دل عليه
 ١٥ بما لا مطمع فيه لغيره فقال مقدما الإحياء لأنه كذلك فى الخارج ولأن
 زمن الحياة أكثر لأن البعث حياة دائمة لاموت بعدها: ﴿يحيى﴾ أى
 له صفة^٣ الإحياء فيحيى ما يشاء من الخلق بأن يوجد على صفة الإحياء
 كيف شاء فى أطوار يتقلبها كيف شاء^٤ وكيف يشاء^٥، و بما يشاء
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الإبلاغ (٣) من ظ، وفى
 الأصل: صفات (٤-٤) - سقط ما بين الرقمين من ظ .

(ويميت ع) أى له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار، فهو قادر على البحث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء . ولما كان هذا شاملا للقدرة على التجديد والإعادة، عم الحكم بقوله : (وهو على كل شيء) أى من الإحياء والإماتة وغيرهما من كل يمكن (تقديره) أى بالغ القدرة إلى حد لا يمكن الزيادة عليه .

و لما أخبر بتمام القدرة، دل على ذلك بقوله : (هو) أى وحده (الاول) أى بالأزلية قبل كل شيء فلا أول له، والتقديم الذى منه وجود كل شيء وليس^١ وجوده من شيء لأن كل ما نشاهده متأثر لانه حقير، وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متأثر (والآخر) بالابدية، الذى ينتهى إليه وجود كل شيء فى سلسلة الترقى وهو بعد ١٠ فناء كل شيء ولو بالنظر إلى ما له من ذاته فلا آخر له لانه يستحيل عليه [نعت - ٢] العدم لأن كل ما سواه متغير، وكل ما تغير بنوع من التغيير جاز إعدامه، وما جاز إعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن إعدامه .

و لما كان السبق يقتضى البطون، والتأخر يوجب / الظهور، وكانا ١٥ / ١٩٣

أمرين متضادين لا يكاد الإنسان يستقل بتعلقها فى شيء واحد، نبه على اجتماعها فيه، فقال مشيرا بالواو إلى تمام الاتصاف وتحقيقه : (والظاهر) أى بالأحادية للعقل بأدائه الظاهرة فى المصنوعات بما له من الأفعال ظهورا لا يجهله عاقل، وهو الغالب فى رفعته وعلوه فليس فوقه شيء

(١) زيد فى الأصل : منه، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) زيد من ظ .

(والباطن ج) بالصمدية و عن انطباع الحواس و ارتسام الخيال و تصور
 الفهم و الفكر و بتام العلم و الحكمة بما له من العظمة في ذاته بكثرة
 تعالى و الحجب بطونا [لا - ١] بكتته شيء، و قال القشيري: الاول
 بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الظاهر بلا خفاء، [الباطن - ١] نعت
 ٥ العلا و عز الكبرياء - انتهى، و العطف للدلالة كما أشير إليه على الإحاطة
 التامة لأنها لما كانت متضادة كانت بحيث لو أعريت عن الواو لربما ظن
 أن وجودها لا على سبيل التمكن، فلا تكون محيطة بل مقيدة بحيثية
 مثلا، فجاءت الواو دلالة على تمكن الوصف و إحاطته وأنه واقع بكل
 اعتبار ليس واحد من الأوصاف مكملا لشيء آخر و لا شارحا لمعناه،
 ١٠ فهو أول على الإطلاق^٢ و آخر كذلك، و ظاهر حتى في حال بطونه
 و باطن كذلك، و هذا على الأصل فان صفاته تعالى محيطة فلا إشكال،
 إنما الإشكال عند الخلو من العطف فهو الأغلب في إيرادها كما في آخر
 الحشر، و لعل ذلك مراد الكشاف بقوله: [إن - ١] الواو الأولى
 معناها الدلالة على الجامع بين الصفتين^٢ الأولى و الآخرة، أي جمعا هو
 ١٥ في غاية الممكنة، و الثالثة على أنه الجامع بين الظهور و الخفاء، و أما الوسطى
 فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين و مجموع الصفتين الأخيرتين،
 فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية و الآتية - انتهى .
 و لما كان من ظهر لشيء بطن عن غيره، و من بطن لشيء غاب

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: الاطباق - كذا (٣) من ظ، وفي

الأصل: الصفتين .

عنه عليه، و كان سبحانه في ظهوره على ذلك بمعنى^١ أنه ليس فوقه شيء،
 وفي بطونه بحيث ليس دونه شيء، فقد جمعت الأوصاف إحاطة العلم
 والقدرة، أعلم نتيجة ذلك فقال: (وهو بكل شيء عليم) أى
 لكون^٢ الأشياء عنده^٣ على حد سواء، [و -^٤] البطون و الظهور إنما
 هو بالنسبة إلى الخلق، و أما هو سبحانه فلا باطن من الخلق عنده بل ه
 هو في غاية الظهور لديه لأنه الذى أوجدهم، وهذا معنى ما قال البغوى^٥
 رحمه الله تعالى: سأل عمر رضى الله عنه كعباً عن هذه الآية فقال: معناها
 أن علمه بالاول كعلمه بالآخر، و علمه بالظاهر كعلمه بالباطن - انتهى .
 لأن العلم يستلزم القدرة على حسبه . ولما كان الصانع للشيء عالماً به،
 دل على علمه و ما تقدم من وصفه بقوله: (هو) أى^٦ وحده ١٠
 (الذى خلق السموات) و جمعها لعلم العرب بتعددتها^٧ (و الارض)
 أى الجنس الشامل لكل، أفردتها لعدم توصلهم إلى العلم بتعددتها
 (فى ستة ايام) سنا للتأني و تقريراً للأيام التى أوترها سابغها الذى
 خلق فيه الإنسان الذى دل خلقه باسمه " الجمعة " على أنه المقصود بالذات
 و بأنه السابع^٨ على أنه نهاية المخلوقات - انتهى^٩ . ١٥

/ ولما كان تمكن الملك من سرير الملك كناية عن انقراذه بالتدبير

/ ١٩٤

(١) من ظ ، و فى الأصل: بل بمعنى (٢) من ظ ، و فى الأصل: لكونه .
 (٣) من ظ ، و فى الأصل: على يده (٤) زيد من ظ (٥) راجع معالم التنزيل
 بهامش الباب ٧ / ٢٥ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل: بتعددته .
 (٨) من ظ ، و فى الأصل: السابق .

وإحاطة قدرته وعلمه، وكان ذلك هو روح الملك، دل عليه منها على عظمته بأداة التراخي فقال: ﴿ثم استوى﴾ أى أوجد السواء وهو العدل إيجاد من هو شديد العناية ﴿على العرش﴾ المحيط بجميع الموجودات بالتدبير المحكم للعرش وما دونه ومن دونه ليتصور للعباد أن العرش مشاء التدبير، ومظهر التقدير، كما يقال فى ملوكنا: جلس فلان على سرير الملك، بمعنى أنه انفرد بالتدبير، وقد لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس.

ولما كان المراد بالاستواء الانفراد بالتدبير، وكان التدبير لا يصح إلا بالعلم والقدرة، كشفه بقوله دالا على أن علمه بالخفايا كعلمه بالجلال: ١٠ ﴿يعلم ما يلج﴾ أى يدخل دخولا يغيب به ﴿فى الارض﴾ أى من النبات وغيره من أجزاء الأموات وغيرها و [إن - ٢] كان ذلك بعيدا من العرش، فإن ألاما كن كلها بالنسبة إليه على حد سواء فى ٢ القرب والبعد ٢ ﴿وما يخرج منها﴾ كذلك، وفى التعبير بالمضارع دلالة على ما أودع فى الخافقين من القوى فصار بحيث يتجدد منها ذلك بخلقه يتجدد ١٥ استمرار إلى حين خرابها.

ولما قرر ذلك فيما قد يتوهم بعده لبعده عن العرش بسفوله ٢ تنبها على التنزه عن التحيز فكان أولى بالتقديم، أتبعه قسيمه وهو جهة العلو تكميلا للعلم بسائر الخلق فقال: ﴿وما ينزل من السماء﴾ ولم يجمع (١) من ظ، وفى الأصل: بالخفاء (٢) زيد من ظ (٣-٤) فى ظ: البعد والقرب (٤) من ظ، وفى الأصل: سفوله.

لأن المقصود حاصل بالواحدة^١ مع إفهام التعبير^٢ بها الجنس السافل
للكل، وذلك من الوحي والأمطار والحر والبرد وغيرها من الأعيان
والمنافع التي يوجد لها سبحانه من مقادير أعمار بني آدم وأرزاقهم
وغيرها من جميع شؤونهم (وما يعرج) أى يصعد ويرتقى ويغيب
(فيها^٣) كالإبخر والأتوار والكواكب والأعمال وغيرها . ٥
ولما كان من يتسع ملكه يغيب عنه علم بعضه لبعده عنه، عرف
أنه لامسافة أصلا بينه وبين شيء من الأشياء فقال: (وهو معكم)
أى أيها الثقلان المحتاجان إلى التهذيب بالعلم والقدرة المسيبين عن القرب
(ابن ما كنتم^٤) فهو عالم بجميع أموركم وقادر عليكم تعالىا عن اتصال
بالعلم وبماسة، أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة، قال أبو العباس ابن تيمية ١٥
في كتابه الفرقان^٥ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لفظ ["مع -"]
لا يقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيتين مختلطا بالآخر لقوله
" اتقوا الله وكونوا مع الصديقين " وقوله " محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار " ولفظه " مع " جاءت فى القرآن عامة وخاصة،
فالعامة " ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ١٥
ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم " الآية، فافتتح الكلام بالعلم
واختتمه^٦ بالعلم، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك
(١) من ظ، وفى الأصل: بالوحدة (٢) من ظ، وفى الأصل: بالتعبير.
(٣) مثله فى الأعلام ١/ ١٤١، وفى ظ « الفرق » (٤) زيد من ظ (٥) فى
ظ: ختمه .

وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: هو معهم بعلية، وأما المعية / الخاصة
فقوله تعالى "ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" وقوله تعالى
لموسى و هارون عليهما السلام " اننى معكما اسمع وارى " وقال " اذ
يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا " يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
الصديق رضى الله عنه ، فهو مع موسى و هارون عليهما السلام دون فرعون،
و مع محمد صلى الله عليه وسلم و صاحبه رضى الله عنه دون أبى جهل
و غيره من أعدائه، و مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون دون الظالمين
المعتدين، فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص
و الخبر العام، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره و تأييده دون أولئك،
١٠ و قوله تعالى " و هو الذى فى السماء إله و فى الارض إله " أى هو إله
فى السماء و إله فى الأرض كما قال تعالى " وله المثل الأعلى فى السموات
و الأرض و هو العزيز الحكيم " وكذلك فى قوله تعالى " و هو الله فى
السموات و فى الأرض " كما فسره أئمة العلم كآحمد و غيره أنه
المعبود فى السماوات و الأرض .

١٥ و لما كانت الأعمال منها ظاهر و باطن ، عبر فى أمرها باسم
الذات دلالة على شمولها بالعلم و القدرة [و - °] تنبيها على عظمة الإحاطة
بها و بكل صفة من صفاته فقال : (و الله) أى المحيط بجميع صفات
الكمال ، و قدم الجار لمزيد الاهتمام و التنبيه على تحقق الإحاطة كما مضى

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالعلم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بمعنى (٣) زيد
فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فخذفناها (٤ - ٤) من ظ ، و فى
الأصل : و غيرهم (٥) زيد من ظ .

التنيه عليه [غير مرة-^١] وتمثله بنحو: أعرف فلانا ولا أعرف غيره؛
 فقال: ﴿ بما تعلمون ﴾ أى على سبيل التجدد^٢ والاستمرار ﴿ بصيره ﴾
 أى عالم بجلالته و دقائقه .

ولما كان صانع الشيء قد لا يكون ملكا، وكان الملك لا يكمل ملكه
 إلا بعلم جميع ما يكون فى مملكته و القدرة عليه ، وكان إنكارهم للبعث ه
 إنكارا لان^٣ يكون ملكا، أكد ذلك بتكرير الإخبار به فقال: ﴿ له ﴾ أى
 وحده ﴿ ملك السموات ﴾ و جمع لا قضاء المقام له^٤ ﴿ و الارض^٥ ﴾
 أفرد لخصاه تعددها عليهم مع إرادة الجنس ، و دل على دوام ملكه و إحاطته
 بقوله عاطفا على ما تقديره: فن الله المبدأ ، معبرا بالاسم الأعظم الجامع
 ١٠ ثلثا يظن الخصوص بامور ما تقدم: ﴿ و الى الله ﴾ أى الملك الذى
 لا كفؤ له وحده ﴿ ترجع ﴾ بكل اعتبار على غاية السهولة ﴿ الاموره ﴾
 أى كلها حسا بالبعث و معنى بالإبداء^٦ و الإفناء ، و دل على هذا الإبداء
 و الإفناء بأبدع الامور و أروقها فقال: ﴿ يوجل ﴾ أى يدخل و يغيب
 بالنقص و المحو ﴿ الليل فى النهار ﴾ فاذا قد قصر بعد طوله ، و قد انمى
 بعد تشخصه و حلوله ، ففلا الضياء الأقطار بعد ذلك الظلام ١٥
 ﴿ و يوجل النهار ﴾ الذى عم الكون ضياؤه و أناره لالأوه ﴿ فى الليل^٧ ﴾
 الذى قد كان غاب فى علمه ، فاذا الظلام قد طبق الآفاق ، و الطول^٨ ، الذى
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: التجديد (٣) من ظ ، و فى
 الأصل: لا (٤) زيد فى الأصل: فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخصتها .
 (٥) من ظ ، و فى الأصل: بالابتداء (٦) فى ظ : الطول .

[كان - '] له قد صار نقصا .

ولما كان في هذا إظهار أخفى الأشياء^١ حتى يصير في غاية الجلاء،
أتبعه علم ما هو عند الناس / أخفى ما يكون فقال: ﴿ وهو ﴾ أى وحده
﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدوره ﴾ أى ما بصحبها فتخفيه فلا
٥ يخرج منها من الهمزات على مدى الأيام على كثرة اختلافها وتغيرها
وإن خفيت على اصحابها .

ولما قامت الأدلة على تزييه سبحانه عن شائبة كل نقص، وإحاطته
بكل صفة كمال، المقتضى لثبوت أن الملك له، الموجب قطعاً لتفرده بعموم
الإلهية، المقتضى لإرسال من يريده إلى جميع من فى ملكه، وختم بالعلم
١٠ بالضمار التى أجلها الإيمان، قال أمرا بالإذعان له ولرسوله صلى الله عليه
وسلم: ﴿ امنوا ﴾ أى أيها الثقلان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى
لامثل له ﴿ ورسوله ﴾ الذى عظمته من عظمته . ولما كان الإيمان
أساساً، والإنفاق^٢ وجها ظاهرا ورأسا، قال جامعا بين الأساس الحامل
الخفى والوجه الظاهر الكامل البهى: ﴿ وانفقوا ﴾ أى فى إظهار دينه:
١٥ ورغبهم فى ذلك بطلب اليسير بما أعطاهم [الله - '] وزهدهم منه بقوله:

﴿ مما جعلكم ﴾ أى بقدرته ﴿ مستخلفين ﴾ أى مطلوباً . وجوداً خلافتكم
﴿ فيه^٣ ﴾ و هو له دونكم بما يرضى من استخلفكم فى تمهيد سبيله فطيبوا بها
نفساً لأنها ليست فى الحقيقة لكم وإنما أتم خزان، و خافوا من عزلكم
من الخلافة بانزاعها من أيديكم بتولية غيركم أمرها، إما فى حياتكم، وإما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: الأسباب (٣) من ظ ، وفى

الأصل: الانطاق .

بعد عمتكم، كما فعل بغيركم حين أوصل إليكم ما وصل من أموالهم،
فليس لكم منها إلا ما أكلتم فأفئتم أو لبستم فأبليتكم أو تصدقتم فأبقيتم - وفي
رواية: فأمضيتم، وليهن الإنفاق منها عليكم كما يهون على الإنسان النفقة
من مال غيره إذا أذن له فيه .

ولما أمر بالإنفاق ووصفه بما سهله، سبب عنه ما يرغب فيه ه
فقال مبالغا في تأكيد الوعد لما في ارتكابه من العسر بالتعبير عنه بالجملة
الاسمية وبناء [الحكم - '] على الضمير بالوصف بالكبير وغير ذلك:
{ فالذين آمنوا } وبين أن هذا خاص بهم لضيق الحال في زمانهم
فقال: { منكم وانفقوا } أي من أموالهم في الوجوه التي ندب إليها
على وجه الإصلاح كما دل عليه التعبير بالإنفاق { لهم اجر كبيره } أي ١٠
لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الإنفاق في أيام استخلافكم قبل
عزلكم وإتلافكم .

ولما رغب في الإنفاق والإيمان، وكان الإيمان مقتضى بالإنفاق،
عجب بمن لا يبادر إلى الحاصل على كل خير، فقال مفعلا لما أجمل من
الترغيب فيهما، بادئا بأبين كل خير، منفسا عنهم بالتعبير بأداة الاستقبال ١٥
بالشارة بالعمو عن الماضي مرها موبخا لمن لا يبادر إلى مضمون ما دخل
عليه الاستفهام، عاطفا على ما تقديره: فما لكم لا تبادرون إلى ذلك:
{ وما } أي وأي شيء { لكم } من الأعذار أو غيرها في أنكم،
أو حال كونكم { لا تؤمنون بالله } أي تجددون الإيمان - أي تجديدا
(١) زيد من ظ .

مستمرًا - بالملك الأعلى أى الذى له الملك كله و الأمر كله بعد سماعكم لهذا الكلام: لأن «لا» لا تدخل على / مضارع إلا و هو بمعنى الاستقبال، ولو عبر بعبارة تدل على الحال لربما تعنت متعنت فقال: فأت ما طلب منا، و الذى بعد هذا من الحال التى هى فى معنى العلة دالة على هذا، و هى قوله: ﴿و الرسول﴾ أى و الحال أن الذى له الرسالة العامة ﴿يدعوكم﴾ صباحا و مساء على ما له من مقتضيات القبول منه من حسن السمعت و جلالة القدر و إظهار الخوارق و غير ذلك ﴿لتؤمنوا﴾ أى لاجل أن تجددوا الإيمان ﴿بربكم﴾ أى الذى أحسن تربيتكم بأن جعلكم من أمة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم و شرفكم به ﴿و قد﴾ ١٠ أى و الحال أنه قد ﴿أخذ ميثاقكم﴾ أى وقع أخذه [فصار - ٢] فى غاية [القباحة - ٢] ترك ما وقع التوثق بسية بنصب الأدلة و التمكين^٢ من النظر بأبداع العقول، و ذلك كله منضم إلى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة و السلام و إشهدهم على أنفسهم و إشهد الملائكة عليهم، و بنى الفعل للفعل فى قراءة أبى عمرو ليكون المعنى أى أخذ كان لأن الغدر ١٥ عند الكرماء شديد من غير نظر إلى معين لاسيما العرب فكيف إذا كان الآخذ الملك الأعظم القادر على كل شىء العالم بكل شىء، و رسوله الذى تعظيمه من تعظيمه، كما صرحت به قراءة الجماعة بالبناء للفاعل و لا يخفى الإعراب، و الحاصل أنهم نقضوا الميثاق فى الإيمان، فلم يؤاخذهم

(١) من ظ، و فى الأصل: جنس (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: التمكن .

حتى أرسل الرسل .

ولما حثهم على تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار بالتعجب من ترك ذلك، وكان كل واحد يدعى العراقة في الخير، هيجهم و ألهمهم بقوله:

(ان كنتم) أى جبلة ووصفا ثابتا (مؤمنين ه) أى عريقين في

وصف الإيمان، و هو الكون على نور الفطرة الأولى .

ولما وصفه بالربوبية ، دل عليها بقوله : (هو) أى وحده

[لا غيره - '] (الذى ينزل) أى على سبيل التدرج و الموالاتة بحسب

الحاجة . ولما كان الخطاب في هذه السورة للخاص ، قال مضيفا إلى ضميره

غير مقرون بما يدل على الجلال و الكبرياء (على عبده) أى الذى

هو أحق الناس بحضرة جماله' و إكرامه لأنه ما تعبد لغيره قط ('أيت) ١٠

أى علامات هى من ظهورها حقيقة بأن يرجع إليها و يتقيد [بها - ']

(بينت) جدا على ما له من التعوت التى هى فى غاية الوضوح (ليخرجكم ')

أى الله أى عبده بما أنزل إليه مع أنه بشر مثلكم ، و الجنس إلى جنسه

أميل و منه أقبل ، و لا سيما إن كان قريبا و لييا أريبا (من الظلمت)

التى أتم منغمسون فيها من الحظوظ و النقائص' التى جبل عليها الإنسان ١٥

و الغفلة و النسيان ، الحاملة على تراكم الجهل ، فن آتاه سبحانه العلم و الإيمان

فقد أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه (الى النور ') الذى كان

وصفا لروحه و فطرته الأولى السليمة .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جلاله (٣) ليس فى الأصل .

(٤) من ظ ، و فى الأصل : نقصان (٥) زيد فى ظ : له .

ولما كان التقدير: / فان الله به اللطيف خبير، عطف عليه قوله مؤكدا لأجل زوال من يطول به البلاء من المؤمنين وإنكار الكفار: ﴿وان الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿بكم﴾ قدم الجار لأن عظيم رحمته لهذه الامة موجب لعد نعمته^١ على غيرنا عدما بالنسبة إلى نعمته علينا ﴿لرؤف رحيمه﴾ أى كتمم بالنظر إلى رحمته الخاصة التى هى لإتمام النعمة العامة صنفين: منكم من كان له به وصلة بما يفعل فى أيام جاهليته من الخيرات كالإنفاق^٢ فى سبيل المعروف، وعبر بالإنفاق لكونه [خيرا -^٢] لا رياء ونحوه [فيه] كالصديق^٣ رضى الله عنه فعاد عليه، بعد عموم^٤ رحمته بالبيان^٥، بخصوص رحمة عظيمة أوصلته إلى^٦ اعظم درجات^٧ العرفان، ومنكم من كان بالغاً فى اتباع الهوى فابتدأه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة هداه بها إلى أعمال الجنان، وهى دون ما قبلها فى الميزان، وفوقها من حيث أنها بدون سبب من المرحوم.

ولما أمرهم بالإيمان والإنفاق، وكان^٨ الإيمان مع كونه الأساس الذى لا يصح عمل بدونه ليس فيه^٩ شىء من خسران أو نقصان، فبدأ به لذلك، ورغب بختم الآية بالإشارة بالرافة^{١٠} إلى أن [من -^٣] توصل

(١) من ظ . وفى الأصل: رحمته (٢) من ظ ، وفى الأصل: كاتفاق (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل: نحوه، ولم تكن ازيادة فى ظ فخذناها (هـ) فى ظ: رحمة البيان (٦-٦) فى ظ: أعلى درجة (٧) من ظ ، وفى الأصل: كون . (٨) من ظ ، وفى الأصل: فيها (٩) من ظ ، وفى الأصل: الى الراه .

إليه بشيء من الإيمان أو غيره زاده من فضله « من تقرب منى شبرا
تقربت منه ذراعا - إلى قوله : و من أتاني يمشى أتيته هرولة ، عطف
عليه الترغيب في التوصل إليه ' بالإفئاق منكرًا على من تركه موجبًا لمن
حاد عنه ' و هو يعلم أنه فأن ، مفهما بزيادة " أن " المصدرية اللوم على
ركه في جميع الأزمنة الثلاثة فقال : ﴿ و ما ﴾ أى و أى شىء يحصل .
﴿ لكم ﴾ في ﴿ الا تنفقوا ﴾ أى توجدوا الإخراج للال ﴿ في سبيل الله ﴾
أى في كل ما يرضى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال لتكون لكم
به وصلة فينصمك بالرأفة التى هى أعظم الرحمة ، فانه ما بخل [به - ١]
أحد عن وجه خير إلا سلط الله عليه غرامة في وجه شر ، و أظهر موضع
الإضمار في جملة حالة باعثًا على الإفئاق بأبلغ بعث^٢ فقال : ﴿ و لله ﴾ ١٠
تأكيدًا للعظمة بالندب إلى ذلك باستحضار جميع صفات الكمال لاسيما
صفة الإرث المتفضية للزهد في الموروث ﴿ ميراث ﴾ [أى - ٢] الإرث
' الموروث ' و الموروث عنه و غير ذلك ﴿ السموات و الارض^٣ ﴾ جميعا
لا شىء فيهما أو منهما إلا هو كذلك يزول عن المنتفع به و يبقى لله بقاء
الإرث^٤ ، و من تأمل أنه زائل هو و كل ما في يده و الموت من ورائه ، ١٥
و يد طوارق الحوادث مطبقة به ، و عما قليل ينقل ما في يده إلى غيره

(١-١) تكرر ما بين الرقيين في الأصل : قبل « بشيء من الإيمان » س ١ (٢) زيد
من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : نعت (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٥) من ظ ، و في الأصل : الأرض .

هان عليه الجود بنفسه وماله .

ولما رغبتهم في الإنفاق على الإطلاق، رغبتهم في المبادرة إليه،

مادحا أهله خاصة منهم أهل السباق فقال: ﴿ لا يستوى ﴾ . ولما

كان المراد أهل الإسلام بين بقوله: ﴿ منكم من أنفق ﴾ أى أوجد

/ ١٩٩

الإنفاق فى ماله وجميع قواه وما يقدر عليه / . ولما كان المقصود الإنفاق

فى زمان الإيمان لامطلق الزمان، خص بالجار فقال: ﴿ من قبل الفتح ﴾

أى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة وهو فتح مكة الذى كان سببا

لظهور الدين [على الدين - ٢] كله لما نال المنفق إذ ذاك بالإنفاق

من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ، وذلك مستلزم لكون المنفق أنفذ

١٠ بصيرة ونفقتهم أعظم غنا وأشد نفعا، وفيه دليل على فضل أبى بكر

رضى الله عنه فإنه أول من أنفق ولم يسبقه فى ذلك أحد، وفيه نزلت

الآية - كما حكاها البغوى^٢ عن الكلبي .

ولما كان المراد بالإيمان خدمة الرحمن، وكان الإنفاق وإن كان

مصداقا للإيمان لا يكمل تصديقه إلا ببذل النفس قال: ﴿ وقتل^٣ ﴾ أى سعيها

١٥ فى إفاق نفسه لمن آمن به، وحذف المنى للتسوية به وهو [من - ١]

لم ينفق مطلقا أو بقيد القلبية لدلالة ما بعده، وأعله أفرد الضمير إشارة

إلى قلة السابقين .

ولما كان نفي المساواة لا يعرف منه الفاضل من غيره، وقد كان

(١) من ظ : وفى الأصل : فى ظهور (٢) زيد من ظ (٣) راجع معالم التنزيل

بها مش الباب ٧ / ٢٧ .

حذف قسم من أتفق لوضوحه والتفكير منه ودلالة ما بعده عليه، نفي اللبس بقوله: ﴿اولئك﴾ أى المنفقون المقاتلون وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، المقربون من أهل الرتبة العلية لمبادرتهم إلى الجود بالنفس والمال ﴿اعظم درجة﴾ وبمعظم الدرجة يكون عظم صاحبها ﴿من الذين انفقوا﴾ ولما كان المراد التفضيل على من أوجد^٥ الإنفاق والقتال [في زمان بعد ذلك، لا على من استغرق كل زمان بعده بالإنفاق والقتال -^٦] أدخل الجار فقال: ﴿من بعد وقتلوا﴾ ولما كان التفضيل مفهما اشتراك الكل في الفضل، صرح به ترغيبا في الإنفاق على كل حال فقال: ﴿و كلا﴾ أى من القسمين ﴿وعد الله﴾ [أى -^٧] الذى له الجلال والكمال والإكرام ﴿الحسنى﴾ أى الدرجة ١٠ التى هى غاية الحسن وإن كانت فى نفسها متفاوتة، وقرأ ابن عامر^٨ "و كل" وهو أوفق لما عطف عليه .

ولما كان زكاء الأعمال إنما هو بالنيات، وكان التفضيل مناط العلم، قال^٩ مرغبا فى إحصان النيات مرهبا^{١٠} من^{١١} التقصير فيها: ﴿والله﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة بجميع صفات الكمال، وقدم الجار إعلاما ١٥ بمزيد اعتناء بالتمييز عند التفضيل فقال: ﴿بما تعملون﴾ أى تجددون عمله على مر الأوقات ﴿خير ع﴾ أى عالم يباطنه وظاهره علما لا مزيد

(١) زبدت الواو فى الأصل: ولم تكن فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
(٣) راجع نثر المرجان ٢٠٥/٧ (٤-٤) من ظ، وفى الأصل: ابن عباس (٥) من ظ، وفى الأصل: فى (٦) من ظ، وفى الأصل: عمر .

عليه بوجه، فهو يجعل جزاء الأعمال على قدر النيات التي هي أرواح صورها .

ولما فضل السابقين بالإتفاق، و وعد ' بالحسنى اللاحقين' بحسن الاتباع، وأشار إلى^٢ أنه ربما ألحقهم ببعضهم بصفاء الإخلاص فتوفرت الدواعى على البذل، أثمر^٤ ذلك قوله^٤ مسميا الصدقة التي صورتها [صورة -^٦] لإخراج من غير عوض باسم القرض الذي هو إخراج بعوض ترغيبا فيها لما أعد عليها من الجزاء المحقق فكيف إذا كان مضاعفا: / (من) و أكد بالإشارة بقوله: ﴿ ذا ﴾ لأجل^٧ ما للنفوس من الشح ﴿ الذى يقرض الله ﴾ أى يعطى^٨ الذى له جميع صفات الجلال والإكرام باعطائه المستحق لأجله عطاء من ماله هو على صورة القرض لرجائه الثواب ﴿ قرضا حسنا ﴾ أى طيبا خالصا فيه متحررا به أفضل الوجوه طيبة به النفس من غير من ولا كدر بتسويق ونحوه . ولما كان ما يعطى الله المنفق من الجزاء مسميا عن إنفاقه، ربطه بالفاء فقال عطفا على " يقرض " : ﴿ فيضعفه له ﴾ مرغبا فيه بجعله ١٥ مبالغا فيه بالتضعيف أولا وجعله من باب المفاعلة ثانيا، وكذا التفضيل

/ ٢٢٠

- (١) من ظ ، وفى الأصل : لا (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : اللاحقين بالحسنى .
 (٣) من ظ ، وفى الأصل : لهم (٤-٤) من ظ ، وفى الأصل : قوله ذلك .
 (٥) زيد فى الأصل : هى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٦) زيد من ظ .
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : جل (٨) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة .
 فى ظ لخذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لخذفناها .

في قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب^١ " فيضعفه " وقرأه ابن عامر
[ويعقوب - ٢] بالنصب جوابا للاستفهام تأكيدا للربط والتسيب .
ولما كانت المضاعفة^٢ منه سبحانه لا يعلم كنهها إلا هو قال : (وله)
أى المقرض من بعد ما تعقلونه من المضاعفة زيادة على ذلك (اجر)
لا يعلم قدره إلا الله ، وهو معنى وصفه بقوله : (كريم ع) أى حسن ه
طيب زاك نام .

و لما بين ما لهذا المقرض ، بين بعض وصفه بالكرم ببيان وقته
قال : (يوم) أى لهم ذلك في الوقت الذى (ترى) فيه [بالعين - ٢] ،
وأشار إلى أن المحبوب من المال لا يخرج عنه ولا سيما [مع - ٢]
الإقتار إلا من وقر الدين في قلبه بتعبيره بالوصف فقال : ١٠
(المؤمنين و المؤمنات) أى الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة (يسعى)
شعارا لهم و أمانة على سعادتهم (نورهم) الذى يوجب إبصارهم لجميع
ما ينفعهم فياخذونه^٣ و ما يضرهم فيتركوه^٤ ، و ذلك بقدر أعمالهم الصالحة
التي كانوا يعملونها بنور العلم الذى هو ممة الإيمان كما أنهم قدموا المال
الذى إنما يقتنيه الإنسان لمثل^٥ ذلك جزاء وفاقا . ١٥

و لما كان من يراد تعظيمه يعطى ما يجب و ما بعده شريفا (٩) فى
الاماكن التي يحبها قال : (بين ايديهم) أى حيث ما توجهوا ، ولذلك

(١) راجع نشر الرجان ٢٠٦/٧ (٢) زيد من ظ (٣) تكرر فى الأصل (٤) من
ظ ، وفى الأصل : فياخذونه (٥) من ظ ، وفى الأصل : فيتركونه
(٦) من ظ ، وفى الأصل : بمثل .

حذف الجار ﴿ و بايمانهم ﴾ [اى - '] و تتصق بتلك الجهة لان هاتين
الجهتين أشرف جهاتهم، وهم إما من السابقين، وإما من أهل البين .
و يعطون صحائفهم من هاتين الجهتين، و الشقى بخلاف ذلك لانور له
و يعطى صحيفته بشاله و من وراء ظهره، فالأول نور الإيمان و المعرفة
و الأعمال المقولة، و الثانى نور الإتياق لأنه بالإيمان^٢ - [نه - '] عليه
الرازى .

و لما ذكر نفوذهم فيما يحبون من الجهات و تيسيره لهم، أتبعه ما
يقال لهم من المحبوب فى سلوكهم لذلك المحبوب فقال: ﴿ بشرنكم اليوم ﴾
أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان . و لما تشوفوا لذلك
١٠ أخبروا بالمبشر به بقوله مخبرا إشارة إلى أن المخبر به يحسد من البشرى
لكونه معدن السرور ﴿ جنت ﴾ أى كآته لكم تتصرفون فيها أعظم
تصرف، و الخبر فى الأصل دخول، ولكنه عدل عنه لما ذكر من المبالغة
ثم وصفها بما لا / تكمل اللذة إلا به فقال: ﴿ تجرى ﴾ و أنهم القرب
بأثبات الجار فقال: ﴿ من تحتها الأنهر ﴾ و لما كان ذلك لا يتم مع
١٥ خوف الانقطاع قال: ﴿ تخلدين فيها^٣ ﴾ خلودا لا آخر له لأن الله أورثكم
ذلك ما لا يورث عنكم كما كان حكام الدنيا لأن الجنة لا موت فيها .
و لما كان هذا أمرا سارا^٤ فى ذلك المقام الضنك؛ محبا بأمر (٥) استأنف
مدحه بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الأمر العظيم جدا ﴿ هو ﴾ أى وحده

/ ٢٢١

(١) ريد من ظ (٢) من ظ . و فى الأصل: الايمان (٣) من ظ، و فى
الأصل: اشار (٤) من ظ، و فى الأصل: بالصنك .

(الفوز العظيم ٤) أى الذى ملا* بعظمته جميع الجهات من ذواتكم
و أبدانكم و نفوسكم و أرواحكم .
و لما عظم هذا الأجر الكريم بيان ما لاهله فى الوقت الكائن
فيه ، عظمه بما لأضدادهم من النكال ، فقال مبدلا من الظرف الأول :
(يوم يقول) أى قولا مجددا لما ' يلجىء إليه من الأمور العظيمة الشاقة ٥
(المنفقون و المنفقت) أى بالعراقة فى إظهار الإيمان و إبطان الكفران
(للذين آمنوا) أى ظاهرا و باطنا ، و أما من علا من هذا السن من
المؤمنين و من فوقهم فالظاهر أنهم لا يرونهم ليطمعوا فى مناداتهم ' و أين
الثريا من يد المتناول ، (انظرونا) أى انظرونا بأن تمكثوا فى مكانكم
للحق بكم ، و كأن الفعل جرد فى قراءة الجماعة لاقتضاء الحال الإيجاز بغاية ١٠
[ما - ٢] توصل المقدره إليه خوف الفوت ، لأن المسواين يسرعون إلى
الجنة كالبرق الخاطف ، و قد حققت المعنى قرأه حمزة ؛ بقطع الهمزة و كسر
الظاء أى أخرجونا فى المشى و تأنوا علينا و أمهلوا علينا ، لا نطلبوا منا السرعة
فيه بل امكثوا فى مكانكم لتنظر فى أمرنا كيف نلحق بكم ، و الحاصل
أنهم عدوا تأنيهم فى المشى و تلبسهم ليلحقوا بهم إنظارا لهم (نقتبس) ١٥
أى نأخذ و نصيب و نستصبح (من نوركم ج) أى هذا الذى نراه لكم
و لا يلحقنا منه بشىء . كما كنا فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم
(١) من ظ : و فى الأصل : بما (٢) من ظ ، و فى الأصل : مادتهم (٣) زيد
من ظ (٤) راجع ثر الرجاء ٢٠٨/٧ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحال (٦) من
ظ ، و فى الأصل : ظهوركم .

ولا تعلق من ذلك بشيء جزاء وفاقا، و سبب هذا القول أنهم يحطون
مع المؤمنين نورا^١ خديعة لهم بما خادعوا في الدنيا لتعظم عليهم المشقة
بفقدته لأنه لا يلبث أن يبعث الله عليهم ريحا و ظلة فتظنيء نورهم و يقون
في الظلة، و إلى ذلك ينظر قول المؤمنين "اتمم لنا نورنا" أي [لا-^٢]
٥. تطفئة كما أطفأت نور المنافقين .

و لما كان المنكىء لهم إنما هو الرد من^٣ أي قائل كان، بنى للمفعول
قوله: (قيل) أي لهم جوابا لسؤالهم قول رد و تويخ و تهكم و تنديم:
(ارجعوا و رآكم) أي في جميع جهات الوراة التي هي أبعد الجهات
عن الخير كما كنتم في الدنيا لا تزالون مرتدين على أعقابكم عما يستحق
١٠. أن يقبل عليه و يسعى إليه (فالتمسوا) بسبب ذلك الرجوع (نورا^١)
و يصح أن يراد بالوراة الدنيا لأن هذا النور إنما هو منها بسبب ما عملوا
فيها من الأعمال الزاكية و المعارف الصافية، و لهذا قال الإمام الغزالي رحمه
الله تعالى في كتاب المحبة من الإحياء: إن هذه الآية تدل على / أن الأنوار
لا بد أن يتجدد أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقا [فاما-^٢]
١٥. أن يتجدد ثم نور فلا .

/ ٢٢٢

و لما كان التقدير: فرجعوا أو فأقاموا في الظلة، سبب عنه و عقب
قوله: (فضرب) مبني للمفعول على نحو الأول، و لإفادة أن الضرب
كان في غاية السرعة و السهولة، و يجوز أن تكون الفاء معقبة على ما
(١) من ظله، و فهما الأصل: نور (٢) زيد من ظله (٣) من ظله، و فهما الأصل:
على .

قبله من غير تقدير (يبيهم) أى فى [جميع - ١] المسافة التى بين
الذين آمنوا وأضدادهم فى وقت قولهم هذا . ولما كان المقصود أن
ضربه كان فى غاية السرعة ، لم يوقع الفعل وأتى بالقاء ليقيد أنه كان
كأنه عصى ضربت به الأرض ضربة واحدة ، فقال : (بسور) أى
جدار محيط محيل بين الجنة والنار لا يشذ عنه أحد منهم ولا يقدر
أحد من سواهم أن يتجاوزه إليهم (له باب) موكل به حجاب
لا يفتحون إلا لمن أذن الله له من المؤمنين بما يهديهم إليه من نورم الذى
بين أيديهم لشفاة أو نحوها (باطنه) أى ذلك السور والباب وهو
الذى من جهة الذين آمنوا جزاء لإيمانهم الذى هو غيب (فيه الرحمة)
وهى ما لهم من الكرامة بالجنة التى هى ساترة بطن من فيها بأشجارها ١٠
وبأسبابها كما كانت بواطنهم ملاء رحمة ٢ (و ظاهره) أى السور
أو الباب الذى يظهر لأهل النار ، مبتدئ (من قبله) أى تجاه ذلك
الظاهر وناحيته وجهته وعنده (العذاب) من النار ومقدماتها لاقتصار
أهله على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ إلى باطن وعكس ما أرادوا
من حفظ ظواهرهم فى الدنيا مع فساد بواطنهم ، ودل على ما أفهمه ١٥
التعبير بالمضارع فى " يقول " من التكرير بقوله استثناء : (ينادونهم)
أى المناقون والمناقات ، يواصلون النداء وهم فى الظلمة للذين آمنوا
يرققون لهم فى مدة هذا القول والضرب : (الم نكن) أى بكلينا
(١) زيدتمن ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : ان (م) من ظ ، وفى الأصل :
الرحمة (ه) من ظ ، وفى الأصل : ه وه (ه) من ظ ، وفى الأصل : العذاب .

(معكم) أى فيما كنتم فيه من الدين فستحق المشاركة فيما صرتم إليه بسبب ذلك [الدين - ١] الذى كنا معكم فيه (قالوا) أى الذين آمنوا: (بلى) قد كنتم معنا (ولكنكم فتنكم) أى كنتم بما كان لكم من الذبذبة تختبرون (انفسكم) فتخالطونها^٢ باختبار أحوال الدين^٣ مخالطة محيلة لها بميلة عما كانت عليه من أصل الفطرة من الاستقامة، تريدون بذلك أن تظهر لكم فيه أمور محسوسة لتخلصوا فيه من الشكوك فتخلصوا، فآمنتم بالغيب فأهلكتموها^٤ و تبعتم أيضا الأمور التى كنتم تفتنون بها [من - ١] الشهوات، فأرجتم لكم الإعراض عن المعالى الباطنات (وتربصتم) أى كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى فآهلتهم وانتظرتهم لثروا الامر عيانا أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب وترك التجربة ونسبة ما يحصل لنا بما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا، وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما، وانتظرتم أيضا الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق (وارتبتم) أى شككتم بتكليف أنفسكم الشك بذلك التربص (وغرتكم الامانى) أى ما تتمنون / أى تريدون و تقدرتون ١٥ / ٢٢٣ من الإيرادات التى معها شهوة عظيمة من الأطلاع الفارغة التى لاسبب لها غير شهوة النفس إياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء (حتى جاء امر الله) أى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال، فلا كفوه له ولا خلف لقوله من الموت. ومقدمات من الأمور الدهشة،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: فتخالطوهم (٣) من ظ ، وفى الأصل: الدنيا (٤) من ظ ، وفى الأصل: فانهلكتموها .

فكما كنتم في الدنيا مقصرين كنتم في هذا الوطن ﴿ و غركم بالله ﴾ أى الملك الذى له جميع العظمة، فهو بحيث لا يخلف الميعاد وهو الولى الودود ﴿ الغروره ﴾ أى من [لا - ١] صنع له إلا الكذب وهو الشيطان وهو العدو الحسود، فانه ينوع لكم بفروره التسويف ويقول: إن الله غفور رحيم [و - ١] عفو كريم، وما ذا عسى أن تكون ذنوبكم عته ٥ وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو هذا، فلا يزال حتى يوقع الإنسان، فاذا أوقع واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى، فاذا تمادى صار الباعث له حيثن من قبل نفسه فصار طوع يده .

ولما أقروا لهم بالكون الجامع . و ذكروا ما حصل به والفرق المانع فظهر أن لا كون، سبوا عنه قولهم: ﴿ فاليوم ﴾ أى بسبب أفعالكم ١٠ تلك ﴿ لا يؤخذ ﴾ بناء للفعول لان الضار عدم الأخذ لا كونه^٢ من أخذ معين وليفيد سد باب الأخذ مطلقا ﴿ منكم فدية ﴾ أى نوع من أنواع الفداء وهو البديل والعوض للنفس على أى حال من قلة أو كثرة أو حسن أو غيره لان الإله غنى وقد فات محل العمل الذى شرعه لإنقاذ أنفسكم . ولما كانوا مكذبين أكد فقال: ﴿ ولا من الذين كفروا^٣ ﴾ أى أظهروا ١٥ كفرهم ولم يستروه كما سترتموه أتم مساواتكم لهم فى الكفر . ولما كان كأنه قيل: فإن نكون؟ قال: ﴿ ما وكنم ﴾ أى منزلكم ومسكنكم وجمعكم ﴿ النار^٤ ﴾ لا مقر لكم غيرها، تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الأولياء بأقبالكم على الشهوات، وإضاعتم حقوق ذوى الحاجات، وأكد ذلك

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل: لكونه .

بقوله : ﴿ هي ﴾ أى لا غيرها ﴿ مولسكم ﴾ أى قريبتكم و موضع قريكم
 و مصيركم و ناصركم على نحو " نحية بينهم " ضرب و جيع " فهى أولى لكم ،
 لا قرب لكم إلى غيرها ، و لا غيرها مولى و لا مصير [إلى - ٣] سواها
 و لا ناصر إلا هى . و لما كان التقدير : فبئس المولى هى ، عطف عليه
 ٥ قوله : ﴿ و بئس المصيره ﴾ أى هذه النار التى صرتم إليها .

و لما كان هذا و عظا شافيا لسقام القلوب ، و كاشفا لغطاء الكروب ،
 اتج قوله حاثا على الإقبال على كتابه الذى رحم به عباده بأزواجه على
 لسان نبيه صلى الله عليه و سلم على وجه معلم بإعجازه أنه كلام الله مستعظفا لهم
 إلى جنابه زاجرا لهم^٢ عما سألهم بعضهم فيه سلمان رضى الله عنه من أن
 ١٠ يحدثهم عن التوراة و الانجيل ، فكانوا كلما سألوه عن شىء أنزل سبحانه

آية يجرم بها و ينههم على أن هذا القرآن فيه [كل ما - ٢] يطلب
 إلى أن أنزل هذه الآية زاجرة هذا الزجر العظيم لتلايظن ظان أن
 القرآن غير كاف ، مخوفا لهم بما وقع لاهل الكتاب من الإعراض عن
 كتابهم . قال الكلبي : نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة ، و قال ابن عباس
 ١٥ / ٢٠٤ رضى الله عنهما : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين على رأس / ثلاث عشرة سنة

من زول القرآن ، فقال : ﴿ ألم يان ﴾ أى يحن و ينتهى و يدرك إلى الغاية
 ﴿ للدين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بأستهم صدقا أو كذبا ﴿ ان تخشع ﴾
 أى أن يكون لهم رتبة عالية فى الإيمان بأن تلين و تسكن و تخضع و تذل
 و تطمئن فتخبت فعرض عن الفانى و تقبل على الباقي ﴿ قلوبهم لذكر الله ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : بينكم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) راجع .

أى الملك الأعظم الذى لاخير إلا منه فيصدق في إيمانه من كان كاذبا
 ويقوى في الدين من كان ضعيفا، فلا يطلب لذلك دية دواء ولا لمرض قلبه
 شفاء في غير القرآن، فان ذكر الله يجلو أصداء القلوب ويصقل مراتبها .
 ولما كان الذكر وحده كافيا في الخشوع والإنابة والخضوع لانه
 يجمع لكل رغبة ومنبع لكل رهبة، وكان من الناس من لا تقوذه فيما ه
 له سبحانه من الجلال والإكرام قال: ﴿ وما نزل ﴾ أى الله تعالى
 بالتدرج - على قراءة الجماعة بالتشديد، وما وجد إنزاله من عند الله على
 حاتم رسله صلى الله عليه وسلم على قراءة نافع وحفص عن عاصم ورويس
 بخلف عنه عن يعقوب بالتحفيف ﴿ من الحق لا ﴾ أى من الوعد والوعد
 والوعظ وغير ذلك على بنبيكم صلى الله عليه وسلم من القرآن إشارة ١٠
 إلى ان غير هذا الذكر دخله الدخيل، واما هذا فثابت ثباتا لا يقدر
 أحد على إزالته .

ولما كان للسابقة والمنافسة أمر عظيم في تحريك الهمم لأهل
 الأتفة وأولى المعالي قال: ﴿ ولا يكونوا كالذين ﴾ ولما كان العلم بمجرد
 كافيا في إعلاء الهمة فكيف [إذا - ٢] كان من عند الله فكيف إذا ١٥
 كان بكتاب، إشارة إلى ذلك بالبناء للجهول فقال: ﴿ اوتوا الكتب ﴾
 أى لو كان الإتيان من عند غير الله لكان جديرا بالهداية فكيف وهو
 من عنده . ولما كان إنزال الكتب لم يكن إلا على بنى إسرائيل
 (١) راجع نثر المرحان ٢١٤/٧ (٢) من ظ ، وفي الأصل: انزله (٣) زيد من ظ .
 (٤) من ظ ، وفي الأصل: اشارة .

فلم يكن مستغرقاً للزمان الماضي أدخل الجار فقال: (من قبل) أى قبل ما نزل إليكم وهم اليهود والنصارى . ولما كانوا في كل قليل يعبرون قال عاطفاً على "أتوا الكتاب": (فقال عليهم الامد) أى الزمان الذى ضربناه لشرفهم ومدناه لعلوم من أول إيتائهم^٢ الكتاب الذى من شأنه ترفيق القلوب، والامد الاجل، وكل منهما يطلق على المدة كلها وعلى آخرها، وكذا الغاية بقول النحاة: "من" لابتداء الغاية و"إلى" لانتهاؤها، والمراد جميع المدة (فقتت) أى بسبب الطول (قلوبهم^٣) أى صلبت واعوجت حتى كانت بحيث لا تفعل للطاعات والخير فكانوا كل القليل^٤ فى تعنت شديد على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام يسألونهم المقترحات، وأما بعد إيتائهم فابعدوا فى المساواة، فالوا إلى دار الكدر بكلياتهم وأعرضوا عن دار الصفا فاجمروا إلى الهلاك باتباع الشهوات، قال القشيري: وقسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة، وأن الشهوة والصفوة لا يجتمعان .

ولما كان التقدير: فبعضهم ثبت على تزلزل، عطف عليه قوله:

(وكثير منهم) أخرجه قساوته عن الدين أصلاً ورأساً لهم / (فسقون هـ) ١٥ / ٢٠٥

أى عريقون فى وصف الإقدام على الخروج من دائرة الحق التى عداها لهم الكتاب، وعن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال: لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله

(١) من ظ، وفى الأصل: كان (٢) من ظ، وفى الأصل: إيتائهم .

(٣-٤) من ظ، وفى الأصل: قلباً (٤) من ظ، وفى الأصل: الهوى .

بها إلا أربع سنين - رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي: وفيه موسى
ابن يعقوب الربيع وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني وبقية رجاله
رجال الصحيح - انتهى .

ولما كان الموجب الأعظم للقسوة إنكار البعث، وكان^٢ العرب يزيدون
على أهل الكتاب من موجبات القسوة به، وكان عمل العامل بما يدل^٥
على القسوة عمل من ينكره، قال مهديا لهم به مقررا لما ابتدأ به السورة
من أمر الإحياء مشيرا إلى القدرة على إحياء القلوب مثلا لإزالة القسوة
عنها بصقل الذكر والتلاوة ترغيبا في إدامة ذلك: ﴿اعلوا﴾ أي يا من
آمن بلسانه ﴿ان الله﴾ أي الملك الأعظم الذي له الكمال كله فلا يعجزه
شيء ﴿يحيي﴾ أي على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه^{١٠}
﴿الارض﴾ اليابسة بالنبات . ولما كان هذا الوصف ثابتا دائما بالفعل
وبالقوة أخرى، وكان الجار هنا مقتضيا للتعميم قال: ﴿بعد موتها﴾
من غير ذكر الجار وكما أنه يحياها فيخرج بها النبات بعد أن كان قد
تفتت و صار ترابا فكذلك يحيي بجمع أجسامهم وإفاضة الأرواح
عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالأجسام أول مرة سواء، لا فرق بوجه^{١٥}
إلا بأن يقال: الابتداء أصعب في العادة، فاحذروا سطوته و اخشوا غضبه
وارجوا رحمته لإحياء القلوب، فانه قادر على إحيائها بروح الوحي كما

(١) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٢١، (٢) من ظ، وفي الأصل: ان (٣) من ظ،
وفي الأصل: دل (٤) زيد في الأصل: فقال تعالى، ولم تكن الزيادة في ظ
لحذفتها (٥) من ظ، وفي الأصل: لجميع .

أحيى الأرض بروح الماء لتصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما
صارت الأرض بالماء راية بعد خشوعها و موتها .

ولما انكشف الأمر بهذا غاية الانكشاف ، أتج قوله : (قد بينا)

أى على ما لنا من العظمة ، ولما كان العرب يفهمون من لسانهم ما
لا يفهم غيرهم فكانوا يعرفون - من إيجاز القرآن - بكثرة فوائده و جلاله

مقاصده و دقة مسالكه و عظمة مداركه ، و جزالة تراكيبه و متانة أساليبه
و غير ذلك من شؤنه و أنواعه و فنونه ، المنتج لتحقيق أنه كلام الله - 'أما

لا يعلمه غيرهم فكأنما كانوا مخصوصين بهذا البيان ، فقدم الجار فقال :

(لكم الإيت) أى العلامات المنيرات . و لما كان السياق للبعث ، وكان

١٠ من دعائم أصول الدين ، و كان العقل كافيا فى قياسه على النبات ، وكان

الفعل الذى لا يعود إلى سعادة الآخرة ناقصا ، و كان العقل الذى لا ينحى

صاحبه مساويا للعدم ، قال معبرا بأداة التراخي بخلاف ما سبق فى آل

عمران فانه من مصالح النفس التى اختفت ، و دواع تدعو إلى فهمها ،

و تبعث إلى إتقان / عليها (لعلكم تعقلون) أى لتكونوا عند من يعلم

/ ٢٠٦

١٥ ذلك و يسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم

من فهمه على سبيل التواصل الدار بالاستمرار .

ولما كانت الصدقة كالبذر الذى تقدم أن الله تعالى يحيه و يضاعفه

أضعافا كثيرة على حسب زكاه الأرض ، قال منتجا بما مضى ما يعرف

(١-١) من ظ ، و فى الأصل . دالا (٢١) من ظ ، و فى الأصل : العقل .

أن

أن من أعظم ما دل على الخشوع المحث عليه و البعد عن حال الذين
أوتوا الكتاب في القسوة الصدقة بالإنفاق الذي قرنه في أولها بالإيمان ،
وحت عليه في كثير من آياتها تفهيمها على أنه ثمرته التي لا تخلف عنه ،
معبرا عنه بما يرشد إلى أنه المصدق لدعواه ، و أكد^٢ لمن يشك في البعث
من إنكار بركة الصدقة عاجلا أو آجلا تقيدا بالمحسوسات : (ان المصدقين) ٥
أى العريقين في هذا الوصف من الرجال (و المصدقت) أى من
النساء ، بأموالهم على الضعفاء الذين إعطاؤهم يدل على الصدق في الإيمان
لكون^٣ المعطى لا يرجى منه تقع دنيوى ، و لعله أدغم إشارة إلى إخفاء
الصدقات ، و قراءة [أبى -^٤] رضى الله عنه بالإظهار ترشد إلى الإكثار
من الصدقة حتى تصير ظاهرة ، و قراءة ابن كثير و أبى بكر عن عاصم ١٠
بالتخفيف^٥ تدل مع ذلك على التصديق بالإيمان ، فكل من القراءات يدل
عليها ، و من التفصيل بذكر النوعين تعرف شدة الاعتناء .

و لما كانت صيغة التفعّل تدل على التكلف حثا على حمل النفس
على التطبع بذلك حتى يصير لها خلقا في غاية الخفة عليها فقال عاطفا
على صلة الموصول في اسم الفاعل معبرا بالماضى بعد إفهام الوصف الثبات ١٥
دلالة على الإيقاع بالفعل عطفا على [ما -^٤] تقديره موقعا ضمير المذكر
على الصنفين تغليبا الذين صدقوا بإيمانهم بالتصدق^٦ : (و اقرضوا الله)

(١) من ظ ، و فى الأصل : الحال (٢) من ظ ، و فى الأصل : أكد كما (٣) من
ظ ، و فى الأصل : لكونه (٤) زيد من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٢١٧
(٦) من ظ ، و فى الأصل : بالصدق .

الذى له الكمال كله بتصديقهم سواء كانوا من الذكور أو الإناث، و إنفاقهم في كل ما ندب [إلى الإنفاق -^١] فيه، و أكد و وصف بقوله: ﴿قرضا حسنا﴾ أى بغاية ما يكون من طيب النفس و إخلاص النية في الصدقة و النفقة في سبيل الخير، و حسنه أن يصرف بصره إلى النظر^٢ إلى فعله و الامتياز به و طلب العوض عليه، قاله الرازى . ﴿يضغف﴾ أى ذاك القرض ﴿لهم﴾ و يثابون بحسب تلك المضاعفة لأن الذى كان القرض له سبحانه حلیم كريم و لا يرضى في الخير إلا بالفضل، و ثقل في قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبى جعفر [و يعقوب -^١] دلالة على المبالغة في التكثير، و عبر بالمفاعلة^٢ في قراءة الجماعة لإفهام أن تلك الكثرة مما لا بد من كونه، و أنه عمل فيه عمل من يبارى آخر و يغالبه، و بنى للفعول دلالة على باهر العظمة اللازم عنه كونه بغاية السهولة ﴿ولهم﴾ أى مع المضاعفة ﴿اجر كريم ه﴾ أى لا كدر فيه بانقطاع و لاقلة و لازيادة بوجه من الوجوه أصلا .

/ ٢٠٧

/ و لما بين سبحانه و تعالى أن الصدقة كالبذر الذى هو من أحسن
 ١٥ الأرباح و أبهجها، بين الحامل عليها ترغيبا فيها، فقال عاطفا بالواو،
 إشارة إلى التمكن في جميع هذه الصفات: ﴿والذين آمنوا﴾ أى أوجدوا
 هذه الحقيقة العظيمة في أنفسهم ﴿بالله﴾ أى الملك الأعلى الذى له
 الجلال و الإكرام ﴿ورسله﴾ أى كلهم لما لهم من النسبة إليه، فن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ، و في الأصل: البصر بالنظر (٣) راجع

نثر المرجان ٧ / ٢١٧ (٤) في ظ: لأجل ما .

كذب بشيء على أحد منهم أو عمل عمل المكذب له لم يكن مؤمنا به
 ﴿أزلفتك﴾ أى الذين لهم الرتب العالية والمقامات السامية ﴿هم﴾ أى
 خاصة الأغيرهم ﴿الصديقون طي﴾ أى الذين هم فى غاية الصدق والتصديق
 لما يحق له أن يصدقه من سمعه، وقال القشيري: الصديق من استوى
 ظاهره وباطنه، ويقال: هو الذى يحمل الأمر على الأشق ولا ينزل^٥
 إلى الرخص، ولا يحتاج للتأويلات، ولما كان الصديق لا يكون غريبا
 فى الصديقة إلا بالتأهيل لرتبة الشهادة قال تعالى: ﴿ والشهداء ﴾ معبرا
 بما مفرد شهادته عاطفا بالواو إشارة إلى قوة التمكن فى كل من الوصفين،
 [قال القشيري - ٢]: هم الذين يشهدون بقلوبهم بواطن الوصلة ويعتقدون
 بأسرارهم فى أوطان القرية، وزاد الأمر عظاما بقوله: ﴿عند ربهم^٦﴾ ١٠
 أى الذى أحسن إليهم بالقرية [بمثل تلك الرتبة - ٢] العالية من الشهادة لله
 بكل ما أرسل به رسوله والأنبياء الماضين على أئمتهم والحضور فى جميع
 الملاذ بالشهادة فى سبيل الله، قال مجاهد: كل مؤمن صديق وشهيد - وتلى
 هذه الآية ﴿ لهم ﴾ أى جميع من مضى من الموصوفين^٧ [بالخير - ٢]
 ﴿اجرم﴾ أى الذى جعله ربهم [لهم - ٣] ﴿ونورهم^٨﴾ [أى - ٢] ١٥
 الذى زادهموه من فضله برحمته، أولئك أصحاب النعيم المقيم .
 ولما ذكر أهل السعادة جامعا لأصنافهم، أتبعهم أهل الشقاوة لذلك
 قال: ﴿والذين كفروا﴾ أى ستروا ما دلت عليه أنوار عقولهم ومراني

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: لا يتنزل (٣) زيد
 من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٢٢٣/٨ (٥) من ظ ، وفى الأصل: الموضعين .

فكرهم (و كذبوا بايتنا) على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا سواء كانوا في ذلك مسأرين أو مجاهرين أو عمل العالم بها عمل المكذب (أولئك) أى المبعدون 'من الخير' [خاصة - ٢] (اصحبه الجحيم) أى النار التى هى غاية فى توقدها ، خالدون فيها من بين العصاة ، وأما غيرهم فدخلوهم [لها - ٢] إذ دخلوها ليس على [وجه - ٢] الصحة الدالة على الملازمة ، وأولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل لهم شهادة عند ربهم ، لهم عقابهم و [عليهم - ٢] ظلامهم ، والآية من الاحتباك : ذكر الصديقة ° و ما معها أولاً دليلاً على أضرارها ثانياً ، و الجحيم ثانياً دليلاً على النعيم أولاً ، و سره أن الأول أعظم فى الكرامة ، و الثانى أعظم فى الإهانة . ١٠

ولما ذكر [سبحانه - ٢] حال الفريقين : الأشقياء و السعداء ، فقرر^٢ بذلك أمر الآخرة ، فعلوا أنها / الحيوان الذى لا انقضاء له من إكرام أو هوان ، وكان الموجب للهوان فيها إنما هو الإقبال على الدنيا لحضورها و نسيان الآخرة لغيابها^١ ، قال منتجاً عما مضى مبيناً لحقيقة ما يرغب فيه ١٥ المكلف المركب على الشهوة من العاجلة بما زهه فيه مصدرًا له بما يوجب

/٢٠٨

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : فى غاية (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : شهادتهم (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : اولاً و معها (٦) زيد فى الأصل : أهل ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) من ظ ، و فى الأصل : فقرر (٨) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٩) من ظ ، و فى الأصل : لئلا .

غاية اليقظة والحضور: (اعلموا) أى ايها العباد المبتلون، وأكد المعنى بزيادة "ما" [لما - ٢] للناس من الغفلة عنه فقال قاصرا قصر قلب: (انما الحيوة الدنيا) أى الحاضرة التى رغبنا فى الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن (لعب) أى تعب لا ثمرة له فهو باطل كعب الصبيان (ولهو) أى شىء يفرح الإنسان به فيلهيه ويشغله عما بينه ثم ينقضى كلهو الفتیان، ثم اتبع ذلك عظم ما يلهى فى الدنيا فقال: (وزينة) أى شىء يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان، واتبعها ثمرتها فقال: (وتفاخر) أى كتفاخر^٢ الأقران يفتخر بعضهم على بعض. ولما كان ذلك مخصوصا بأهل الشهوات قال: (يتكلم) أى يجر إلى الترفع الجار إلى الحسد والبغضاء، ثم أتبع ذلك ما يحصل به الفخر ١٠ فقال: (وتكاثر) أى من الجانبين (فى الاموال) أى التى لا يفتخر بها إلا أحق لكونها ماثلة (والاولاد) الذين لا يغتر بهم إلا سفیه لأنهم الأعداء، وأن جميع ما ذكر زائل وأن الدنيا آفاتنا هائلة، وإنما هى فتنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره، ثم إلى ذلك كله 'قد يكون' ذهابه عن قرب فتكون على أصداد ما كان عليه، فيكون أشد فى ١٥ الحسرة، ومطابقة ذلك لما بعده أن الإنسان ينشأ فى حجر وليه فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويتغشاه الناس فيكون بينهم أمور معجبة وأحوال ملهية مطربة، فإذا تم شبابه وأطفأ مجيئه وذهابه

(١) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ لغذفناها (٢) إزيد من إظ
(٣) فى ظ: تفاخر (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ.

و أشكاله و آتراه ، أخذ في الانحطاط و لا يزال حتى يشيب و يسقم
 و يضعف و يهرم و تصيه النوائب و القوارع و المصائب في ماله رجسه
 و أولاده و أصحابه ، ثم في آخر ذلك يموت ، فإذا قد اضمحل أمره و نسي
 عما قليل ذكره ، و صار ماله لغيره و زينته متمتعا بها سواء فالدينا حقيرة
 ٥ و أحقر منها طالبها و أقل منها خطر المزاحم فيها ، فما هي إلا جيفة ،
 و طلاب الجيفة ليس لهم خطر ، و أخسهم من بخل بها ، قال القشيري :
 وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة [فكل ما يشغله
 عن الآخرة - ١] فهو الدنيا - انتهى .

و لما قرر سبحانه أنها ظل زائل و عرض هائل ، و كان بعض
 ١٠ الناس يتنبه فيشكر^٢ و بعضهم يعنى فيكفر . و كان القسم الثاني أكثر
 لأن وجودها و إقبالها يعنى أكثر القلوب عن حقارتها ، ضرب لذلك
 مثلا مقررا لما مضى من وصفها لأن للامثال^٣ في تقرير الأشياء و تصويرها
 ما ليس لغيرها فقال تعالى : ﴿ كمثل ﴾ أى هذا الذى ذكرته من أمرها
 يشبه مثل ﴿ غيث ﴾ أى مطر / حصل بعد جذب [و - ١] سوء حال .
 ١٥ و لما كان المثل في سياق التحقير للدنيا و التفسير عنها ، عبر عن الزراع
 بما ينفر فقال : ﴿ اعجب الكفار ﴾ أى الزراع الذين حصل منهم الحرت
 و البذر الذى يستره الحارث بحرثه كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان
 لما يحصل منه من الجحدو الطغيان و لا يتناهى إعجاب^٤ الزارع [إلى - ١]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : و يشكر (٣) من ظ ، و فى
 الأصل : الامثال (٤) من ظ ، و فى الأصل : لهم (٥) من ظ ، و فى
 الأصل : اعجب .

سعد يلهى عن الله إلا مع الكفر به سبحانه ، فان المؤمن وإن أعجبه ذلك
يتذكر به قدرة الله سبحانه و تعالى و عظمته و ما أهد لأهل طاعته في
الآخرة ، فيحمله ذلك على الطاعة ، فالتعبير بالكفار الذى هو بمعنى الزواع
دونه إشارة إلى عظمة ذلك النبات فانه لا يجب العارفين به الممارسين
له الذين لهم غاية الإقبال على تلك الحرفة فالمنافسة فيها إلا ما يكون ه
منها نهاية في الإعجاب ، و إلى أنه لا يجب أحدا شيء من الدنيا إعجابا
يركن و يأنس به أنسا يؤدي إلى ما فى الآية من اللهو و ما معه
إلا لكفر فى نفسه أقله كفر النعمة التى من شأنها أن تدعو إلى تذكر
الخالق^٢ و تذكر الجميل على الشكر ، و ترك الشكر كفر (نباته) أى نبات
ذلك الفيت كما يجب الكافر فى الكفر فى الغالب بسط الدنيا له ١٠
استدراجا من الله تعالى .

و لما كان الزرع يشيخ بعد مُدَيِّدَةٍ فيضمحل كما هو شأن الدنيا
كلها قال^٣ : (ثم يهيج) أى يسرع تحركه فيتم جفاه فيحين خصاه
(فتره مصفرا) أى عقب ذلك و بالقرب منه على حالة لاثمر معها
[بل - °] و لانبات ، و لذلك قال معبرا بالكون لأن السياق للتزويد ١٥
فى الدنيا و أنها ظل زائل لاحقيقه لها^٤ : (ثم) أى بعد تنهى جفاه^٥
و ايضاه (يكون) أى كونا كأنه مطبوع عليه ، و أبلغ سبحانه فى
تقرير اضمحلاله بالإتيان مع فعل الكون هنا للبالغة لأن السياق لتقرير

(١) فظ : منه (٢) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٣) من ظ ، و فى الأصل :
فقال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : له .
(٧) فى الأصل : الجفاهة ، و فى ظ : الجفاف ،

أن الدنيا عدم وإن كانت في غاية الكثرة والإقبال والمواتاة^١ بخلاف ما مضى في الزمر فقال : ﴿حطاما^٢﴾ كأن الحطامية^٣ كانت في جبلته وأصل طبعه .

وما ذكر الظل الزائل ، ذكر أزه^٤ الثابت الدائم مقسما له على قسمين ، فقال عاطفا على ما تقديره هذا حال الدنيا في سرعة زوالها وتحقق فنائها [واضمحلالها^٥] : ﴿وفى﴾ أى هذا الذى غر من حال الدنيا وهو فى ﴿الأخرة﴾ على أحدهما ﴿عذاب شديد لا﴾ أى لمن أخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله لأن الاغترار بها سيئه ، فكان كأنه هو .

وما قدم ما هو السبب الاغلب لأن أكثر الخلق هالك ، اتبعه ١٠ الصنف الناجى فقال : ﴿ومغفرة﴾ أى لأهل الدرجة الأولى فى الإيمان ﴿من الله﴾ أى الملك الأعظم لمن يذكر بما صنعه له فى الدنيا عظمته سبحانه وجلاله فتاب من ذنوبه ، ورجع إليه فى التطهير من عيوبه ﴿ورضوان^٦﴾ لأهل الدرجة العليا وهم من أقبل عليه سبحانه فشكره حق شكره ببذل وسعه^٧ فيما يرضيه ، فأخر الآية تقسيم للدنيا على الحقيقة ١٥ / ٢١٠ ثلاثا يظن من حصرها فيما ذكر أول الآية أنها لاتسكون إلا / كذلك ،

فالمنى أن الذى ذكره أولا هو الاغلب لأحوالها وعاقبه النار ، وما كان منها من إيمان وطاعة ونظر توحيد لله وتعظيم ومعرفة تؤدى إلى

(١) من ظ ، وفى الأصل : الموالاتة (٢) من ظ ، وفى الأصل : الحطامة .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : أثر (٤) زيد من ظ .

أخذها تزوداً^١ ونظرها اعتباراً وتعبداً، فهو^٢ آخرة لادنيا، وقد تحرر
 أن مثل الغيث المذكور الحطام وتارة يعقبه نكد لازم وأخرى سرور
 دائم، فمن عمل في ذلك عمل الحزمة فحرس الزرع مما يؤذيه وحصده
 في وقته وعمل فيه ما ينبغي ولم ينس حق الله فيه سره أثره وحمدت
 عاقبته، ومن أهمل ذلك [أعقبه الأسف، وذلك هو مثل الدنيا: من ٥
 عمل فيها بأمر الله أعقبته حطاميتها سروراً دائماً، ومن أهمل ذلك -^٣]
 أورثته حزناً لازماً، وكما كان التقدير: فما الآخرة لمن سعى لها سعيها
 وهو مؤمن إلا حق مشهور وسعى مشكور، عطف عليه قوله:
 ﴿ وما الحياة الدنيا ﴾ أي لكونها تشغل بزيتها مع أنها زائلة
 ﴿ الامتاع الفرور ﴾ أي هو في نفسه [غرور -^٤] للاحقيقة له ١٠
 إلا ذلك، لأنه لا يجوز لمن أقبل على التمتع إلا ذلك لأنه لا يسر
 بقدر ما يضر .

ولما بين أن الدنيا خيال ومحال ليصرف الكلمة من العباد عنها
 لسفولها وحقارتها، وأن الآخرة بقاء وكال ليرغبوا غاية الرغبة فيها
 وليشتاقوا كل^٦ الاشتياق لكمالها وشرفها وجلالها، أتج ذلك قوله تعالى: ١٥
 ﴿ سابقوا ﴾ أي افعلوا في السعي^٧ لها بالأعمال الصالحة حق السعي فعل

(١) من ظ، و، الأصل: من ردا (٢) من ظ، وفي الأصل: فلو (٣) زيد
 من ظ (٤) زيد في الأصل: فكان تمام الجواب عنها وهي، ولم تكن
 الزيادة في ظ لخذفها (٥-٥) من ظ، وفي الأصل: المتاع (٦) من ظ، وفي
 الأصل: عاته (٧-٧) من ظ، وفي الأصل: بالسعي .

من يسابق شخصا فهو يسعى و يجتهد غاية الاجتهاد في سبقه، ولكن ربما كان قرينه بطيئا فسار هويئا، و أما المسارعة فلا تكون إلا بجهد النفس من الجانبين مع السرعة في العرفة؛ فآية آل عمران الآمرة بالمسارعة الأخص من المسابقة^١ أبلغ لأنها للحث على التجرد عن النفس و المال و جميع الحظوظ أصلا و رأسا، و لذلك كانت جنتها للثقلين الموصوفين،^٥ و أما هذه ففي سياق التصديق الذي هو تجرد عن فضول الأموال و لذلك كانت [جنته - ٢] للذين آمنوا .

و لما كان المقام عظيما، و الإنسان - و إن بذل الجهد - ضعيفا، لا يسهه إلا العفو سواء كان سابقا أو لاحقا من الأبرار و المقربين، به على ذلك بقوله في السابقين: ﴿إلى مغفرة﴾ أي ستر^٢ لذنوبكم عينا و أثرا ﴿من ربكم﴾ أي المحسن إليكم بأن ربكم و طوركم بعد الإيجاد بأنواع الأسباب بأن تفعلوا أسباب ذلك بامثال أوامره سبحانه و اجتناب زواجره . و لما كان المقصود من المغفرة ما يترتب عليها من نتيجتها قال: ﴿وجنة﴾ أي وستان هو من عظم أشجارها و إطراد أنهارها بحيث يستر داخله . و لما كان ذلك لا يكمل إلا بالسعة قال: ﴿عرضها﴾^{١٥}

أي فإظنك بطولها . و لما كان السياق كما بين للتجرد عن فضول الأموال فقط لأن الموعود به دون ما في آل عمران فأفرده و صرح بالعرض فقال: ﴿كعرض السماء و الأرض لا﴾ أي لو وصل بعضها ببعض، فآية آل عمران تحتل الطول و جميع السماوات و الأرض على هيئتها، و يحتمل أن

(١) من ظ ، و في الاصل : المسافة (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : ساتر .

/ ٢١١

يكون ذلك على تقدير / أن تقد^١ كل واحدة منهما و يوصل [رأس^٢ -
كل قدة برأس الأخرى ، وتمتد جميع القدات إلى نهايتها على مثل
الشراك ، وهذه الآية ظاهرها^٣ عرض واحد و أرض واحدة (أعدت)
أى هيئت هذه الجنة الموعود بها و فرغ من أمرها بأيسر أمر
(للذين آمنوا) أى أوقعوا هذه الحقيقة و هم من هذه الأمة إيقاعا ه
لاريب معه و لو أنه على أدنى الوجوه فكانوا من السابقين ، وهذا يدل
على أن الجنة موجودة الآن فى آيات كثيرة ، و أن الإيمان كاف فى
استحقاقها ، و أحاديث الشفاعة مؤيدة لذلك (بالله) أى الذى له جميع
العظمة لأجل ذاته^٤ مخلصين له بالإيمان (ورسله^٥) فلم يفرقوا بين أحد
منهم ، فهذه الجنة غير مذكورة فى آل عمران ، و إن قيل : إن الساء هنا ١٠
للجنس لكون السياق فيه الصديقون و الشهداء كانت أبلغته تلك بالصرح
بالجمع و عدم التصريح بالعرض لكونها فى سياق صرح فيه بالجهاد ، و قد
جرت السنة الإلهية بأعظام المواعيد للجاهدين أشدة الخطر فى أمر النفس
و صعوبة الخروج عنها و عن جميع المألوفات .

و لما كان ما ذكر من الوعد بالمغفرة و الجنة عظيما لاسيما لمن آمن ١٥
و لو كان إيمانه على أعلى الدرجات و مع^٦ التجرد من جميع الأعمال ،
عظمه بقوله ردا على من يوجب عليه سبحانه شيئا من ثواب أو عقاب :
(ذلك) أى الأمر العظيم جدا (فضل الله) أى الملك الذى لا كفوء له

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقدير (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :

ظاهره (٤) من ظ و فى الأصل : و أنه (٥) من ظ ، و فى الأصل : من .

فلا اعتراض عليه (يؤتبه من يشاء^١) ولعل التعمير بالمضارع للإشارة إلى أن هذا خاص بهذه الأمة التي هي أقل عملا وأكثر أجرا، فاذا حسدهم أهل الكتاب قال تعالى : [هل - ١] ظلمتكم من أمركم شيئا، فاذا قالوا : لا ، لأن المصروف من الأجر لجميع الطوائف على حسب الشرط، قال : ذلك فضلي أوتيه من أشاء . (والله) أى و الحال أن الملك المختص بجميع صفات الكمال فله الأمر كله (ذو الفضل العظيم ه) أى الذى جل عن أن يحيط بوصفه العقول .

ولما كانت الدنيا مانعة عن العكوف إلى الآخرة بلذاتها وآلائها، وكانت كما انها منزل رخاء هي دار [بلاء - ١] ، وكان قد اقتصر سبحانه ١٠ في الآية السالفة على الأول لأن السياق اللانفاق والترغيب فى معالى الأخلاق وجعل المسابقة إلى السعادة نتيجة الزهد فيها، تحركت النفس^٢ إلى السؤال عما يعوق عن الخير من الضرب بسياط البلاء فقال مسليا عنه لأن النفوس أشد تأثرا بالمكآره وأسرع انفعالا بالمقارع ومحققا ومغريا بالإعلام بأنه لم يكن فيها خير ولا شر إلا بقضاء حتم فى الأزل ١٥ وقدر أحكم ووجب حين لم يكن [غيره - ١] شىء عز وجل ، وذكر فعل المؤنث الجائز التذكير لكون التانيث غير حقيقى إشارة إلى عظم وقع الشر : (ما أصاب) وأكد النبي فقال : (من مصيبة) / وهى فى الأصل لكل آت من خير أو شر إلا^٣ أن العرف خصها بالشر، وعم الساكن

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الامهات (٣-٢) من ظ ، وفى الأصل : لسؤال (٤) من ظ ، وفى الأصل : لا .

و المتحرك بقوله : (في الارض) أى من منابتها و مياهها و نحو ذلك
 (و لا في انفسكم) [أى-١] موت و مرض و عين و عرض (الا) هى
 كائنة (في كتب) أى مكتوب لانه مقدر^٢ مفروغ من القدم ، و بين
 أن الكتابة حدثت بعد أن كان هو سبحانه و لا شيء معه بادخال الجار
 فقال : (من قبل ان نراها^٣) أى نخلق و نوجد و تقدر المصيبة و الارض ٥
 و الأتقى ، و هذا دليل على أن اكتساب العباد بجملة سبحانه و تقديره .
 و لما كان ذلك متذرا على المخلوق فهو أشد شيء تكرها له و قوفا
 مع الوهم قال مؤكدا : (ان ذلك) أى الأمر الجليل و هو عليه
 بالشيء و كتبه له على تفاصيله قبل كونه ، ثم سوه النفوس و الأسباب
 إلى إخراجها بعد التكوين على مقدار ما سبق عليه به و كتبه له (على الله) ١٠
 أى على ما له من الإحاطة بالكمال (يسير^٤) لأن عليه محيط بكل شيء
 و قدرته شاملة لا يعجزها شيء .

و لما بين هذا الأمر العظيم الدال على ما له سبحانه من الكبرياء
 و العظمة ، يبرز ثمره أعماله بقوله : (لكيلنا) أى أعلنناكم بأننا على ما لنا
 من العظمة قد فرغنا من التقدير ، فلا يتصور فيه تقديم و لا تأخير ١٥
 و لا تبديل و لا تغيير ، لأن الحزن لا يدفعه ، و لا السرور يعجله و يجمعه ،
 كما قال النبي صلى الله عليه و سلم : يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن .
 لاجل أن لا (تأسوا) أى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا (على) [ما - ١]
 في أصل الجبلة ، يوصل^٥ إلى المبلغ بتعاطى أسبابه و التهادى فيها ليتأثر عنها
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : تقدر (٣) من ظ ، و في
 الأصل : يبلغ .

السخط وعدم الرضا بالقضاء، فرمما جر ذلك إلى أمر عظيم (ما فاتكم) من المحبوبات الدنيوية (ولا تفرحوا) أي تسروا سرورا يوصل إلى البطر بالتمادى مع [ما] فى أصل الجبلة (بما آتاكم) أى جاءكم منها على قراءة أبى عمرو^١ بالقصر، وأعطاكم [الله -^٢] على قراءة الباقرين بالمد، وهى تدل على أن النعم لا بد فى إيجادها وإبقائها من حافظ، ثم إنها لو خليت ونفسها فاتت لأنه ليس من ذاته إلا العدم، وقد بين سبحانه أن فى تقديره هذا وكتبه من السر أن من وطن نفسه على فقد ما لديه من أعيان ومعان^٣ قبل أن تأمره بالعدم والوجدان، فلم يغيره ذلك عن المسابقة المذكورة، فالتمهى عنه التمادى مع الحزن حتى يخرج ١٠ عن الصبر ومع الفرح حتى يلهى عن الشكر، لا أصل المعنى لأنه ليس من الأفعال الاختيارية؛ قال جعفر الصادق: ما لك تأسف على مفقود ولا يرده إليك الفوت، وما لك تفرح بوجود ولا يتركه فى يدك الموت - انتهى، ولقد عزى الله المؤمنين رحمة لهم فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لا يعيده، وفرحهم بحصول ١٥ المحبوب لا يفيدهم، ولأن ذلك لا مطمع فى بقاءه إلا بادخاره عند الله /، وذلك بأن يقول فى المصيبة: قدر الله وما شاء [الله -^٢] فعل / ٢١٣
و يصير وفى النعمة هكذا قضى، وما أدرى ما مثاله " هذا من فضل (١) راجع نثر المرجان / سورة الحديد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: معادن (٤) فى ظ: بديك .

ربي ليلوني اشكر ام اكفر " فلا يزال [خاتفا-^١] عند النعمة راجيا
أثر النعمة، قائلا في الحالين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأكمل
من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه له في كلتي الحالين كما قال
[القاتل-^١]:

سقيا لمهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصابة ممهدا .^٥
وهذه صفة المتحورين^٢ من رق النفس، وقيمة الرجال إنما تعرف بالواردات
المغيرة. فمن لم تغيرة المضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته، أشار
إليه القشيري .

ولما كان الإيمان في استجلاب الآسى إنما هو من اليأس ونسيان
النعم وزيادة الفرح الموصل إلى المرح إنما يحمره الكبر والمرح، وكان^{١٠}
في أوصاف أهل الدنيا التفاخر، قال تعالى مينا أن المنهى عنه سابقا التهادى
مع الجبلة في الحزن والفرح، عاطفا على ما تقديره: "فإن الله لا يحب كل
يؤوس كفور" (والله لا يجب)^٣ أى لا يفعل فعل المحب بأن يكرم
(كل محال) أى متكبر نظر إلى ما في يده من الدنيا (نخور لا) قال
القشيري: الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها، والفخر [من -^١] رؤية^{١٥}
خطر ما به يفخر .

ولما كان من جملة صفات الختال المكائر* بالمال البخل، وكان
قد تقدم الحث على الإنفاق، وكان ما يوجه لذة الفخر والاختيال

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل: المتجردين (٣) زيد في الأصل :
كل محال (٤) من ظ ، وفي الأصل: يكره (٥) من ظ ، وفي الأصلي: التكائم

التي أوصل إليها المال حاملة على البخل خوفا من الإقتار الموجب عند أهل الدنيا للصغار ، قال تعالى واصفا للختال أو " لكل " : (الذين يبخلون) أى يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار (و يامرون الناس) أى كل من يعرفونه (بالبخل) إرادة أن يكون لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة فيحامون عنهم أو أنهم يوجبون بأعمالهم من التكبر والبطر في الأموال التي حصلها لهم البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لانه إذا رأهم عظموا بالمال بخل ليكثر ماله و يعظم ، و ذلك كله نتيجة فرحهم بالموجود و بطرم عند إصابته ، فكانوا آمرين بالبخل لكونهم أسبابا له و السبب كالآمر في إيجاد شيء .

- ١٠ و لما كان التقدير : فن أقبل على ما ندب [إليه -] من الإقراض الحسن و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فان الله شكور حلیم ، عطف عليه [قوله -] ذاما للبخل محذرا منه : (و من يتول) أى يكافئ نفسه [من -] الإعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير و الإقبال على الله (فان الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (هو) أى وحده (الغنى)
- ١٥ أى عن ماله و إنفاقه و كل شيء إلى الله مقتدر (الحميد) أى المستحق للحمد و سواء حمده الحامدون أم لا ، و قراءة نافع و ابن عامر بإسقاط [" هو - "] مفيدة المحصر المتبدأ في الخبر للتعريف ، و إن كانت قراءة الجماعة أكد .

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : بالايحواو شيء (٢) زيد من ظ (٣) راجع نثر المرجان
٧/ سورة الحديد (٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : للمحصر المتبدأ للخبر في التعريف .

ولما ظهرت الأدلة [حتى - ١] لم يبق لأحد علة، وانتشر نورها حتى ملأ الأكران، وعلا علوا تضاهل دون علياته كيوان، وكان فيما تقدم / شرح مآل الدنيا و بيان حقيقتها، و أن الأدمى إذا خلى و نفسه ارتكب^٢ ما لا يلقى من التفاخر و ما شاكله^٣ و ترك ما يراد به بما دعى إليه من الخير جهلا منه و اتقيادا مع طبعه، و كان ختم الآية السابقة ربما أوم^٥ المشاركة، قال تعالى نافيا ذلك في جواب من توقع الإخبار عن سائر الأنبياء: هل أوتوا من البيان ما أزال اللبس، مؤكدا لإزالة العذر بإقامة الحجج بارسال الرسل بالمعجزات الحاضرة و الكتب الباقية، معلما أن من أعرض كلف الإقبال بالسيف، فان الحكيم العظيم تأبى عظمته و حكمته أن يخلى المعرض عن بيته ترده عما هو فيه. و قسر يكفه عما يطغيه: ١٠. (لقد ارسلنا) أى بما لنا من العظمة (رسلنا) أى الذين لهم نهاية الإجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة^٦ إلى الأنبياء^٧ على جميعهم أفضل الصلاة و السلام [و التحية - ١] و الإكرام، و من الأنبياء إلى الأمم (بالينت) أى الموجبة للإقبال فى الحال لكونها لا لبس فيها أصلا، و دل على عظمة أنبيائه عليهم الصلاة و السلام بأنهم لعلو مقاماتهم^٨ بالإرسال ١٥ كأنهم^٩ أتوا إلى العباد من موضع عال جدا فقال: (و أنزلنا) بعظمتنا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: ارتكبت (٣) من ظ، و فى الأصل: يشاكة (٤) زيد فى الأصل: قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ فخذفناها (٥-٥) من ظ، و فى الأصل: هم آية (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: للأنبياء (٧) من ظ، و فى الأصل: من (٨) فى ظ: مقامهم (٩) من ظ، و فى الأصل: فانهم.

التى لاشيء أعلى منها (معهم الكتب) أى الحافظ فى زمن الاستقبال فى الأحكام والشرائع .

ولما كان فهم الكتاب ربما أشكل فانه يحتاج^١ إلى ذهن صقيل وفكر طويل، وصبر كبير وعلم كثير - قال الرازى: وهذا [قيل -^١]:
 ٥ لولا الكتاب لأصبح العقل [حائرا ولولا العقل -^٢] لم ينتفع بالكتاب، - عقبه بما يشترك فى معرفته الكبير والصغير، والجاهل والنحرير، وهو أقرب الأشياء إلى الكتاب فى العلم بمطابقة^٣ الواقع لما يراد فقال:
 (والميزان) أى العدل والحكمة، ولعله كل ما يقع به التقدير حسا أو معنى، وتعقيه به إشارة إلى أن عدم زيغه لعدم حظ ونحوه، فمن
 ١٠ حكم الكتاب خاليا عن حظ نفس وصل إلى المقصود (ليقوم الناس) أى الذين فيهم قابلية التحرك إلى المعالى كلهم (بالقسط) أى العدل الذى لا مزيد عليه لاتظام جميع أحوالهم، [هذا -^٢] لمن أذعن للينيات لذات من أقامها أو^٤ للرجبة فيما عنده .

ولما كان الإعراض بعد الإبلاغ فى الإيضاح موجبا للرد عن الفساد بأنواع الجهاد، قال مهديا وممتا ترغيبا وترهيبا معبرا عن الخلق بالإنزال تشريفا وتعظيما: (وأنزلنا) أى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القدرة* (الحديد) أى المعروف على وجه من القوة والصلابة

(١) من ظ، وفى الأصل: محتاج (٢) زيد من ظ (٣-٢) من ظ، وفى الأصل: مطابقته (٤) فى ظ «و» (٥) فى ظ: العزة .

و اللين و الحدة لقبول التأثير يعد به كالبان لما في الأرض ، فلذلك سمي
 إجماده إنزالا ، و لأن الأوامر بالإيجاد و الإعدام تنزل من السماء على
 أيدي الملائكة لأن السماء محل الحوادث الكبار ، و البدائع و الأسرار ،
 لأن الماء^٢ الذي هو أصله [و أصل -^٢] كل نام ينزل من السماء و تكون
 الأرض له بمنزلة الرحم للطفة .

٥

و لما وقع التشوف إلى سبب إنزاله ، قال : (فيه باس) أى قوة
 و شدة^٣ و عذاب (شديد) لما فيه من الصلابة الملائمة للضاء و الحدة
 (و منافع للناس) بما يعمل منه من مراقبتهم و معاونتهم لتقوم / أحوالهم
 بذلك ، قال البيضاوى : ما من صنعة إلا و الحديد آلتها . و لما كان التقدير :

٢١٥ /

ليعلم الله من يعصيه و يخذل أوليائه ، بوضع^٤ باسه في غير ما أمر به .
 نصره لشيطنه و هواه و اقتنائه ، عطف عليه قوله : (و يعلم الله)
 أى الذى له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة الحججة بما يليق بمقول
 الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم ، و أوقع ضمير الدين [عليه -^٥]
 سبحانه تعظيما له لأنه شارعه فقال : (من ينصره) أى يقبل مجدا على
 الاستمرار على نصر دينه (و رسله) بالذب عنهم و الدعاء إليهم ، كأننا
 ذلك النصر (بالغيب) من الوعد و الوعيد ، [أى -^٦] بسبب تصديق

١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : يد (٢) زيد فى الأصل : و لما كان كذلك ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من
 ظ (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : شدة و باس (٦-٦) من ظ ، و فى
 الأصل : اسمه فيما .

الناصر لما غاب عنه من ذلك، أو غائبا عن كل ما أرجب له النصرة،
 وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: ينصرونه ولا يصرونه -
 انتهى . فلم يدع سبحانه في هذه الآية لاحد عذرا بالرسل الذين هم
 الجنس مع تأييدهم بما ينفي عنهم اللبس، و الكتاب العالى عن كلام الخلق،
 ٥ والعقل الذى عرف العدل، و السلاح الذى يرد أولى الجهل، كما قال
 صلى الله عليه وسلم: « بعثت بين يدي الساعة بالسيف، فيبان الشرائع
 بالكتاب، و تقويم أبواب العدل بالميزان، و تنفيذ هذه المعاني بالسيف،
 فان مصالح الدين من غير هية السلطان لا يمكن رعايتها، فالملك و الدين،
 توأمان، فالدين بلا ملك ضائع، و الملك من غير دين باطل، و السلطان
 ١٥ ظل الله فى الأرض، فظواهر الكتاب للعوام، و وزن معارفه لأهل
 الحقائق بالميزان، و من خرج عن الطائفتين فله الحديد و هو السيف،
 لان تشويش الدين منه - به عليه الرازى .

و لما كان طلب النصرة مظنة لتوهم الضعف، قال نافيا لذلك مؤكدا
 قطعا لتعنت المعتنين مظهرا للاسم الأعظم إشارة إلى ان من له جميع
 ١٥ صفات الكمال لا يمكن أن تطرقه حاجة: (ان الله) أى الذى له العظمة
 كلها . و لما لم يكن هنا داع إلى أكثر من هذا التأكيد، بخلاف ما أشير
 إليه من الإخراج من الديار المذكورة فى الحج و نحوه، قال معلما بأنه
 غنى عن كل شئ معريا الخبر من اللام: (قوى) أى فهو قادر على

(١) من ظ، و فى الأصل: له (٢) من ظ، و فى الأصل: يشوش .

'إهلاك جميع' أعدائه وتأيد من ينصره من أوليائه (عزیز) فهو غير مفتقر إلى نصر أحد، وإنما دعا عباده إلى نصر دينه ليقم الحجج عليهم فيرحم من أراد بامثال الأمور، و يعذب من يشاء بارتكاب المنهى، بيناته هذه الدار على حكمة ربط المسيات^٢ بالأسباب .

و لما عم الرسل جامعا لهم في الينيات، فكان السامع جديرا بأن ٥ يتوقع التعيين، وخص من بينهم من أول العزم أبوين جامعين^٣ في الذرية و الرسالة، لأن ذلك أنسب لمقصود السورة لتبين فضل محمد صلى الله عليه وسلم الذي عم برسالته عموما لم يكن لاحد غيره، فوح عليه السلام أرسل لأهل الأرض لكونهم كانوا على لسان واحد، و عموم إبراهيم عليه السلام بأولاده عليهم السلام و نص^٤ بعدهما على عيسى ١٠

٢١٦/ عليه السلام بما له من عموم الرسالة إلى / بنى إسرائيل بالنسخ والتشريع، ثم من نزوله في هذه الأمة بالتقرير والتجديد فقال: (و لقد أرسلنا) أى بما لنا من صفات الكمال والجمال والجلال (نوحا) الأب الثاني، و جعلنا^٥ الأغلِب على رسالته مظهر الجلال (إبراهيم) أبا العرب و الروم و بنى إسرائيل الذى أكثر الأنبياء من نسله، و جعلنا ١٥ الأغلِب على رسالته مجلى الإكرام (و جعلنا) بما لنا من العظمة (في ذريتهما النبوة) المقتضية للوصلة بالملك الأعظم لتنفيذ الأوامر

(١-١) في الأصل وظ: جميع اهلاك (٢) من ظ، وفي الأصل: المسيات.
(٣) زيد في الأصل فقط: في أبوين جامعين (٤) من ظ، وفي الأصل: نفر.
(٥) في الأصل: فجعلناه، وفي ظ: و جعلناه.

(و الكتب) الجامع للاحكام الضابط للشرائع بأن استباننا بعض
ذريتها و أنزلنا إليهم الكتب^١ فلا يوجد نبي و لا كتاب إلا و هو مدل
إليها بأمتن الاسباب و أعظم الانساب .

و لما كان مظهر العظمة مقتضيا لإشقاء^٢ من أريد إشقاؤه^٣ مع
عدم المبالاة به، كائنا من كان، سواء اتصل بالاولياء أو الأعداء
لثلا يأمن أحد فيقع في الخسران أو ييأس أحد فيلزم الهوان [قال:
(فنههم) أي ذرية هذين الصنفين (مهتدج) هو بعين الرضا منا -^٤
و هو من لزم طريق الأصفياء و استمسك بعهدهم و لم يزغ أصلا و إن
كان من أولاد الأعداء .

١٠ و لما كان من زاغ بعد تذكيره بالكتب و الرسل، كان مستحقا
للبالغة في الذم و لو أنه واحد فكيف إذا كان كثيرا، فبه بتغير السياق
على ذلك و على أن الأغلب الضلال فقال: (و كثير منهم) أي الذرية
الموصوفين (فسقون) هم بعين السخط و إن كانوا أولاد الأصفياء
و هم من خالف الأولياء بمنازعة أو ابتداع أو زبغ عن سبيلهم بما لم ينهجوه
١٥ 'من تفریط و إفراط' .

و لما كان من مقاصد هذه السورة العظمى الإعلام بنسخ الشرائع
كلها بشريعة هذا النبي الفاتح الخاتم العام الرسالة لجميع الخلائق صلى الله
عليه و سلم، قال مشيرا إلى عظمة الإرسال و الرسل بأداة التراخي:

(١) في ظ: الكتاب (٢-٢) في ظ: أراد شقاوة (٣) زيد ما بين الحاجزين من
ظ (٤-٤) في ظ: بافراط و تفریط .

(ثم قفينا) أى بما لنا من العظمة تقفية لها من العظمة ما يحمل وصفه (على اثرهم) أى الآبوين المذكورين ومن مضى قبلهما من الرسل ، ولا يعود الضمير على " الذرية " لأنها باقية مع الرسل وبعدهم (برسلنا) أى فأرسلناهم واحدا فى أثر واحد بين ما لا يحصى من الخلق من الكفرة محروسين منهم فى الأغلب بما تقتضيه العظمة ، لا نشئى ٥ آثار الأول منهم حتى يرسل الذى بعده فى قفاه ، [فكل رسول بين يدى الذى بعده ، و الذى بعده فى قفاه - ١] فهو مقف له ٢ لأن الأول ذاهب إلى الله والثانى تابع له ، فنينا ٣ صلى الله عليه وسلم أعرق الناس فى هذا الوصف لأنه لا نبى بعده ، ولهذا كان الوصف أحد أسمائه .

و لما كان عيسى عليه السلام أعظم من جاء بعد موسى عليه السلام ١٠ من نبى إسرائيل فهو الناسخ لشريعته و المؤيد به هذا النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم فى تجديد دينه و تقرير شريعته ، وكان الزهد و الرأفة و الرحمة فى تابعيه فى غاية الظهور مع أن ذلك لم يمنعهم من القسوة المنبهة سابقا على أن الموجب لها طول الأمد الناشئ عنها الإعراض عن الآيات الحاضرة معه و الكتاب الباقى بعده ، خصه بالذكر و أعاد العامل فقال : (وقفينا) ١٥ أى اتبعنا بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس (بعيسى ابن مريم) وهو آخر من قبل النبى الخاتم عليهم الصلاة و السلام ، فأتمه أول الأمم بالأسر باتباعه صلى الله عليه وسلم (و اتيناه) بما لنا من العظمة

(١) زيد من ط (٢) من ظ ، وفى الأصل : لها (٣) من ظ ، وفى الأصل : وليينا (٤) زيد فى ظ : به (٥) من ظ ، وفى الأصل : اتبعناه .

(الانجيل لا) كتابا ضابطا لما جاء به مفيما ملته ميينا للقيامه مبشرا بالنبي
العربي موضعا لأمره مكثرا من ذكره (وجعلنا) لعزتنا
(في قلوب الذين اتبعوه) أى بغاية جهدهم، فكانوا على منهاجه
(رافة) أى أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم (ورحمة)
أى رقة و عطفًا على من لم يكن له سبب في الصلة بهم كما كان الصحابة
رضى الله تعالى عنهم رحماء بينهم حتى كانوا أدلة على المؤمنين مع أن
قلوبهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين، وترتيب الوصفين هكذا
أدل دليل على أنهما لم يقصد بهما مراعاة الفواصل في "رؤف رحيم" كما
قاله^٢ بعض المفسرين و تقدم في آخر برائة أن^٢ ذلك قول لا يحل التصويب
إليه ولا التعويل عليه وإن قاله من قال (ورهبانية^٥) أى أمورا^{١٠}
حاملة على الرهية والتزبي بزيتها والعمل على حسبها مبالغة في العبادة
و الرياضة و الانقطاع عن الناس .

ولما قدم المعمول لفعل غير مذكور ليدل عليه بما يفسره ليكون
مذكورا مرتين تأكيدا له لإفهاما لزم نفس الابتداع، أتبعه المفسر لعامله
١٥ فقال: (ابتدعوها) أى حملوا أنفسهم على عملها و التطويق بها^{١٥} من
غير أن يكون لهم فيها سلف يهيمونه أو يكون بما صرح به كتابه و إن
كانت مقاصده لا تأباها^{١٦} فاعتزلوا لأجلها الناس، و انقطعوا في الجبال

(١) من ظ، و فى الأصل: منها (٢) من ظ، و فى الأصل: قال (٣) زيدى
الأصل و ظ: فى (٤) من ظ، و فى الأصل: أمور (٥) من ظ، و فى
الأصل: إليها (٦) من ظ، و فى الأصل: لاتناها .

عن الاستئناس، وكانت لهم [بذلك - ١] أخبار شائعة في النواحي
والأمصار، وفي التقديم على العامل سر آخر وهو الصلاحية للعطف
على ما قبلها لئلا يتوهم من لفظ الابتداء أن لا صنع لله فيها (ما كتبها)
أى فرضناها [بمظمتنا - ١] (عليهم) فى كتابهم ولا [على - ١] لسان
رسولهم (الا) أى [لكن - ١] ابتدعوا (ابتغاء) أى لأجل تكليفهم ٥
أنفسهم الوقوع بغاية الاجتهاد فى تصفية القلوب و تهذيب النفوس
و تزكية الأعمال على (رضوان الله) أى الرضا العظيم من الملك الأعظم،
وساق المنقطع مساق المتصل إشارة إلى أنه بما رضى الله، وأنه ما ترك
فرضاها عليهم إلا رحمة لهم لأجل صعوبتها، وأنه صيرها بعد إلزامهم بها
كالمكتوبة، فيكون التقدير حيثئذ: إلا لأجل أن يتغنوا رضوانه على ١٥
وجه الثبات و الدوام. قال ٢ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن [عبد - ١] الحكم المصرى فى كتابه " فتوح مصر و المغرب " :
/ فلما أن أغرق الله عز وجل فرعون و جنوده كما حدثنا هانى بن المتوكل
عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن تبيع قال: استأذن الذين كانوا
آمنوا من السحرة لموسى عليه السلام فى الرجوع إلى أهله ٧ و ماله ١٥
بمصر فأذن لهم و دعا لهم قهرهوا فى رؤس الجبال، فكانوا أول من
(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الزامهم (٣) زيد فى الأصل؛
الاصبهانى و، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤) من ظ، وفى الأصل:
عبد الله (٥) راجع ص: ٤٤ (٦) من ظ و الفتوح، وفى الأصل: من (٧) زيد
فى الأصل الرجوع، ولم تكن الزيادة فى ظ و الفتوح لحذفها.

ترهب، وكان يقال لهم الشيعة، وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز وجل، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدئها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام .

ولما تسبب عن صعوبتها انهم أضعوها بالتقصير عن شؤنها
 ٥ و السفول عن عليائها قال : (فارعوها) أى حفظوها كلهم بحفظ

من هو مرتاع من خوف ضياعها (حق رعايتها) بصون العناية فى رعاية الأعمال و الأحوال و الأقوال ، فصون الأعمال توفيرها لتحقيها من غير إلتفات إليها ، و رعاية الأحوال عند الاجتهاد من أتاه و الحال دعوى ، و رعاية الوقت الوقوف مع حضور على بساط شهود الجلال -

١٠ ذكره الرازى . بل غلبت عليهم صفات البشر فقصر بعضهم عن على

مداها ، و انحطوا عن شامخ ذراها ، هذا تنفير عظيم عن البدع ، و حث

شديد على لزوم ما سنه الله و شرع ، و تحذير^١ من التشديد ، فانه لن

يشاد^٢ الدين أحد إلا غلبه و هو الترحال إلى البدعة و لهذا أكثر فى

أهل الرهبانية المروق من الدين بالاتحاد و الحلول و غير ذلك من البلايا

١٥ و لو كان يظهر أن التشدد و التعمق^٣ خير لأن الشارع الذى أحاط

علما بما لم يحيط به نهى عنه ، و قد أفادت التجربة أنه قد يفر لأن هؤلاء

ابتدعوا ما أرادوا الخير ، فكان داعيا لكثير منهم إلى دار البوار ، و فيه

أيضا حث عظيم على المداومة على ما اعتد من الأعمال الصالحة خصوصا ،

ما عمل النبي صلى الله عليه و سلم^٤ عملا إلا^٥ داوم عليه ، و كان ينهى

(١) فى ظ : بقى (٢) فى ظ : تحذيرا (م-م) من ظ ، و فى الأصل : أحد الدين

(٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : التشديد و التعميق (٥-٥) من ظ ، و فى

الأصل : من عمل .

عن التعمق في الدين، و يأمر بالرفق^١ و القصد .
 و لما كانت متابعة النفس في التقصير بالإفراط أو^٢ التفريط قد توصل
 إلى المروق^٣ من الدين فيوجب^٤ الكفر فيحط على الهلاك كله، أشار إلى
 ذلك بقوله: (فأتينا) أي بما لنا من صفات الكمال (الذين آمنوا)
 أي استمروا على الإيمان الكامل، و لعل في التعبير بالماضي بعد إرادة
 التعميم للأدنى و الأعلى إشارة إلى أن التعمق بين إيمان و كفر لا تجرد
 مصيته كما أشار إليه ختم الآية فهو في غاية الذم للتعمق^٥ و المدح
 للاقتصاد^٦ (منهم) أي من هؤلاء المتدعين لأنهم رعوها حق رعايتها
 و وصلوا إيمانهم بعيسى و من قبله عليهم الصلاة و السلام بإيمانهم بمحمد
 صلى الله عليه و سلم الذي دعا إليه الخروج عن النفس الذي هو روح ١٠
 الرهبانية^٧ بموافقتهم لما في كتابهم من البشار به (اجرهم ج) أي اللاتق
 بهم و هو الرضوان المضاعف^٨ .

٢١٩ / و لما كانت متابعة / الأهواء تكسب صفات ذميمة تصير ملكات
 راسخة للأنفس، أشار إلى ذلك بالعدول عن النهج الأول فقال:
 (و كثير منهم) أي هؤلاء الذين ابتدعوا فضيعوا (فسقون ه) أي ١٥
 عريقون في وصف الخروج عن الحدود التي حددها الله تعالى، روى البغوي^٩

- (١) من ظ ، و في الأصل : بالروى (٢) من ظ ، و في الأصل : « و » .
 (٣) من ظ ، و في الأصل : المعروف (٤) من ظ ، و في الأصل : توجب .
 (٥) من ظ ، و في الأصل : للتعميق (٦) من ظ ، و في الأصل : للاقتصاد .
 (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٣٣/٧ .

من طريق الثعلبي عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من آمن بي فقد رعاها [حق رعايتها -^١]، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم المهلكون - انتهى . و مثل هذه الرهبانية في أنها لا تأباها قواعد الدين ما يفهمه بعض العلماء من الكتاب و السنة فيتذكرة . فيكون

٥ أخذنا له من الأصول التي نه عليها لا منه ، كما أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم [كانوا -^٢] يفعلون أشياء فان قرهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها كانت شرعا لنا وكنا آخذين لها من تفسيره صلى الله عليه وسلم لا منهم ، فان من ملكه الله رتبة الاجتهاد في شيء وأمكنه فيه من القواعد فأداه اجتهاده إلى^٣ أن هذا مندوب إليه مرغوب فيه مثلا ،

١٠ كان ذلك بما يشهد له من قواعد الدين بمنزلة ما قاله الصحابة رضى الله عنهم فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، و لافرق بين أن يقره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه أو بقواعد شريعته^٤ ، و مهما كان مقررا بقواعد شرعه كان عليه أمره ، و مهما لم يكن مقررا بها كان بما ليس عليه أمره فهو رد على قائله ، فهذا فرق بين البدع الحسنة و البدع القبيحة - و الله

١٥ الموفق ، و ذكر ابن برجان تنزيل هذا الحديث الذي فيه « لتبعن سنن من كان قبلكم ، فذكر أن أصحاب عيسى عليه السلام عملوا بعده بالإنجيل حتى قام فيهم ملك بدل كتابهم ، و شايعه على ذلك روم و يونان ، فضعف أهل الإيمان ، فاستذلوم حتى هربوا إلى البرارى ، و عملوا الصوامع

(١) زيد من ظ و العالم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : على .
(٤) في ظ : شرعية (٥) من ظ ، و في الأصل : بما .

و ابتدعوا الرهبانية ، 'و كذلك كان' في هذه لتصديق الحديث الشريف فانه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه خلفاؤه باحسان ، فلما مضت الخلافة الراشدة تراكت الفتن كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم و اشتد البلاء على المتمسكين بصريح الإيمان ، و رجم البيت العتيق بحجارة المنجنيق و هدم ، و قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما و استيحت هـ مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، و قتل^٢ خيار من فيها^٢ فرأى المسلمون العزلة واجبة ، فلزموا الزوايا^٣ و المساجد و ابتنوا الروابط على سواحل البحر و أخفوا في الجهاد للعدو و النفوس ، و عاجلوا تصفية أخلاقهم و لزموا الفقر أخذوا من أحوال أهل الصفة ، و تسموا بالصوفية و تكلموا على الورع^٤ و الصدق^٤ و المنازل^٥ و الأحوال^٥ و المقامات^٥ فهؤلاء ١٠ و زان أولئك - و الله الموفق .

ذكر ما في الإنجيل من الحكم التي توجب الزهد في الدنيا و الإقبال على الله التي يصح تمسك أهل هذه الرهبانية بها : قال متى^١ وغيره و أغلب / السياق لمتى : إن أخطأ عليك أخوك فاذهب أعتبه و حدكها ، فان سمع منك فقد ربحت أخاك ، و إن لم يسمع منك [تخذ معك - ٢] واحدا ١٥ أو اثنين ، لأن من فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة ، و إن لم يسمع

(١-١) من ظ ، و في الأصل : كان كذلك (٢-٢) في ظ : فيها خيار المسلمين .

(٣) من ظ ، و في الأصل : الزوايا (٤-٤) من ظ ، و في الأصل : بالصدق .

(٥-٥) من ظ ، و في الأصل : المقامات و أحوال (٦) راجع آية ١٥ فما بعدها

من الأصحاب ١٨ (٧) زيد من ظ .

منهم قفل للبيعة ، فان لم يسمع من البيعة فيكون عندك كالوثقى والعشار ،
الحق أقول لكم ، وقال لوقا^١ : انظروا [الآن - ٢] ! إن أخطأ إليك
أخوك فاهه . فان تاب فاغفر له ، فان أخطأ^٢ إليك سبع دفعات^٣ في اليوم
ورجع إليك سبع دفعات يقول لك : أنا تائب ، فاغفر له ، وقال متى^٤ :
٥ حينئذ جاء إليه بطرس وقال له : إذا أخطأ إلىّ أخى لم أغفر له سبع مرات ،
قال : ليس أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة ، ولهذا
يشبه ملكوت السماوات ملكا أراد أن يحاسب عبيده ، فلما بدأ بحسابتهم
قدم إليه عبد مديون عليه جملة ووزنات ، ولم يكن معه ما يوفى ، فأمر سيده
أن تباع امرأته وبنوه وكل ما له حتى يوفى ، فخر ذلك العبد [له - ٢]
١٠ ساجدا قائلا : يارب ، ترأف علىّ تأن ، أوفك كل مالك ، فتحن عليه
سيده وترك له كل ما عليه ، فخرج ذلك العبد فوجد^٥ عبدا من أصدقائه
عليه مائة دينار فأمسكه وخنقه وقال : أعطنى ما عليك ، فخر ذلك
العبد على رجليه وطلب [إليه - ٢] قائلا : ترأف علىّ فأنا أعطيك
مالك ، فأبى ومضى وتركه فى السجن حتى يوفى الدين ، فرأى العبد
١٥ أصحابه فحزنوا عليه [جدا - ٢] وأعلموا سيده بكل ما كان منه ، حينئذ
دعاه سيده وقال له : أيها العبد الشرير ! كل ما كان عليك تركت بذلك
لأنك سألتنى ، ما كان ينبغي لك أن ترحم ذلك العبد صاحبك كرحمتى

(١) راجع آية ٤ فما بعدها من الأصحاح ١٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى
الأصل : اخطأت (٤) من ظ ، وفى الأصل : مرات (٥) راجع آية ٢١ فما
بعدها من الأصحاح ١٨ (٦) من ظ ، وفى الأصل : فوجدنا .

إياك ، و غضب سيده و دفعه إلى المعذنين حتى يوفى جميع ما عليه ، هكذا
 أبى السماوى يصنع بكم إن لم تغفروا لإخوانكم سيئاتهم من كل قلوبكم ،
 فلما أكل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل و جاء إلى تخوم يهود
 عبر الأردن فتبعه جمع كثير فأبرأهم^١ هناك ، قال لوقا^٢ : فلما أكل
 أيام صعوده أقبل بوجهه إلى يروشلیم ، و أرسل مخبرين قدام وجهه فوضوا^٥
 و دخلوا قرية السامرة ، لكيما يعدوا له فلم يقبلوه فقال تلميذاه^٦ يعقوب
 و يوحنا : يا رب تريد أن نقول فنزل عليهم نار^٧ من السماء فتهلكهم كما
 فعل إلیا ، فالتفت فنههما قائلاً : لستما تعرفان أى روح أتيا ، إن ابن البشر
 لم يأت ليهلك نفوس الناس بل يحيي ، و مضى إلى قرية أخرى ، و قال متى^٨ :
 حينئذ قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم و يباركهم فنههم التلاميذ فقال لهم^{١٠}
 يسوع : دعوا الصبيان و لا تمنعواهم أن ياتوا إلى^٩ لأن ملكوت السموات
 لمثل هؤلاء ، و وضع يده عليهم و بارك لهم ، و قال مرقس^٨ : الحق أقول
 لكم ، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها ، و احتضنهم و وضع
 يده عليهم و باركهم ، و قال متى^٩ : و مضى من هناك و جاء إليه واحد
 و قال : يا معلم صالح - و قال مرقس^{١٠} : أيها المعلم الصالح - ما أعمل من

(١) في ظ : فابقاهم (٢) راجع آية ٥٢. فما بعدها من الأصحاح ٩ (٣) من ظ ،
 و في الأصل : تلميذه (٤-٤) من ظ ، و في الأصل : ريحنا - كذا .
 (٥) في ظ : ثارا (٦) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ١٩ .
 (٧) من ظ ، و في الأصل : اليهم (٨) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاح ١٠ .
 (٩) راجع آية ١٦ فما بعدها من الأصحاح ١٩ (١٠) راجع آية ١٧ من
 الأصحاح ١٠ .

الصلاح لأثر الحياة الدائمة، 'قال له: لما ذا تقول: صالح، ولا صالح
 إلا الله الواحد، إن كنت^١ / تريد أن تدخل الحياة احفظ الوصايا، / ٢٢١
 قال^٢ له: وما هي؟ قال يسوع: لا تقتل ولا تسرق ولا تزن ولا تشهد
 الزور، وقال مرقس: لا تجر، أكرم أباك وأمك - حب قريبك مثلك،
 ٥ قال له الشاب: كل هذا قد حفظته^٣ من صغرى، قال له يسوع: إن
 كنت تريد أن تكون كاملاً فاذهب، وقال مرقس: [فظر إليه يسوع
 وأجبه، وقال: تريد أن تكون كاملاً-^٤]، واحدة بقيت عليك: امض
 وبع كل شيء لك وأعطه للساكين ليكون لك كنز في السماء وتعال
 اتبعني، فلما سمع الشاب الكلام مضى حزينا لأنه كان له مال كثير،
 ١٠ فقال يسوع لتلامذته: الحق أقول [لكم-^٤] إنه يصعب على الغنى الدخول
 إلى ملكوت السماء، وأيضاً أقول لكم: إنه أسهل أن يدخل الجمل في
 ثقب الإبرة من غنى يدخل ملكوت السموات، فلما سمع التلاميذ بهتوا
 جدا وقالوا: من يقدر أن يخلص، فظن يسوع وقال لهم: أما عند
 الناس فلا يستطيع هذا، وأما عند الله فكل يستطيع، حينئذ أجاب
 ١٥ بطرس وقال له: هو ذا نحن قد تركنا كل شيء و تبعناك، فماذا عسى
 أن يكون لنا، قال لهم يسوع: الحق والحق أقول [لكم-^٤] أنتم الذين
 اتبعتموني في^٥ الجبل الآتي^٥ إذا جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون

(١-١) تكرر ما بين الرقيين في الأصل (٢) من ظ، وفي الأصل: قيل .

(٣) من ظ، وفي الأصل: حقيقته (٤) زيد من ظ (٥-٥) في إنجيل متى:

التجديد .

أنتم على اثني عشر كرسيًا، تدينون اثني عشر سبط بني إسرائيل، كل من ترك بنين أو أخا أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو بيتا أو حقلا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث حياة الأبد، وقال [لوقا^١]: ما من أحد ترك منزلا أو والدين أو إخوة أو امرأة أو مالا من أجل ملكوت الله إلا وينال العوض أضعافا كثيرة في هذا الزمان وفي الدهر^٥ الآتي حياة الأبد، وقال - [متى^٢] و غيره: كثيرا أولون يصيرون آخرين، وآخرون يصيرون أولين، يشبه ملكوت السماوات إنسانا رب بيت خرج الغدأة ليستأجر فعلة لكرمه، فشارك الأكرة^٥ على دينار واحد في اليوم - إلى آخر ما مضى في الاعراف من البشارة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم في مثل الفعلة في الكرم الذي فضل آخرم وهو العامل^{١٠} قليلا على من عمل أكثر النهار، وقد ساقه ابن برجان في آخر تفسير سورة الحديد عن الإنجيل بعبارة أخرى تفسيرا كثيرا من عبارة النسخة التي نقلت ذاك منها، فأحييت أن أذكر عبارة ابن برجان هنا تكميلا للفائدة، قال: وفي الكتاب الذي [يذكر^٣] أنه الإنجيل: وكثيرا يتقدم الآخرون الأولين ويكون [الأولون^٧] ساقا الآخرين، ولذلك يشبه^{١٥} ملكوت السماوات برجل ملى خرج في استجار الاعوان لحفر كرم في

(١) من ظ، وفي الأصل: ما (٢) راجع آية ٢٩ فما بعدها من الأصحاح ١٨ .

(٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٣٠ فما بعدها من الأصحاح ١٩ و راجع آية ٣١

من الأصحاح ٣٠ من مرقس (٥) في الإنجيل متى: الفعلة (٦) من ظ، وفي

الأصل: كثير (٧) زيد من إنجيل متى .

أول النهار، و عامل كل واحد في نهاره على درهم ثم أدخلهم كرمه،
 فلما كان في الساعة الثالثة بصر لغيرهم في الرحاب لا شغل لهم فقال: اذهبوا
 أتم [أيضا - ١] إلى الكرم و سآمر لكم بحقوقكم، ففعلوا، ثم فعل مثل
 ذلك في الساعة السادسة [و التاسعة - ٢]، فلما كان في^٢ الساعة الإحدى
 عشرة^٥ وجد غيرهم وقوفا^١ فقال لهم: لم وقفتم هنا طول نهاركم دون
 عمل؟ فقالوا له: إنا لم يستأجرنا / أحد، فقال لهم: اذهبوا أتم و سآمر لكم
 بحقوقكم، فلما انقضى النهار قال لوكيله: ادع الاعوان و أعطهم أجرتهم
 و ابدأ بالآخرين حتى تنتهي إلى الأولين، فبدأ بالذين دخلوا في الساعة
 الإحدى عشرة و أعطى كل واحد [منهم - ٥] درهما، فأقبل الأولون
 ١٠ و هم الذين يرجون الزيادة، فأعطى كل واحد منهم درهما، فاستذكروا
 ذلك على صاحب الكرم^٦ و قالوا: سويتنا بالذين لم يعملوا إلا ساعة من
 النهار في شئنا طول نهارنا و عذابنا بجوارته، فأجاب أحدهم و قال:
 لست أظلمك يا صديق، أما عاملتي على درهم فخذ حقه و انطلق فانه
 يوافقني ان أعطى^٤ الآخر كما أعطيتك، أفلا يحل لي^١ ذلك؟ و إن
 ١٥ كنت حسودا فاني أنا رحيم، و من أجل ذلك يتقدم الآخرون
 الأولين، و يكون الأولون ساقه الآخريين فالمدعوون كثير، و الخيرون
 قليل، و ذكر ابن بركان أن الساعة السادسة لعيسى عليه السلام و أصحابه

(١) زيد من ظ (٢) زيد من انجبل متى (٣) من ظ، وفي الأصل: الى (٤-٤) من
 ظ، وفي الأصل: و جدهم و توفي (٥) زيد من ظ (٦) في انجبل متى:
 ديناراً (٧) في ظ: الكرم (٨) من ظ، وفي الأصل: اعط (٩) في ظ: لك .

في أول الامر و التاسعة^١ لمحمد صلى الله عليه و سلم و الحادية عشرة
 لآخرا^٢ الزمان - كأنه يعنى ما بعد الدجال من أيام محمد صلى الله عليه
 و سلم التى يكون فيها عيسى عليه السلام مجددا ، و لهذا جعلهما النبي صلى الله
 عليه و سلم فى حديثه الصحيح شيئا واحدا من العصر إلى غروب الشمس ،
 ثم قال متى^٣ فى بقية ما مضى من الإنجيل فى النسخة التى نقلت منها عقب ه
 ما تقدم أنه فى الأعراف : فصعد يسوع إلى يروشليم و أخذ الاثنى عشر ،
 حينئذ^٤ جاءت إليه أم ابني زبدي - هما يعقوب و يوحنا - مع ابنيها^٥
 و سجدت له ، فقال لها : ما ذا تريدن ؟ قالت : أن يجلس ابناي^٦ أحدهما
 عن يمينك و الآخر عن يسارك فى ملكوتك ، أجاب يسوع : أما جلوسهما
 عن يميني و يساري فليس لى بل للذى أعده لهم ربي ، فلما سمع العشرة^٧
 تقمقموا على الآخرين - و قال مرقس^٨ : على يعقوب و يوحنا - فدعاهم يسوع
 و قال لهم : أما علمتم [أن -^٩] رؤساء الأمم يسودونهم و عظامهم مسطون^{١٠}
 عليهم ، ايس هكذا يكون فيكم ، لكن من أراد أن يكون^{١١} فيكم كبيرا^{١٢}
 فيكون لكم خادما ، و من أراد أن يكون فيكم أولا فيكون لكم
 عبدا ، و قال مرقس : فيكون آخرها للكل و خادما للجمع ، كذلك ابن^{١٥}

(١) من ظ ، و فى الأصل : السادسة (٢) من ظ ، و فى الأصل : فى اول النهار .
 (٣) راجع آية ١٧ فما بعدها من الأصحاح ٢٠ (٤) راجع آية ٢٠ من الأصحاح
 ٢٠ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ابنيهما (٦) من ظ ، و فى الأصل : ابني (٧) راجع
 آية ٤٢ من الأصحاح ١٠ (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسون .
 (١٠-١١) من ظ ، و فى الأصل : كبير منكم .

الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم^١، و يبذل نفسه فداء عن كثير، فلما خرج من أريحا تبعه جمع كثير و إذا أعميان جالسان على الطريق فسمعا أن يسوع يجتاز فصرخا^٢ قائلين: ارحمنا يارب يا ابن داود، فوقف يسوع و دعاهما و قال لهما: ما تريدان أن أفعل لكما، قالا له: يارب، أن تفتح أعيننا، فتحن يسوع و لمس أعينهما و للوقت أبصرت أعينهما و تبعاه؛ و عبارة مرقس عن ذلك^٣: و جاء إلى أريحا و خرج من هناك و تبعه تلاميذه و جمع كثير و إذا طيماس بن طيماس الأعمى جالس يسأل عن الطريق - و قال لوقا: يتوسل - فسمع الجمع المجتاز فسأل: ما هذا. فأخبروه أن يسوع الناصري جاء، [و -^٤] قال مرقس: فلما سمع بأن يسوع مقبل بدأ يصيح^٥. و يقول: يا يسوع الناصري ابن داود ارحمني، فاتهروه ليسكت، فازداد صياحا قائلا: يارب يا ابن داود، ارحمني، فوقف يسوع و قال: ادعوه، فدعى [الأعمى -^٤] و قالوا له: ثق و قم فانه يدعوك، و طرح ثوبه و نهض و جاء إلى يسوع فأجابته يسوع^٦ و قال له: ما تريد أن أصنع بك؟ فقال له الأعمى: يا معلم، و قال لوقا: يارب - أن أبصر، فقال له يسوع: اذهب، إيمانك خلصك، و للوقت أبصر، و تبعه في الطريق - قال لوقا: يمجده الله - و كان جميع الشعب الذين رأوه يسبحون الله. و قال أيضا: و كان بينهما^٧ هو منطلق إلى يروشلیم اجتاز بين السامرة و الجليل، و فيما هو داخل

(١) من ظ، و في الأصل: ليستخدم (٢) من ظ، و في الأصل: نصه خوا.
(٣) راجع آية ٤٦ فما بعدها من الأصحاح ١٠ (٤) زيد من ظ (٥) تكرر في الأصل (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ، و في الأصل: بينهما.

إلى إحدى القرى استقبله عشرة رجال برص^١ فوقفوا من بعيد ورفعوا
أصواتهم قائلين: يا يسوع المعلم ارحمنا فنظر إليهم وقال لهم: اذهبوا
^٢ وأروا أنفسكم^٢ للكهنة، وفيما هم منطلقون طهروا، فلما رأى أحدهم أنه
قد طهر رجع^٣ بصوت عظيم^٤ يمجده^٥ الله وخر على وجهه عند رجله
شاكرا له، وكان^٦ سامريا، أجاب يسوع وقال: أليس العشرة قد طهروا
فأين التسعة، ألم يجدوا^٧ ليرجعوا^٨ ويمجدوا الله^٩ ما خلا / هذا الغريب،
ثم قال له: قم فامض، إيمانك خلصك .

٢٢٣ /

قال متى: ولما قربوا من يروشلیم و جاؤا إلى بيت فاجى عند جبل
الزيتون - وقال [مرقس -^١]: عند باب فاجى و بيت عنيا جانب طور
الزيتون - قال متى^٢: حينئذ أرسل يسوع اثنين من تلاميذه: وقال ١٠
لهما: اذبا إلى القرية التى أمامكما فتجدان أناة مربوطة و جحشا معها^٣
فخلاهما و اتيانى بهما فان قال لكما أحد شيئا فقولا له: إن الرب
محتاج إليهما فهو يرسلهما للوقت، كان هذا ليم^٤ ما قيل فى النبى القائل
قولوا "لابنة صهيون" هو ذاملكك يا تيک متواضعا راكبا على أناة

(١) من ظ و الأصحاح السابع عشر - لوقا، وفى الأصل: مومن (٢-٢) فى
الأصل: فارووا تفوسكم - والتصحيح من ظ و الأصحاح (٣-٣) فى الأصل:
مجد (٤) من الأصحاح، وفى الأصل و ظ: قال (٥-٥) من ظ: وفى الأصل:
بصوت بعظيم لرجعوا و بمحمد (٦) زيد من ظ و راجع آية ١ فما بعدها من
الأصحاح ١١ (٧) راجع آية ١ من الأصحاح ٢١ (٨) من ظ و الأصحاح، وفى الأصل:
أمامها (٩) من ظ و الأصحاح ٢١، وفى الأصل: معها (١٠) من ظ
و الأصحاح، وفى الأصل: اليم (١١-١١) وفى الأصل: انه فعون - مصحفا .

و جحش ابن أناة . فذهب التليذان و صنعا كما أمرهما يسوع ، فأثبا
بالأناة و الجحش^١ و تركوا ثيابهم عليهما ، و جلس معهما ، و جمع كثير فرشوا
ثيابهم في الطريق [و آخرون قطعوا أغصانا من الشجر و فرشوها في
الطريق -^٢] ، و عبارة مرقس^٣ عن ذلك : تجدان جحشا مربوطا لم يركبه
أحد من الناس قط ، فخلاه و اثبا به ، فان قال لكما أحدا : ما تفعلان
بهذا ؟ قولا : إن الرب محتاج إليه فن ساعة يرسله ، فذهبا و وجدا^٤
الجحش^١ مربوطا عند الباب خارجا على^٥ الطريق فخلاه فقال لهما قوم
من القيام هناك ؛ ما تصنعان ؟ فقالا لهم كما قال يسوع فركوهما ، و جاء
بالجحش^٦ إلى يسوع^٧ فألقوا عليه ثيابهم و جلس عليه^٨ و كثير بسطوا
ثيابهم في الطريق و آخرون [قطعوا -^٩] أغصانا من الحقل و فرشوها
في الطريق . قال متى^{١٠} : و الجمع الذي تقدمه و الذي تبعوا صرخوا
قائلين : أوصنا يا ابن داود^{١١} مبارك الآتى باسم الرب ، قال مرقس : و مباركة
المملكة الآتية باسم الرب لاينا داود اوصنا في العلام ، و قال لوقا :
و كان لما قرب من منحدر^{١٢} جبل الزيتون بدأ جمع الملا^{١٣} و التلاميذ

(١) من الأصحاح ٢١ ، و في الأصل و ظ : العفور ، مصحفا ، وهو اليعفور بمعنى
الجحش (٢) زيد من ظ . و مثله في الأصحاح ٢١ (٣) راجع آية ٢ من الأصحاح ١١ .
(٤) زيد في الأصل : شيئا ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ ، و في
الأصل : فوجدوا (٦) من الأصحاح الحادي عشر ، و في الأصل و ظ : بالعفور .
(٧) من ظ ، و في الأصل : عن (٨-٨) في الأصحاح : و القيا عليه ثيابهما (٩) زيد
من الأصحاح (١٠) راجع آية ٩ فما بعدها من الأصحاح ٢١ (١١-١١) سقط من ظ .
(١٢) من الأصحاح ١٩ ، و في الأصل : مسجدا ، و في ظ : صخور .

[يفرحون و -^١] يسبحون الله ويمجدونه^٢ بجميع الأصوات^٣ من أجل جميع القوات / التي نظروا قائلين : تبارك الملك الآن باسم الرب والسلامة في السماء والمجد في^٤ العلا ، وقوم من الفريسيين من بين الجمع قالوا له : يا معلم انتهر تلاميذك ، فقال لهم : إن سكت التلاميذ^٥ نطقت الحجارة ، فلما قرب نظر المدينة وبكى عليها وقال : لو علمت في هذا اليوم ما لك فيه من السلامة ، فأما الآن فإنه قد خفي عن عينيك ، وسوف تأتي أيام تلقى أعداؤك معلك^٦ ويحيطون بك^٧ ويضيقون عليك من كل موضع ويقتلونك وبيدك فيك ولا يتركون فيك حجرا ، وقال متى^٨ : فلما دخل إلى يروشلیم ارتجت المدينة كلها قائلين : من هذا^٩ ؟ فقال^{١٠} الجمع : هذا يسوع النبي الذي هو من ناصرة الجليل ، فدخل يسوع إلى هيكل الله^{١١} وأخرج جميع الذين^{١٢} يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب مواثد الصيارف وكراسي باعة الحمام وقال لهم : مكتوب أن يبنى بيت الصلاة يدعى ، وأتم جعلتموه مغارة للصوص . وقال يوحنا^{١٣} : فصعد يسوع إلى يروشلیم فوجد في الهيكل باعة^{١٤} البقر والكباش والحمام وصيارف جلوسا . فصنع^{١٥}

- (١) زيد من ظ ، ومثله في الاصحاح (٢-٢) في ظ والاصحاح : بصوت عظيم .
 (٢) من ظ والاصحاح ، وفي الأصل : و (٤) في الاصحاح : هؤلاء (٥) كذا من ظ ، وفي الأصل : معاللك (٦) من ظ ، وفي الاصل : به (٧) راجع آية ١١ فما بعدها من الاصحاح ٢١ . (٨) من ظ ، وفي الأصل : هوذا (٩) من ظ ، وفي الأصل : قايين (١٠) من انجيل متى ، وفي الأصل و ظ : الذي .
 (١١) راجع آية ١٣ فما بعدها من الاصحاح ٢ (١٢) في الأصل و ظ : فباعه .
 (١٣) من ظ ، وفي الأصل : بفعل .

محضرة^١ من جبل و أخرج جميعهم من الهيكل فطرد^٢ البقر و الخراف
وإبدد دراهم الصيارف و قلب مواثد^٣هم، [و-^٢] قال متى^٤: و قدم [إليه-^٤]
عميان و عرج في الهيكل فشفاهم، فرأى رؤساء الكهنة العجائب التي
صنع^٥ و الصبيان يصيحون في الهيكل و يقولون: أوصنا يا ابن داود، مبارك
الآتي باسم الرب، فتمتموا و قالوا: ما تسمع ما يقول هؤلاء، فقال لهم
يسوع: نعم، أما قرأتم قط أن من فم الأطفال و المرضعين أعدت
سبحا، و تركهم و خرج خارج المدينة و بات هناك في بيت عنيا و في
غد عبر إلى المدينة فجاع^٦ و نظر إلى شجرة تين على الطريق فجاء إليها فلم
يجد فيها شيئا إلا الورق، فقال لها^٧: لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيست
١٠ تلك الشجرة للوقت^٨، فنظر التلاميذ و تعجبوا و قالوا: كيف يبست
التينة للوقت، أجاب يسوع و قال لهم: الحق أقول لكم! إن كان لكم
إيمان^٩ و لا تشكون ليس مثل^٩ هذه الشجرة التين [قط-^٢] تصنعون
و لكن تقولون لهذا الجبل: تعال و اسقط في البحر، فيكون، و قال
مرقس^{١٠}: إن كان لكم إيمان بالله، الحق أقول لكم: إن من قال لهذا

(١) في إنجيل يوحنا: سوطا (٢) من ظ، و في الأصل: فطردوا (٣) زيد
من ظ (٤) راجع آية ١٤، فما بعدها من الأصحاح ٢١ (٥) من ظ، و في الأصل:
تصنع (٦) من ظ، و في الأصل: بجحاح (٧) من إنجيل متى، و في الأصل و ظ:
لهم (٨) من ظ، و في الأصل: إلى الوقت (٩-٩) من ظ، و في الأصل:
لا تسابون- عن كذا (١٠) راجع آية ٢٢، فما بعدها من الأصحاح ١١.

الجليل : انتقل واسقط في هذا البحر ، ولا يشك في قلبه بل يصدق^١ فيكون له الذي قال ، من [أجل - ٢] هذا أقول لكم : إن كل ما تسألونه في الصلاة بإيمان إنكم تنالونه فيكون لكم ، وقال متى^٢ : وكل ما تسألونه في الصلاة بإيمان تنالونه ، وقال مرقس^٣ : فقال له يوحنا ، يا معلم ! رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه لم يتبعنا ، قال لهم يسوع : لا تمنعوه^٥ ليس يصنع أحد قوة باسمي ، و يقدر سريعا أن يقول^٥ على الشر ، كل من ليس [هو - ٢] عليكم فهو معكم^٦ ومن سقاكم كأس ماء باسم أيكم المسيح [الحق - ٢] أقول لكم : إن أجره لا يضيع . وفيه مما لا يجوز إطلاقه في شرعنا إطلاق الأب على الله و [إطلاق - ٢] الرب على غيره [بلا قيد - ٢] ، وقد تقدم التنبيه على مثل ذلك غير مرة - والله ١٠ الهادي للصواب .

٢٢٥ / / ولما قرر سبحانه أن الرسل دعاة للحق إلى سيدهم طوعا أو كرها بالكتاب والحديد ، وقرر أن السعادة كلها في اتباعهم ، وأن البدع لاتأني بخير وإن زين الشيطان أمرها وخيل أنه خير ، وأن أصحاب الذي كان نسخ شريعة^٦ من قبله ابتدعوا بدعة حسنة فوكلوا إليها ففسق ١٥ أكثرهم ، فاقضى ذلك إرسال من ينسخ كل شريعة^٧ تقدمته نسخا لا زوال

(١) من ظ ، وفي الأصل : يسئ - كذا (٢) زيد من ظ (٣) راجع آية ٢٢ من الأصحاح ٢١ (٤) راجع آية ٣٨ لما بعدها من الأصحاح ٩ (٥) من ظ ، وفي الأصل : يكون (٦ - ٧) في الإنجيل مرقس : علينا فهو معنا (٧) من ظ ، وفي الأصل : شريعته .

له لأنه لاني بعده و نهى عن البدع نهياً لم يتقدمه أحد إلى مثله ، أتج ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بذلك إقراراً صحيحاً بنبي مما تقدم أو بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اتقوا الله ﴾ أى خافوا عقابه فاجعلوا بينكم وبين سخطه - لأنه الملك الأعظم - وقاية بحفظ الآداب معه ولا تأمنوا مكره ، فكونوا على حذر [من - ١] أن يسلبكم ما وهبكم ، فاتبعوا الرسول تسليوا ، وحافظوا على اتباعه لئلا تهلكوا ﴿ وامنوا برسوله ﴾ أى الذى لا رسول له الآن غيره ، إيماناً مضموماً إلى إيمانكم بالله فانه لا يصح الإيمان به إلا مع الإيمان برسوله ، وبأن تثبتوا على الإيمان به ، وتضموا الإيمان به إلى الإيمان بمن تقدمه يا أهل الكتاب . لأن رسالته عامة ، لقد نسخ جميع ما تقدمه من الأديان^٢ فإياكم أن يميلكم عنه ميل من حسد أو غيره ، فادروا إلى إجابته والزمو^٣ جميعاً حذره^٤ فلا تميلوا إلى بدعة أصلاً ﴿ يؤتكم ﴾ ثواباً على اتباعه^٥ ﴿ كفلين ﴾ أى نصيين ضخمين^٦ ﴿ من رحمته ﴾ تحصينا لكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع ، وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز ، وهذا التحصين^٧ لاجل إيمانكم به صلى الله عليه وسلم وإيمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الأصار^٨ وهو [أعلى - ١] بالأجر من الذى عمل الخير فى الجاهلية ، وقال النبي

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : الأبا (٣) من ظ ، وفى الأصل : الإيمان (٤-٥) من ظ ، وفى الأصل : جميع عدوه - كذا (٥) زيد فى الأصل : وهو ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، وفى الأصل : صحيحين . (٧) من ظ ، وفى الأصل : التحصيل (٨) من ظ ، وفى الأصل : الأصل .

صلى الله عليه وسلم لمن سأله^١ عنه : أسلمت على ما أسلفت من خير .
 ودل على أن الكفلين برفع الدرجات وإفاضة خواص من الخيرات
 بقوله : ﴿ ويجعل لكم ﴾ أى مع ذلك ﴿ نورا ﴾ مجازيا فى الأولى
 بالتوفيق للعمل من المعلوم والمعارف القلبية وحسبا فى الآخرة بسبب
 العمل ﴿ تمشون به ﴾ أى مجازا فى الأولى بالتوفيق للعمل ، و حقيقة فى هـ
 الآخرة بسبب العمل .

و لما كان الإنسان لا يخلو من نقصان ، فلا يبلغ جميع ما يحق للرحمن ،

قال : ﴿ ويغفر لكم^٢ ﴾ أى [ما - ٢] فرط منكم من سهو وعمد وهزل
 وجد . و لما قرر سبحانه وذلك ، أتبعه التعريف بأن الغفران و ما يتبعه

صفة له شاملة لمن^٣ يريد فقال : ﴿ والله ﴾ أى المحيط بجميع صفات ١٠

الكمال والعظمة والكبرياء ؛ ﴿ غفور ﴾ أى بليغ المحو للذنوب عينا وأرا

﴿ رحيم لا يج ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يغفر له ويوقفه / للعمل بما يرضيه . ٢٢٦ /

و لما كان أهل الكتاب قد تابعوا أهويتهم على بغض الأئمة ،

وأشربت قلوبهم أن النبوة محتصة بهم لأنهم أولاد إبراهيم عليه السلام

من ابنة عمه ، و العرب - و إن كانوا أولاده - فانهم من الأمة و ما دروا ١٥

[أن - ١] كونهم من أولاده مرشح لنبوة بعضهم و كونهم من الأمة ،

مهتئى لعموم الرسالة لأجل عموم النسب ، قال دالا على أنهم صاروا

(١) من ظ ، وفى الأصل : سال (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وفى الأصل :

من (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل :

الاتيان - كذا .

كالبهايم لا يصرون إلا المحسوسات معلقا الجار بـ « آمنوا، و » يؤتكم «
وما بعده: ﴿لئلا يعلم﴾ أى ليعلم^١ علما عظيما [يثبت -^٢] مضمون خبره
وينتفى ضده - بما أفاده زيادة النافي ﴿أهل الكتب﴾ أى من الفريقين
الذين اقتصروا على كتابهم و أنبيائهم ولم يؤمنوا بالنبي الخاتم وما أنزل
عليه ﴿إلا﴾ أى أنهم لا ﴿يقدرون﴾ أى فى زمن من الأزمان
﴿على شىء﴾ [أى وإن قل -^٢] ﴿من فضل الله﴾ أى الملك الأعلى
الذى خصكم [بما خصكم -^٢] به لا يمنع ولا باعطائكم [حيث -^٢] نزع
النبوة منهم ووضعها فى بنى عمهم إسماعيل عليه السلام الذين كانوا
لا يقيمون لهم وزنا فيقولون: إنهم بنو الأمة، وإنهم أميون، وإنهم
ليس عليهم منهم سبيل، وجعل النبوة التى خصكم بها عامة - كما أشار
إليه ما فى ابن الأمة من شمول بنسبته واتشعابه^٢ وحيث عملوا كثيرا
وأعطوا قليلا: اليهود من أول النهار على قيراط قيراط، والنصارى من
الظهر على قيراط قيراط، وهذه الأمة من صلاة العصر على قيراطين
قيراطين، فقال الفريقان^٥: ما لنا أكثر عملا وأقل أجرا، قال: هل ظلمتكم
من حكم شيئا، قالوا: لا، قال: ذلك فضل أوتيه من أشاء. وذكر ابن
برجان معنى هذا الحديث - كما تقدم عنه قريبا - من الإنجيل وطبقه
عليه وذكرته [أنا -^٢] فى الأعراف، روى الإمام [أحمد -^٢] فى

(١) من ظ، وفى الأصل: يعلم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى
الأصل: اتساعه (٤-٤) -قط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ، وفى
الأصل: الفريقين.

مواضع^١ من المسند و البخارى فى سبعة مواضع^٢ فى الصلاة و الإجارة
 و ذكر بنى إسرائيل و فضائل القرآن و التوحيد، و الترمذى فى الأمثال^٣
 - و قال: حسن صحيح - من وجوه شتى جمعت بين ألفاظها عن ابن عمر
 رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم [قال-٤]: * مثلكم - وفى هذه
 الرواية: مثل هذه الأمة، وفى رواية: مثل أمتى، وفى رواية: إنما مثلكم^٥
 و مثل اليهود و النصارى كرجل^٦، وفى رواية: مثلكم و مثل أهل الكتابين
 كمثل رجل استعمل عملاء، وفى رواية: استأجر أجراً^٦ فقال: من
 يعمل لى من صلاة الصبح، [و-٤] فى رواية [أخرى-٧]: من غدوة
 إلى نصف النهار على قيراط^٨، أفاعملت اليهود - وفى رواية: قالت
 اليهود: نحن - فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار إلى ١٠
 صلاة العصر على قيراط، أفاعلمته النصارى، وفى رواية: قالت النصارى:
 نحن، فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب
 الشمس - وفى رواية: إلى أن تغيب الشمس - على قيراطين قيراطين،
 الأفاثم الذين^٩ عملتم، وفى رواية: * تعملون، وفى رواية: * و أتم المسلمون
 تعملون من صلاة العصر إلى الليل، وفى رواية إلى مغارب، وفى رواية^{١٠}:
 مغرب الشمس على قيراطين قيراطين / ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت^{١١}

٢٢٧ /

(١) راجع مثلاً ٢ / ١١١ (٢) راجع مثلاً ١ / ٧٩ (٣) راجع ٢ / ١١٠ (٤) زيد
 و لا بد منه (٥-٥) - قط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: احيرا .
 (٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ: قيراط (٩) من ظ، وفى الأصل: الذى
 (١٠) زيد فى الأصل: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (١١) من ظ،
 وفى الأصل: فغضبت .

اليهود والنصارى وقالوا: نحن - وفي رواية: ما لنا^١ - أكثر عملا
 وأقل عطاء، وفي رواية: أجرا، قال الله تعالى: هل - وفي رواية:
 وهل - نقصتم - وفي رواية: هل ظلمتم - من حكم شيئا - وفي
 رواية: أجركم شيئا، قالوا: لا، قال: فانه - وفي رواية: فانما - هو
 ٥ فضل، وفي رواية: فذلك فضل أوتيته من أشاء، وفي رواية: أعطيه
 من شئت. وفي رواية: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم
 على المنبر يقول: ألا إن بقاءكم^٢، وفي رواية: إنما بقاءكم^٣، وفي رواية:
 إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم - وفي رواية: فيما سلف من
 قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر والمغرب - وفي رواية: إلى
 ١٠ غروب الشمس، وفي رواية: إلا إن مثل آجالكم في آجال الأمم
 قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغربان، وفي رواية: إلى مغرب،
 وفي رواية^٤: إلى مغارب الشمس، أعطى - وفي رواية: أوتي - أهل
 التوراة والتوراة، فعملوا بها^٥ حتى انتصف النهار فمجزوا، فأعطوا قيراطا
 [قيراطا -^٦]، وأعطى - وفي رواية: ثم أوتي - أهل الإنجيل الإنجيل
 ١٥ فعملوا به حتى - وفي رواية: إلى - صلاة العصر، وفي رواية: حتى
 صليت العصر، ثم مجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أعطيتهم القرآن
 فعملتم به حتى غربت الشمس، وفي رواية: [حتى غروب الشمس -^٧]

(١) من ظ، وفي الأصل: اه (٢) من ظ، وفي الأصل: اتقاكم (٣) من
 ظ، وفي الأصل: اتقاكم (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد في
 الأصل و ظ: حتى انتصف النهار فمجزوا وفي رواية - كذا (٦) زيد
 من ظ .

فأعطينم قيراطين قيراطين، وفي رواية: ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى
 غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتائب - وفي
 رواية: أهل التوراة والإجيل - ربنا هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا،
 وفي رواية: جزاء، وفي رواية: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين
 وأعطيتنا قيراطا قيراطا، ونحن أكثر عملا منهم، قال الله تبارك وتعالى: هـ
 [هل-٢] وفي رواية: فهل ظلتكم من أجركم - وفي رواية: من أجركم -
 من شيء؟ فقالوا: لا، قال: فهو فضلي، وفي رواية: فذلك فضلي، أوتيه
 من أشاء. وقد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث ما قبل هذه الأمم
 وترك على ذلك أحوالها فقال: إنه دال على قوم نوح وإبراهيم عليهما
 السلام، كان لهم الليل، فكان قوم نوح في أوله في ظلام صرف طويل ١٠
 لم يلح لهم شيء من تبشير الضياء ولا أمارات الصبح، ونوح عليه
 السلام يخبرهم به ويأمرهم بالتهتؤ له، فلذلك طال بلاؤه عليه السلام بهم،
 وما آمن معه إلا قليل، وأما قوم إبراهيم عليه السلام فكانوا كأنهم
 في أواخر الليل، قد لاحت لهم تبشير الصباح وأومضت لهم بوارق
 الفلاح، فلذلك آمن لوط عليه السلام وكذا سارة زوجته وأولاده ١٥
 منها ومن غيرها كلهم، واستمر الإسلام في أولاده والنبوة حتى جاء
 موسى عليه السلام، فكان وقته كما بين الصبح والظهر، فكان قومه
 تارة وتارة، تارة يحسبون أنهم في ضياء كيفما كانوا، فيروغون يمينا وشمالا

(١) العبارة من هنا إلى «تبشير الضياء» ساقطة من ظ (٢) زيد لاستقامة العبارة
 وإلا فلا وجه لزيادة «وفي رواية» (٣) من ظ، وفي الأصل: الاولاد.

فيكونون! كمن دخل غيراها و كهوفا و أسرابا ثم يخرجون منها فيرجعون
إلى الضياء، فكانت غلطاتهم / تارة كباوا و تارة صفارا، و أعلتهم عيسى
عليه السلام فكانوا كمن هو في الظهيرة في شدة الضياء فالغلط منه
لا يكون إلا عن عمن عظيم^٢، فلذلك كان غلظهم أظلم الغلظ و أخشبه
٥ - والله الموفق - (و ان) أى و لتعلموا أن (الفضل) [أى -]
الذى لا يحتاج إليه من هو عنده (بيد الله) أى الذى له الأمر كله
(يؤتبه من يشاء) منهم أو من يخيرهم في نوبة كانت أو غيرها^٢ .
و لما كان ربما ظن ظان أنه لا يخص به إلا لأنه لا يسع جميع
الناس دفع ذلك يقوله : (والله) أى الذى أحاط بجميع صفات
١٠ الكمال (ذو الفضل العظيم) أى مالكا ملكا لا ينفك عنه و لا ملك
لاحد [فيه -]^٢ معه و لا تصرف بوجه أصلا ، فلذلك يخص من يشاء بما
شاء ، فلا يقدر أحد على اعتراض بوجه ، فقد نزه له التنزيه الأعظم جميع
ما فى السماوات و الأرض فهو العزيز الحكيم الذى لا عزيز غيره و لا حكيم
سواه ، فقد انطبق كما ترى آخرها على أولها ، و رجع مفصلها على
١٥ موصلها - والله الهادى للصواب و إليه المرجع و المآب * .

(١) فى الأصل و ظ : فيكون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ

و فى الأصل : بين (٥-٥) سقط ما بين الرتين من ظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة

مقصودها الإعلام بايقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد، بمن حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لمائة سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك^١ ذلك تسميتها بالمجادلة بأول قضيته^٢ وآخرها، وعلى تكرير الاسم الأعظم الجامع^٥ في القصة وجميع السورة تكريرا لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه آية، وأما الآيات التي تكرر في كل منها^٥ المرتين فأكثر فكثرة كل ذلك للدلالة على أن الأكثر منها المراد فيها بالخطاب^٦ من يصح أن ينظر إليه تارة بالجلال، وتارة بالكمال، فيجمع له الوصفان، وهو من آمن ووقع منه هفوة أو عصيان، ولهذا ضمنها أشياء شدد التكبير^٧ فيها حين^{١٠} وقع فيها بعض أهل الإيمان، ولم يبجها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع إلى مادعا إليه الطبع كما فعل في غيرها كالأكل والجماع في ليل رمضان من غير تفيد بيقظة^٨ ولا منام، لمنابتها للحكمة، وبعدها عن موجبات الرحمة،

(١) الثامنة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها (٢٢) عند غير المدني الأخير والمكي، وعندهما (٢١) آية، ومن هنا تستألف والحمد لله نسخة م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الذين (٣) من م، وفي الأصل وظ: هذا (٤) من م، وفي الأصل وظ: فصلها (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: فيها كل من (٦) من م، وفي الأصل وظ: الخطاب (٧) موضعه بياض في م، وفي ظ: التكبير (٨) من ظ و م، وفي الأصل: يقظة.

وهذا مؤيد لما تقدم من سر إخلاء الواقعة و الرحمن و القمر من هذا الاسم الجامع - والله الموفق . (بسم الله) الذي أحاط عليه قمت قدرته فكلت جميع صفاته (الرحمن) الذي شمل الخلاق جودا بالإيجاد و إرسال هدايته (الرحيم) الذي خص أصفياه قمت عليهم نعمة مرضاته .

لما ختمت الحديد بعد إثبات عجز الخلق بعظيم الفضل له سبحانه، وكان سماع أصوات جميع الخلاق من غير أن يشغل صوت عن صوت و كلام عن كلام من الفضل العظيم ، وكان قد تقدم ابتداء بعض المتعبدين من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالإذن فيه ، فكان سببا للتضييع ،
١٠ وكان الظهار على نوعين : موقت و مطلق ، وكان الموقت بما يدخل في الرهبانية لأنه من التبتل و تحريم ما أحل الله من الطيبات ، وكان بعض الصحابة رضى الله عنهم قد منع نفسه بالموقت منه من مرغوبها بما لم يأت عن الله ، فظاهر من امراته محافظة على كمال التبعد خوفا

(١) في الأصل و ظ : هداية ، وفي م : هدايته (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : العجز (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يشغله (٤) زيد بعده في الأصل : الا لكم الأجر مرتين فنضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن ، وفي رواية : ما لم أكثر عملا و اقل عطاء ، وفي رواية : اجرا قال الله تعالى : هل ، وفي رواية : وهل نقضتكم . وفي رواية : هل ظلمتكم من حكم شيئا ، وفي رواية : اجر كم شيئا قالوا : لا ، قال فانه وفي رواية فانما ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخلافها ، وهي تكرار على ما سبق (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لفته - كذا .

من الجماع في نهار رمضان ، وكان ذلك مما لم يأذن به بل نهى عنه كما
 روى أبو داود^١ عن أنس رضى الله عنه والطبراني في الأوسط عن سهل
 ابن حنيف رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تشددوا
 على أنفسكم ، فانما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم ، و يستجدون
 بقاياهم في الصوامع و الديارات . وكان بعض الصحابة - رضى الله عنهم ٥
 أجمعين - قد ظاهر مطلقا فشكت امرأته ما لحقتها من الضرر إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم و هفت^٢ بامم الله ، و كان عليه سبحانه بخصوص
 شكايه هذه المرأة المسكينه^٣ و إزالة ضررها [بحكم^٤ -] عام لها و غيرها
 من عياده حتى صارت واقعتها رخصة عامة للسليين إلى يوم القيامة معلما
 بأنه ذو الفضل العظيم ، وأنه الظاهر الباطن ، ذو الملك كله ، وكان قد أمر ١٥
 بالإيمان به و برسوله و وعد على ذلك بالنور ، [كان -] السامع لذلك
 جديرا^٥ بتوقع البيان الذي هو النور في هذه الرهبانية التي ابتدعت [في -]^٦
 هذه الأمة ، و تخفيف الشديد الذي وقع عن بعضهم ليعلم أهل الكتاب
 ما لهذه الأمة من الكرامة^٧ على ربها^٨ وأنه يختص برحمته من يشاء
 فقال : ﴿ قد سمع الله ﴾ أي أجاب^٩ بعظيم فضله الذي أحاط بجميع صفات ١٥
 الكمال فوسع^{١٠} سمعه الأصوات ﴿ قول ﴾ و عبر بالوصف دون الاسم

(١) راجع السنن ٢/ ٣٢٤ (٢) م س ظ و م : وفي الأصل : عتقت (٣) من ظ
 و م ، وفي الأصل : الشكوية (٤) ريد م م و مد (٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل : حدير (٦-٦) م م ، وفي الأصل و ظ : لربها (٧) في ظ : اجاز .
 (٨) من ظ . وفي الأصل و م : سمع .

تعريفا برحمته الشاملة فقال : (التي تجادلك) أى تبالغ فى أن تقبلك إلى مرادها (فى زوجها) أى فى الأمر المخلص له من ظهاره رحمة لها (وتشتكى) أى تعتمد بتلك المجادلة الشكوى، منتهية (إلى الله) أى الملك العظيم الرحيم الذى أحاط بكل شىء علما، ولصدقها فى شكواها و قطع رجائها فى كشف ما بها من غير الله كانت هى والرسول صلى الله عليه وسلم متوقعين أن الله يكشف ضرها (والله) أى والحال أن الذى وسعت رحمته كل شىء لأن له الأمر كله (يسمع تحاوركما) أى مراجعتكما التى يحور - أى يرجع - [فيها -^١] إلى كل منكما جواب كلامه من الآخر كأنها لتقل ما قدح فى أمرها ونزل من ضرها ناشئة

١٠ عن^٢ حيرة

ولما كان ذلك فى غاية ما يكون من خرق العادة بحيث أن الصديقة عائشة رضى الله عنها قالت عند نزول الآية : والحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات، لقد كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى جانب البيت ما أسمع كثيرا عما تقول، أكدته تنبيها على شدة غرابته

١٥ [ولأنه -^١] ربما استبعده من اشتد جهله لمراقته فى التقيد^٢ بالعادات فقال : (إن الله) أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال فلا كفوه له (سميع بصيره) أى بالغ السمع لكل مسموع، والبصر لكل ما يبصر والعلم لكل / ما يصح أن يعلم أزلا وأبدا، وقد مضى نحو هذا التناسب

/ ٢٣٠

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : التقيد .

في المائة حين أتبع تعالى آية القيسيين والرهبان قوله تعالى " يا أيها الذين ['امنوا -] لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم " غير أن هذا خاص وذاك^٢ عام، فهذا فرد منه، فالمناسبة واحدة لأن الاخص في ضمن الأعم، والحاصل أنه سبحانه امتن عليهم بما جعل في قلوبهم من الرهبانية وغيرها، وأخبر أنهم لم يوفوها حقها، وأنه آتى مؤمنهم الأجر،^٥ وأمر المسلمين بالتقوى وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ليحصل لهم من فضله العظيم ضعف ما حصل لأهل الكتاب، ونهاهم عن التشديد على أنفسهم بالرهبانية، فصاروا مفضلين من وجهين: كثرة الأجر وخفة العمل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - والله أعلم، روى البزار^{١٠} من طريق خفيف عن عطاء ومن غيرها أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله! إني ظاهرت من امرأتى ورأيت ساقها في القمر فواقعتها قبل أن أكفر، قال: كفر ولا تعد - وروى أبو داود^{١٠} عن عكرمة أن رجلا ظاهر من امرأته ثم واقعها قبل أن يكفر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: رأيت يابض ساقها في القمر، قال: فاعتزلها حتى تكفر عنك. قال المنذرى: ١٥ وأخرجه أيضا عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة عن [ابن - ٦] عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه،

(١) راجع آية ٨٧ (٢) من ظ و م، وفي الأصل: هذا (٣) ما وجدناها في مجمع الزوائد في مضانها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: فواقعتها (٥) راجع السنن ١ / ٣١٠ (٦) زيد من ظ و م .

وأخرجه النسائي^١ وابن ماجه^٢ والترمذي^٣ - وقال: [حديث -^٤] حسن غريب صحيح - وقال النسائي: المرسل أولى بالضوابط من المسند، وقال أبو بكر المعافري^٥: ليس في الظهار حديث صحيح يعول^٦ عليه، قال المنذرى: وفيما قاله نظر، فقد صححه^٧ الترمذي كما ترى، ورجال إسناده ثقات، وسماع بعضهم من بعض مشهور، وترجمة عكرمة^٨ عن ابن عباس رضى الله عنهما احتج بها البخارى في غير موضع - انتهى . وللترمذي^٩ - وقال: حسن غريب - عن سلمة بن صحفر رضى الله عنه في المظاهر يواقع قبل أن يكفر قال: كفارة واحدة . وروى أحمد^{١٠} والحاكم^{١١} وأصحاب السنن^{١٢} إلا النسائي وحسنه الترمذي، قال ابن الملقن: وصححه ابن حبان والحاكم - من طريق سليمان بن يسار عن سلمة بن صحفر البياضى رضى الله عنه قال: كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يهيب غيرى، فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتى شيئاً [يتابع بي -^{١٣}] حتى أصبح^{١٤} فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان، فينا هي تخدمني ذات ليلة تكشف^{١٥} لى منها شيء فالبثت أن نزوت عليها^{١٦}، فلما أصبحت

(١) راجع السنن ٢ / ٨٨ (٢) راجع السنن ص: ١٥٠ (٣) راجع الجامع ١ / ١٤٤ (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل: العامرى، وراجع ترجمته معجم المؤلفين ١١ / ٦١ (٦) من ظ وم ، وفي الأصل: بقول (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) راجع الجامع ١ / ١٤٣ (٩) راجع المسند ٤ / ٣٧ (١٠) راجع المستدرک ٢ / ٢٠٣ (١١) راجع سنن ابن ماجه ص ١٥٠ وسنن أبي داود ١ / ٣٠٨ وسنن الدارمى ص ٢١٥ وجامع الترمذى ١ / ١٤٤ (١٢) من ظ وم ، وفي الأصل: يصبح (١٣) من م ، وفي الأصل وظ: تكشفت (١٤) من ظ ومد، وفي الأصل: عنها .

خرجت إلى قومي فأخبرتهم الخبر وقلت: امشوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: لا والله: فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: أنت بذاك^١ يا سلمة؟ قلت: أنا بذاك^٢ يا رسول الله - مرتين، وأنا صابر لأمر الله، فاحكم في بما أراك الله، وفي رواية: فأض في حكم الله فاني صابر لذلك، قال: حرر رقبة، قلت: والذي بعثك ه بالحق ما أملك غيرها - وضربت / صفحة رقبتي^٣، قال: فضم شهرين متتابعين، قلت: وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام، قال: فأطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا، قال: والذي بعثك بالحق، لقد بتنا وحشين ما لنا طعام، قال: فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها، فرجعت ١٠ إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي، وفي رواية: والبركة، وقد أمرني - أو أمر لي^٤ - بصدقتكم، وفي رواية: فادفعوها إلي، فدفعوها إلي. وأعله عبد الحق بالانقطاع، وأن سليمان لم يدرك سلمة، حكى ذلك الترمذى عن البخارى، وقال الترمذى: إن سلمة بن صخر يقال له سلمان ١٥ أيضا، ورواه الإمام أحمد [أيضا - ٦] من طريق أخرى^٥ قال حدثنا عبد الله بن إدريس - هو الأودى - عن محمد بن إسحاق عن محمد بن

(١) من ظ، وفي الأصل و م: قال (٢) من ظ و م، وفي الأصل: ذاك .
 (٣) من م، وفي الأصل و ظ: بذلك (٤) من ظ و م، وفي الأصل: عنق .
 (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: امرني (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع

عمرو بن عطاء عن [سليمان بن يسار عن -^١] سلة بن صخر الياضى رضى الله عنه قال : كنت امرءا أصيب من النساء ما لا يصيب غيرى ، فلما دخل شهر رمضان خفت فظاهرت من امرأتى فى الشهر فيننا^٢ هى تخدمنى ذات ليلة إذ تكشف لى منها شيء فلم البت^٣ أن وقعت عليها ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : حرر رقبة ، قتل : و الذى بعثك بالحق ، ما أملك غير رقبتي ، قال : صم شهرين متتابعين ، قلت : و هل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ؟ قال : فأطعم ستين مسكينا . و هذا سند حسن متصل إن شاء الله إن سلم من تدليس ابن إسحاق ، و روى [الحاكم و -^٤] البيهقي^٥ من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان و أبى سلة بن عبد الرحمن ١٠ أن سلة بن صخر الياضى رضى الله عنه جعل امرأته عليه كظهر أمه إن غشيها حتى يمضى رمضان ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أعتق^٦ رقبة . و قصة سلة هذه أصل الظهار الموقت ، و قد دلت على أنه لا عود فيه فلا كفارة عليه [إلا -^٧] بوطنها فى مدة الظهار ، و روى أبو داود^٨ عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضى الله عنها قالت : ١٥ ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت رضى الله عنه فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو إليه و رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه

(١) زيد من المسند (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : فيننا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم اثلت - كذا (٤) زيد من ظ ، و راجع المستدرک ٢/٣٠٤ (٥) راجع السنن الكبرى ٧/٣٩٠ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتقت . (٧) زيد من ظ (٨) راجع السنن ١ / ٣٠٩ .

ويقول: اتقى^١ الله فانه ابن عمك، فابرح حتى نزل [القرآن - ٢] "قد سمع الله" إلى الفرض، فقال: يمتق رقبة، قالت: لا يجد، قال: يصوم شهرين متتابعين، قالت: يارسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأتى ساعتذ بقرق^٢ من^٣ تمر، قلت: يارسول الله، فاني أعينه ه بقرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه / ستين مسكينا، وارجعي إلى ابن عمك، قال: والعرق ستون صاعا، وفي رواية: والعرق مکتل^٤ يسع ثلاثين صاعا، وروى الدارقطني^٥ أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن أوس بن الصامت رضى الله عنه ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة رضى الله عنها فشكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ١٠ ظاهر مني [حين - ٢] كبر سني ورق عظمي، فأنزل الله آية الظهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس: أعتق رقبة، قال: ما لي بذلك يدان، قال: فصم^٦ شهرين متتابعين، قال: أما أني إذا أخطأتني أن آكل في اليوم مرتين يكل بصري^٧، قال: فأطعم ستين مسكينا، قال: ما أجد إلا [أن - ١] تعيني^٨ "منك بعون" وصلة، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥

(١) زيد بعده في الأصل: لي، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: اتقى (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ و م، وفي الأصل: قال (٥-٥) من م، وفي الأصل و ظ: فيه (٦) من م، وفي الأصل و ظ: مكيال (٧) راجع السنن ص: ٤٢٢ (٨) من ظ و م، وفي الأصل: صم (٩) من ظ و م، وفي الأصل: بصر (١٠) زيد من م (١١-١١) من ظ و م وفي الأصل: بعون منك.

بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له، والله رحيم، قال: وكانوا يرون أن
 عنده مثلها، وذلك لستين^٢ مسكينا، وللدارقطني^٣ [أيضا-^٤] والبيهقي^٥ أن
 خولة^٦ بنت ثعلبة رضى الله عنها رآها زوجها وهو أوس بن الصامت
 أخو عبادة^٧ رضى الله عنهما وهي تصلى فراودها فأبت فغضب، وكان به لم
 وخفة فظاهر منها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن
 أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في^٨، فلما خلا سني وثرت له بطني جعلني
 عليه كأمه. وللطبراني^٩ من طريق أبي معشر عن^{١٠} محمد بن كعب القرظي
 قال^{١١}: كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به لم،
 فقال في بعض هجراته: أنت علي كظهر أمي، قال: ما أظنك إلا قد
 حرمت علي^{١٢}، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله
 إن أوس بن الصامت أبو ولدي وأحب الناس إلي^{١٣}، والذي أنزل
 عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت:
 يا رسول الله لا تقل كذلك والله ما ذكر طلاقا، فرأدت النبي صلى الله

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: مجمع (٢) زيد في الأصل: غفور، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م والسنن لحذفها (٣-٣) من م، وفي الأصل و ظ: لذلك
 ستين (٤) ما وجدنا في نطائنها (٥) زيد من م (٦) راجع السنن الكبرى ٣٩٢/٧
 (٧) في ظ: خويلة (٨) من ظ و م، وفي الأصل، ابو عبيدة (٩) من ظ و م،
 وفي الأصل: بهم (١٠) لم يذكر في مجم الزوائد من هذا الطريق (١١) زيد
 في الأصل: الي، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (١٢) من ظ، وفي
 الأصل و م: قالت (١٣) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفها.

عليه وسلم مرارا، ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاقى و وحدتى و لما يشق عليّ من فراقه - الحديث، و من طريق أبي العالیه قال: فجعل كلما قال لها " حرمت عليه " هفت و قالت: أشكو إلى الله، فلم ترم مكانها حتى نزلت الآية، و روى أبو داود^١ عن هشام بن عروة أن جميلة كانت تحت أوس بن الصامت و كان رجلا^٢ به لم فكان إذا اشتد به ه لمه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز و جل فيه كفارة الظهار، و أخرجه من حديث عروة عن عائشة رضی الله عنها مثله . [و - ٢] قال القشيري: و في الخبر أنها قالت: يا رسول الله! إن أوسا تزوجني شابة غنية ذات أهل و مال كثير، فلما كبر عنده سني، و ذهب مالي و تفرق أهلي، جعلني عليه كظهر أمه، و قد ندم و ندمت، و إن لي صبية صغارا إن ضممتهم ١٠ إليه ضاعوا، و إن ضممتهم إلى جاعوا، يعني ففرج الله عنها، و قد حصل من هذا مسألة، و هو أن كثيرا من الأشياء ظاهر / العلم يحكم فيه بشيء.

ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها، قال البغوي^٣: و كان هذا أول ظهار^٤ في الإسلام، و قال أبو حيان^٥: و كان عمر رضی الله عنه يكرم خولة رضی الله عنها إذا دخلت [عليه و يقول - ٩]: سمع الله لها، فالمظاهرة ١٥ في حديث سلبه رضی الله عنه موقته، و في حديث خولة رضی الله عنها

٢٣٣ /

(١) راجع السنن ١/ ٢٠٩ (٢) من م، و في الأصل و ظ: رجل (٣) زيد من م .
 (٤) سقط من ظ و م (٥) في معالم التنزيل بهامش الباب ٧ / ٢٦ (٦-٦) من ظ و م و العالم، و في الأصل: هو (٧) من ظ و م و العالم، و في الأصل: الظهار (٨) في البحر المحيط ٨ / ٢٣٢ (٩) زيد من ظ و البحر .

مطلقة، وهي في قضية سلمة رضى الله عنه ومن لحا نحوه رهبانية مبتدعة لم ترغ حق رغابتها كرهانية النصارى، ولم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداعها حق الاتباع^١، وأما في قضية نخوة رضى الله عنها فهي مصيبة كان ينبغي فيها التسليم وعدم الحزن كما في آية "لكيلا تأسوا به" الآية على أن امتناعها من زوجها حين رازدها فيه إلام بالرهبانية^٢، وإزالة شكائتها مع أنها امرأة ضعيفة من عظيم الفضل، وزاده عظما جعله [حكما -^٣] عاما لمن وقع فيه من جميع الأمة.

ولما أتم تعالى الخبر عن إحاطة العلم، استأنف الإخبار عن حكم الأمر المجادل بسببه، فقال ذاما للظهار، وكاسيا له ثوب العار: (الذين) ١٠ ولما كان الظهار منكرا لكونه كذبا، عبر بصيغة الفعل الدالة عليه فقال: (يظهرون) أى يوجدون الظهار في أى رمضان [كان -^٣] وكانه أدغم تاء الفعل والمفاعلة لأن حقيقته أنه يذهب ما أحل الله له من بجماعة زوجته. ولما كان الظهار خاصا بالعرب دون سائر الأمم، نبه على ذلك تهجينا^٤ له عليهم وتقييحا لعادتهم فيه، تنبيها على أن اللاتق ١٥ بهم أن يكونوا أبعد الناس من^٥ هذا الكلام لأن الكذب لم يزل

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الاتداع (٢) من ظ و م، وفي الأصل: من الرهبانية (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، وفي الأصل و ظ: الحكم. (٥) من م، وفي الأصل و ظ: تهيبجا (٦) زيد في الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذلتها.

مستهجنا عدم في الجاهلية ، ثم [ما - '] زاده الإسلام [إلا - ']
استهجانا فقال : (منكم) أي أيها العرب المسلمون الذين يستقبلون
الكذب ما لا يستقبلونه غيرهم وكذا من دان دينهم (من نسائهم) أي
يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم بأن يقول
أحدهم^٢ لزوجته شيئا من صرائحه مثل ' أنت على كظهر ' أي أو كباياته^٥ كانت
أمي ، وكل زوج صحح طلاقه صحح ظهاره من حر أو عبد مسلم أو ذمي
دخل بالزوجة أو لا قاهرا كانت على الجماع أو عاجزا^٦ ، صغيرة كانت
الزوجة أو كبيرة ، عاقلة كانت^٧ أو مجنونة ، سليمة كانت أو ارتقاء ، مسلمة
كانت أو ذمية ، ولو كانت رجعية .

ولما كان^٨ وجه الشبه التحريم ، وكان للتحريم رتبتان^٩ : عليا موصوفة^{١٠}
بالتأييد والاخترام ، ودنيا خالية عن كل من الوصفين ، وكان التقدير
خبرا للبتدأ : مخطون في ذلك لأنه كذب ، لأن التشبيه إن أسقطت أذاته^{١١}
لم يكن حمله على الحقيقة ليكون من الرتبة العليا ولو على أدنى أحوالها
من أنه طلاق لا رجعة فيه ، كما كانوا يعتقدونه ، وإن أثبتت ليكون^{١٢} من

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : أن (٣) من م ، وفي الأصل
وظ : أحد (٤-٤) من م ، وفي الأصل : ظهر (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
كناية (٦) من م ، وفي الأصل وظ : لا (٧) زيد في الأصل : الزوجة ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفنا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : كانت .
(٩) من ظ و م ، وفي الأصل : رتبتين (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : أن
اشتباه (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : أن يكون .

الدنيا لم يكن صحيحا لانه ممنوع منه لان التشريع إنما هو لله ، و الله لم يكن
 يشرع ذلك ، وكان تعليل شق التشيه يفيد معنى الخبر بزيادة^١ / التعليل ،
 حذف الخبر ، و اكتفى بالتعليل فقال معللا له مهجنا للظهار الذي تعودته
 العرب من غير أن يشاركونهم فيه أحد من الامم : (ما من) أى
 ٥ نساؤم^٢ (امهتهم^٣) على تقدير إرادة أحدم [أعلى -^٢] رتبتي التحريم ،
 والحاصل أنهم لما كانوا يعتقدون أنه طلاق لا رجعة فيه جعلوا معتقدين
 أن المرأة أم لان الحرمة المؤبدة^٤ من خصائص الام فخرطبوا بذلك تقريرا
 لهم لانه أردع ، و فى سورة الاحزاب ما بوضع هذا .

/ ٢٣٤

و لما كانوا قد مرنوا على هذا الحكم فى الجاهلية ، و استقر^٥ فى
 ١٠ أنفسهم استقرارا لا يزول إلا بغاية التأكيد ، ساق الكلام كذلك فى الشقين
 فقال : (ان) أى ما (امهتهم^٣) [أى -^٦] حقيقة (الا أئى ولدتهم^٧)
 و نساؤم لم تلدهم ، فلا يحرم عليهم حرمة مؤبدة للإكرام و الاحترام ،
 و لاهن من ألق بالامهات بوجه يصح و كأزواج النبي صلى الله عليه
 و سلم فانهن أمهات لما^٧ لهن من حق الإكرام و الاحترام و الإعظام
 ١٥^٨ ما لم يكن لغيرهن^٨ لان النبي صلى الله عليه و سلم أعظم فى أبوة الدين
 من أب النسب [و -^٦] كذلك المرضعات لما لهن من الإرضاع

(١) فى م : زيادة (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : نساؤهن (٣) زيد من ظ
 و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مؤبدة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل :
 استقروا (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنهن (٨-٨) سقط
 ما بين الرقيين من م .

الذى هو وظيفة الام بالأصالة، و أما الزوجة فباينة^١ لجميع ذلك .
 و لما فرغ من تعليل الشق الاول على آتم وجه، أتبعه بتعليل
 الآخر كذلك، فقال عاطفا عليه مؤكدا لأنهم كانوا قد أفوا قوله
 فأشربته قلوبهم: (و انهم) أى المظهرون^٢ (ليقولون) أى فى هذا
 التظهر على كل حالة (منكر من القول) ينكره^٣ الحقيقة و^٢ الاحكام،
 قال ابن الملقن فى عمدة المحتاج: و هو حرام اتفاقا كما ذكره الرافعى فى
 الشهادات . (و زورا^٤) أى قولاً مائلا عن السداد، منحرفا عن القصد،
 لأن الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتھان، و الام
 فى غاية البعد عن ذلك لأنها أهل لكل احترام، فلا هى أم حقيقة
 ولا شبيهة بها بأمر نصبه الشارع للاحترام كالإرضاع، و كونها فراشا ١٠
 لعظيم كالتبى أو اللأب أو للحرمة كاللعان،^٥ فقد علم^٥ أن ذلك الكلام
 ليس بصدق ولا جاء به مسوغ، فهو زور محض، و أخصر من هذا أن
 يقال: و لما كان ظهارهم هذا يشتمل على فعل و قول^٦، و كان الفعل
 هو التحريم الذى هو موضع وجه الشبه، [و كانت العادة فى وجه الشبه -^٧] أن
 يقنع منه بأدى ما ينطلق عليه الاسم، و كانوا قد خالفوا ذلك فجعلوه فى أعلى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مبايعة (٢) من م، و فى الأصل و ظ:
 المظاهرين (٣-٢) من م، و فى الأصل و ظ: القول من (٤) زيد فى الأصل:
 الاحكام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، و فى
 الأصل: فعل (٦-٦) من ظ، و فى الأصل و م: قول و فعل (٧) زيد من
 ظ و م .

طبقاته وهو الحزمة المؤبقة التي^١ يلزم منها أن تكون المشابهة من كل وجه
 في الحرمة. منع أن ذلك بغير مستند من الله تعالى الذي لا حكم لغيره، ألزمهم^٢
 أن يكون الشبه من كل وجه^٣ مطلقاً فيكونوا جاعلين الزوجة إما حقيقة
 لا دعوى كما جعلوا الحرمتين [كذلك من غير فرق بل أولى لأنه
 الشبه إنما وقع بين الحثيثتين لا بين الحرمتين -^٤] ثم وقفهم على جهلم
 فيه فقال " ما هن " إلى آخره، ولما وقفهم على جهلم في الفعل وقفهم على
 جهلم في القول: فقال: [و-^٥] أنهم إلى آخره، قال النووي في الروضة: قال
 الأصحاب: الظهار حرام، وله حكمان: أحدهما تحريم الوطئ إذا وجبت
 الكفارة / إلى أن يكفر، والثاني وجوب الكفارة بالعود - انتهى ،

/ ٢٣٥

١٠. وهذا القول وإن أفاد التحريم فإنه يفيد لكونه ممنوعاً منه على وجه
 ضيق^٦ حرج المورد عسر المخرج ليكون عسره زاجراً عن الوقوع فيه، قال
 أبو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع: و ظاهر الرجل امرأته^٧ و ظاهر من
 امرأته^٨ إذا قال: أنت عليّ كظهر أمي أو كذات محرم، وإنما استنصوا
 الظهر في الظهار لأن الظهر موضع الركوب، والمرأة^٩ مركب الرجل^{١٠}
 ١٥ في النكاح فكفى به عن ذلك، فكأنه قال: ركوبك عليّ للنكاح كركوب
 أمي، وكان الظهار في الجاهلية طلاقاً، ولذلك أشكل معنى قوله تعالى
 " ثم يعودون لما قالوا " وقال ابن الأثير في النهاية^{١١}: ظاهر الرجل [من -^{١٢}]

(١) من م، وفي الأصل و ظ: الذم (٢-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م، وفي الأصل و ظ: كأنه .
 (٦) سقط من ظ (٧) راجع ٦٥/٣ (٨) زيد من ظ و م والنهية .

أمرأته ظهارا و تظهرو و تظاهر [إذا قال لها: أبت على كيطهر أمي،
وكان في الجاهلية طلاقا -^١]، وقيل: إنهم أرادوا أنت على كيطن أمي
أى كجماعها، فكنوا بالظهر عن البطن للجاورة، وقيل إن إتيان المرأة
و ظهرها ^٢ إلى السماء كان حراما عندهم، وكان أهل المدينة يقولون:
إذا أبت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول، فلقصد ه
الرجل المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر
ثم لم يقنع بذلك حتى جعلها كظهر أمه، وإنما عدى الظهار بـ "من" لأنهم
كانوا إذا ظهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة ويحترزون منها،
فكان قوله: ظاهر من امرأته، أبقى بعد واحترز منها كما قيل: آلى من
امرأته، لما ضمن معنى التباعد عدى بـ "من" - [انتهى -^٤]، قال: وقال ابن ١٥
الملقن في العمدة شرح المنهاج: وكان طلاقا في الجاهلية، ونقل عن
صاحب الحاوي أنه عندهم لا رجعة فيه، قال: فنقل الشارع حكمه
إلى التحريم بعد العود ووجوب الكفارة - انتهى. وقال أبو حيان: قال
أبو قلابة [وغيره -^٦]: كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة
مؤبدة .

ولما كان التقدير: فإن الله حرمه، عطف عليه مرغبا في التوبة وداعيا
إليها قوله مؤكدا لأجل ما يعتقدون من غلظه وأنه لا مشوية فيه

(١) زيد من ظ و م و النهاية (٢ - ٢) من ظ و م و النهاية، وفي الأصل:
للساء (٣) من ظ و م، و النهاية، وفي الأصل: ذلك (٤) زيد من م (٥) في
النهر اللاد من البحر المحيط ٢٣٠/٨ (٦) زيد من ظ و م و النهر (٧) من ظ و م،
وفي الأصل: به .

{ وان الله } أى الملك الأعظم [الذى - ١] لا أمر لاحد معه فى شرع ولا غيره { لعفو } من صفاته أن يترك عقاب من شاء { غفور } من صفاته أن يمحو عين الذنب و أثره حتى أنه كما لا يعاقب عليه لا يعاتب^٢، فهل من تائب طلبا للعفو عن زلله، والإصلاح لما كان من خلله .

ولما هجن^٣ سبحانه الظهار، وأثبت تحريمه على أبلغ وجه وآ كده، وكان ما مضت عليه العوائد لا بد أن يبقى منه بقايا، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة وما لعله يقنع من نظارها فقال : { والذين يظنون } ولما كان فى بيان الحكم، أسقط التقييد إعلاما بعمومه الكافر كعمومه^٤ المسلم ليفيد تغليظ العقاب [عليه - ١] لثلاث يوم أنه يخص العرب الذين قصد تهجينه^٥ عليهم بأنهم^٦ افردوا به عن سائر الناس فقال : { من نسأهم } بدون " منكم " .

ولما كان مقتضى اللفظ المباعدة من قيل ذلك فيها، فكان إمساكها بعده ينبغى أن يكون فى غاية البعد، / قال مشيرا إلى ذلك [بأداة - ١]

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد بعده فى الأصل : انه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٣) من م، وفى الأصل : لا يعاقب، و « عليه لا يعاتب » ساقطة من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل : هجا (ه) من م، وفى الأصل و ظ : قال (٦) زيد فى الأصل : فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل : قصدت هجينة (٨) من م، وفى الأصل و ظ : انهم .

البعث (ثم يعودون) أى بعد هذا القول (لما قالوا) بالفعل بأن يعاد هذا القول مرة أخرى أو بالقوة بأن يمسكوا المقول ذلك لها^١ زما يمكن أن يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله^٢ الفرقة به^٣ من طلاق [أو -^٢] سراح^٤ أو نحوهما، فيكون المظاهر عائدا إلى هذا القول بالقوة لإمكان [هذا -^٢] القول في ذلك الزمن،^٥ وذلك لأن العادة قاضية بأن من قال قولاً [ولم يته -^٢] وينجزه ويمضه بأن يعود إلى قوله مرة أخرى ولم جراً، أو يكون التقدير لتقض ما قالوا: فيحلوا ما حرموا على أنفسهم بعدم البت بالطلاق، فإن كان الظهار معلقاً لم يلزم حكمه إلا بالحنث، فإن طلق في الحال^٦ وإلا لزمته [الكفارة -^٢]، وحق العبارة التعبير باللام لدلالاتها^٧ على ١٠ الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف " إلى " فإنها تدل على مهلة وتراخ، هذا في الظهار المطلق، وأما الموقت بيوم أو شهر أو نحو ذلك فلا يكون عائداً فيه إلا بالوطى^٨ في الوقت المظاهر فيه، وأما مجرد إمساكها فليس يعود لأنه إنما أمسكها لما [له -^٧] فيها من الخل بعد وقت الظهار .

١٥

ولما كان المبتدأ الموصول مضمناً معنى الشرط، أدخل الفاء في خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال: (فتحرير)

(١-١) من ظ وم، وفي الأصل: لها ذلك (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: به الفرقة (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ، وفي الأصل وم: سراحا (٥) من ظ وم، وفي الأصل: الحلال (٦) من ظ وم، وفي الأصل: لئلا - كذا . (٧) زيد من ظ .

أى فعلهم بسبب هذا الظهار و العود تحريم (رقة) أى سليمة عن
 عيب يخل بالعمل كاملة الرق مقيدة [أيضا - ١] بمؤمنة لأنها قيدت
 [بذلك - ١] فى كفارة القتل ، فيحمل هذا على ذاك ، ولأن معاوية
 ابن الحكم رضى الله عنه كانت له جارية فقال للنبي صلى الله عليه وسلم :
 ٥ على رقة أفأعتقها ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله فأخبرته
 بما دل على توحيدها فقال : من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها
 فانها مؤمنة - رواه مالك و مسلم ، فعملل الإجزاء بالإيمان ولم يسأله عن
 سبب الوجوب ، فدل على أنه لا فرق بين واجب و واجب ، و الموجب
 للكفارة [الظهار - ١] و العود جميعا كما أن الموجب فى اليمين [اليمين - ٧]
 ١٥ و الحنث معا .

ولما كان التحريم لا يستغرق زمن القبل بل يكون فى بعضه ،
 أدخل الجار فقال : (من قبل) و لما كان المراد المس بعد المظاهرة
 لا مطلقا قال : (ان يماسا) أى يتجدد منهما مس وهو الجماع سواء
 كان ابتداء المباشرة منه أو منها بما أفادته صيغة التفاعل ، وهو حرام
 ١٥ قبل التكفير ولو كان على أدنى وجوه التماس و أخفاها بما أشار
 إليه الإدغام ولو كان بابلاج الحشفة فقط مع الإنزال أو بدونه ، و أما

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : توحيد (٤) فى ظ : رواها (٥) راجع الموطن - العتق (٦) راجع
 صحيح مسلم - المساجد (٧) زيد من م (٨) من م ، وفى الأصل وظ : الوجوه .

مقدمات الجماع فهي^١ فيها كالحائض لا تحرم على الأظهر ، فان جامع عصي ولم تجب كفارة أخرى ، لما روى الترمذى عن سلمة بن صخر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهر يواقع قبل أن يكفر ، قال : كفارة واحدة^٢ .

ولما كان الوعظ هو الزجر عن الفعل الموعوظ لأجله ، قال ه مستأنفا : ﴿ ذلكم ﴾ أى الزجر العظيم جد الذى هو عام لكم من غير شبهة ﴿ توعظون به^٣ ﴾ أى يكون / بمشقة زاجرا لكم عن العود إلى مقاربة مثل ذلك فضلا عن مقارفته لأن من حرم من أحلها الله تحريما متأبدا^٤ على زعمه [كان -^٥] كأنه قد قتلها ، و لكون [ذلك -^٦] بلفظ اخترعه و انتهك فيه حرمة^٧ أمه كان^٨ كأنه قد عصى معصية أو بق بها نفسه ١٠ كلها إيقا أخرجه إلى [أن -^٩] يقتلها عضوا باعتاق [رقبة -^{١٠}] تماثل رقبته و رقبة^{١١} من كان قتلها .

و لما كان التقدير : فانه بما يردكم بصير ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة بالكمال ، و قدم الجار إشارة إلى إرادة المبالغة للتنبية على الاهتمام بالزام الانتهاء عن ذلك فقال : ﴿ بما تعلمون ﴾ أى تجددون فعله ١٥ ﴿ خبيره ﴾ أى عالم بظاهره و باطنه ، فهو عالم بما يكفره ، فافعلوا ما أمر الله^{١٢} به و قفوا عند حدوده ، قال القشيري : [و الظهار -^{١٣}] و إن لم يكن له فى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو (٢) مضى الحديث قبل صفحات .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مويدا (٤) زيد من ظ و م (هـ-هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : انه (٦) من ظ ، وفى الأصل : رغبة (٧) -قط

الحقيقة أصل ولا بتصحيحه نطق ولا له شرع، بعد ما رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ولوح بشيء ما وقال: إنه حكمه لم يخل الله من بيان ساق إليه شرعه ففرض فيه بما انتظم فيه الجواب ارتفاع شكواها .

٥ ولما كانت الكفارة مرتبة، وكان المظاهر كأنه قد قتل نفسه بقتل

المظاهر عنها كما مضى، فكان مفتقرا إلى ما يحيى نفسه فشرع له العتق

الذى هو كالإحياء، شرع له عند العجز عنه ما يميت نفسه التى إمامتها له

إحيائها، وكان الشهران نصف المدة التى ينفخ فيها الروح، فكان صومها

كنصف قتل النفس التى قتلها إحياء الروح وإنعاش العقل، فكان كأنه

١٠ إمامتها^٢ فجعله سبحانه بدلا عن القتل الذى هو كالإحياء فقال: (فمن لم يجد)

أى الرقبة المأمور بها بأن كان فقيرا، فان كان غنيا وماله غائب فهو

واجد (فصيام) أى فعلية صيام (شهرين) . ولما كان المراد كسر

النفس كما مضى، وكانت المتابعة أنكا ولذلك سمي رمضان شهر الصبر،

قيد بقوله: (متتابعين) أى على أكمل وجوه التابع على حسب

١٥ الإمكان بما أشار إليه الإظهار، فلو قطع التابع بشيء ما ولو كان بنسيان النية

وجب عليه الاستئناف والإغماء لا يقطع التابع لأنه ليس فى الوسع وكذا

الإفطار ببيض أو نفاس أو جنون بخلاف الإفطار بسفر أو مرض^٣ أو خوف^٤

(١) زيد فى الأصل: به، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٢) من ظ و م،

وفى الأصل: الذى (٣) من ظ و م، وفى الأصل: إمامتها (٤) من م، وفى

الأصل و ط: ان (٥) زيد فى الأصل: شهر رمضان (٦) من ظ و م، وفى

الأصل: كذلك (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: خوف أو مرض أو خوف .

على حمل أو رضيع لأن الحيض معلوم فهو مستثنى شرعاً، وغيره مغيب [العقل - ١] مزيل للتكليف، وأما المرهن ونحوه ففيه تعمد الإنظار مع وجود العقل .

• ولما كان الإمساك من المسيس قد يكون أوسع من الشهرين .

أدخل الجار فقال: (من قبل) وحل المصدر إضافة^٢ لمس يكون ٥ بعد المظاهرة فقال: (ان يتأما) فان جامع ليلا عصى ولم يقطع التابع . ولما كان إطعام نفس قوت نصف يوم كاماتة نفسه بالصيام

يوما قال تعالى / : (فمن لم يستطع) أى يقدر على الصيام قدرة تامة -

٢٣٨ /

بما أشار إليه إظهار التاء لهرم أو مرض أو شيق مفرط يهيج^٣ الصوم (فإطعام) أى فعله إطعام (ستين مسكينا^٤) لكل مسكين ما يقوته ١٠ نصف يوم ، وهو مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك نحو نصف قدح بالمصرى ، وهو ملء حفتين بكفى معتدل الخلق^٥ من غالب قوت البلد ، وهو كما فى الفطرة سواء ، وحذف قيد المهاسة لذكره فى الأولين ، ولعل الحكمة فى تخصيص هذا به أن ذكره فى أول الخصال لا بد منه ، وإعادة^٦ فى الثانى لطول مدته فالصبر عنه فيها مشقة ، وهذا يمكن أن ١٥ يفعل فى لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المهاسة ، هذا إذا عاد ، فان وصل الظهر بالطلاق أو مات أحدهما فى الحال قبل إمكان الطلاق فلا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : إعادة (٣) من م . وفى

الأصل و ظ : وجهه (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : الحلقة (٥) من ظ و م ،

وفى الأصل : اعناته (٦) فى ظ : فيه .

كفارة، قال البغوي^١؛ لأن العود^٢ في القول^٣ هو المخالفة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العود بالندم فقال: يندمون ويرجعون إلى الآلة، وهذا يدل على ما قال الشافعي رضي الله عنه: فان ظاهر [٢-٣] الرحمة انعتقد ظهاره^٤ فان راجعها لزمته الكفارة لأن الرحمة عود.

- ٥ ولما فذكر الحكم، بين علته ترغيبا فيه فقال: (ذلك) أي الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من أمر الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان (لتؤمنوا) [أى-١] وهذا الفعل العظيم الشاق ليتجدد إيمانكم ويتحقق وجوده (بالله) أي الملك الذي لا أمر لاحد معه فطبعوه بالانسلاخ من فعل الجاهلية (ورسوله^٥) الذي تعظيمه من تعظيمه وقد بعث بملة [أيه-١] إبراهيم عليها الصلاة والسلام، فلو ترك هذا الحكم الشديد على ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة.
- ولما رغب في هذا الحكم، رهب من التهاون به فقال: (وتلك) أي هذه الأفعال المزكية وكل ما سلف من أمثالها في هذا الكتاب
- ١٥ الأعظم (حدود الله^٦) أي أوامر الملك الأعظم ونواهيه وأحكامه التي يجب امتثالها والتقيّد بها لترعى حق رعايتها فالتزموها^٧ ووقفوا

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ٣٨ (٢-٢) في المعالم: ليقول (٣) زيد من المعالم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ظاهرة (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل: لأمر (٦) زيد من ظ و م (٧) زويت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فخذناها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: احكامها (٩) من ظ و م، وفي الأصل: فالتزموا.

عدها ولا تعدوها^١ فإنه لا يطاق انتقامه إذا تعدى نقضه لو^٢ إرادته .
 ولا كان التقدير : ظلمومتين بها بجنات للتعيم . عطف عليه قوله
 (واللكافرين) أي للعريقين في الكفر [بها -] أو بشيء من شرائه
 (عذاب لهم) بما آلموا المؤمنين به من الأعداء .

ولما ذكر حدوده ، و لوح بالمطف على غير معطوف عليه إلى ٥
 بشارة حافظها ، و صرح بتهديد متجاوزها . أتبع ذلك تفصيل عقابهم
 الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم ، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم لأن
 يغلبوا على كثرتهم وقوتهم و ضعف حزبه ، و قلتهم : (إن الذين يحادون الله)
 أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها ، و ذلك

صورته صورة العداوة ، بجددين ذلك مستمرين عليه بأي محادة [كانت -] ١٠
 ولو كانت / خفية^٣ - بما أشار إليه الإدغام كحادة أهل الاتحاد الذين
 يتبعون المتشابه فيجروه^٤ على ظاهره فيخلون^٥ به المحكم لتخل الشريعة
 بأسرها ، فان كثيرا من السورة^٦ نزل في المناققين و اليهود و المهادين
 كما يأتي في النجوى و غيرها (و رسوله) الذي عزه من عزه^٧ (كتبوا)
 أي صرعوا و كبوا لوجوههم و كسروا و أذلوا^٨ و أخزوا فلم يظفروا ١٥

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ولا تعدوها (٢) من ظ و م ، و في الأصل
 و هـ (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : حزيهم به (٥) من ظ
 و م ، و في الأصل : حقيقة (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بمحادة (٧) من
 ظ و م ، و في الأصل : فيجرون (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فيجعلون .
 (٩) من م ، و في الأصل و ظ : السور (١٠) من ظ و م ، و في الأصل :
 عزره (١١) من ظ و م ، و في الأصل : أزلوا آخر كذا .

وردهوا بنظهم في [كل - ١] أمر رومونه من أي كلمت كان بليسر
 أمر وأسله^٢، و عبر بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه والفرغ من قضائه
 كما فرغ مما مضى، فلذا قال لتكون الدعوى مقرونة بدليلها^٣
 (كما كتبت الذين) ولما كان المحادون لم يستغرقوا جميع الأزمان
 الماضية^٤ والإماكن، أدخل الجار فقال: (من قبلهم) أي المحادين
 كقوم نوح ومن بعدهم ممن أصر على العصيان، ولم ينقد لدليل
 ولا برهان، قال القشيري: ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 سنة وأحدث في دينه بدعة انحطت في هذا السلك، ووقع في
 هذا الذل.

١٠ ولما استوفى المقام حظه بيانا وترغيا وترهيبا، عطف على أول
 السورة أو على ما يقدر من نحو: فقد كان لكم فيما مضى من أوله
 الإسلام إلى هذا الأوان مما يدل على كونه سبحانه بالنصر والمعونة مع
 نبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه رضى الله عنهم معتبرا، قوله: (وقد أنزلنا)
 [أى - ١] بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم (أنت بينت)
 أي دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه
 الإيمان بترك المحادة ويحصل الإذعان، ولما كان التقدير: فللمؤمنين بها
 نعيم مقيم في مقام أمين^٥، عطف عليه قوله: (وللكافرين) [أى - ١]

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل: لمصر (٣ - ٣) من ظ
 وم ، وفي الأصل: بصره بأسه (٤ - ٤) من م ، وفي الأصل: الزمان الذي
 مضى ، وفي ظ: الأزمان الذي مضى (٥) زيد في ظ وم : من (٦) من ظ
 وم ، وفي الأصل: « و » (٧) من ظ وم ، وفي الأصل: امين .

الراشخين في الكفر بها وتغيرها من أمر الله ﴿عذاب مهين﴾ بما تكبروا
واغتروا على أولياء الله وشرائعه، يهينهم^١ فذلك العذاب و يذهب عزم
وشماختهم و يتركون به محادتهم .

و لما ذكر عذابهم ، [ذكر - ٢] وقته على وجه مقرر لما مضى من
شمول علمه و كمال قدرته فقال : ﴿ يوم يبعثهم الله ﴾ أى يكون ذلك في م
وقت إعادة الملك الاعظم للكافرين المصرح بهم و المؤمنين المشار إليهم
احياء كما كانوا ﴿ جميعا ﴾^٢ في حال كونهم مجتمعين في البعث . و لما
كان لا أوجع من التبيكيت بحضرة بعض^٣ الناس فكيف إذا كان بحضرتهم
كلهم فكيف إذا كان بمرأى من جميع الخلائق و مسمع . سبب عن
ذلك و عقب قوله : ﴿ فينبئهم ﴾ [أى - ٣] يخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ١٥
﴿ بما عملوا^٤ ﴾ إخبارا لهم و إقامة للحجة عليهم .

و لما كان ضبط ذلك أمرا عظيما ، استأنف قوله بيانا لهوانه عليه :
﴿ احصنه الله ﴾ أى أحاط به عددا كما و كيفا و زمانا و مكاتا بما له من
صفات الجلال و الجمال . و لما ذكر إحصاءه له ، فكان ربما ظن أنه
كما يمكن في العادة إحصاؤه ، نفي ذلك بقوله : ﴿ ونسوه ﴾^٥ أى كلهم مجتمعين ١٥
لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف بكل واحد على انفراده و نسوا
ما فيه من المعاصي تهاونا بها . و ذلك عين التهانن بالله و الاجترار عليه ،

(١) من ظوم ، و فى الأصل : لهم - كذا (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل
أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٤) سقط من م (٥) زيد من ظ
و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يظن انما .

قال القشيري: إذا حوسب احد^١ في / القيامة على عمل عمله تصور^٢ له ما فعله ثم يذكر حتى كأنه في تلك الحالة قام من بساط الزلّة فيقع عليه من الخجل و الندم ما ينسى في جنبه كل عقوبة، فسئيل المسلم أن لا يخالف أمر مولاه^٣ ولا يحوم حول مخالفة أمره^٤، فان جرى المقدور وقع في هجنة التقصير فليكن من زلته على بال، وليتضرع إلى الله بحسن الابتهاال .

و لما كان التقدير بما أرشد إليه العطف على غير المذكور: فالله بكل شيء من ذلك وغيره علیم، عطف عليه قوله: (والله) أى بما له من القدرة الشاملة و العلم المحيط (على كل شيء) على الإطلاق ١٠ من غير شئوية اصلا (شهيد) أى حفيظ حاضر لا يغيب، و رقيب لا يغفل، حفظه له و ربه و حضوره إياه مستعل^٥ عليه قاهر له باحاطة قهره بكل شيء ليتمكن حفظه له على آتم وجهه يريده .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن - ١] الزبير: لما نزه سبحانه نفسه عن تقول الملحدين، و اعلم ان العالم بأسره ينزهه عن ذلك بالسنة أحوالهم ١٥ لشهادة العوالم^٦ على أنفسها^٧ بافتقارها لحكيم أو جدها، لا يمكن [أن - ٨] يشه شيئا منها بل ينزه^٩ من أوصافها و يتقدس^{١٠} عن سماتها، فقال

(١) من ظ و م ، وفي الأصل: اخذ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل: نور - كذا (٣-٣) -قط ما بين الرقین من م (٤) م : امر مولاه (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : مستقل (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بانفسها (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : تنزل . (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : قدس .

”سبح لله ما في السموات والارض“ ومضت اى تعرف بعظيم سلطانه
وعلى ملكه، ثم انصرف الخطاب إلى عباده في قوله ”امنوا بالله ورسوله“
إلى ما بعد ذلك من الآى، وكان ذلك ضرب من الالتفات، والواقع
[هنا -] منه أشبه بقوله سبحانه في سورة البقرة ”وإذ قال ربك للئنكة“
فانه بعد تفصيل حال المتقين وحال من جعل^٢ في طرف منهم وحال ه
من يشبه بظاهره بالمتقين وهو معدود في شرار الكافرين، فلما تم هذا
النمط عدل بعده إلى دعاه الخلق إلى عبادة الله وتوحيده ”يا أيها الناس
اعبدوا ربكم“ ثم عدل بالكلام جملة و صرف الخطاب إلى تعريف نبيه
عليه الصلاة والسلام بين أيدي الخلق ”وإذ قال ربك للئنكة إني جاعل
في الارض خليفة“ فجاء ضربا من الالتفات فكذا^٣ الواقع هنا بين ١٠
سبحانه حال مشركى العرب وقبح عنادهم^٤ وقرعهم ووبخهم في عدة
سور غالب آيها جار على ذلك^٥ ومجدد له أولها^٦ سورة «ص»، كما نبه عليه
في سورة القمر، وإلى الغاية التى ذكرت فيها إلى أن وردت سورة
القمر منبئة بقطع دارهم، وأنجز فيها^٧ الإعداد المنبهة^٨ عليه وكذا في سورة
الرحمن بعدها، ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال النزل الأخر اوى في سورة ١٥
الواقعة مع زيادة تقريص وتوبيخ على مرتكبات استدعت تسديحه
تعالى وتقديسه عن شنيع قرائتهم فأتبع بسورة^٩ الحديد، ثم صرف فيها

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: حصل (٣) من ظ و م، وفى
الأصل: فكذا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عناده (٥-٥) من ظ و م،
وفى الأصل: بحمد الله اواه - كذا (٦-٦) من م، وفى الأصل و ظ:
الاعداد المنبهة (٧) من م، وفى الأصل و ظ: سورة.

الخطاب إلى المؤمنين، واستمر ذلك إلى آخر السورة، جرت سورة
المجادلة على هذا القصد مصروفاً خطابها إلى نازلة تشوفه المؤمنين
إلى تعرف حكمها، وهو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعد في الكلام
بعد كما كان قد صرف إليه في قوله "امنوا بالله ورسوله" بأكثر من
٥. التعرض لبيان حكم يقع منهم، ثم أن السور الواردة بعد إلى آخر
الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء ما قصد من التعريف
بأخبار القرون / السالفة و الامم الماضية، و تقرير من عاند و تويخه،
و ذكر مثال الخلق و استقرارهم الاخرى، و ذكر تفاصيل التكاليف
و الجزاء عليها من الثواب و العقاب، و ما به استقامة من استجاب
١٠. و آمن^٢ و ما يجب أن يلتزمه على درجات التكاليف و تأكيدها، فلما كمل
ذلك صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين في أحكامهم و تعريفهم^٣ بما
فيه من خلاصهم، فمعظم آي سورة بعد هذا شأنها، وإن أتمر غيرها
فلا استدعاء موجب وهو الأقل كما بينا - انتهى .

/ ٢٤١

و لما كان هذا الإخبار عن إحاطة علمه و شمول قدرته مع أنه
١٥. بديهي التصور - يحتاج عند من جره الهوى إلى الشرك المقتضى للنقص
إلى دليل [معه -^٤] فقد كان العرب يتكرومون أن يسع الناس كلهم إله

(١) من ظ و م، وفي الأصل: مصروف (٢) زيد في الأصل: معظم،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٣ - ٢) من ظ و م، وفي الأصل:
الحبات - كذا (٤) من ظ و م، وفي الأصل: و لما (٥) من ظ و م، وفي
الأصل: تقريرهم (٦) زيد من ظ .

واحد، قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهيدى ليقيد الإنسان بما يراه
من المحسوسات، قاصرا الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم
ذلك حق فهمه^١ غيره: (الم تر) أى تعلم علما هو فى وضوحه
كالرقية بالعين (إن الله) أى الذى له صفات الكمال كلها
(يعلم ما فى السموات) كلها، ولما كان الخطاب لأعلى الخلق، وكان
المقام لإحاطة العلم، وكان خطابه صلى الله عليه وسلم بذلك إشارة للسامعين
إلى وعورة هذا المقام وأنه بحيث لا يكاد يتصوره ولا يفهمه حق فهمه
إلا هو صلى الله عليه وسلم ومن ألحق به ممن صفا فهمه وسوى ذهنه
وانخلع من الهوى والعوائق، جمع وأكد بإعادة الموصول، فأفراده
صلى الله عليه وسلم بالخطاب بعد أن كان مع المظاهر ثم المجازين ١٠
إشارة إلى التعظيم وتأكيده تبيها على صعوبة المقام بالتعميم ليرعى حق
الرعى توفية بحق التعليم^٢ كما رعته الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله
عنها فى قولها "سبحان من وسع^٣ سمعه الأصوات"^٤ يعنى فى سمعه^٥
مجادلة المرأة وهو فى غاية الخفاء فقال تعالى: (وما فى الارض) أى
كليات ذلك وجزئياته، لا يغيب عنه شيء منه، بدليل أن تديره يحيط ١٥
بذلك على أم ما يكون، وهو يخبر من يشاء من أنبيائه وأصفيائه
بما يشاء من أخبار ذلك، القاصية والدانية، الحاضرة والغائبة، الماضية

(١) من م، وفى الأصل وظ: علمه (٢) من م، وفى الأصل وظ: التعظيم.
(٣) من م، وفى الأصل وظ: سمع (٤) مضى فى أوائل هذه السورة.
(٥) من ظ و م، وفى الأصل وظ: سمعه.

والآية - فيكون كما أخرج .

ولذلك كان ذلك وإن كان معلوماً يتعذر إحاطة الإنسان بكل جزئ

منه دل عليه بما هو أقرب [منه - ١] فقال : (ما تكون) بالفوقاية

في قراءة أبي جعفر^٢ لتأنيث النجوى إشارة إلى العلم به ولو ضمنت

إلى أعظم حد ، وقرأ الباقون بالتحانية للحائل ، ولأن التأنيث غير

حقيق ، وهي على كل حال من كان ، التامة ، وعمم النبي بقوله :

(من نجوى) أى تناجى متناجين ، جعلوا نجوى مبالغة ، و النجوى :

السرو والمسارون ، أمم و مصدر - قاله في القاموس ، وقال عبد الحق في

الواعى : النجوى / الكلام بين الاثنين كالسر والتشاور - انتهى . [و - ٢] / ٢٤٢

١٠ أصله من النجوى - للارتفاع من الأرض ، و النجو : الخالص والقطع

وكشط الجلد والحدث والكشف ، لأن المسار يرفع ما كان في ضميره

إلى صاحبه ويخلصه بمسارته له ويقطعه من ضميره ويكشطه منه

ويحدثه ويكشفه .

ولما كانت النجوى لا تكمل إلا بثالث^١ يحفظ الأناجى بادامة الاجتماع

١٥ لأن الاثنين يتفردان عند عروض حاجة لأحدهما ويكونان [في - ٢]

التناجى والتشاور كالمتنازعين ، والثالث^٢ وسط بينهما^٣ مع أنه سبحانه

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : جزء (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع نثر

المرجان ٢٤٤/٧ (٤) زيد في الأصل و ظ : بها ، ولم تكن الزيادة في م لحدفاها .

(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : الارتفاع (٦) في ظ : بثلاث (٧-٧) من ظ و م ،

وفي الأصل : بينهما و - ط .

وثر يجب الوخاء والثلاثة أول أوتار العنقا، كما كان حافظاً لها في أول
الأزل قال: (ثلاثة) أى في حال من الأحوال (الأهورابهم) أى
أى مصيرهم أربعة، فهو اسم فاعل والمعنى يعلبه و قدرته كما يكون كل
مضى المتاجين عالمين بنجوى البيض، فروح النجوى العلم بالسرى.

ولما كان الثلاثة قد يريد أحدهم أن يفرد بآخر منهم، فيصير هو
الثالث وحده، فإذا كانوا أربعة دام الأيسر بينهم ثم لا يكمل إلا بخامس
يحفظ الاجتماع إذا عرضت لاحد الاثنين حاجة قال: (ولا خمسة)
أى من بجوام (الأهو سادسهم) كذلك، فالحاصل أنه ما يكون
من وز إلا كان هو سبحانه شافع وترته، وأما وترته [هو - ١]
سبحانه فقد كانت ولا شىء معها أصلاً، وستكون ولا شىء معها، فلا وتر ١٠
في الوجود على الحقيقة غيره.

ولما علم بالتكرير أن ما ذكر على سبيل المثال لا معنى يخصه من
جهة العلم، عم بقوله: (ولا ادنى) فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير
و[هو - ٢] أخفى منه (من ذلك) أى الذى ذكر وهو الواحد
والاثنان والأربعة الذى بعيد عن رتبته وإن كان قد شرفه سبحانه ١٥
باطلاق معيته بعد أن لانسبة له منها.

ولما كان العلم بالكثير أعسر من أجل انتشاره [قال - ٦]:

(١) من ظ و م، وفى الأصل: جماعة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
وفى الأصل: على (٤) زيد فى الأصل: النفى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لخذناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل: التكثير (٦) زيد ولا بد منه.

(ولآ) أى يكون من نجومى (اكثر) أى من ذلك كالسته فسا
فوقها لا إلى نهاية - هذا التقدير على قراءة الجماعة بالجور بفتحة الواو
ورفع يعقوب^١ على محل من «نجومى» (الا هو معهم) أى يعلم ما يجرى
منهم وبينهم، ويلزم من إحاطة علمه إحاطة قدرته كما تقدم فى طه
ه لتكمل شهادته .

ولما كان العموم فى المكان يستلزم [العموم - ٢] فى الزمان،
وكان المكان أظهر فى الحس قال: (ابن ما) أى فى مكان (كانوا) (٤)
فانه لا مسافة بينه وبين شىء من الأشياء لانه الذى خلق المسافة، وعلمه
بالأشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ولا بسبب
١٠ من الأسباب غير وجوده على ما هو عليه من صفات الكمال، قال
الرازى: ما فارق الاكوان الحق ولا قارنها، كيف يفارقها وهو
موجدها وحافظها ومظهرها، وكيف يقارن؛ الحدث القدم وهو به
قوام الكل، وهو القيوم على الكل - انتهى . والحاصل أنه سبحانه
لا يخفى عليه شىء من العالم وإن بلغ فى دقته إلى ما لا يتقسم، وهو شاهد
١٥ لذلك كله حفظا وعلما وإحاطة وحضورا، وآية ذلك فى خلقه أن

جملة الجسم^٢ يحيى / بالروح، فلا يبقى جزء منه إلا وهو محفوظ بالروح / ٢٤٣

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بفتح (٢) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٥ (٣) زيد
ولا بد منه (٤) م، وفى الأصل و ظ: يفارق (٥) من ظ و م. وفى الأصل:
ليس (٦) فى الأصل: الا - كذا (٧) من ظ و م، وفى الأصل: الاسم .

يخس بسببها^١ وهو سبحانه لا يحجب عنه ولا يثب من صفاته حجاب .
 قد صحت المعية وهو بحيث لا يحويه المكان ولا يحصره^٢ العد ، يقبض
 المخلوق ويسطه ، لا يصعد المخلوق ولا صفته ولا فعله ولا معنى من معانيه
 إلى صفة من صفاته ، إنما له من المكان المكافة ، ومن العلم العلا ، ومن
 الأسماء والصفات متقاضا - أشار إلى ذلك ابن برجان وقال : ومن ٥
 تدبر ما قرأه وتفهم ما تعلمه أدرك من التحقيق ما يحسن بسبيل تبيانه
 ما قدر له ، ألا ترى إلى الجن أين مكانهم وإن كانوا موصوفين به ثم
 الملائكة^٣ أرفع قدرا ومكانة ، بل إن الروح من جميع الجملة التي تحملها ،
 به حيث وبه تديرها وبه قيامها بأذن الله خالقه ، قال عليه الصلاة
 والسلام في خطبته الكبرى وهي آخر خطبة خطبها أخرجها الحارث ١٠
 ابن أبي أسامة : رقى المنبر وقال : أيها الناس ادنوا وأوسعوا لمن خلفكم
 - ثلاث مرات ، فدنى الناس وانضم بعضهم إلى بعض ، والتفتوا فلم يروا
 أحدا ، فقال رجل منهم بعد الثالثة : لمن نوسع^٤ يا رسول الله للملائكة ؟
 فقال^٥ : لا إنهم إذ كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم [ولا من خلفكم -^٦]
 ولكن عن أيمنكم وعن شمائلكم ، [وعلى ذلك -^٧] فليسوا في مكان ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : نشيها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 لا يحصر (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : ملائكة (٤) من ظ و م . وفي
 الأصل : وفي (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : أوسع (٦) ومن هنا انقطعت
 نسخة م إلى ما سنبه عليه (٧) زيد في الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة في ظ
 فخذناها (٨) زيد من ظ .

الآيمان' هنا و الشمانل بل فى المكان' من ذلك ، فالله جل جلاله أعلى
و أجل و أنزه مكانة و أكرم استواء - انتهى .

و لما كان الإنسان نساء و لاسيما إن تيمادى [به - ٢] الزمان ، قال
عاطفا على ما تقديره: فيضبط' عليهم حركاتهم و سكناتهم من أقوالهم
٥ و أفعالهم و أحوالهم ، و يحفظها على طول الزمان كما كان حافظا' لها
قبل خلقها ثم أزل الأزل (ثم ينبتهم) أى يخبر أصحابها لإخبارا عظيما
(بما عملوا) دقيقة و جليلة (يوم القيمة) الذى هو المراد الأعظم
من الوجود لإظهار الصفات العلى فيه' آتم إظهار . و لما أخبر تعالى بهذا
الامر العظيم ، عله بما هو دليل على الشهادة فقال مؤكدا لما لهم [من
١٠ الإنكار - ٢] قولا أو فعلا بالاشتراك الذى [بلوم - ٢] منه النقص
(ان الله) أى الذى له الكمال كله . و لما كان المقام للإبلاغ فى
إحاطة العلم ، قدم الجار كما مضت الإشارة إليه غير مرة قال: (بكل شئ)
بما ذكر و غيره (عليهم) أى بالغ العلم فهو على كل شئ قدير ، فهو
على كل شئ شهيد ، لأن نسبة ذاته الأقدس إلى الأشياء كلها على حد
١٥ سواء لا فرق أصلا بين شئ و آخر ، قال القشبرى: معية الحق سبحانه
و إن كانت على العموم بالعلم و الرؤية' و على الخصوص بالفضل و النصرة ،
فلهذا الخطاب فى قلوب أهل المعرفة أثر عظيم إلى أن ينتهى الأمر بهم

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ ، و فى الأصل: المكانة (٣) زيد من
ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: فيفضه (٥) من ظ ، و فى الأصل: حافظ
(٦) من ظ ، و فى الأصل: فيها (٧) من ظ ، و فى الأصل: التروية .

إلى التأويل، فلولوه والهيان في خمار سماع هذا عين رعد .

ولما كان هذا الدليل [أيضا-١] تعذر الإحاطة^٢ به، قال دالا

عليه بأمر^٣ جزئي واقع بلم المحدث عنه حقيقة، فان عاند بعده سقط عنه^٤

الكلام إلا بجد الحسام: (المتر) أي تعلم علما هو كالرؤية، ودل

على سفول رتبة المرئي بإبعاده عن أعلى الناس قدرا بحرف الغاية فقال: ه

(إلى الذين) ولما كان العاقل من إذا زجر عن شيء انزجر حتى يتبين

٢٤٤/

له أنه لا ضرر عليه في فعل ما زجر عنه، [عبر-١] / بالبناء للمفعول فقال:

(نهوا) أي من ناه ما^٥ لا ينبغي للنهي مخالفته حتى يعلم أنه مأمون الغائلة

(عن التجوى) أي^٦ الإسرار لإحلال أنفسهم بذلك في محل التهمة

بما لا يرضى [من-١] رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما قال ١٠

أبو العلاء المعري:

والخل كالماء يبدى لى ضمائر^٧ مع الصفاء ويخفيها من الكدر^٨

ولما كان الناهي هو الله، فكان هذا للنهي أهلا لأن يبعد منه غاية

البعد، عبر بأداة التراخي فقال: (ثم يعودون) أي على سبيل الاستمرار

لأنه إذا وقعت مرة بادروا إلى التوبة منها أو فلتة وقعت معفوا عنها ١٥

(لما نهوا عنه) أي من غير أن يعدوا لما يتوقع من جهة الناهي من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: لاحاطة (٣) من ظ، وفي الأصل:

بامرى (٤) في ظ: عند (٥) في الأصل و ظ: بما (٦) في الأصل و ظ: عن .

(٧) من ظ، وفي الأصل: ضمائر (٨) من ظ، وفي الأصل: الكدر .

(٩) سقط من ظ .

الضرر عدة ﴿ ويتنجون ﴾ أى يقبل جميعهم على المناجاة إقبالا واحداً،
 فيفعل كل منهم ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار،
 وقراءة حمزة^١ « ويتنجون » بصيغة الاقتعال يدل على التعمد والمعادنة
 ﴿ بالاثم ﴾ [أى - ٢] بالثى الذى يكتب عليهم به الإثم بالذنب
 ٥ وبالكذب وبما لا يحل^٢ . ولما ذكر المطلق أتبعه المقيد بالشدة فقال :
 ﴿ والعدوان ﴾ أى العدو الذى هو نهاية فى قصد الشر بالإفراط فى
 مجاوزة الحدود . ولما كان ذلك شراً فى نفسه أتبعه الإشارة إلى أن
 الشىء يتغير وصفه بالنسبة إلى من يفعل معه فيكبر بكبر المعصى فقال :
 ﴿ ومعصيت الرسول ﴾ أى الذى جاء إليهم من الملك الأعلى ، وهو
 ١٠ كامل الرسلية ، لكونه مرسلًا إلى جميع الخلق وفى كل الأزمان ، فلا نبى
 بعده ، فهو لذلك يستحق غاية الإكرام .

ولما أنهى تعظيم الذنب إلى غايته آذن بالغضب بأن لفت الكلام
 إلى الخطاب فقال : ﴿ وإذا جاؤك ﴾ أيها الرسول الاعظم الذى يأتيه
 الوحي من أرسله ولم يغب أصلا عنه لأنه المحيط علما وقدرة ﴿ حيوك ﴾
 ١٥ أى واجهوك بما يعدونه تحية من قولهم : السام^٣ عليك ونحوه ، وعم
 كل لفظ بقوله : ﴿ بما لم يحيك به الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر

(١) راجع ثر المرجان ٧ / ٢٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : انتهى ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٤) من ظ ، وفى الأصل : محاوزة .
 (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : التعظيم (٦) زيد فى الأصل : العظيم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ فخذناها (٧) من ظ ، وفى الأصل : السلام .

لأحد معه فن تجاوز ما شرعه فقد عرض نفسه لسخطه ، وما دخل فيه قول بعض الناس لبعض « صباح الخير » ونحوه معرضا عن السلام . ولما كان المشهور عنهم أنهم ' يخفون ذلك جهدهم و يعلنون بأملأه الله لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه ، وإن اطلع عليه لم يقدر على أن ينتقم منهم ، عبر عن ذلك بقوله : (و يقولون) أى عند الاستدراج بالإملأه مجددین قولهم مواظبين عليه (فى انفسهم) من غير أن يطلعوا عليه أحدا : (لولا) أى هلا ولم لا (يعذبنا الله) أى الذى له الإحاطة بكل شئ على زعم من باهانا (بما نقول) مجددین مع المواظبة إن كان يكرهه - كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم .

ولما تضمن هذا عليه سبحانه و تعالى بهذه الجزئية من هؤلاء القوم ١٠

٢٤٥ / ثبت بذلك عليه سبحانه بجميع ما فى الكون ، / لأن نسبة الكل إليه على حد سواء ، فإذا ثبت عليه ببعض ثبت عليه بالكل [فثبت قدرته على الكل -] فكان على كل شئ شهيدا ، [قال -] مهودا لهم مشيرا إلى أنه لا ينبغي لأحد أن يقول مثل هذا إلا إن كان قاطعا بأنه لا يحصل له عذاب ، أو يحصل له منه ما لا يبالي به ثم يرد به بقوته : (حسبهم) ١٥
أى كفايتهم فى الانتقام منهم وفى عذابهم ورشقهم بسهام لحيها و منكبى شررها و تصويب صواعقها (جهنم ج) أى الطبقة التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة والتكروه والفضاظة . فان حصل لهم فى الدنيا عذاب كان

(١ - ١) فى ظ : كانوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يقدر (٣) زيد من ظ .

(٤) ومن هنا استأنف نسخة م (٥) - سقط من ظ .

زيادة على الكفاية ، فاستعجلهم بالعباد محض رعونته (يصلونها) أى
يقامون عندها دائما فاني قد أعددتها لهم . ولما كان التفتيرية فانهم
[يضيرون - ١] إليهم لا يذ ، حسب عنه قوله : (فبئس المصيرة) أى
مصيرهم ، ويسبب ذلك أن اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
و ينظرون إلى المؤمنين و يتغامزون^١ و هو منهم أنهم يتناجون فيما يسوءهم
فيظنون أنه بلغهم شيء من إخوانهم الذين خرجوا في سرايا غزاة في
سبيل الله من قتل أو هزيمة فيحزنهم ذلك ، فشكوا [ذلك - ١] إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهام عن التناجي في هذه الحالة فلم
ينتهوا . [و - ٢] روى أحمد^٢ و البزار و الطبراني بإسناد - قال الهيثمي في
المجمع^٣ إنه جيد لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة -
عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : سام عليك . ثم يقولون في أنفسهم : لولا يعذبنا الله
بما نقول ، فنزلت . و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك : إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب
١٥ فقولوا " و عليك " .

و لما نهى عن التجوى و ذم على فعلها و توعده عليه فكان ذلك

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ثم انهم (٣) زيد في الأصل :
حتى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) في ظ :
على (٦) راجع المسند ١٧٠/٢ (٧) راجع ١٢٢/٧ (٨) - سقط من ظ و م (٩) من
ظ و م و المجمع ، و في الأصل : حال .

موضع انديظن أن النهى عام لكل مجرى و إن كانت بالخير، استأنفت
قوله^١ مناديا بالأداة التي لا يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبراً بأول
أسنان الإيمان باقتضاء الحال له؛ (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا أئمتهم
أوجدوا هذه الحقيقة (إذا تاجيتهم) أي قلع كل منكم الكلام من نفسه
رفعه^٢، وكشفه لصاحبه سرا (فلا تناجوا) أي توجدوا هذه الحقيقة
ظاهرة كتناجى المنافقين (بالأسم) أي الذنب وكل فعل يكتب بسببه
عقوبة. ولما عم خص فقال: (والعدوان) أي الذي هو العدو
الشديد بما يؤدي وإن كان العادي يظن أنه لا يكتب عليه به إثم.
ولما كان السياق لإجلال^٣ النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه لا تعرف
حقيقته الإثم إلا منه قال تعالى: (ومعصيت الرسول) أي الكامل في ١٠
الرسالية^٤ فإن ذلك يشوش فكره فلا يدعه يبالغ رسالات ربه / وهو منشرح^٥
الصدر طيب النفس.

ولما علم أن نهيهم إنما هو عن شر يفسد ذات البين وهو ما لا يريدون
إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم [عليه -^٦]، صرح بقوله حثا على إصلاح
ذات البين لأن خير الأمور ما عاد [بإصلاحها، وشر الأمور ما عاد -^٧] ١٥
بإفسادها: (و تناجوا بالبر) أي بالخير الواسع الذي فيه [حسن -^٨]

- (١-١) سقط ما بين الرهين من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فرغوا .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لاجل (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الرسالة .
(٥) في ظ : مفتوح (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : يفيد (٧) زيد من م .
(٨) زيد من ظ و م .

الترية . ولما كان ذلك قد يعمل طبعا، حث على القصد الصالح بقوله:
 ﴿ والتقوى ﴾ وهي ما يكون في نفسه ظاهرا أنه يكون سترة تقى من
 عذاب الله بأن يكون مرضيا لله ولرسوله .

ولما كانت التقوى أم المحاسن ، أكسدها ونبه عليها بقوله:
 ﴿ واتقوا الله ﴾ أى اقصدا قصدا يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم وبين
 سخط الملك الأعظم وقاية . ولما كانت ذكرى الآخرة هى جمع المخاوف
 ولا سيما فضائح الأسرار على رؤس الأشهاد قال: ﴿ الذى إليه ﴾ أى
 خاصة ﴿ تحشرونه ﴾ أى تجمعون بأيسر أمر وأسهل بقهر وكره، وهو
 يوم القيامة، فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والإنصاف بينهم بالعدل
 ١٠. ومحاسبتهم على النقيير والقطمير^٢ لا يخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية
 تنكشف فيه سرادقات^٤ العظمة، ويظهر [ظهورا - °] تاما نفوذ
 الكلمة، ويتجلى فى مجالى العز سطوات القهر، وتنبث^١ لوامع الكبر،
 فاذا فعلتم ذلك مستحضرين لذلك لم تقدموا على شئ تريدون إخفاءه من
 النبى صلى الله عليه وسلم، فيكون ذلك أقر لعينه وأظهر لكم .

١٥ ولما شدد سبحانه فى^٧ أمر النجوى^٦ وكان لا يفعلها إلا أهل النفاق،
 فكان ربما ظن ظان أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين، قال سارا للخلصين

(١) من ظ و م، وفى الأصل: هو (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ذكر .
 (٣) زيد فى الأصل: الفتيل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من
 ظ و م، وفى الأصل: مرادوات (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفى
 الأصل و ظ: تثبت (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: امرا .

[و-١] غاما للناققين، ومبينا أن ضررها إنما يعود عليهم: (إنما النجوى) أى المعهودة وهى المهى عنها، وهى ما كرهه صاحبه أن يطلع^٢ بقلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: ما خيله الشيطان من الأحكام المكروهة للإنسان (من الشيطان) أى مبتدئة، من المحترق بطرده عن رحمة الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها فقاعلها تابع لأعدى أعدائه ه مخالف لأوليائه .

ولما بين أنها منه، بين الحامل له على تزيينها فقال: (ليحزن) أى الشيطان^٣ ليوقع الحزن فى قلوب^٤ (الذين آمنوا) أى يتوهمهم أنها بسبب شىء وقع مما يؤذيهم، والحزن: هم غليظ وتوجع يرق له القلب، حزنه وأحزنه بمعنى، وقال فى القاموس: أ. أحزنه: جعله حزينا، وحزنه: ١٠ جعل فيه حزنا، فعلى هذا قراءة نافع^٥ من أحزن أشد فى المعنى من قراءة الجماعة .

ولما كان ربما خيل هذا من فى قلبه مرض أن فى يد الشيطان شيئا [من الأشيئ-١]، سلب^٦ ذلك بقوله: (و ليس) أى الشيطان وما حمل^٧ عليه من التاجى، / وأكده النقى بالجار فقال: (بضآرم) أى ١٥ / ٢٤٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ذكره (٣) من ظ و م، وفى الأصل: يتطلع (٤) فى ظ و م: ممتدة (٥-٥) سقط ما بين الرفين منه م (٦) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٥١ (٧) من ظ و م، وفى الأصل: سلب عن (٧) من ظ و م، وفى الأصل: هو .

الذين آمنوا ﴿ شيئا ﴾ من الضرر و إن قل و إن حتى - بما أفهمه الإدغام
 ﴿ الا باذن الله ﴾ أى تمكين الملك المحيط 'بكل شيء' علما و قدرة ، روى
 الشيخان^١ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 إذا كنتم ثلاثة فلا يتأجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه .
 ٥ ولما كان التقدير: فقد علم أنه لا يخشى أحد غير الله لأنه لا ينفذ إلا ما
 أراد، فإياه فليخش المرءيون، عطف عليه قوله: ﴿ و على الله ﴾ أى
 الملك الذى لا كفوء له، لا على أحد غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ٥ ﴾ أى
 الراسخون فى الإيمان فى جميع أمورهم . فانه القادر وحده على إصلاحها
 و إفسادها، و لا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره و لا بجهره، فانهم إذا
 ١٠ توكلوا عليه و فوضوا أمورهم^٢ إليه . لم يأذن فى حزنهم ، و إن لم يفعلوا
 أحزنهم ، و خص الراسخين لإمكان ذلك منهم فى العادة . و أما أصحاب
 البدايات فلا يكون ذلك منهم إلا خرق عادة .

ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس^٤ بالمقال
 فينشأ عنه ظن الكدر و تباعد القلوب ، أتبعه الاختصاص بالمجلس^٥ الذى
 ١٥ هو مباحة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر
 فى الكلام فينشأ عنه الحزن ، معلما لهم بكال رحمة و تمام رأفته بمراعاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) راجع صحيح البخارى ٢ / ٩٣١
 و صحيح مسلم ٢ / ٢١٩ (٣) من م ، وفى الأصل وظ : اسره (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل : الحس بالكلام و (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بالجن .

حسن الأدب^١ بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة،
فقال مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا في الإيمان لأنهم المحتاجون مثل هذا
الأدب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ حذام بهذا الوصف على الامتثال
﴿ إذا قيل لكم ﴾ أي من أي قائل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته:
﴿ تفسحوا ﴾ أي توسعوا^٢ أي كفوا أنفسكم في إيساع المواضع^٥
﴿ في المجلس ﴾ أي الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجدد مجلسا
يجلس فيه، والمراد بالمجلس جنس المكان الذي هم ما نشون به بجلوس^٦
أو قيام في صلاة أو غيرها لأنه أهل لأن يجلس فيه، وذلك في كل
عصر، ومجلس النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك، وقراءة عاصم^٧
بالجمع موضحة لإرادة الجنس ﴿ فافسحوا ﴾ أي وسعوا فيه عن سعة^{١٠}
صدر ﴿ يفسح الله ﴾ أي الذي له الأمر كله والعظمة الكاملة ﴿ لكم ﴾
في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين .

ولما كانت^٨ التوسعة يمكن فيها التزحزح مع دوام الجلوس تارة
وأخرى تدعو الحاجة فيها إلى القيام للتحويل^٩ من مكان إلى آخر قال:
﴿ وإذا قيل ﴾ أي من قائل كان - كما مضى - إذا^{١١} كان يريد الإصلاح^{١٥}

(١) في ظ: الآداب (٢) من ظ و م، وفي الأصل: اتسعوا (٣) من ظ و م،
وفي الأصل: جلس (٤) من ظ و م، وفي الأصل: في جلوس (٥) راجع
نثر المرجان ٧ / ٢٥٣ (٦) من م، وفي الأصل و ظ: ضفة (٧) من ظ، وفي
الأصل و م: كان (٨) من ظ و م، وفي الأصل: التحول (٩) من م، وفي
الأصل و ظ: ان .

والخير (أنشزوا) أى ارتفعوا : انهضوا / إلى الموضع الذى تؤمرون به أو يقتضيه الحال للتوسعة أو غيرها من الأوامر كالصلاة أو الجهاد وغيرهما (فانشزوا) [أى - ٢] فارتفعوا و انهضوا (يرفع الله) الذى له جميع صفات الكمال ، عز بالجلالة و أعاد^٢ إظهارها موضع الضمير ٥ ترغيبا فى الامتثال لما للنفس من الشح بما يخالف المألوف (الذين آمنوا) وإن كانوا غير علماء (منكم) أيها المأمورون بالنفسح السامعون للأوامر ، المبادرون إليها^٣ فى الدنيا و الآخرة بالنصر و حسن الذكر بالتسكن فى وصف الإيمان الموجب لعلو الشأن بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم فى سعة صدورهم بتوسعتهم لإخوانهم .

١٥ ولما كان المؤمن قد لا يكون^١ من المشهورين^٢ بالعلم قال : (والذين) ولما كان العلم فى نفسه كافيا فى الإعلاء من غير نظر إلى مؤت معين ، بنى للفعول قوله : (اتوا العلم) أى و هم مؤمنون (درجت^٣) درجة بامتثال الأمر و أخرى بالإيمان ، و درجة بفضل عليهم و سابقتهم^٤ - روى الطبرانى^٥ و أبو نعيم فى كتاب العلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ١٥ النبى صلى الله عليه وسلم قال : من جاءه أجله^٦ و هو يطلب العلم ليحيى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اراد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتوسع (٥) زيد فى الأصل : بالامتثال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل و م : مشهورا (٧) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٨) راجع مجمع الزوائد ١ / ١٢٣ (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : اخوه - كذا .

به الإسلام لم يفضله النبيون إلا بدرجة واحدة، رواه البخاري^١ و ابن السني
 في رياضة المتعلمين عن الحسن غير منسوب، قال شيخنا: فقيل: هو البصري
 فيكون ترسلًا، و عن الويزر: العلم ذكر فلا يجنب^٢ إلا ذكور^٣ الرجال .
 وكلما كان الإنسان أعظم كان أذكرا^٤، ولعله ترك التقييد به من^٥ في هذا
 وإن كانت مرادة^٦ ليفهم أن العلم يعلى صاحبه مطلقا، فإن كان مؤمنا^٧
 عاملا بعلمه كان النهاية، وإن كان عاصيا كان أرفع من مؤمن غاص
 و عار عن العلم، وإن كان كافرا كانت رفعة دينوية بالنسبة إلى كافر
 لا يعلم، و دل على ذلك بحتم الآية بقوله مرغبا مرهبا: (و الله) أى و الحال
 أن المحيط بكل شيء قدرة و علما (بما تعملون) أى حال الأمر و غيره
 (خيره) أى عالم بظاهره و باطنه، فإن كان العلم مزينا بالعمل بامثال ١٠
 الأوامر و اجتناب النواهي و تصفية الباطن^٨ كانت الرفعة على حسبه،
 و إن كان^٩ على غير ذلك فكذلك،^{١٠} و قدم الجار و مدخوله و إن كان
 علمه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبها على مزيد الاعتناء بالأعمال^{١١}،
 لاسيما الباطنة من الإيمان و العلم اللذين هما الروح الأعظم، لأن المقام
 لنزول الإنسان عن مكانه^{١٢} بالتفسح و الانخفاض و الارتفاع، و لا يخفى ١٥

(١) راجع السنن ص : ٥٥ (٢) من ظ و م، وفي الأصل : فلا يبيحه (٣) من ظ ،
 وفي الأصل و م : ذكورة (٤) في ظ : أشد الرجال في الذكورة و انضلم
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : موافقة (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : البواطن .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : كانت (٨ - ٨) تنقظ ما بين الرقين من ظ
 (٩) زيد بعده في الأصل : و مقامه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفها .

ما في ذلك من حظ النفس الحامل على الجرى مع الدسائس، فكان جديرا
بمزيد الترهيب، وسبب الآية أن أهل العلم لما كانوا أحق بصدر المجلس
لأنهم أوعى لما يقول صاحب المجلس. كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:
ليبنى أولو الاحلام منكم والنهي^١، وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل
بدر^٢ / من المهاجرين والانصار فجاء أناس من أهل بدر منهم ثابت بن
٥ / ٢٤٩
قيس بن شماس وقد سبق غيرهم إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد
عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا
على أرجلهم ينتظرون أن يوسع^٣ لهم فلم يفعلوا فقال لمن حوله من
١٥ [غير -^٤] أهل بدر: قم يا فلان وأنت يا فلان، فأقام من المجلس
بقدر القادمين من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم، وعرف النبي
صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم، فقال المنافقون: أستم تزعمون
أن صاحبكم يعدل، فوالله ما عدل على هؤلاء، إن قوما أخذوا مجالسهم
وأجوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه مكانهم، فأنزله الله
١٥ هذه الآية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يقيم الرجل
[الرجل -^٥] من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم،
رواه مسلم^٥ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الحسن^٦: بلغني أن

(١) والحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه (٢) راجع معالم التنزيل
بهاشم الباب ٧ / ٤٢ (٣) من ظ و م، وفي الأصل: يوسعوا (٤) زيد من
ظ و م (٥) في الصحيح ٢ / ٢١٧ (٦) ذكره البغوي عن الحسن وغيره في العالم
بهاشم الباب ٧ / ٤٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قاتل المشركين فصف أصحابه
رضى الله عنهم للقتال تشاحوا^١ على الصف الأول فيقول الرجل لإخوته:
توسعوا لتلقى العدو فنصيب الشهادة، فلا يوسعون له رغبة منهم في الجهاد
والشهادة، فأزل الله هذه الآية، وهي دالة على^٢ أن الصالح إن كره
مجاورة فاسق منع من مجاورته لأنه يؤذيه ويشغله عن كثير من مهماته،^٥
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار، وقال: أعود
بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول. وقال: شر
الناس من لا يأمن جاره بوائقه، فقال: تعالى معظمًا لرسوله صلى الله عليه
وسلم وناهيا عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمناجاة، ونافعا
للفقراء والتميز^٥ بين المخلص والمنافق ومحبة الآخرة ومحبة الدنيا،^{١٠}
ولما نهى عما يحزن من^٦ المقال والمقام^٦، وكان المنهى عنه من التناجى
إنما هو لحفظ قلب الرسول صلى الله عليه وسلم عما يكدره فهو منصرف
إلى مناجاتهم غيره، وكان ذلك مفهوما أن مناجاتهم له صلى الله عليه وسلم
لا حرج فيها، وكان كثير منهم يتاجبه ولا قصد له إلا الترفع بمناجاته
فأكثروا في ذلك حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم، وكان النافع للإنسان^{١٥}
إنما هو كلام من يلامه في الصفات ويشاكلة في الأخلاق، وكان

(١) من م، وفي الأصل وظ: يصف (٢) من م، وفي الأصل وظ: تساحوا
- كذا (٣-٤) من ظ وم، وفي الأصل: الصلح (٤) من م، وفي الأصل
وظ: وقال (٥) من ظ وم، وفي الأصل: تميزا (٦-٧) من م، وفي
الأصل وظ: المقام والمقال.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس من الدنيا تقذرا لها لأجل
بعض الله لها، أمر من أراد ان ينجيه بالتصدق ليكون ذلك^١ اشارة
على الاجتهاد^٢ في التخلق^٣ بأخلاقه الطاهرة من الصروف عن^٤ الدنيا
والإقبال على الله، ومظها له عما سلفت من الإقبال [عليها -^٥] فان
الهدية برهان على الصديق في الإيمان، وليخفف عنه صلى الله عليه وسلم
/ ما كانوا قد أكثروا عليه من المناجاة، فلا ينجيه إلا من قد خلص^٥ / ٢٥٠
إيمانه فيصدق، فيكون ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة [كما أن الهدية
تكون مهية للقبول كما ورد نعم الهدية أمام الحاجة -^٦] فقال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة
١٠ أغنياء كانوا أو فقراء ﴿إذا ناجيتم﴾ أي أردتم أن تنجوا ﴿الرسول﴾
صلى الله عليه وسلم أي الذي لا أكمل منه في الرسالة فهو أكمل الخلق
ووظيفته تقتضى أن يكون منه الكلام بما أرسله به الملك وتكون هيته
مانمة من ابتدائه بالكلام، فلا يكون من المبلغين إلا الفعل بالامتثال
لا غير ﴿فقدموا﴾ أي بسبب هذه الإرادة العالية^٧ على سبيل الوجوب
١٥ ومثل النجوى كشخص^٨ له يدان يحتاج أن يطهر نفسه ليتأهل للقرب
من الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال -^٩] : ﴿بين يدي نجوتكم﴾ أي
١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : اشارة الى (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي
الأصل : بالتخلق (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الى (٤) زيد من ظ و م
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الرسالة (٧) من ظ
و م ، وفي الأصل : الغالبة (٨) في ظ : شخص .

قبل سرکم الذی تريدون أن ترتفعوا به (صدقة) تكون لكم برهانا
 قاطعا على إخلاصكم كما ورد أن الصدقة زهان، فهي مصدقة لكم في
 دعوى الإيمان التي هي التصديق بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
 وبكل ما جاء به عن الله تعالى، ومعظمه الإعراض عن الدنيا والإقبال
 على الآخرة، ولذلك استأنف قوله: (ذلك) أي الخلق العالی جدا من
 تقديم التصديق قبل المناجاة يا خير الخلق، ولعله أفرد به الخطاب لآله
 لا يعلم كل ما فيه من الأسرار غيره. وعاد إلى الأول فقال: (خير لكم)
 أي في دينكم من الإمساك عن الصدقة (واطهر) لأن الصدقة طهرة
 ونماء وزيادة في كل خير، ولذلك سميت زكاة "خذ من أموالهم صدقة
 تطهرهم وتزكهم بها" والتعبير بأفعل لأنهم مطهرون [قبله - ٦] بالإيمان . ١٠
 ولما أمر بذلك، وكانت عادته أن لا يكلف بما فوق الوسع
 للتخفيف على عباده لاسيما هذه الأمة قال: (فان لم تجدوا) أي ما
 تقدمونه .

ولما كان المعنى الكافي في التخفيف: فليس عليكم شيء، دل عليه
 بأحسن منه فقال: (فان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال، وأكدته ١٥
 لاستبعاد مثله فان اليهود من الملك إذا أزم رعيته بشيء أنه لا يسقطه

(١) من م، وفي الأصل وظ: له (٢) من ظ و م، وفي الأصل: برسول
 الله (٣) من ظ و م، وفي الأصل: شبه ذلك (٤) زيد في الأصل: ذلك،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لخفتها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: كذلك.
 (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: رغبته (٨) من ظ
 و م، وفي الأصل: لا يسقط .

أصلاً ورأساً، ولا سيما إن كان يسيراً، ودل على أنه سبحانه لن يكلف
بما فوق الطاقة بقوله: ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى له صفتا^١ الاستر للساوى
والإكرام باظهار المحاسن ثابتان^٢ على الدوام فهو يفرح ويرحم تارة
بعدم العقاب للعاصي^٣ وتارة للتوسعة للضيق بأن ينسخ ما يشق [إلى ما
يخف -^٤]، وهذه الآية قيل: إنها نسخت قبل العمل بها، وقال على
رضى الله عنه^٥: ما عمل بها أحد غيرى، أردت المناجاة ولى دينار
فصرفه بعشرة دراهم وناجيته عشر مرات أتصدق فى كل مرة بدرهم،
ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس، فنزلت الرخصة فى ترك الصدقة،
وروى النسائي فى الكبرى والترمذى^٦ وقال: حسن غريب وابن حبان
١٠ وأبو يعلى والبزار^٧ عن على رضى الله عنه أنه قال: لما نزلت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: مرهم أن يتصدقوا، قلت: بكم/ يا رسول الله؟
قال: بدينار، قلت: لا يطيقون. قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقون، قال:
فيكم؟ قلت^٨: بشعيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لزهيد،
فأنزل الله تعالى "اشفقتم" الآية. وكان على رضى الله عنه يقول: بى
١٥ خفف الله عن هذه الأمة. وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن
يكون لم يجد عند^٩ المناجاة شيئاً أو أن [لا -^{١٠}] يكون احتاج

/ ٢٥١

(١) من ظ و م . وفى الأصل: صفات (٢) من ظ و م ، وفى الأصل:
ثابتان (٣) من ظ و م ، وفى الأصل: للعاصي (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع
معالم التنزيل بهامش الباب ٤٤/٧ (٦) راجع الجامع ١٦٣/٢ (٧) راجع بجمع
الزوائد ١٢٢/٧ (٨) فى ظ و م : قال (٩) زيد فى ظ و م : له (١٠) من ظ و م ،
وفى الأصل: عنه (١١) زيد من م .

إلى المناجاة .

ولما دل ختم الآية على التخييف، وكان قد يدعى مدعوقاً عدم
الوجدان كذباً فيحصل لهم حرج، وكان تعالى شديد العناية بتجاة هذه
الامة دل على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه، فقال موبخاً لمن يشح على
المال نادياً إلى الخروج عنه من غير إيجاب: ﴿ اشفقتم ﴾ أى خفتم .
من العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفاً كاد أن يفطر قلوبكم
﴿ ان تقدموا ﴾ [اى - ٢] باعطاء الفقراء وهم إخوانكم ﴿ بين يدي نجاكم ﴾
أى للرسول صلى الله عليه وسلم، وجمع لأنه أكثر توبيخاً^٢ من حيث
أنه يدل على أن النجوى تتكرر، وذلك يدل على عدم خوفهم
من مشقة النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ووجود خوفهم من فعل ١٠
التصدق فقال: ﴿ صدقت ﴾ و كان بعضهم ترك وهو واجد فين
سبحانه رحمة لهم بنسخها عنهم لذلك فى موضع العقاب لغيرهم عند الترك .
ولما كان من قبلنا [إذا - ٢] كلفوا الأمر الشاق وحلوا على
التزامه بمثل رفع الجبل فوقهم، فاذا خالفوا عوقبوا، بين فضل هذه الامة
بأنه خفف عنهم، فقال معبراً بما قد يشعر بأن بعضهم ترك عن قدرة: ١٥
﴿ فاذ ﴾ أى حين ﴿ لم تفعلوا ﴾ أى ما أمرتم به من الصدقة للنجوى
بسبب هذا الإشفاق ﴿ و تاب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى كان من
شأن ما هو عليه من العظمة أن يعاقب من ترك أمره ﴿ عليكم ﴾ أى رجع

(١) من ظ وم، وفى الأصل: كذب (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد فى
الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .

بمن ترك الصدقة عن وجدان، و بمن تصدق و بمن لم يجد إلى مثل حاله قبل ذلك من سمة الإباحة و العفو و التجاوز و المعذرة و الرخصة و التخفيف قبل الإيجاب و لم يعاقبكم على الترك و لا على ظهور اشتغال ذلك منكم، قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليالٍ أتم نسخاً، و قال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار. و على كل منهما فهي لم تتصل بما قبلها ٥ نزولا و إن اتصلت بها تلاوة و حلولا (فاقبموا) بسبب العفو عنكم شكراً على هذا الكرم و الحلم (الصلوة) التي هي طهارة لأرواحكم و وصلة لكم بربكم (و اتوا الزكوة) التي هي نزاهة لأبدانكم و تطهيراً و نماء لأموالكم و صلة بأخوانكم، و لا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه، ١٠ فالصلاة نور تهدي إلى المقاصد الدنيوية و الآخروية، و تعين على نوائب الدارين، و الصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة.

ولما خص أشرف العبادات البدنية و أعلى المناسك المالية، عم فقال حائثاً على زيادة النور و البرهان اللذين بهما تقع المشاكلة في الأخلاق فتكون المناجاة عن أعظم إقبال و إفاق قال: (و اطيعوا الله)

١٥ / ٢٥٢ / أي الذي له الكمال كله فلم يشركه في إيداعه لكم على ما أتم عليه أحد

(١) من ظ و م، و في الأصل: من (٢) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٤٥/٧ (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و م، و في الأصل: منها (٥) من ظ و م، و في الأصل: ظهر (٦) من ظ و م، و في الأصل: تطهيرا (٧) من ظ و م، و في الأصل: اشراف (٨) من م، و في الأصل و ظ: من (٩-٩) من ظ و م، و في الأصل: الاقبال

(ورسوله ^١) الذى عظمته من عظمته فى سائر ما يأمر^٢ به فانه ما أمركم لاجل إكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم إلا بالحنيفية السمحة، وجعل المحافظة على ذلك قائمة مقام ما أمركم به، ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على التجوى .

و لما كان قد عفا عن أمر أشعر السياق بأنه وقع فيه تفریط، فكان ه ذلك ربما جرى على انتهاك الحرمات، رهب من جناحه باحاطة العلم، و عبر بالخبر لأن أول الآية ونخ على أمر باطن ولم يبلغ بتقديم الجار لما فيها من الأمور الظاهرة. فقال عاطفا على ما تقديره: فانه يحب الذين يطعمون: (والله) أى الذى أحاط بكل شىء قدرة وعلما (خير بما تعملون ^٤) أى تجديدون عمله، يعلم بواطنه كما يعلم ظواهره .

١٠ و لما أخبر باحاطة علمه ردعا^٣ لمن يفتتر^٤ بطول حمله، دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذى هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرها معظما للقيام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق صلى الله عليه وسلم تنبيها على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره: (الم تر) ودل على بعدم عن الخير بحرف الغاية فقال: (الى الذين تولوا) أى تكلفوا بغاية جهدم ١٥ أن جعلوا أولياءهم الذين يزولون بهم أمورهم (قوما) ابتغوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة (غضب الله) أى الملك

(١) من ظ و م، وفى الأصل: يأمركم (٢) من ظ و م، وفى الأصل: امر بما - كذا (٣) من ظ و م، وفى الأصل: ودعا (٤) من ظ و م، وفى الاصل: هر - كذا (٥) من ظ و م، وفى الأصل: عنده .

الاعلى الذى لا ندا له (عليهم^١) أى على المتولين و المتولين^٢ لانهم
 قطعوا ما بينهم وبينه ، و الأدلون هم المناقون تولوا اليهود ، و زاد فى
 الشناعة عليهم بقوله مستانفا: (ما هم) أى اليهود المغضوب عليهم (منكم)
 أيها المؤمنون لتوالوهم خوفا من السيف و رغبة فى السلم (و لا منهم^٣) أى
 المناقين ، فتكون موالاتهم لهم^٤ لمحبة سابقة و قرابة شائكة ، ليكون ذلك
 لهم عذرا ، بل هم مذنبون . فهم مع المؤمنين بأقوالهم ، ومع الكفار
 بقلوبهم ، فأتولوهم إلا عشقا فى النفاق لمقاربة^٥ ما بينهم فيه ، أو يكون
 المعنى: ما المناقون المتولون من المسلمين و لا من اليهود المتولين ، و زاد
 فى الشناعة عليهم بأقبح الاشياء الحامل على كل رذيلة ، فقال ذاكرنا للحالم
 ١٠ فى هذا الاتحاد: (و يحلفون) أى المناقون يحددون الحلف على
 الاستمرار ، و دل بأداة الاستعلاء على أنهم^٦ فى غاية الجرأة على استمرارهم^٧
 على الايمان الكاذبة بأن التقدير: مجترئين (على الكذب) فى دعوى
 الإسلام و غير ذلك مما يقعون فيه من عظام الآثام ، فاذا عوتبوا عليه
 بادروا إلى الإيمان .

١٥ ولما كان الكذب قد يطلق فى اللغة على ما يخالف الواقع و إن
 كان عن غير تعمد بأن يكون^٨ الخالف يجهل عدم مطابقته للواقع ، قال

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: مذل (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: المولين .
 (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لتقارب (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : انه .
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الاستمرار (٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
 كان - كذا .

نافيا لذلك ميينا انهم جراوا على اليمين الغموس : (وهم يعلون ه)
 أى أنهم كاذبون فهم متعمدون^١، وذلك^٢ أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لأصحابه : يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعيني شيطان ،
 فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق اسم^٣ قصيرا^٤ خفيف^٥ / اللحية ، فقال
 ٢٥٢ / النبي صلى الله عليه وسلم : علام تشتمنى أنت وأصحابك ، خلف بالله ما ه
 فعل ، فقال له : فعلت . فجاء بأصحابه خلفوا بالله ما سبوه ، فنزلت .
 و لما أخبر عن حالهم ، أتبعه الإخبار عن مآلهم ، فقال دالا - كما^٦
 قال القشيري - [على أن - ه] من وافق مغضوبا عليه أشرك نفسه في
 استحقاق غضب من هو غضبان عليه ، فمن تولى مغضوبا عليه من قبل الله
 استوجب غضب الله^٧ وكفى بذلك هوانا [و - ٧] حزنا و حرمانا ، معبرا ١٠
 بما دل على أنه أمر قد فرغ منه : (اعد الله) أى الذى له العظمة
 الباهرة فلا كفوه له ، و عبر بما دل على التهمك بهم فقال : (لهم عذابا)
 أى امرا قاطعا^٨ لكل عدوية (شديدا^٩) يعلم من^٩ رآه و رآهم^٩ أن
 ذواتهم متداعية إليه ضعيفة عنه .

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : يتعمدون (٢) الحديث ذكره الجوى في العالم
 بهامش الباب ٧ / ٤٥ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : قصير (٤) من ظ
 و م ، وفي الأصل : ولذلك (٥) زيد من ظ (٦) زيد في الأصل : عليه ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، وفي
 الأصل : قال عاطفا (٩-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : يراه ويراهم .

و لما اخبر بعدابهم ، علله^١ بما دل على^٢ انه واقع في أم واقعه فقال
 مؤكدا تقيحا على من كان يستحسن افعالهم^٣ : (انهم ساء) أى بلغ الغاية
 بما يسوء ، و دل على أن ذلك كان لهم كالجبله بقوله : (ما كانوا يعملون هـ)
 أى يحددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين
 هـ و نصحهم الكافرين و عيهم للاسلام و أهله ، و اجترانهم على الأيمان
 الكاذبة ، و أصروا على ذلك حتى زادم التمرن عليه جرأة على^٤
 جميع المعاصى .

و لما دلت هذه الجملة على سوء أعمالهم^٣ و مداومتهم عليها ، اكد
 ذلك بقوله : (اتخذوا) أى كلفوا فظرم الأولى المستقيمة لما لهم من
 ١٠ العرافة فى اعوجاج الطبع و المحبة للأذى^٥ (ايمانهم) الكاذبة التى لانهون
 على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان (جنة) أى وقاية
 و سترة من كل ما بفضحهم من النفاق كائنا ما كان ، أو يوجب قتلهم
 بما يقع منهم من الكفران .

و لما كان عليهم بأنه برضى منهم بالظاهر و يصدق أيمانهم^٦ هو الذى^٦
 ١٥ جرائم على العظام ، فكانوا يرغبون الناس فى النفاق بعاجل الشهوات

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : علل (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حالهم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عليها .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فى الأذى (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 الذى هو .

و يثبطونهم^١ عن الدين بما فيه من عاجل الكلف^٢ و آجل الثواب ، سبب
 عن^٣ قبول إيمانهم قوله مظهرا بزيادة التويخ [لهم -^٤] : (فصدوا)
 أى كان قبول ذلك منهم و تأخير عقابهم سببا لإيقاعهم الصد
 (عن سبيل الله) أى شرع الملك^٥ الأعلى الذى هو الطريق إلى رضوانه
 الذى هو سبب الفوز الأعظم ، فأنهم كانوا يثبطون من تقوا عن الدخول^٥
 فى الإسلام و يوهون أمره و يحقرونه ، و من رآهم قد خلصوا من^٦ المكاره
 بأيمانهم الحائثة [و -^٧] ردت عليهم الأرزاق استدراجا و حصلت لهم
 الرفعة عند الناس بما رضونهم من أقوالهم المؤكدة بالإيمان غره ذلك
 فاتبع سنتهم فى أقوالهم و أفعالهم . و نسج على منوالهم ، غرورا بظاهر
 أمرهم ، معرضا عما توعدهم الله سبحانه عليه من جزاء خداعهم و مكرم ،^{١٠}
 و أجرى الأمر على أسلوب التهمك باللام التى تكون فى المحبوب فقال :
 (فلهم) / أى فتسبب عن صدم أنهم كان لهم (عذاب مهين^٥) جزاء
 بما طلبوا بذلك^٤ الصد ' إعزاز أنفسهم ' و إهانة أهل ' الإسلام .

٢٥٤ /

و لما كان لهم أموال و أولاد يتعززون بها ، قال مستأنفا [دالا -^١]
 على أن من استتر بجمته دون طاعته لتسلم دنياه و رآه تكشف لسبام^{١٥}

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يثبطون (٢) فى ظ : الكلفة (٣) من م ، و فى
 الأصل و ظ : عنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ملك .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : ذلك (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اعزازا لانفسهم (١٠) من
 ظ و م ، و فى الأصل : لاهل .

التقدير من حيث لا يشعر ، ثم لادينه يبقى ولا دنياه تسلم : ﴿لن تغنى﴾
 أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم﴾ أى فى الدنيا ولا فى الآخرة بالافتداء
 ولا بغيره ﴿اموالهم﴾ و أكد النفي باعادة النافي للتصيص على كل
 منهما فقال : ﴿ولا اولادهم﴾ أى بالنصرة والمدافعة ﴿من الله﴾ أى
 ٥ إغناء مبتدئا من الملك الاعلى الذى لا كفوه له ﴿شيئا﴾ أى من إغناء
 ولو قل جدا ، فهما أراد بهم سبحانه كان ونقد ومضى ، لا يدفعه شىء
 تكذيبا لمن قال منهم : لئن كان يوم القيامة لتكون أسعد فيه منكم كما
 نحن الآن و لنصرن بأنفسنا وأموالنا و اولادنا . ولما اتنى الإغناء
 المبتدئى من الله [فانتى - ٢] بانفائه كل إغناء سواه ، أنتج ذلك قوله :
 ١٠ ﴿اولئك﴾ أى البعداء من كل خير [اصحب النار - ٢] ولما
 أفهمت الصحة الملازمة ، أكدها بقوله : ﴿هم﴾ أى خاصة لاضمحلال
 عذاب غيرهم - لكونهم فى الهاوية - فى جنب عذابهم ﴿فيها﴾ أى
 خاصة دون شىء يقصر عنها ﴿خلدون﴾ أى مقيمون باقون دأبون
 لازمون إلى غير نهاية .

١٥ و لما كان إفسادهم لذات البين سرا ، و حلفهم على نفي ذلك جهرا

مع الإلزام^٢ بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه و تعالى
 بأنه كذب غائظا موجعا ، وكان ربما توهم متوهم أنه تعالى كما أزم بقبولنا
 لما ظهر منهم فى دار العمل يأمر بقبولهم فى دار الجزاء ، قال نافيا لذلك

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : غناه (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م .

وفى الأصل : اللازم .

معزياً للمؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد^١ كشف الغطاء و تحقيق
الأمور ، لأن الإنسان يعكس على ما مات عليه ، لأن ذلك جبلته التي
لا ينفك عنها . ولا يفهم ذلك ، ذاكراً ظرف الخلود وإظهار التعذيب^٢ :
(يوم يعثهم الله) أى الملك الذى له جميع صفات الكمال بأحياتهم عما
كانوا فيه من الموت^٣ و ردهم إلى ما كانوا قبله (جميعاً) لا يترك أحداً ه
منهم و لا من غيرهم إلا أعاده إلى ما كان [عليه] قبل موته (فيحلفون)
أى فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم و معاينة ما كانوا يكذبون به
من البعث و النار أنهم يحلفون (له) أى الله فى الآخرة أنهم مسلمون
فيقولون : و الله ربنا ما كنا مشركين . ونحوه من الأكذوبات التي
تزيدهم ضرراً . و لا تعنى عنهم شيئاً بوجه من الوجوه ، جرياً على ما طبعوا ١٠
عليه من إثارة الهوى و القصور على النظر فى المحسوسات التي افوها
(كما يحلفون) فى الدنيا (لكم) لكونكم لا تعلمون الغيب مع توقعهم
أن الله يفضحهم كما فعل لهم ذلك مراراً ، و حلفهم ناشئ عن اعتقاد بعدم
من القبول فانه لا يحلف لك^٤ إلا من يظن^٥ أنك تكذبه ؛ / قال القشيري : ٢٥٥ /
عقوبتهم الكبرى ظنهم الأجنبية ، و غاية الجهد كبههم على مناخرهم فى ١٥
وهذه ندمهم^٦ .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : مع (٢) فى ظ : التعريف (٣) ليس فى ظ و م .
(٤-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : إياز
- كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك (٨) فى م :
ظن (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : ندمهم .

ولما كان^١ الذى يحملهم على الإقدام على ذلك ضعف عقولهم
وتوغلهم فى النفاق و مرودهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم
بأن ذلك لا ينجيهم لإحاطة علمه سبحانه، عبر بالحسيان، فقال دالا على
أنهم فى الغاية من الجهل وقلة العقل: ﴿ ويحسبون ﴾ أى فى القيامة
بأيمانهم الكاذبة ﴿ انهم على شيء^٢ ﴾ أى يحصل لهم به نفع لتخليهم أن
٥ أيمانهم تروج على الله فتنجيهم كما كانت فى الدنيا تنجيهم^٣.

ولما أفهم ذلك أن أمورهم لاحقائق لها لا فى إخباراتهم ولا فى
أيمانهم ولا فى حسيانهم، [قال مناديا عليهم مؤكدا لتكذيب حسيانهم - ٣]:
﴿ الآ انهم ﴾ أى خاصة ﴿ هم الكاذبون ه ﴾ أى المحكوم بكذبهم فى
١٠ حسيانهم وفى أخبارهم فى الدارين لعراقتهم فى وصف الكذب حيث
لا يستحيون من الكذب عند الله .

• ولما كان هذا الانهالك فيما لا يقنى مما يحصل لسامعه غاية العجب
من وقوع عاقل فيه مرة من الدهر، فضلا عن ملازمته، أخبر عن
الحامل لهم عليه، فقال مستأنفا: ﴿ استحوذ ﴾ أى طلب ان يغلب
١٥ ويسوق ويسرع ويضرب الحوطة ويحث ويقهر ويستولى
﴿ عليهم الشيطان ﴾ مع [أنه] طريد ومخترق، ووجد منه جميع ذلك،
ووصل منهم إلى ما يريد، وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا

(١) زيدى الأصل: وكان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٢-٣) من
ظ و م، وفى الأصل: تنجيهم فى الدنيا (٣) زيد من ظ و م .

رعيته وأقطاعه، و صار هو محيطا بهم من كل جهة، غالبا عليهم ظاهرا
 وباطنا، من قولهم: حذت الإبل أى استوليت عليها، و حاذق الحمار العانة^١
 - إذا جمعها و ساقها غالبا لها، و الحوذ: السوق السريع^٢، و منه الأحوذى:
 الخفيف فى المشى لخدقه، و جاء على الأصل على حكم الصحيح لأنه لم يبن
 على حاذ كافتقر^٣ فإنه لا مجرد له، لم يقولوا: فقر. (فانسنهم) أى ه
 قسب عن استحوذه عليهم أنه أنسام (ذكر الله^٤) أى الذى له الأسماء
 الحسنى و الصفات العلى بعد أن كان ذكره مركزا فى فطرهم الأولى،
 فصاروا لا يذكرونه أصلا^٥ بقلب: لا لسان.

و لما كان ذلك، أنتج و لا بد^٦ قوله: (اولئلك) أى الذين^٧
 أحلوا أنفسهم^٨ أبعد منزل (حزب الشيطان^٩) أى اتباعه و جنده ١٠
 وجماعته و طائفته و أصحابه^{١١} و المحذقون به^{١٢} و المتحيزون إليه لدفع [ما-^{١٣}]
 حزه أى نابه و اشتد عليه، المبعدون المحترقون^{١٤} لأنهم تبعوه و لم يخافوا
 [فى -^{١٥}] مجازيته و إنفاد ما يريد لومة لائم مع أنه كله نقائص
 و معائب، و هم مطبوعون على بغضه، و تركوا من [له -^{١٦}] الكمال كله،
 و ذكره و حبه مركزا فى فطرهم، فلذلك كانت ترجمة هذا و نتيجه قوله: ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: الجهار انغاية (٢) من ظ و م، و فى
 الأصل: الربع (٣) من م، و فى الأصل و ظ: فتنر - كذا (٤) زيد فى
 الأصل: لا، و لم تكن الزيادة و ظ و م لخدقناها (ه-ه) من ظ، و فى الأصل
 و م: و لا بد أنتج (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الذى (٧) فى م: فقو-هم.
 (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من م،
 و فى الأصل و ظ: المتحرقون.

(الآ) و أكد لظنهم الرج بما لهم في الدنيا من الكثرة و ظهور
التعاضد و الاستدراج بالبسط و السعة فقال : (ان / حزب الفيظن)
أى الطريد المحترق (م) أى خاصة (الخسرون) أى العريقون
في هذا الوصف لأنهم لم يظفروا بغير الطرد و الاحتراق .

٥ و لما بين ما أوصلهم^١ إليه نسيان الذكر من الخسار ، بين أنه أو قعهم
في العداوة ، فقال معللا الخسار ' و النسيان و التحزب^٢ ، و أكد تكديبا^٣
لخالفهم على نفي ذلك مظهرا^٤ موضع الإضمار للتنبيه على الوصف الموقوع
في الهلاك : (ان الذين يحدون) و لعل الإدغام لسترهم ذلك بالآيمان ،
و يفهم منه الحكم [على - °] من جاهر بطريق الأولى (الله) أى
١٠ يفعلون مع الملك الأعظم الذى لا كفوء له فعل من ينازع آخر في أرض
فيقلب على طائفة منها^٥ فيجمر لها حدا لا يتعداه خصمه (ورسوله)
الذى عظمته من عظمته .

و لما كانوا لا يفعلون ذلك إلا لكثرة اعوانهم^٦ و أتباعهم ، فيظن
من رآهم أنهم الاعزاء الذين لا أحد^٧ أعز منهم ، قال تعالى نفيا لهذا
١٥ الفرور الظاهر : (اولئك) أى الأباعد الأسافل (فى الاذلين) (أى - °)

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اصلهم (٢-٣) من ظ و م ، و فى الأصل :
العداوة و التخويف (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : تأكيد (٤) من ظ و م ،
و فى الأصل : مظهر (٥) ريد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : منهم .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : أنواعهم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : احدا .
الذين ٣٩٤

الذين يعرفون أنهم اذل' الخلق بحيث يوصف كل منهم بأنه^٢ الأذل
مطلقا من غير مفضل عليه ليعم^٣ كل من^٤ يمكن منه ذل، وذلك في
الدنيا والآخرة سواء كانوا فارس و الروم أو أعظم منهم سواء كانوا
ملوكا كفرة كانوا أو فسقة، كما قال الحسن: إن للعصية في قلوبهم لذلا،
وإن طقطقت بهم اللجم . و لما أنزلهم بالحضيض الأسفل، علل ذلك ه
[بما يدل على - ١] أنه^٥ سبحانه لا شريك له بآتمام كلماته بنصر أولياته
على ضعفهم وخذلان أعدائه على قوتهم لأنه سبحانه [غيب - ١] محض لا
دلالة^٦ عليه إلا بأفعاله فقال: ﴿ كتب ﴾ أى فعل فعل من أرم أمرا^٧
ففرغ منه وكتبه فأوجب و حتم وقضى وبت ﴿ الله ﴾ [أى الملك - ١]
الذى لا كفوء له ﴿ لاغلين ﴾^٨ أكد لما لهم^٩ من ظن الغلب بالكثرة ١٠
والقوة ﴿ انا ورسلى ﴾^{١٠} أى بقوة الجدل و شدة الجلال، فهو صادق بالنسبة
إلى من بعث بالحرب، وإلى من بعث بالحجة، و علل هذا القهر بقوله
مؤكدًا لأن أفعالهم "مع أولياته" أفعال من يظن ضعفه: ﴿ ان الله ﴾
[أى - ١] الذى له الأمر كله ﴿ قوى ﴾ فهو يفيض من^{١١} باطن قوته

(١) من ظ و م ، وفى الاصل : اولى (٢) من ظ و م ، وفى الاصل : انه .
(٣-٢) من ظ و م ، وفى الاصل : لمن (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى
الاصـل و م : بانه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ط و م ، وفى الاصل : دلة .
(٨) من م ، وفى الاصل : امر (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الاصل : و أكد
ضلالهم (١٠ - ١٠) من ظ و م ، وفى الاصل : بأولياته (١١) من ظ و م ،
وفى الاصل : على .

ما يظهر به ظاهر قدرة أولياته ، فان القوى من له استقلال-باطن بما يحمله القائم في الأمر ولو ضعف عليه ما عسى أن يضاعف و حمايته مما يتطرق إلى الإجلال بشدة و بطش منبث عن ذلك الاستقلال الباطن ، و ما ظهر من أثر ذلك فهو قدرة ، فلا اقتدار يظهر من الخلق إلا بالاستناد إلى القوة بالله ، و لا قيام بالحقيقة لباطن إلا بالله الذي بيده ملكوت كل شيء ،، فلذلك كان بالحقيقة لا قوى إلا هو .

و لما كان القوى^١ من المخلوقات^٢ قد يكون غيره^٣ [أقوى من غيره -^٤]
 و لو في وقت ، [نقي -^٥] ذلك ؛ بقوله : ﴿ عزيزه ﴾ أى غالب غلبة لا يحد معها المغلوب نوع / مدافعة و انقلات^٦ ، ثابت له هذا الوصف دائماً .

/ ٢٥٧

١٠ و لما ظهر بهذا كالشمس أن من والاه سبحانه كان فائزاً ، و من عاداه كان خاسراً ، كانت نتيجة قطعاً التحذير من موالاته أعداء الله في سياق النقي المفيد للبالغة في النهى عنه و الزجر عن قربانه فقال^٧ : ﴿ لا تجدد ﴾ أى بعد هذا البيان ﴿ قوما ﴾ أى ناسا لهم قوة على^٨ ما يريدون محاولته ﴿ يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان و يديمونه ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الاسماء الحسنى و الصفات العلى^٩ ﴿ و اليوم الآخر ﴾ الذى هو موضع الجزاء لكل عامل [بكل ما -^{١٠}] عمل ، الذى هو محط الحكمة ﴿ يوادون ﴾

(١-١) -قط ما بين الرتمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الاصل : غير .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الاصل : بينه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
 لحدفناها (٥) من م ، و في الاصل و ظ : انقلاب (٦) من ظ و م ، و في الاصل : لاذ به (٧) من ظ و م ، و في الاصل : قال (٨-٨) من ظ و م ، و في الاصل : محاولة ما يريدونه

أى يحصل منهم ود [لا - ١] ظاهرا و^٢ لا باطنا - بما أشار إليه الإدغام و أقله الموافقة فى المظاهرة^٣ ﴿من حاد الله﴾ أى عادى^٤ بالمناصب فى الحدود الملك^٥ الأعلى لذلك فالمحادة^٦ لا تخفى وإن كانت باطنة يستتر بها صاحبها، لأن الظاهر عنوان الباطن، و الأفعال دليل [على - ١] الأقوال، و هذا حامل على زيادة^٧ النفرة منهم ﴿و رسوله﴾ فإن من حاده فقد حاد^٨ الذى أرسله، بل لا تجدم إلا يعادونهم، لا أنهم يوادونهم، و زاد ذلك تأكيدا بقوله: ﴿ولو كانوا آباءهم﴾ الذين أوجب الله على الأبناء^٩ طاعتهم بالمعروف، و ذلك كما فعل أبو عبيدة عامر^{١٠} بن الجراح رضى الله عنه، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ﴿أو آباءهم﴾ الذين جملوا على محبتهم و رحمتهم كما فعل أبو بكر رضى الله عنه فانه دعا ابنه يوم بدر ١٠ إلى المبارزة، و قال: دعنى يا رسول الله اكن فى الرعدة الأولى. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك بمنزلة سمى و بصرى^{١١}. ﴿أو اخوانهم﴾ [الذين - ١١] هم أعضادهم^{١٢}

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الظاهر (٤) من ظ و م ، ، فى الأصل : عاداه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لللك (٦) فى ظ و م : المحادة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ارادة (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : آباؤهم (٩) الكلمة ساقطة من ظ و م . (١٠) و كل هذا ، مم ما يأتى ، ذكره البغوى من طريق ديد الله بن مسعود - راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٤٦/٧ (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ ، و فى الأصل و م : أعضاده .

كما فعل مصعب بن عمير رضى الله عنه ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد
 وخرق سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الصفوف يومئذ على أخيه عتبة
 ابن أبى وقاص غير مرة ليقته فراع عنه روعان^٢ الثعلب ، فنهاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال : أتريد أن تقتل نفسك ، وقتل [محمد - ٢]
 ابن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه أخاه من الرضاع كعب بن الأشرف
 اليهودى رأس بنى النضير ﴿ او عشيرتهم^٣ ﴾ الذين هم أنصارهم وأمدادهم^٤
 كما فعل عمر رضى الله عنه ، قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم
 بدر وعلى^٥ وحمزة وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر
 بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى^٦ ربيعة والوليد بن عتبة ، وعن الثورى^٧ أن
 السلف^٨ كانوا روعان أن الآفة نزلت فيمن يصحب السلطان - انتهى .
 ومدار ذلك على أن الإنسان يقطع رجاءه من غير^٩ الله ، وإن لم يكن
 كذلك لم يكن مخلصا فى إيمانه .

ولما كان لا يحمل على البراءة بمن^{١٠} هذا شأنه إلا صريح الإيمان ،
 أتتج قوله : ﴿ اولئك ﴾ أى الأعظمون شأننا الأعلون هما ﴿ كتب ﴾

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : سعيد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : رواع .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اندادهم (هـ - هـ) من
 ظ و م ، وفى الأصل : وعلى ديره - كذا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 ابنا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : النووى (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عن - مع يسير من البياص (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : دون (١٠) من
 ظ و م ، وفى الأصل : فمن .

٢٥٨ /

أى / وصل و اثبت وصلا هو فى لخته كالخرز فى الاديهم ، وكالطراز^١
 فى الثوب الرقيم ، فلا انفكك له (فى قلوبهم الإيمان) فجعلها^٢ أوعية
 له فأثمر ذلك نور الباطن و استقامة الاعمال فى الظاهر (و ايدهم)
 أى و اهم و شددهم و اعانهم و شجعهم و عظمهم و شرفهم (بروح)
 أى نور شريف جدا يفهمون به ما أودع فى كتابه و سنة رسوله صلى الله
 عليه وسلم من كنوز العلم والعمل^٣ فهو لقلوبهم كالروح للأبدان ، فلا
 يفعلون شيئا من أحوال [اهل -^٤] الجاملية كالمظاهرة ، و زاد هذا
 التأييد شرفا بقوله : (منه^٥) أى أحيام به فلا انفكك لذلك عنهم فى
 وقت من الأوقات فأثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا^٦ و باطنا ، فقهرها
 بالدلائل و الحجج ، و ظهرها بالسيف المفضى للهج ، و عملوا الأعمال الصالحة^{١٠}
 فكانوا للدنيا كالسرج ، فلا تجد شيئا أدخل^٧ فى الإخلاص^٨ من موالة
 أولياء الله و معاداة أعدائه ، بل هو عين الإخلاص ، و من جنح إلى
 منحرف عن دينه أو داهن مبتدعا فى نقده نزع الله نور التوحيد
 من قلبه .

ولما أخبر بما اتاهم فى الدنيا و هو غير معارق لهم فى الآخرة ،^{١٥}
 أخبر بما يؤتيهم^٩ فى الآخرة فقال : (و يدخلهم جنت) أى بساتين
 (١) من م ، و فى الأصل و ظ : الطراز (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جعلها .
 (٣) العبارة من هنا الى « فلا انفكك » ساقطة من ظ (٤) زيد من م (٥) من
 ظ و م ، و فى الأصل : ظاهر (٦-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للإخلاص .
 (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يتوهم .

يستر داخلها من كثرة أشجارها، وأخبر عن ربها بقوله: [(تجرى)] ولما كانت المياه لوعمت الأرض لم يكن بها مستقر، أثبت الجار فقال - ١ :
 (من تحتها الأنهر) أى فهى لذلك كثيرة الرياض والأشجار والساحات والديار . ولما كان ذلك لايلد إلا بالدوام قال: (خلدين فيها) .
 ٥ ولما كان ذلك لايم الأبرضا مالكما قال: (رضى الله) أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله فلا التفات إلى غيره (عنهم) ولما كان ذلك لايكمل سروره إلا برضاهم ليم حسن المجاورة قال:
 (ورضوا عنه) أى لأنه أعطاهم فوق ما يؤملون . ولما أخبر عنهم بما يسر كل سامع فيشتاق إلى مصاحبتهم ومعاشرتهم ومرافقتهم ومقاربتهم،
 ١٠ ومدحهم وعرفهم بقوله: (اولئك) أى الذين هم فى الدرجة العليا من العظمة لكونهم قصرُوا ودم على الله علما بهم بأنه ليس النفع [والضر - ٥] إلا بيده (حزب الله) أى جند الملك الأعلى الذى [أحاط - ١] بجميع صفات الكمال وأوليائه، فانهم هم يفضون له ولا يخافون فيه لومة لائم . ولما تبين مما أعد لهم وأعد لأضدادهم أنهم المختصون بكل خير . قال على طريق الإنتاج بما مضى مؤكدا لما لأضدادهم من الإنكاد:
 (إلا ان حزب الله) أى جند الملك الأعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن

- (١) زيد ما بين الحاجرين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ملك .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مشتاق (٤) من م ، وفى الأصل ظ : مراقبتهم .
 (٥) زيد من م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الذين هم .
 (٨) من ظ ، وفى الأصل و م : ما (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .

والامم (م) أى خاصة 'الانغيرم' (المفلحون ع) أى الذين حازوا
الظفر بكل ما يؤملون فى الدارين ، وقد علم من الرضى من الجانبين
والحزبية والإفلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى ذلك عن تقييد
الخلود بالتأييد ، خصهم بذلك لأن له / العزة والقوة والعلم والحكمة ،
٢٥٩ / فلذلك علم أمر المجادلة ورحم شكواها لأنها من حزبه وسمع لها ، ومن ه
سمع له فهو مرضى عنه ، وحرّم الظهار بسبب شكواها إكراما لها بحكمته
لأنه منابذ للحكمة 'لأنه تشبيه' خارج عن قاعدة التشبيهات^٢ ، وفيه امتهان
للأم التي لها فى دينه غاية الإكرام بالتسوية بالزوجة التي هي محل الاقتراش ،
وختم آياتها^٣ بأن من تعدى حدوده فعادوا^٤ أحوال الجاهلية فهو مجادله
سبحانه فهو من حزب الشيطان ، فقد عاد^٥ آخرها إلى أولها^٦ بأدل دليل ١٠
على أحسن سبيل ، لأن هذا القرآن العظيم أشرف حديث ، أقوم قبل
وهذا مقصود التي بعدها ، ولاشك أنه موجب للتنزيه مبعث عن التشريك
والتشبيه ، فسبحان من أنزله آية دائمة البيان ، موجبة للإيمان ، قامعة للطغيان ،
على مدى الدهور وتطاول الأزمان^٧ .

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
سبيه - كذا (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الشبهات (٤) ف م : أيتها .
(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : فعادوا (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل :
أولها إلى آخرها (٧) ف م : الزمان .

سورة الحشر^١ وتسمى سورة النضير^٢

مقصودها بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص
بإثبات القدرة الشاملة بدليل^٣ شهودي على أنه يغلب هو ورسله،
ومن حاده في الأذلين. لأنه قوى عزيز، المستلزمة للعلم التام المستلزم
٥ [للحكمة البالغة المستلزمة - ٤] للحشر المظهر لفلاح المفلح وخسار الخاسر
على وجه الثبات الكاشف آتم كشف لجميع صفات الكمال، وأدل ما فيها
على ذلك تأمل قصة [بنى - ٦] النضير المعلم بأول الحشر المؤذن بالحشر
الحقيق بالقدرة عليه بعد إطباق الولي والعدو على أن ظن أنه لا يكون، فلذا^٧
سميت بالحشر وبنى النضير لأنه سبحانه وتعالى حشرهم بقدرته من المدينة
١٠ الشريفة إلى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم [وغيرهم - ٦] من اليهود
الحشر الثاني من خيبر إلى الشام الذي هو آية الحشر الأعظم إلى أرض
الحشر لقهر هذا النبي الكريم أهل الكتاب المدعين لأنهم أفضل الناس

(١) التاسعة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آياتها (٢٤)
بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ٢٦٦ (٢) من ظ و م ومعالم التنزيل بهامش
الكتاب ٧ / ٤٦، وفي الأصل: النصر (٣) من ظ و م، وفي الأصل: بدل -
(٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الى (٦) زيد من ظ و م -
(٧) من ظ و م، وفي الأصل: فكذا (٨) من م، وفي الأصل: الحشر -
(٩) من م، وفي الأصل و ظ: انهم .

و أنهم مؤيدون بما لهم من الدين الذي أصله قويم^٢ بما لوحت إليه الحديد
 كما ظهر أهل الأوثان الذين هم عالمون بأنهم بدلوا الدين الصحيح قُتبت
 - بظهور دينه على كل دين على حد سواء كما وعد به سبحانه صدقه في
 كل ماجاء به بعد التوحيد^٣ - الإيمان بالبعث الآخر لأنه محط الحكمة
 و موضع إظهار النعمة و الرحمة^٤ (بسم الله) الملك الأعظم الذي لا راد
 لأمره^٥ فلا خلف لعباده (الرحمن) الذي عمت نعمة إيجاده فلا يحصى
 عن معاده (الرحيم) الذي خص أهل وداده بالتوفيق لما يرضيه عنهم
 فيوجب لهم الفوز باسعاده^٦ .

/ لما ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته ، و مذل أهل معصيته
 ٢٦٠ /

و محادثه ، علله بتنزيهه^٧ عن النقائص تأييدا للوعد بنصرهم فقال : (سبح) ١٠
 أى أوقع التنزيه^٨ الأعظم عن كل شائبة نقص (لله) الذى أحاط بجميع
 [صفات - ١٠] الكمال .

و لما كان الكفار من جميع بنى آدم قد عبد بعضهم الشمس

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : لما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قومم .
 (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى
 الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى
 الأصل : لحكمه (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : بالسعادة ، و زيد بعده فى
 الأصل : فى الدنيا و الآخرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من
 م ، و فى الأصل و ظ : ولما (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بتنزيهه (٩) من
 م ، و فى الأصل و ظ : للشبه (١٠) زيد من ظ .

وبعضهم القمر وبعضهم [غيرهما من -] الكواكب، وكانت الكواكب
 مبنوثة في السماوات كلها لا تخص سماء بعينها وكذا الملائكة، جمع دلالة
 على أن الكل عبيد فقال: (ما في السموات) أى كلها . ولما كان
 الكلام فى النهى عن موادة الذين يجادون الله، وكان ذلك لمن دون
 ٥ الخالص، أكد باعادة النافى لاحتياجهم للتأكيد فقال: (وما) ولما
 كان جميع ما عبده بما أشركوا به من الارضيات من شجر و صنم و بقرة
 وغيرها لا يبعد و الارض التى هم عليها، أفرد فقال: (فى الارض) .
 ولما شمل هذا جميع العالم، أشار إلى أن عظمته لا تنتهى فقال:
 (وهو) أى و الحال أنه وحده (العزيز) الذى يغلب كل شىء
 ١٠ و لا يمتنع عليه شىء . (الحكيم) الذى نفذ عليه^٢ فى الظواهر و البواطن
 و أحاط بكل شىء فأتقن^٣ ما أراد، فكل ما خلقه جعله على وحدانيته
 دليلا، و إلى بيان ما له من العزة و الحكمة سيلا .

و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لا خفاء باتصال آيها بما تأخر
 من آى سورة المجادلة، ألا ترى أن قوله تعالى " يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
 ١٥ قوما غضب الله عليهم " إنما يراد به يهود فذكر سبحانه سوء سريرتهم
 و عظيم جراتهم ثم قال فى آخر السورة " لا تجمد قوما يؤمنون بالله
 و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله " فحصل من هذا كله

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حكمة .
 (٤) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) تكرر
 ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما .

تفخيز المؤمنين عنهم و إعلامهم بأن بغضهم من الإيمان و ودهم من النفاق
 لقيح ما انطوادوا عليه و شنيع ما ارتكبه، فلما أشارت هذه الآتي إلى
 ما ذكر أتبع بالإعلام في أول سورة الحشر بما عجل لهم من هوانهم^٢
 و إخراجهم من ديارهم و أمواتهم و تمكين المسلمين منهم، جريا على ما
 تقدم الإيماء إليه من سوء مرتكبتهم، و التخت الآي باتحاد المعنى ه
 و تناسبه؛ و تناسب الكلام، و اقتنحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما أشار
 إليه غضبه تعالى عليهم إذ لا يكون إلا على أعظم جريمة و أسوأ مرتكب
 وهو اعتدوهم و عصيانهم الفصل في مواضع من الكتاب و قد قال
 تعالى فيهم بعد ذكر غضبه عليهم "أولئك شر مكانا و أضل عن سواء السبيل"
 و قال تعالى "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و عيسى
 ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يتمدون" فين تعالى أن لعنة إياهم
 إنما زمت على عصيانهم و اعتدائهم؛ و قد فصل اعتدائهم أيضا في مواضع،
 فلما كان الغضب مشيرا إلى ما ذكر من عظيم الشرك، أتبعه سبحانه
 و تعالى / تنزيه نفسه جل و تعالى فقال "سبح لله ما في السموات و ما
 في الارض" و إنما يرد؛ مثله من التنزيه أثر جريمة تقع من العباد و عظيمة ١٥
 يرتكبونها و تأمل ذلك حيث وقع، ثم عاد الكلام إلى الإخبار بما فعل
 تعالى بأهل الكتاب مما يتصل بما تقدم، ثم تناهت الآي - انتهى .

(١) من ظ و م؛ و في الأصل: تشيع (٢) من ظ و م، و في الأصل:

هوانهم (٣) زيد في الأصل؛ أيضا، و لم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها:

(٤) من ظ و م؛ و في الأصل: يسره (٥) من م، و في الأصل وظ: يتوصل.

ولما نزه نفسه الأقدس دل على ذلك التنزه [و - ١] على العزة والحكمة بدليل شهودى من أنه أتقذ ما كتب من أنه يغلب [هو - ٢] ورسله و من^٣ أنه كتب الذين حادوه و خيب ظن الذين ناققوا، فتولوا اليهود من^٤ أهل الكتاب ليعتروا^٥ بهم، فأذل اليهود و طردهم من مهبط الوحي و أخزى المنافقين الذين جعلوهم محط^٦ اعتمادهم و موضع ولايتهم و واداهم، فقال: (هو) أى وحده من غير إيجاف^٧ خيل و لاركاب (الذى أخرج) على وجه القهر (الذين كفروا) أى ستروا ما فى كتبهم من الشواهد^٨ التى تشهد^٩ لمحمد صلى الله عليه و سلم بأنه النبي الخاتم و ما فى فطرم الأولى من أن اتباع الحق أحق، و قبح عليهم كفرهم ١٠ بقوله موضع " من بنى النصير " أو " اليهود " مثلا: (من أهل الكتب) أى الذى أنزله الله على رسوله موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم، و فى التعبير بـ " كفروا " إشعار بأنهم الذين أزالوا بالتبديل أو الإخفاء ما قدروا عليه مما بقى من التوراة دالاعلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم . و لما كان الوطن عديل الروح لأنه للبدن كالبدن للروح، فكان ١٥ الخروج منه فى غاية العسر، دل على مزيد قهرهم به بأن قال: (من ديارهم) و لما كان منهم من جلى من المدينة الشريفة إلى خيبر، و هم آل أبى الحقيق و آل حبي بن أخطب و لحق سائرهم بأريحا من

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يعزوا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : محل .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : ايجاب (٧-٧) -قط ما بين الرقيين من ظ و م .
أرض

أرض الشام أرض المحشر، و لحق بعضهم بالحيرة، لوح إلى فتح خير
 وحشرهم منها حشرا ثانيا بقوله معللا أو^١ موقتا: (لاول) أى لاجل
 أول أو عند أول (المحشر) وفي ذلك إشارة إلى أن كل بلد حشروا
 إليه سيفتح، و يزلزلون [منه - ٢] زلزلة أخرى، لا تزال مصائبهم بأهل
 الإسلام قائمة حتى يكون الحشر الأعظم بالقيامة، و الحشر^٣: الجمع من ٥
 مكان و السوق إلى غيره بكره، و سمي أولا لأنهم أول من أجلى من
 اليهود من جزيرة العرب، و الحشر الثاني لهم من خير على زمن عمر
 رضى الله عنه، و عند ابن إسحاق^٤ أن إجلالهم في مرجع النبي صلى الله
 عليه و سلم من أحد و فتح قريظة في مرجعه من الأحزاب و بينهما
 ستان، قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم: اخرجوا، قالوا: إلى أين، ١٠
 قال: إلى أرض المحشر، و قال ابن عباس^٥ رضى الله عنهما: من شك أن
 المحشر بأرض الشام فليقرأ هذه الآية . انتهى،^٦ و هذا الحشر^٧ يدل على
 المحشر الأعظم و بينه [على قوله - ٨] صلى الله عليه و سلم: بعثت
 أنا و الساعة كهاتين .

(١) من ظ و م ، و في الأصل : و (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل : من ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) هذا قول الكلبي - كما في العالم
 بهامش اللباب ٤٨ / ٧ (٥) و قول ابن إسحاق ذكره البغوى في العالم بهامش
 اللباب ٤٧ / ٧ (٦) و قول ابن عباس ذكره البغوى في العالم بهامش اللباب
 ٤٨ / ٧ (٧-٧) من ظ و م ، و في الأصل : هذه الآية (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) زيد بعده في الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

ولما كان قد أخبر أن حشرهم لم يكن بسبب غير محض قدرته ،
استأنفت شرح ذلك بقوله : ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان يخرجوا ﴾
أى يوقعوا الخروج من أى شىء أدرتموه منهم لما كان لكم من الضعف
ولهم من القوة لكثرتهم وشدة بأسهم وشكيمتهم وقرب بنى قريظة
٥ [منهم - ٢] فكانوا يصدد مظاهرهم ، وأهل خيبر أيضا غير بعيدين عنهم
وكلهم أهل ملتهم ، والمناقون من أصارهم وأسرتهم ، فحابت ظنونهم
فى جميع ذلك وقالت آراؤهم وسلط عليهم المؤمنون على قلتهم وضعفهم ،
وإذا أراد الله نصره عبدا استأسد أرتبه وإذا أراد قهر عدو
استنوق أسده .

/ ٢٦٢

١٠ ولما كانت الحصون تمنع إلى إتيان الامداد قال : ﴿ وظنوا انهم ﴾
ودل على قوة ظنهم وثباته بالجملة الاسمية فقال : ﴿ مانعهم حصونهم ﴾
أى ثابت لها المنع ولهم الامتناع ، قالوا : وفى تقديم الخبر على المتبدأ
دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومعها إياهم ، وفى جعل ضميرهم اسم
"ان" [و - ١] إسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عز

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٢) من ظ و م ، وفى الاصل : اريتتموه .
(٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفناها (٥) من م ، وفى الأصل وظ : استنوق (٦) من ظ و م ، وفى
الأصل : من (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : صمز اسم (٨) زيد من ظ و م .
(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : غير .

و منعة لا مطمع معها في معازرتهم^١، و دل على ضعف عقولهم بأن 'عبر عن'
 جنده باسمه و باسمه الأعظم فقال: ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى
 لا عز إلا له و أقم جنده، لا تقابلون إلا فيه و به، بأسم من بأسه، قد
 اجتمع الظن على شيء واحد . و لما كان إسناد ما للمضاف إلى المضاف
 إليه شائعا فى لسان العرب و كثيرا جدا^٢ لأنه لا يلتبس على من^٣ له إمام
 بكلامهم، و بليغا جدا لما له من العظمة، قال: ﴿ فاتهم الله ﴾ أى جاءهم
 الملك الأعظم الذى لا يهتمون بمجته بما صور لهم من حقارة^٤ أنفسهم
 التى اضطرتهم إلى الجلاء ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ أى من الجهة التى
 لم يحملوا أنفسهم على حسبها^٥ وهى خذلان المناقين لهم رعبا كرعهم
 و استضعافا كاستضعاف أنفسهم^٦ عن مقاومة جند الله بعد أن كان الشيطان^٧
 زين لهم غير ذلك، و ملأ قلوبهم من الأطماع الفارغة حتى قطعوا بما^٨
 مناهم و قربه لهم و أغواهم .

و لما كان التقدير: فأوهمهم الله^٩ بذلك، عطف عليه قوله: ﴿ وقذف ﴾

أى أنزل إنزالا كأنه قذفه بحجارة، فثبت و ارتكز ﴿ فى قلوبهم الرعب ﴾

(١) من ظ و م، و فى الأصل: معادهم (٢-٣) من ظ و م، و فى الأصل:

عين (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الأعز (٤) من ظ و م، و فى الأصل:

كثير (٥) زيد فى الأصل: ما أفوه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

(٦) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ

و م، و فى الأصل: بليغ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حقيقة (٩-٩) سقط

ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: بها (١١) سقط من ظ

أى الخوف الذى سكنها قرضها وملاها وعبر منها إلى جميع قواهم
فاجتثها من أصلها، ثم بين حالهم عند ذلك أو فر قذف الرعب
بقوله: (يخربون بيوتهم) أى يبالغون - على قراءة أبى عمرو، بالتشديد -
فى إخراجها، أى إفسادها، فإن الخربة الفساد، وقراءة غيره يفهم
الفعل المطلق الذى لا ينافى المقيد (بايديهم) ضعفاً منهم - بما أشار
إليه جمع القلة، ويأساً من قوتهم ليأخذوا ما استحسنا من آلاتها، فكان
الرجل منهم [لما:-] [لما:-] يحملوا للرحيل يهدم بيته عن نجاف بابه وما
استحسن من خشيه فيضعه على ظهر بعيره فيأخذه / وينقب الجدار
ويهدم السقف حسداً للسلبين أن يسكنوها بعدهم لأن النبى صلى الله عليه
١٠ وسلم أمرهم أن يخلوا له عن البلد ولهم ما حملت إبلهم .

/ ٢٦٣

ولما كان السبب فى تخريب الصحابة رضى الله عنهم لبيوتهم ما
أحرقهم به من المكر والغدر كانوا كأنهم أمروهم بذلك، فتابوا عنهم فيه،
فقال " أيضاً بجمع القلة للدلالة على أن الفعل له سبحانه وحده:
(وايدى المؤمنين) أى الراغبين فى الإيمان استيلاء وغلبة عليهم وقد
١٥ كان المؤمنون يخربون ما ضيق عليهم المجال منها " لأجل القتال، وقد

- (١-١) من ظ و م، وفى الأصل: اصلاها و (٢) من ظ و م، وفى الأصل
د و (٣) راجع نثر المرجان ٢٦٨/٧ (٤) فى ظ و م: فسادها (٥) زيد من م .
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: يحمل (٧) من م، وفى الأصل: بما (٨) من
م، وفى الأصل وظ: لهم (٩) من ظ و م، وفى الأصل: بيوتهم (١٠) من
ظ و م، وفى الأصل: العز (١١) من ظ و م، وفى الأصل: فقالوا .
(١٢) من م، وفى الأصل وظ: منهم .

نخريهم لانه اعجب .

ولما كان في غاية الغرابة أن يفعل^١ الإنسان في نفسه كما يفعل فيه^٢ عبده، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فاعتبروا ﴾ أي احملوا أنفسكم بالإيمان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا^٣ من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في إخراجهم إلى بواطن الحكمة بأن ه لاتعدوا لكم ناصرا من الخلق ولا تعتمدوا على غير الله، فان الاعتبار - كما قال القشيري - أحد قوانين الشرع، و من لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره - انتهى . وقد احتج بالآية مثبتو القياس فانه مجاوزة من الأصل إلى الفرع، و المجاوزة اعتبار، و هو مأمور به في هذه الآية فهو واجب .

و لما كان الاعتبار عظيم النفع، لا يحصل إلا للكمل، زاده تعظيما ١٠ بقوله تعالى: ﴿ يا أولى الابصاره ﴾ بالنظر بأبصاركم و بصائرکم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم من إظهار دينه و إعزاز نبيه^٤ و لا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المناقنين، فان من^٥ اعتمد على مخلوق أسله ذلك إلى صفاره و مذلته،

و لا تلموا بغدر كما أرادوا أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه و سلم ١٥ فيطرحوا عليه و هو قاعد بفناء دار من دورهم رحي من السطح ليقتلوه [بها - ٧] - زعموا، و لاتفعلوا شيئا من قبيح أفعالهم لتلا يحصل لكم مثل

(١) في م: يعمل (٢) من ظ و م، و في الأصل: في (٣) من ظ و م، و في الأصل: يصيرون (٤) من ظ و م، و في الأصل: هو (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: اعتزاز دينه (٦-٦) من م، و في الأصل و ظ: وان (٧) زيد من ظ و م.

دكاهم كما أحكمه قوله صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم"
 الحديث، وذلك الغدر منهم بعد أن حرضوا فريشا على غزوة أحد
 ودلوه على بعض العورات، وقال البغوي^١: إن كعب بن الأشرف
 أتى فريشا بعد أحد في أربعين راكبا فخالفهم على النبي صلى الله عليه
 وسلم فزل جريل عليه السلام عليه يخبره بذلك، وقال^٢: إنه لما فصد^٣
 عليه السلام أرسلوا إليه أن يخرج في ثلاثين ويخرج منهم ثلاثون^٤
 ليسمعوا منه، فإن آمنوا به آمن الكل. فأجابهم فأرسلوا أن الجمع كثير
 فأخرج في ثلاثة ليخرج ثلاثه منا^٥، فأرسلت امرأة منهم إلى أخيها
 وكان مسلما أنهم اشتملوا على الخناجر يريدون الفتك برسول الله صلى الله عليه
 وسلم فكف صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وكل ما ذكر من أسباب

قتلهم / [كما ترى -^٦] دأر على المكر بل هو عين المكر -

/ ٢٦٤

ولما دل هذا على غاية لوهن منهم^٧ وكان موضع التعجب من
 الكف^٨ عن قتلهم^٩، بين أن السبب في ذلك أمره الباهر وعزه القاهر
 حثا على ما ختم به الآية السابقة^{١٠} من الاعتبار والتدبر والاستبصار
 ١٥ فقال: ﴿ ولولا أن كتب الله ﴾ أي فرض فرضا حتما الملك الذي له

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٧ / ٤٦ (٢) راجع المعالم بهامش الباب
 ٧ / ٤٧ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : قدسه (٤) من ظ و م والعالم ، وفي
 الأصل : ثلاثين (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : منها ، وفي المعالم : من علمائنا .
 (٦) زيد من ظ و م (٧) في ظ : فيهم (٨-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : من
 قبلهم (٩) من ظ و م . وفي الأصل : السامة .

الأمر كله ، ودل على أنه كتب إذلالاً وإخزاء بقوله : (عليهم)
 أى بخصوصهم فيما كتب على بنى إسرائيل فى الأزل كما كتب على بنى
 قينقاع (الجلاء) أى الخروج من ديارهم والجولان فى الأرض ،
 فاما معظمهم فأجلاهم بخت نصر من بلاد الشام إلى العراق ، و أما هؤلاء فحرام
 الله بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على ه
 يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجلاهم فذهب بعضهم إلى خير
 وبعضهم إلى الشام مرة بعد مرة (لعذبهم فى الدنيا) أى بالسيف كما
 سيفل^٢ بأخوانهم من بنى قريظة الذين كتب عليهم العذاب دون الجلاء
 من قتل المقاتلة وسبى الذرية ، فانه تعالى قد قضى قضاء حتماً أنه يظهر
 المدينة بلد الوحي منهم .

١٠

ولما كان التقدير : ولكنه كتب عليهم ذلك فهو عذابهم الآن فى
 الدنيا لا محالة وإن اجتمع أهل الأرض على نصرهم ، عطف عليه قوله
 على طريق التهمك بالتعبير بأداة النفع : (ولهم) أى على كل حال أجلوا
 أو تركوا (فى الآخرة) التى هى دار البقاء (عذاب النار) وهو
 العذاب الأكبر .

١٥

ولما أخبر بما نالهم فى الدنيا وبنالهم فى الآخرة ، علله بقوله :
 (ذلك) أى الأمر [العظيم - °] الذى فعله بهم من الجلاء ومقدماته
 (١) من ظ و م ، وفى الأصل : يد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فعل .
 (٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٥) زيد من م .

[في الدنيا - ١] و يفعله بهم في الآخرة ﴿ بانهم ﴾ ولما كانوا قد ضموا في هذه القضية^٢ إلى ما كانوا عليه من الكفر الظاهر ككفرا^٣ باطنا بما أرادوا من إلقاء الرحي وغيره من الأذى مكرا منهم، أدغم^٤ في قوله: ﴿ شاقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة، فكانوا في شق غير شقه بأن صاروا في شق الأعداء المحاربين بعد ما كانوا في شق الموادعين .

ولما جازى^٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم إخفاءهم لما أرادوا [أن - ١] يفعلوا به بالإخفاء^٦ لخلصه منهم بأن رجع إلى المدينة الشريفة وترك أصحابه رضى الله عنهم^٧ عندهم^٨ قال: ﴿ ورسوله ج ﴾ الذى لإجلاله ١٠ من إجلاله . ولما أخبر بفعله وبسيده، عطف عليه تأكيداً لمضمونه وإفادة لأنه يفعل في غيرهم ممن كان على أمرهم أعظم من فعلهم فقال: ﴿ من يشاق الله ﴾ أى يوقع في الباطن مشاققة الملك الأعلى الذى لا كفوف له في الحال أو الماضى أو الاستقبال سواء أبطن معها مشاققة أخرى أو لا، وترك الإدغام على حاله لأنهم ما اظهروا معاداة^٩ وإنما كان ما ١٥ فعلوا مكرا ومساترة، وذلك أخف من المجاهرة، و اظهروا^{١٠} في الإنفال

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : القصة (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فخذناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اعم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : حادى (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بالاعطاء (٧) من ظ و م . وفى الأصل : عنهم (٨) ليس فى الأصل (٩) فى ظ : المعاداة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ظهر .

٢٦٥ /

لقوة [أمر - ١] المجاهرين^١ كما مضى ، ولم يعد ذكر الرسول تفخيماً له
 "بإفهام أن^٢ مشاققته مشاققة / لله من غير مثوية أصلاً ، وإشارة إلى أنهم
 بالغوا في إخفاء مشاققتهم ، فلم يظهر عليها غير الله ، فلم يحصل منهم في
 ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لم يمكر بهم ،
 وإنما جاهرهم^٣ حين أعلمه الله بمكرهم بخلاف ما تقدم في الانتقال ، فان ه
 المقام اقتضى هناك الذكر لأنهم مكروا به كما قال تعالى " واذ يمكر بك
 الذين كفروا " الآية وهو صلى الله عليه وسلم أخفى أمر هجرته وأعمل
 الحيلة في الخلاص من مكرهم على حسب ما أمره الله به فحصلت^٤ المفاعلة
 في تحيز كل من الفريقين إلى شق غير شق الآخر خفية (فان الله)
 أى المحيط بجميع العظمة يشدد عقابه له لانه (شديد العقاب ه) وذلك ١٠
 كما فعل بنى قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم^٥ وأظهروا المشاققة في
 غزوة الأحزاب و كما فعل أهل خيبر ، وكانوا يماكرون ويساترون في
 الأولى^٦ عند فتحها وفي الثانية^٧ عند إجلائهم منها ، فقد سوى بين المساترين
 والمجاهرين^٨ في العذاب وهو للمجاهرين^٩ أشد عذاباً كما هو واضح .

ولما دل سبحانه على عزته وحكمته بما فعل بنى النضير الذين يقولون ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المجاهدين (٣-٤) من ظ
 و م ، وفي الأصل : بان (٥) في ظ : جاهدهم (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
 لفصل (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : عهده (٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الأول (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : اثنى (٩) من م ، وفي الأصل و ظ :
 المهاجرين (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ : للمجاهرين .

إنهم أشجع الناس و أشدهم شكيمة بما لهم من الأصالة و الاصطفاء على العالمين ، مع التأييد بالكتاب و الحكمة ، و ختم بأن من شاق رسوله فقد شاقه . و من شاقه فقد شدد عقابه ، أتبعه بيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضى الله عنهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لنخلهم الذى هو اعز عليهم من أبقارهم و هم ينظرون إليه لا يغنون شيئا و لامنعة لديهم فقال : (ما) و هى شرطية و أتبعها بشرطها الناصب لها فقال : (قطعتم) أى كل ما قطعتموه ، و بين ما [فى د ما - ٢] من الإبهام بقوله معبرا عن النخل بما يفيد نوعه وأنه هان عليهم الفطخ و لان : (من أيتة) و هى ضرب من النخل ، قال ابن إسحاق : هو ما خالف العجوة من النخل ، [و - ٤] قال ابن هشام : اللبنة من الألوان ، و هى ما لم يكن برنية و لالعجوة من النخل فيما حدثنى أبو عبيدة - انتهى . و قال صاحب القاموس : اللون : الدقل من النخل ، و هى جماعة واحدها لون و لينة ، قال المهدوى : و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما و مجاهد [و غيرهما - ٢] أنها النخل كله . و عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٥ أيضا أنها لون من النخل ، و قال البغوى ٤ : و رواية زاذان ١ عن

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : صفة - كذا (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ . لأنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و انقاموس ، و فى الأصل : واحد منها (٦) العبارة من هنا إلى « عنها أيضا » سائطة من ظ . (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : انه (٨) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ٤٩ . (٩) من المعالم ، و فى الأصول : باذان .

ابن عباس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه و سلم [يقطع - ١]
 نخلمهم إلا العجوة - و أهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الألوان
 واخذها لون و لينة ، و قال عطية و الحسن و مجاهد و ابن زيد و عمرو
 ابن ميمون : اللينة : النخلة ، اسمان بمعنى واحد ، و جمعها لين و ليان ، و قال
 سفيان الثوري : اللينة ما تمرها لون و هو نوع من التمر شديد الصفرة ه
 يشف / عن نواة فيرى من خارج ، قال البغوي ° : يغيب فيها الضرس ،
 و كان من أجود تمرم و أعجبها إليهم ، و كانت [النخلة - ١] الواحدة
 ثمها ثمن و صيف احب إليهم من و صيف ، فلما رأوه يقطعونها شق
 عليهم و قالوا للؤمنين : إنكم تكرهون الفساد و أتم تفسدون ، دعوا
 هذه النخلة ، فانما هي لمن غلب عليها ، و قال الرازي في اللوامع : ١٠
 و اختلاف الألوان فيها ظاهر^٥ لأنها أول حالها [بيضاء - ٨] كصدف
 مليء درا منضدا ، ثم غبراء ثم خضراء كأنها قطع زبرجد خلق فيها
 الماء [ثم - ٩] حمراء كأنها ياقوت رص بعضه ببعض ثم صفراء^٦ كأنها
 شذو عقيان ، و لذلك إذا بلغ الإرتطاب نصفها [سميت - ٩] مجزعة
 لاختلاف ألوانها كأنها الجزع الظفاري .

ولما كان ما فسر بمؤنث هو اللينة ، أعاد الضمير مؤنثا فقال :

- (١) زيد من ظ و م و العالم (٢) من ظ و م و العالم ، و في الأصل : ماعدا .
 (٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : من (٥) راجع العالم بهامش
 الباب ٧ / ٤٩ (٦) من ظ و العالم ، و في الأصل و م : الفرس (٧) من ظ
 و م ، و في الأصل : ظاهرة (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ
 و م ، و في الأصل : صفي .

﴿ او تركتموها ﴾ و لما كان الترك يصدق ببقائها مفروسة أو مقطوعة قال :
 ﴿ قائمة ﴾ و لما كان المراد نخيلا كثيرة لإرادة الجنس قال : ﴿ على اصولها ﴾
 بجمع السكرة ﴿ فإذن الله ﴾ أى فقطعها بتمكين الملك الأعظم ورضاه ،
 قال القشيري : و فى هذا دليل على [أن - '] الشريعة غير معلة و إذا ^٢
 ٥ جاء الأمر الشرعى بطل طلب ^٢ التعليل و سكنت الألسنة عن التناقض
 بدليم ، و حضور الاعتراض و الاستقباح بالبال خروج عن حد العرفان .
 و لما نظم عن طلب العلل خطابا للكامل ، طيب قلوب من دونهم
 بعلة معطوفة على ما تقديره : فليس ذلك بفساد ولكنه صلاح أذن
 لكم فيه ليشفى به صدور المؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم ، فقال واضعا
 ١٠ موضع ضميرهم ظاهرا يدل على ما أوجب خزيهم : ﴿ وليخزي الفسقين ٥ ﴾
 الذين هم أصلاء فى المروق من دائرة الحق بأن يذلم و يفضحهم بيان
 كذبهم فى دعواهم العز و الشجاعة و التأيد من الله لأنهم على الدين الحق
 و أنه لا يتطرق إليه نسخ ، و روى أبو يعلى ^١ عن جابر رضى الله عنه أنه
 قال : رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد [عليهم - '] فأتوا النبي صلى الله
 ١٥ عليهم و سلم فقالوا : يا رسول الله اعلينا إثم فيما قطعنا أو علينا فيما
 تركنا ، فأزل الله الآية - انتهى . و كان ناس من المؤمنين مالوا إلى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ ، انما (٣) من م ، و فى
 الأصل و ظ : بطلب (٤) من م . و فى الأصل و ظ : الرقة (٥) زيد فى الأصل :
 انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) راجع الدر المنثور ٦ / ١٨٨ .

الكف عن القطع لما سموه اليهود فسادا و طائفة أشاروا بالاستمرار على القطع لانه يغضبهم ، فصوب سبحانه في الآية من أمر بالكف و حلل [من أشاروا بالاستمرار بالقطع - ١] من الإثم ، فدلّت الآية على جواز إفساد [أموال - ٢] أهل الحرب على أى حال كان مشرأ^١ كان أو لا بالتحريق و التفريق و الهدم و غيره لإخزائهم بذلك .

٥

و لما كانت الغنائم التي تقسم بين الجيش^٦ إنما هي ما قاتلوا عليه ، و أما ما أتى منها بغير قتال فهو في^٧ يأخذه الإمام فيقسمه^٨ خمسة أخماس ، ثم يقسم خمسا منها^٩ خمسة أقسام^{١٠} ، أحدها و هو كان للنبي صلى الله عليه و سلم يكون بعده لمصالح المسلمين ، و الأقسام الأربعة [الأخرى - ٢]

من هذا الخمس لمن ذكر في الآية بعدها ، / و الأربعة الأقسام الكائنة ١٠ / ٢٦٧ من أصل القسمة^{١١} و هي التي كانت لرسول الله صلى الله عليه و سلم لأنها حصلت بكفائته و إرعايه للعدو ، تفرق بين المرتزقة من جميع النواحي ، فكانت الأموال كلها لله^{١٢} . إنعاما على من يعبد به بما شرعه على السنة رسله عليهم الصلاة و السلام ، كانت أموال الكفار في أيديهم غصبا غصبوه

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : فساد (٣) زيد من ظ و م .
 (٤) من ظ و م ، و في الأصل : العرب (٥) من ظ و م ، و في الأصل :
 مستمرا^{١٦} زيد في الأصل : وغيره ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
 (٧) من ظ و م ، و في الأصل : ويقسمه (٨) من ظ ، و في الأصل و م : منه .
 (٩) من ظ و م ، و في الأصل : أخماس (١٠) من م ، و في الأصل و ظ :
 القنينة (١١) زيد في الأصل : انواعا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

من أوليائه، فخص سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأموال بي
 التضير يصنعها حيث يشاء لأنها في قوله: ﴿ وما آتاه الله ﴾ أى رد
 الملك الذى له الأمر كله ردا سهلا بعد أن كان فيما يظهر فى غاية
 العسر والصعوبة ﴿ على رسوله ﴾ فصيره فى يده بعد أن كان خروجها
 عنها بوضع أيدي الكفار عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالتيءة^٥
 الذى هو عود الظل إلى الناحية التى كان ابتداء منها ﴿ منهم ﴾ أى ردا
 مبتدئا من الفاسقين، فيبين أن هذا فى الغنيمة، ويدخل فى النهى أموال
 من مات منهم عن غير وارث وكذا الجزية، وأما الغنيمة فهى ما
 كان^٦ بقتال وإيجاف خيل وركاب.

١٠ ولما كان الحرب إنما هو كروفر فى إسراع وخفة ورشاقة بمخاتلة^٧
 الفرسان ومراوغة الشجعان ومغاورة أهل الضرب والطعان^٨، قال معللا
 لكونه فيئا: ﴿ فما أوجفتم ﴾ أى أسرعتم، وقال ابن إسحاق: حرتم واتبتم
 فى السير - انتهى. وذلك الإيجاف للغلبة ﴿ عليه ﴾ وأعرق فى النهى
 بالجار فقال: ﴿ من خيل ﴾ وأكده باعادة النافى لظن من ظن انه غنيمة
 ١٥ لإحاطتهم بهم فقال: ﴿ ولا ركاب ﴾ أى إبل، غلب ذلك عليها من بين
 المركوبات، ولا قطعتم من أجله مسافة، فلم تحصل لكم كبير مشقة فى
 حوز أموالهم لأن^٩ فريتهم كانت فى حكم المدينة الشريفة ليس بينها

(١) من ظ و م. وفى الأصل: فى النهى (٢) من م، وفى الأصل وظ: كانت.

(٣) من ظ و م، وفى الأصل: لمخاللة (٤) من م، وفى الأصل وظ:

الطغيان (ه) من ظ و م، وفى الأصل: لا.

و بين ما يلي منها مسافة بل هي ملاصقة لإحدى قرى الأنصار التي المدينة
اسم لها كلها، وهي قرية بنى عمرو بن عوف في قباء بينها وبين القرية
[التي -] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بها نحو ميلين،
فشي الكلب مشيا ولم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقاتلوا
بها قتالا بعد، فلذلك جعلها الله فينا ولم يجعلها غنيمة، فهي تقسم قسمة
الفداء لا قسمة الغنيمة، فخمسة لأهل خمس الغنيمة وهم الأصناف الخمسة
المذكورون في الآية التي بعدها، وما فضل فهو الأربعة الأخماس له
صلى الله عليه وسلم مضمومة إلى ما حازه من خمس الخمس .

ولما كان معنى هذا: فما كان التسليط بكم، استدرك بقوله:

(ولكن الله) أي الذي له العز كله فلا كفوء له (يسلط رسله) أي ١٠

له هذه السنة في كل زمن (على من يشاء) يجعل ما آتاهم سبحانه من

الهيبة رعبا في قلوب أعدائه، فهو الذي سلط رسوله صلى الله عليه وسلم

على هؤلاء / بأن ألقى في روعه الشريف أن يذهب إليهم فيسألهم الإعانة

٢٦٨ /

في دية العامرين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه خطأ،

فلما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانب بيت من بيوتهم، ١٥

وكانوا مواعدين له صلى الله عليه وسلم نقضوا عهدهم خفية مكرا منهم

بعد أن رحبوا به و وعدوه الإعانة وأمروا أحدهم أن يرمى عليه من

(١) من ظ و م، وفي الأصل: بين (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بينهما.

(٣) زيد من ظ و م (٣) زيد بعده في الأصل وظ: فيها، ولم تكن الزيادة

في م فخذناها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: هي (٥) من م، وفي الأصل

و ظ: قبله .

فوق السطح صخرة لتقتله ، فأعله [الله - ١] بهذا فذهب وترك أصحابه^٢
 هناك حتى لحقوا به ، وهذا بعد ما كان حي فعل من قدمه مكة وندمه
 لفريش إلى حرب النبي صلى الله عليه وسلم^٣ و معاقبته لهم^٤ على أن يكون
 معهم^٥ عليه الصلاة والسلام ، وإعلام الله بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ٥ فأرسل إليهم بعد^٦ ما أصبح أنكم [قد - ١] ختم الله ورسوله ، فأردتم أن
 تفعلوا كذا ، وأن الأرض لله ورسوله ، فأخرجوا منها وقد أجلتكم
 عشرا ، فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون و دس إليهم ابن أبي ومن معه^٧
 من المنافقين أنهم معهم في الشدة والرخاء لا يسلبونهم ، وقال ابن أبي :
 معي ألفان من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم فيموتون من عند
 ١٠ آخرهم ، وتمدكم قريظة و - لفاؤكم^٨ من غطفان فطمع حي بن أخطب في
 ذلك فأرسل أبا لائخرج من ديارنا فاصنع^٩ ما بدا لك ، فقصدتم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في المؤمنين يحمل رأيتة على بن أبي طالب رضى
 الله عنه فصلى العصر بفنائهم بعد أن استعمل على المدينة ابن [أم - ١]
 مكتوم رضى الله عنه وأقام عليهم ست ليال وهم متحصنون ، فقطع من
 ١٥ نخلهم [وحرق - ١] فنادوه أن قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على
 من صنعه فما بالك تقطع النخل ، و تربصوا نصر ابن أبي ومن معه على

(١) زيد من م (٢) زيد في م من (٣-٢) في ظ : معاقبتهم له (٤-٤) من ظ
 وم ، وفي الأصل : يكونوا معه (٥) في م : عند (٦) زيد من ظ وم (٧) من
 ظ وم ، وفي الأصل : معهم (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : خلفاؤهم .
 (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : فاعمل .

ما قالوا فلم يفوا لهم ، فالتقى الله الرعب في قلوبهم فأرسلوا بالإجابة ، فقال :
لا إلا أن يكون [لى - ١] سلاحكم و ما لم تقدروا على حمله على إبلكم
من أموالكم ، فتوقفوا ثم أجابوا فحملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل
إلا الحلقة ، و ذهبوا على ستائة بعير ، و أظهروا الحلى و الحلل و أبدى نساءهم
زينتهم فلحق بعضهم بخبير و بعضهم الشام و خلوا الأموال و الحلقة ٥
لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يسلم منهم إلا رجلان يامين^٢ بن عمرو
و أبو سعد^٣ بن وهب ، أسلما على أموالها فأحرزاهما فجعل الله أموال من
لم يسلم منهم فينا لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة به يضمها حيث
يشاء كما روى ذلك في الصحيح عن عمر رضى الله عنه في قصة مخاصمة
على و العباس رضى الله عنهما ، و فيه أنه من خصائصه صلى الله عليه و سلم ١٠
فانه قال : إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه و سلم في هذا الفى
بشئ لم يعطه أحدا غيره ، ثم قرأ ” ما أفاء الله على رسوله منهم “ إلى
قوله تعالى : قدره ، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و الله
/ ما احتازها دونكم و لا استأثر بها عليكم قد أعطاكموها و بثها^٤ فيكم حتى
بقى^٥ منها هذا المال - يعنى الذى وقع خصامهما فيه ، فكان ينفق رسول الله ١٥

٢٦٩ /

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من م ، و فى الأصل
و ظ : باس - كذا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : ابوسعيد (٥) من ظ
و م ، و فى الأصل : فاخترها (٦) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة
فى ظ و م لخذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منها (٨) من ظ و م ،
و فى الأصل : ببقى .

صلى الله عليه وسلم على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجمله يجعل ما لله، وفي الصحيح^١ أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال: كانت أموال بنى النضير بما آفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب،
 ٥ فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق [على أهله - ٢]
 منها نفقة سنة^٢ ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة^٣ في سبيل الله - انتهى، وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم بعد ما تركه لنفسه^٤ بين المهاجرين، لم يعط الأنصار منه شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة شديدة: أبو دجاجة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضى الله عنهم، [وكان لسيف ابن أبي الحقيق عندهم ذكر فضله سعد بن معاذ رضى الله عنه - ٢] وقال الأصبهاني: إن النبي كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما أربعة أخماسها وهي عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل بها^٥ ما يشاء ويحكم فيها ما أراد، والخمس الباقى على ما يقسم^٦ عليه
 ١٥ خمس^٧ الغنيمة - يعنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى ومن بعدهم، هكذا كان عمله صلى الله عليه وسلم [فى صفاياه،

(١) راجع ٢/٧٢٥ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: ساعة .

(٤) من ظ و م، وفى الأصل: هذه (٥) من ظ و م، وفى الأصل: لنصبه .

(٦) من ظ و م، وفى الأصل: فيها (٧) من ظ و م، وفى الأصل: يحكم .

(٨) من ظ و م، وفى الأصل: خمسة .

فلما توفى كانت إلى إمام المسلمين وكذا جميع ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم -^١ لأنه قال : لا توثق ، ما تركناه صدقة ، فولى ذلك أبو بكر رضى الله عنه ثم عمر رضى الله عنه ، فكانا يفعلان [فيها -^١] ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم : و قال الأصهبانى رضى الله عنه أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان رضى الله عنه : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه " أما الصدقت للفقراء " حتى بلغ " عليم حكيم " ثم قال : هذه لهؤلاء ثم قرأ [" واعلوا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه " الآية] ثم قال هذه لهؤلاء ، ثم قرأ -^١ [" ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى " الآية حتى بلغ " الفقراء المهاجرين و الذين تبؤوا الدار و الإيمان و الذين جاؤا من بعدهم "] ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة فليس أحد إلا له فيها ١٠ حق ، ثم قال : لئن عشت لياتين الراعى نصيبه منها لم يعرق جبينه فيه - انتهى . و قال ابن عطية : ما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبي النصير و من فدك فهو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، و ليس على حكم الغنيمة التى يوجف عليها و يقاتل فيها . و مذهب الشافعى رضى الله عنه أن هذه الأموال التى هى فى كيفية الفداء يقسم على [خمسة -^١] أسهم : خمس ١٥ منها للأصناف المذكورة أولها النبي صلى الله عليه وسلم و أربعة أخماسها له صلى الله عليه وسلم وحده ، و أجاب الشافعى عن قول عمر رضى الله عنه ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يورث (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : حكيم عليم (٥) ليس فى ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : خمسة .

” فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة “ بانـه عام
 أريد به الخاص، ومعناه: فكان ما بقي منها في يد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بعد إعطاء الخمس لأربابه خاصا به صلى الله عليه وسلم، لا يشك
 أحد في خصوصيته به، ثم أنه مع ذلك ما احتازه دونهم بل كان
 ٥ يفعل ما ذكر في الحديث من الإيثار، قال الشافعي رضي الله عنه: لانا
 لا يشك أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الأوصاف المذكورين في
 الآية منها حقهم وقد عهدنا أن حق هؤلاء الأوصاف من مال المشركين
 الخمس كما هو صريح في سورة الأنفال،^٣ واستفيد من قول عمر رضي الله
 عنه ” انها كانت للنبي صلى الله عليه وسلم “ أنه كان له ما كان يشترك
 ١٠ فيه المسلمون [من الخمس من الغنيمة التي حصلت بما حصل للكفار من
 الرعب منهم، والذي كان يشترك فيه المسلمون -^٤] بعد الخمس هو
 أربعة الأخماس^٥ والنبي صلى الله عليه وسلم قام مقام المسلمين فيه إذ هم
 لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب، وإنما حصل ذلك بالرعب الذي
 القاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في قلوب المشركين. فكانت الأربعة
 ١٥ الأخماس تخص من كان السبب في حصول الجميع [كما في الغنيمة، فعلى
 هذا النوع الغنيمة لا يختلفان في أن الأربعة الأخماس تخص لمن كان السبب

(١) من ظ و م، وفي الأصل: اختاره (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ
 وم (٣-٣) من م، وفي الأصل و ظ: فاستفيد (٤) من ظ: وفي الأصل
 وم: شرك (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: الأربعة
 اخماس (٧) من ظ و م، وفي الأصل: هو (٨) زيد من ظ.

في حصول الجميع - ١] و أن خمس المالين يكون للأصناف المذكورة ، والذي كان له صلى الله عليه وسلم من الفى من الأربعة الأخماس يكون بعد موته صلى الله عليه وسلم للمقاتلة لانه حصل بالرعب الحاصل للكفار منهم كأربعة أخماس الغنيمة التي حصلت بقتالهم .

ولما كانت قدرته سبحانه عامة بالتسليط وغيره ، أظهر ولم يضره فقال : (والله) أى الملك الذى له الكمال كله (على كل شيء) أى [أى شيء - ١] يصح أن تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسليط وغيره (قديره) أى بالغ القدرة إلى أقصى الغايات ، والآية تدل على أن يجاف الخيل والركاب وقصد العدو إلى الأماكن الشاسعة له وقع كبير فى النفوس ورعب عظيم .

١٠

ولما نزع سبحانه أموالهم من أيدي الجيش ، بين مصرفاً غيرها بما كان مثلها بأن فتح له صلى الله عليه وسلم بغير قتال فقال مستأنفاً جواباً لمن دأبه قال : هل يعم هذا الحكم كل فى يكون بعد بنى النصير : (ما آفاه الله) أى الذى اختص بالعزة والحكمة والقدرة (على رسوله)

ولما كان سبحانه محيط العلم بأنه يسلط على أهل وادى القرى وغيرهم ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : المذكورين (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالرعب (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : وقع . (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فخذوها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فى كل تكون معيد النصير - كذا (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بالعزة .

أعظم من هذا التسليط، قال ليكون علما من أعلام النبوة: ﴿من أهل القرى﴾
 أى قرية بنى النضير وغيرها من وادى القرى والصغراء وينبع وما
 هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى 'عربية' ﴿فنته﴾ أى الملك
 الأعلى الذى الأمر كله بيده ﴿والرسول﴾ لأنه أعظم خلقه، فرتبه
 ٥ تلى رتبته، وهذان يترا آى أنهما 'قسمان' وليس كذلك، هما قسم واحد،
 ولكنه ذكر سبحانه نفسه المقدس تبركا، فان كل أمر لا يبدأ به فهو
 أجزم، وتعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم إعلاما بأنه لا هوى له أصلا
 فى شيء من الدنيا، وإنما رضاه^٢ رضا مولاه، خلقه القرآن الذى هو
 صفة الله [فهو -^١] مظهره ومجلاه، وسهمه^٣ صلى الله عليه وسلم يصرف
 ١٠ / ٢٧١ بعده لمصالح المسلمين كالسلاح والثغور والعلماء والقضاة / والأئمة .

ولما أبان هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل
 والعظمة ما لا يدخل تحت الوصف، أتبعه تعظيما آخر بتعظيم أقاربه
 لأجله، ولذلك أعاد العامل فقال: ﴿ولذى القربى﴾ أى منه^٤ لأن
 رتبته من بعد رتبته وهم بنو هاشم وبنو المطلب رهط إمامنا الشافعى
 ١٥ رضى الله عنه سواء فيه غنيهم وفقيرهم: لأن أخذهم لذلك بالقرابة لا بالحاجة
 كما هو مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه . ولما ذكر أهل الشرف،
 أتبعه أهل الضعف جبرا لو منهم فقال مقدما أضعفهم: ﴿واليتيم﴾

(١) من ظ و م ، وفى الاصل : قرية (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : انهم .
 (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : ارضاها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : قسمه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : منهم .

[أى - ١] الذين هم^٢ أحق الناس بالعطف لأن مبنى الدين على التخلق بأخلاق الله التي من أجلها تقوية الضعيف وجبر الكمثير^٣ (والمسكين) فانهم^٤ في الضمف [على أرم- ١] ودخل فيهم الفقراء فانه^٥ إذا اقرد لفظ الفقير أو المساكين دخل كل منهما في الآخر^٦، وإنما يفرق إذا جمع بينهما، وكذا النوى والغنيمة إذا أفردا^٧ جاز أن يدخل كل في الآخر، وإذا جمعا فالنوى ما حصل بغير قتال وإيجاف خيل وركاب، والغنيمة ما حصل بذلك (و ابن السيل لا) وهم الغرباء لانقطاعهم عن أوطانهم وعشائرهم، وقسمة النوى على هذه الأصناف كما مضى أن يقسم خمسة أقسام: خمس منها^٨ لرسول الله صلى الله عليه وسلم [و- ١] من ذكر معه من المخلوقين وذكر الله فيهم للتبرك، لأن الأصناف ١٠ المذكورة هي التي يعبر عنها باسمه سبحانه، والأربعة الأخرى خاصة له صلى الله عليه وسلم ينفق منها نفقة سنة وما فضل عنه أنفق في مصالح المسكين السلاح و [الكراع و- ٤] نحوه، وما كان له صلى الله عليه وسلم في حياته فهو للأصلح بعد وفاته، كما كان يفعل بعد ما يفضل عن حاجته، قال الشافعي رضي الله عنه [في الأم- ٩]: وما أخذ من مشرك ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، وفي الأصل وظ: هو (٣) زيد في الأصل: ثم قال، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذلتناها (٤) زيد من م (٥) من م، وفي الأصل وظ: فانهم (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الآخرة (٧) من م، وفي الأصل: أفرد، وفي ظ: أفردا (٨) من ظ و م، وفي الأصل: منه. (٩) زيد من ظ، وراجع كتاب الأم ٤ / ٦٤.

بوجه من الوجوه غير ضيافة من 'مر بهم' من المسلمين فهو على وجهين لا يخرج منهما، كلاهما مبين في كتاب الله تعالى و [على - ٢] سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي فعله فأحدهما الغنيمة، قال الله تعالى في سورة الأنفال "واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسة وللرسول" الآية، و الوجه الثاني الفئء، وهو مقسوم في كتاب الله في سورة الحشر، قال ٥ الله تبارك و تعالى "وما افاء الله على رسوله منهم - إلى قوله: رؤف رحيم" فهذان المالان اللذان خولها الله من جعلها له من أهل دينه، وهذه أموال يقوم بها الولاية لا يسلمهم تركها. فالغنيمة والنبي يتجمعان في أن فيهما معا الخمس من جميعها لمن سماه الله تعالى، ومن سماه الله ١٠ تعالى في الآيتين [معا - ٧] سواء مجتمعين غير مفترقين، ثم يفترق الحكم في الاربعة الاخماس بما بين الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وفي فعله فانه ٩ قسم أربعة أخماس الغنيمة، والغنيمة هي الموجف عليها بالخييل و الركاب لمن حضر / من غنى و فقير، والفئء وهو ما لم يوجف عليه بخييل و لا ركاب، فكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم في ١٥ في "قرى عربية" التي أفاها الله عليه أن أربعة أخماسها لرسول الله صلى الله

/ ٢٧٢

- (١-١) من ظ و م و الأم، وفي الأصل: قريهم (٢) من ظ و م و الأم،
 وفي الأصل: عنها (٣) زيد من ظ و م و الأم (٤) زيد في الأصل وظ: انتهى،
 ولم تكن الزيادة في م و الأم لحدفتناها (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل: بما.
 (٦) من ظ و م و الأم، وفي الأصل: هذا (٧) زيد من م و الأم (٨) من
 ظ و م و الأم، وفي الأصل: أخماس (٩) من م و الأم، وفي الأصل وظ: انه.
 (١٠-١٠) من ظ و م و الأم، وفي الأصل: القرى العربية.

عليه وسلم خاصة دون المسلمين يضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه^١ الله عز وجل ، ثم ذكر حديث عمر رضى الله عنه من رواية [مالك بن] أوس بن الحدثان رضى الله عنه فى خصام على والعباس رضى الله عنهما ، قال الشافعى^٢ : فأموال بنى النضير التى آفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم التى ذكر عمر رضى الله عنه فيها ما بقى منها فى يد النبى صلى الله عليه وسلم^٣ بعد الخمس وبعد أشياء فرقىها النبى صلى الله عليه وسلم منها بين رجال من المهاجرين لم يعط منها أنصاريا [إلا رجلين-^٤] ذكرا فقرا وهذا مبين فى موضعه ، وفى هذا الحديث دلالة على^٥ أن عمر رضى الله عنه إنما حكى أن أبا بكر رضى الله عنه وهو أمضيا ما بقى من هذه الأموال التى كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ما رايا رسول الله^٦ صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها ، وانهما^٧ لم يكن لهما بما [لم-^٨] يوجب عليه المسلمون من النية ما كان لرسول صلى الله عليه وسلم وانهما^٩ إنما كانا فيه أسوة للمسلمين ، وذلك سيرتهما وسيرة من بعدهما ، والأمر الذى لم يختلف فيه أحد من أهل العلم عندنا عليه^{١٠} ولم يزل يحفظ^{١١} من

(١) من ظ و م والأم ، وفى الأصل : اراد (٢) راجع الأم ٦٤ / ٤ (٣) زيد فى الأصل وظ : ما بقى ، ولم تكن الزيادة فى م والأم لخذفناها (٤) زيد من ظ و م والأم (٥) من ظ و م والأم ، وفى الأصل : عن (٦) من ظ و م والأم ، وفى الأصل : وإنما (٧) زيد من م والأم (٨) من ظ و م والأم ، وفى الأصل : انها . (٩) من ظ و م والأم ، وفى الأصل : عليه (١٠) من ظ و م والأم ، وفى الأصل : يحفظه .

قولهم أنه ليس لأحد ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من صفي
الغنيمة و لا من أربعة أخماس ما لم يوجب عليه منها، وقد مضى من
كان [ينفق -^١] عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه
وغيرهن إن كان معهن، فلم أعلم أحدا من أهل [العلم -^١] قال لورثتهم
تلك [النفقة التي كانت لهم، و لا خلاف أن تجعل تلك النفقات حيث
كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل فضول غلات تلك -^١] الأموال
فيما فيه صلاح الإسلام و أهله، قال الشافعي^٢: و الجزية من الفئ و سييلها
سييل جميع ما أخذ بما أوجب من مال مشرك أن بخمس فيكون لمن^٣
سمى الله عز و جل الخمس و أربعة أخماسه على ما سألته إن شاء الله تعالى،
١٠ و كذلك كل ما أخذ من مشرك من [مال] غير إيجاب، و ذلك مثل ما أخذ
منه إذا اختلف في بلاد المسلمين و مثل ما أخذ منه إذا مات و لا وارث
له، و غير ذلك بما أخذ من ماله، و قد كان في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم في من غير قرى عريضة، و ذلك مثل جزية أهل البحرين
و هجر و غير ذلك فكان له أربعة أخماسها يمشيها حيث أراد الله عز و جل
١٥ و أوفى^٤ خمسة من جعله الله له - انتهى .

و لما حكى^٥ سبحانه هذا الحكم في النبي المخالف لما كانوا عليه في

(١) زيد من ظ و م و بالام (٢) راجع الأم ٦٥/٤ (٣) من ظ و م و الأم، و في
الأصل: من مال من (٤) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م
و الأم لحدفتها (٥) من ظ و م و الأم، و في الأصل: أراد (٦) من ظ و م
و الأم، و في الأصل: زاد في (٧) من ظ و م، و في الأصل: احكم .

الجاهلية من [اختصاص - ١] [الأغنياء به]، بين علته المظهرة لعظمته سبحانه وحسن تدييره ورحمته فقال معلقا بما علق به الجار: (كى لا يكون) أى النىء الذى سيره الله سبحانه بقوته وما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم من قذف الرعب فى قلوب أعدائه / ومن حقه أن يعطاه الفقراء (دولة) ٣٧٣ /

أى شيئا يتناولوه أهل الغنى والشرف على وجه القهر والغلبة إثره جاهلية - ه
هذا على قراءة الجماعة، وقرأ أبو جعفر و هشام عن ابن عامر بالتأنيث من "كان" التامة و "دولة" بالرفع على أنها فاعل (بين الاغنياء منكم) يتداولونه بينهم فانهم كانوا يقولون: من عزيز، ومنه قال الحسن: اتخذوا عباد الله خوفاً و مال الله دولاً - يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به، وقيل: الضم اسم للتداول كالفرقة اسم لما يغترف، والفتح التداول . ١٥
ولما كان التقدير: فافعلوا ما أمرتكم من قسمته لمن أمرت بهم، عطف عليه قوله: (وما) أى وكل شىء (اتكم) أى أحضر إليكم وأمكنكم منه (الرسول) أى الكامل فى الرسلية من هذا وغيره (تغذوه) أى وقبلوه تقبل من حازه (وما نهكم عنه) من جميع الأشياء (فأتوها) لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يقول ولا يفعل إلا ما أمره به الله ربه، فمن قبل ذلك هانت عليه الأمور كما ورد "القرآن صعب مستصعب على من تركه ميسر على من طلبه وتبعه" روى أن الآية (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، وفى الأصل و م : ثم (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : أشده (٤) راجع نثر المرجان ٢٧٤ / ٧ (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : احد (٧) من ظ ، وفى الأصل و م : ما . (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : افعلوا (٩-١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : هذه الأمور عليه وغيرها .

نزلت في ناس من الأنصار قالوا: لنا من هذه القرى سهمنا^١ .

ولما كان الكف عما ألقته النفوس صعبا، ولا سيما ما كان مع

كونه تمتعا^٢ بمال على وجه الرئاسة، رهب من المخالفة فيه بقوله:

(واتقوا الله^٣) أي اجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقاية من عذاب الملك الأعظم المحيط علما و قدرة، و علل ذلك بقوله،

معظمها له بإعادة الجلالة مؤكداً لأن فعل المخالف فعل المنكر: (ان الله)

أي الذي له وحده الجلال والإكرام على الإطلاق (شديد العقاب)

أي العذاب الواقع بعد الذنب، ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة

نسخ بشيء مما في سورة الأنفال فقد اخطأ، لأن الأنفال نزلت في بدر

١٠ و [هي -^٤] قبل هذه بمدة .

ولما نزع سبحانه أموال النية و ما كانت عليه في الجاهلية، و بين

مصرف النية من القرى، و تهدد في المخالفة في ذلك لصعوبته على النفوس،

فكان ذلك جديرا بالتقبل بعد أن أفهم أن أموال بني النضير لمن سلطه

عليهم وهو رسوله صلى الله عليه وسلم، و كان من المعلوم من حاله صلى الله

١٥ عليه وسلم الإيثار على نفسه و القناعة بما دون الكفاف، بين المصرف فيها

بعد كفايته صلى الله عليه وسلم لأن بيان ذلك هو المقصود الأعظم لكونه

حاصلا حاضرا، الموطأ له بأموال أهل القرى، فقال مبدلا [من -^٥] " الله

(١) من ظ و م ، و في الأصل : هذا (٢) من ظ و م ، و في الأصل : منها .

(٣) من ظ و م ، و في الأصل : متمتا (٤) من ظ و م . و في الأصل : الفعل .

(٥) ريد من ظ و م .

٢٧٤ /

والرسول“ وما عطف عليهما لأن من أعطى المهاجرين لهجرتهم وتجردهم من أموالهم وديارهم فانما أعطاهم لوجه الله ووجه رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يكون بدلا من ”ذى القربى“ لئلا يختص بفقيرهم، أو يكون جوابا لمن كأنه قال: قد سمعنا وأطعنا فلن^٢ / يكون ما ساط الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أموالهم؟ فقيل له: (للفقرآء) أى الذين كان الإنسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة فى الشتاء لتقيه الرد، ما له دثار^٣ غيرها بعد أن كان له من الأموال ما يسهه ويفضل منه ما يصل به غيره، وإنما وصفهم بالفقر لأنهم كانوا عند زولها^٤ كذلك، ثم خصص بالوصف فقال: (المهجرين) ولما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر أهل الكفر^٥ من غير مفارقة^٦ ١٠ الوطن فقال: (الذين أخرجوا) وبناه للفعول لأن المنكئ الإخراج، لا كونه من مخرج معين (من ديارهم) ولما كان الإخراج هنا مضمنا معنى المنع، واختبر التعبير به [إشارة - ٩] إلى أن المال السترة للإنسان لأنه ظرف له، قال: (وأموالهم) .

- (١) من ظ، وفى الأصل وم: لا (٢) من ظ وم، وفى الأصل: كان .
 (٣) من ظ وم، وفى الأصل: فلن (٤) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لعدمها (٥) من م، وفى الأصل وظ: زناد (٦) من ظ وم، وفى الأصل: زول القرآن (٧) من ظ وم، وفى الأصل: يسره .
 (٨) من ظ وم، وفى الأصل: مصادفة (٩) زيد من ظ وم .

و لما كان علم الدنيا من النقص . بين أنه إذا كان الله لم يكن كذلك ، وأنه لا يكون قادحا في الإخلاص ، وأن أمر بني النضير إنما يسر^١ تحقيقا لرجائهم فقال : ﴿ يتغون ﴾ أى [أخرجوا - ٢] حال كونهم يطلبون^٣ على وجه الاجتهاد . وبين أنه لا يجب عليه شيء لأحد ٥ بقوله تعالى : ﴿ فضلا من الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له لأنه المختص بجميع صفات الكمال من الدنيا والدين والآخرة فيغنيهم بفضله عن سواه ﴿ ورضوانا ﴾ يوقفهم لما^٤ يرضيه عنهم ولا يجعل^٥ رغبتهم في العوض منه قادحا في الإخلاص فيوصلهم إلى دار كرامته .

ولما وصفهم بتعلق بواطنهم به سبحانه وقطعها بالرضا بالإخراج ١٠ عن [و عما - ٢] سواه ، [وصفهم - ٧] يذل ظواهرهم له فقال : ﴿ وينصرون ﴾ [أى - ٦] على سبيل التجديد في كل وقت والاستمرار ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم المجيد^٦ ﴿ ورسوله^٧ ﴾ الذى عظمته من عظمتهم وأمواهم ليضمحل حزب الشيطان . ولما بان ما له بهم سبحانه من العناية^٨ رقب السامع من مدحهم ما يليق بهذا الإخبار . فقال مستأنفا ما هو كالعلة ١٥ لتخصيصهم : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة في الأخلاق الفاضلة ﴿ هم ﴾

(١-١) من م ، وفى الأصل وظ : لله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يستر .
(٣) زيد من ظ و م (٤) زيدى الأصل : من النقص ، بين أنه إذا كان من - وهو تكرار لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٦) من ظ و م ، وفى الأصل ولا يجعل (٧) زيد من م (٨) سقط من ظ و م (٩) من م ، وفى الأصل وظ : الغاية .

أى خاصة 'الاغريم' (الصدقون ج) العريقون فى هذا الوصف لأن مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما وهو القريب الصافى نسبا ودارا وأرلوا أولياءهما من كانوا وإن بعدت دارهم وشط مزارهم، وهذا يدل على أن مبنى الدين على إقامة البيئات بالثبات عند الابتلاءات على أن العون قد يأتي على قدر البلاء لأن الله تعالى قد خص المهاجرين بما أذن فيه من أموال بنى النضير. ولما مدح المهاجرين وأعطاهم فطابت قفوس الأنصار بذلك وكانوا

فى كل حال معه صلى الله عليه وسلم / كالميت بين يدى الغاسل، مهما / ٢٧٥
 شاء فعل، ومهما أراد منهم صار إليه ووصل، أتبعه مدحهم جبراهم ١٠
 وشكرا لصنيعهم فقال عاطفا على مجموع القصة: (والذين تبوءوا) أى
 جعلوا بغاية جهدهم (الدار) الكاملة فى الدور وهى التى أعدها الله فى
 الأزل للهجرة وهىأما للنصرة وجعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها
 غالبه عليها محل إقامتهم وملابستهم وصحبتهم وملازمتهم لكونها أهلا
 لأن يعود إليها من خرج منها فلا يهجروها^{١٠} أصلا، فهى محل مناه وليست ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من م، وفى الأصل و ظ : لم (٣) من
 ظ و م، وفى الأصل : كما (٤) من ظ و م، وفى الأصل : عادا الله ورسوله
 صلى الله عليه وسلم (٥) من ظ و م، وفى الأصل : أولياتها (٦) من م، وفى
 الأصل و ظ : البيان (٧) من ظ و م، وفى الأصل : الابتلاء (٨) سقط من
 م (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م، وفى الأصل : فلا يهجروا .

موضعا^١ يهاجر منه^٢ لبركتها أو خيرها .

و لما كان المراد الإبلاغ في مدحهم ، قال مضمنا "تبوؤا" معنى لازم :
 ﴿والإيمان﴾ أى [و - ٣] لابسوه و صحبوه و خصوه بالصحة و لزومه
 لزوما هو كلزوم المنزل الذى لاغنى لنازله عنه ، و يجوز أن يكون [الإيمان - ٤]
 ٥ وصفا للدار باعادة العاطف للإشارة إلى ' التمكن فى كل من الوصفين
 فيكون كآه قيل : تبوؤا المدينة التى هى الدار و هى الإيمان لأنها محل تمكن
 الإيمان و انتشاره و ظهوره فى سائر البلدان ، فلشدة ملابستها * [له - ١]
 سميت به ، و يجوز أن يكون المعنى : و محل الإيمان إشارة إلى أنهم ما
 أقاموا بها لأجل أن أمواهم بها بل محبة فى الإيمان علما منهم بأنه لا يتم
 ١٠ بدره ، و يكمل شرفه و قدره ، و تنشر أعلامه و يقوى ذكره إلا بها ، ولولا
 ذلك لهجروها^٣ و هاجروا إلى النى صلى الله عليه و سلم فى أى مكان حله ،
 فهو مدح لهم بأنهم متصفون بالهجرة بالقوة مع اتصافهم بالنصرة
 بالفعل^٤ .

و لما كانت افرادهم باقامة الإيمان فى الدار المذكورة قبل قدوم
 ١٥ المهاجرين عليهم مدحا تاما ، قال مادحا لهم بذلك دالا باثبات الجار
 على أنهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين إرسال الرسول صلى الله

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مواضعا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منها .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحدفتها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لهجروا (٧) من
 ظ و م ، و فى الأصل : والفعل .

عليه وسلم بالأميرين: (من قبلهم) أي قبل هجرة المهاجرين لأن وصفهم بالهجرة لم يكن إلا بعد إيجادها فالأنصار جمعوا التمكن في الإيمان إلى التمكن في الدار من قبل أن يجمع المهاجرون بينهما بالهجرة .

ولما ابتداء ذكرهم هذا الابتداء الجليل ، أخبر عنهم بقوله: (يحبون)

أي على سبيل التجديد والاستمرار ، وقيل: العطف على المهاجرين ، ه
وهذه حال فيكون هذا حكما بالمشاركة (من هاجر) وزادهم محبة فيهم وعطفا عليهم بقوله: (اليهم) لأن القصد إلى الإنسان يوجب حقه عليه لأنه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد إليه ، والدليل الشهودي على ما أخبر الله عنهم به من المحبة أنهم شاطروا المهاجرين في أموالهم وعرضوا عليهم أن يشاطروهم نساءهم على شدة غيرتهم ، فأبى المهاجرون ١٠ المشاطرة في النساء وقبلوا منهم الأموال .

ولما أخبرهم بالمحبة ورغبتهم في إدامتها ، عطف على هذا الخبر ما

هو من ثمراته فقال: (ولا يجدون) [أي-؛ أصل (في صدورهم)]

التي هي مساكن / قلوبهم فتصدر منها أوامر القلوب فضلا عن [أن-؛

تنطق ألسنتهم . ولما كان المراد نفي الطلب منهم لما خص به المهاجرين ، ١٥

وكان الحامل على طلب ذلك الحاجة ، وكان كل أحدا يكره أن ينسب

(١) من ظ و م ، وفي الأصل: بالامرهم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل:

هذا (٣-٤) من ظ و م ، وفي الأصل: به عنهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من

ظ و م ، وفي الأصل: أو من (٦) من ظ و م ، وفي الأصل: واحد .

إلى الحاجة وإن أخبر بها عن نفسه في وقت ما لغرض قال: (حاجة)
 موقعا اسم السبب على المسبب (مما أوتوا) أى المهاجرون من النية
 وغيره من أموال بنى النضير وغيرهم من أى مؤت كان فكيف إذا
 كان الموتى هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا لم يجدوا حاجة
 ٥ تدعوم إلى الطلب فلأن لا يجدوا حسدا ولا غيظا من باب الأولى، فهذه
 الآية من أعظم حاث على حسن الإخاء محذر من الحسد والاستياء.
 ولما أخبر عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الإخبار بتخليهم بالفضائل فقال:
 (ويؤثرون) عظم ذلك بقصر الفعل فصار المعنى: يوقعون الإثرة
 وهى اختيار الأشياء الحسنة لغيرهم تخصيصا لهم بها لاعلى أحبائهم مثلا
 ١٠ بل (على أنفسهم) فيذلون لغيرهم [كانا - ٢] من كان ما فى أيديهم،
 وذكر النفس دليل على [انهم فى - ٢] غاية النزاهة من الرذائل لأن
 النفس إذا طهرت كان القلب أطهر، وأكد ذلك بقوله: (ولو كان)
 أى كونا هو فى غاية المكنة (بهم) أى خاصة لا بالموثر؛ (خاصة بمنا)
 أى فقر و خلل فى الأحوال و حاجة شديدة تعيط بهم من كل جانب،
 ١٥ من خصائص البناء و [هى - ٢] فرجه .

ولما كان التقدير: فمن كان كذلك فهو من الصادقين، عطف
 [عليه - ٢] قوله: (ومن) ولما كان المقصود النزاهة عن الرذيلة من
 أى جهة كانت. وكان علاج الرذائل صعبا جدا، لا يطيقه الإنسان

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: على الفضائل (٢) من ظ و م ، وفى الأصل:

الاختيار (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .

إلا بمعونة من الله شديدة، بنى للمفعول^١ قوله: (يوق شح نفسه) أى يحصل بينه وبين أخلاقه الذميمة المشار إليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها، فلا يكون مانعا لما عنده، حريصا على ما 'عند غيره' حسدا، قال ابن عمر رضى الله عنه: الشح أن تطمح عين الرجل فيما^٢ ليس له، قال صلى الله عليه وسلم: اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم^٥ على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

ولما كان النظر [إلى-^١] التطهير من سفاسف الأخلاق عظيما، سبب عنه إلهاما لأنه^٦ لا يحصل ما سببه عنه بدونه قوله (فاولئك) : أى العالم المنزلة (م) أى خاصة لا غيرهم (المفلحون) [أى-^٤] الكاملون

في الفوز بكل مراد، [قال القشيري: وتجرد القلب من الاعراض ١٠ والأملك صفة السادة-^١] والآكار، ومن أسرته^٩ الأخطار وبقى في شح نفسه فهو في مصارفة معاملته ومطالبة الناس في استيفاء حظه، فليس له من مذاقات هذه الطريقة شئ . . وشرح الآية [أن-^١] الانتصار كانوا لما قدم عليهم المهاجرون قسموا دورهم وأموالهم بينهم وبينهم، فلما أفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أموال بنى النصير خطب ١٥

النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ما صنعوا / بالمهاجرين من إنزالهم إياهم

٢٧٤ /

- (١) من ظ ، وفي الأصل وم : المفعول (٢-٢) من ظ وم ، وفي الأصل : عنده .
 (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : بلا (٤) أخرجه مسلم في الصحيح : أبواب البر .
 (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : حملوا (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم ،
 وفي الأصل : بانه (٨) زيد من ظ (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : سرتة .

وإزتهم على أنفسهم، ثم قال: إن أحببتم^١ قسمت بينكم وبين المهاجرين ما آفاه الله على من بنى النضير، وكان المهاجرون^٢ على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم، فقال السعدان رضي الله عنهما: بل يقسم بين المهاجرين خاصة ويكونون في دورنا^٣ كما كانوا، وقالت الأنصار: رضينا ولسنا، وفي رواية هـ [أنهم-^٤] قالوا: أقسم فيهم^٥ هذه خاصة وأقسم لهم^٦ من أموالنا ما شئت، فزلت^٧، ويؤثرون على أنفسهم- الآية، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: جزاكم الله خيرا يا مشر الأنصار، فوالله ما مثلنا ومثلكم ١٠ إلا كما قال العنزي:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلت بنا نعلنا في الواطين فولت

أبرأ أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون منا ملت^٨

فهم لعمرى الحقيقون باسم إخوان الصفا، وخلان المروءة والوفاء،

والكرامة والاصطفاء،^٩ ورضى الله عنهم وعن تابعيهم من الكرام الخلفاء

١٥ والسادة الخلفاء.

(١) من ظ و م، وفي الأصل: جيم (٢) من ظ و م، وفي الأصل:

المهاجرين (٣) من ظ، وفي الأصل و م: دونها (٤) زيد من ظ و م.

(٥) من ظ و م، وفي الأصل: منهم (٦) من ظ و م، وفي الأصل: بهم.

(٧) من ظ و م، وفي الأصل: فزل (٨) زيد في ظ: انتهى (٩-٩) سقط ما

بين الرقنين من ظ و م.

ولما أننى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين والآنصار رضى الله عنهم بما هم أهل، عقب^١ التابعين لهم باحسان ما يوجب لهم الثناء فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضى التشريك^٢ معهم، أو على أصل القصة من عطف الجمل: ﴿و الذين جاؤ﴾ أى من أى طائفة كانوا، [ولما كان المراد^٣] المجيء ولو فى زمن يسير، أثبت الجار فقال: ﴿من بعدهم﴾^٥ أى بعد المهاجرين والآنصار وهم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد إيمان الآنصار الذين أسلموا بعد^٤ النبى صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، ثم ذكر الخبر أو الحال على [نحو^٦] ما مضى فى الذى قبله فقال تعالى: ﴿يقولون﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لإيمانهم بدعاتهم لمن سبهم: ﴿ربنا﴾ أى [أيها^٧] المحسن إلينا^{١٠} بإيجاد من مهد الدين قبلنا. ولما كان الإنسان وإن اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا: ﴿اغفر﴾ أى أوقع الستر [على^٨] النقائص أعيانها وآثارها ﴿لنا﴾ ولما بدأوا بأنفسهم، ثنوا بمن كان السبب فى إيمانهم فقالوا: ﴿ولاخواننا﴾ أى فى الدين فإنه أعظم أخوة،^٩ وبينوا^{١١} العلة بقولهم: ﴿الذين سبقونا بالإيمان﴾ ولما لقنهم^{١٢} سبحانه حسن الخلافة^{١٥} لمن مهد لهم ما هم فيه، أتبعه تلقين ما يعاشرون به أعضادهم الذين هم

(١) من ظ، وفى الأصل: من، والكلمة ساقطة من م (٢) من ظ و م،

وفى الأصل: التشديد (٣) من ظ و م، وفى الأصل: كان (٤) زيد من ظ.

(٥) فظ: مع (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: ثم بنوا.

(٨) من ظ و م، وفى الأصل: لقبهم.

معهم على وجه يعم من قبلهم ، فقال معلما بأن الامر كله بيده حثا على
الالتجاء إليه من أخطار النفس التي هي أعدى الأعداء^١ : ﴿ ولا تجعل ﴾
وأفهم قوله : ﴿ في قلوبنا ﴾ أن^٢ رذائل النفس قل^٣ أن تفك و أنها
إن كانت مع صحة القلب أو شك أن [لا -^٤] تؤثر ﴿ غلا ﴾ أى
ضعفناه / واحسدا وحقدا^٥ وهو [حرارة و -^٦] غليان يوجب الانتقام^٧
﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان وإن كانوا فى أدنى درجاته .

٢٧٥ / ٥

ولما كان هذا دعاء جامعا للخير ، لقنهم ما يجيبهم فى لزومه والتخلق
به مع ما فيه من التلقى للاله والتعريض له بقوة الرجاء فقال : ﴿ ربنا ﴾
أى أيها المحسن إلينا بتعليم ما لم نكن نعلم ، وأكدوا إعلاما بأنهم يعتقدون
١٠ ما يقولونه وإن ظهر من أفعالهم ما يقدر فى اعتقادهم ولو فى بعض الأوقات
فقالوا : ﴿ انك رؤوف ﴾ أى راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة
بفعل من أفعال الخير ﴿ رحيم ﴾ مكرم غاية الإكرام لمن أردته ولو
لم يكن له وصلة ، فأنت جدير بأن تجيننا لأننا بين أن يكون لنا وصلة
فنكون من أهل الرأفة ، أولا فنكون من أهل الرحمة ، فقد أفادت
١٥ هذه الآية أن من كان فى قلبه غل على أحد من الصحابة رضى الله عنهم

(١) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٢) من ظ
وم ، وفى الأصل : أى (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : قبل (٤) زيد من
ظ و م (٥) فى ظ : بغضا (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حقا و حدا .
(٧) زيد فى الأصل : تقدير ولا تجعل شيئا من هذا الغل فى قلوبنا ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها .

فليس من عنى الله بهذه الآية .

ولما دل على [ا١ -] هذا الثناء^٢ للصادقين في الإيمان باقامة^٣ السنة بالهجرة و الإيثار و الاجتهاد في الدفاع لمن^٤ تبين الإيمان فسهل به طريق الأمان ، فأخرج ذلك المناقنين و أنهم أنهم لا يفعلون ذلك لأنهم لارسوخ لهم في الإيمان الحامل على ذلك ، دل على ثقافتهم الموجب^٥ لكذبهم بقوله متما للقصة مخاطبا لأعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يطلع على ثقافتهم لماهم فيه من دقة المكر حق الأطماع غيره صلى الله عليه وسلم معجبا من حالهم^٦ في عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات و الآيات البينات و يرون من حال المؤمنين من إسباغ الرحمة عليهم بتسهيل الأمور و النصر على الجبارة و الإعراض^٧ عن الدنيا مع الإقبال^٨ على الآخرة و الاجتهاد في الدين [الذي - ٧] هو وحده داع إلى الإيمان و حرقق للقلوب و مبين للحقائق^٩ غاية البيان : (الم تر) أى تعلم علما هو في قوة^{١٠} الجزم [به - ١] كالشاهد^{١١} يا أعلى الخلق ، و بين بعدم عن جنابه العالى و منصبه الشريف العالى بأداة الانتهاء^{١٢} فقال تعالى :

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : النداء (٣) من ظ و م ، و في الأصل : فاقامة (٤) من ظ و م ، و في الأصل : لمن (٥) من ظ و م ، و في الأصل : حللهم (٦) من ظ و م ، و في الأصل : الأ - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من م ، و في الأصل و ظ : لتحقوى (٩) من ظ و م ، و في الأصل : غلبه (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، و في الأصل : كالشاهدة (١٢) من ظ و م ، و في الأصل : الاستفهام .

(الى الذين نافقوا) أى أظهروا غير ما أضمروا، أظهروا الخير وبالغوا في إخفاء عقائدهم بالشرا مبالغة من ساجل^٢ غيره، وهم عبد الله بن أبى وأصحابه، قالوا: والنفاق لفظ إسلامى لم تكن العرب تعرفه قبله، وهو استمارة من^٣ فعل الضب^٢ فى نافقائه وقاصعائه، وصور حالهم بقوله:

٥ (يقولون لاخوانهم) أى فى الموالاة بالضلالة .

ولما جمعهم فى الكفر وإن اقرقوا فى المساترة والمجاهرة، وصف المجاهرين بنوع مساترة توجب انفرة منهم وتقضى بهلاك من صادقهم فقال: (الذين كفروا) أى غطوا أنوار المعارف التى دلتهم^٤ على الحق، وعينهم بما أبلغ فى ذمهم^١ من حيث^١ أنهم ضلوا على علم فقال:

١٠ (من اهل الكتيب) وهم بنو^٥ النضير هؤلاء، وبكتهم بكذبهم فيما أكدوا الموعد به / لأنه فى حيز ما يتكر من جهة أنهم لا يقدرّون على المجاهرة بكفرهم فكيف بالمبارزة بالخلاف لقومهم الإنصار والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم فى قولهم: (لئن اخرجتم) [أى -^٦] من مخرج ما من بلدكم الذى فى المدينة الشريفة لمخرجتم من غير أن تقاتلوا

١٥ (لنخرجن معكم) فكان ما قضى به على إخوانهم من الإخراج فالأى وكل بمنطقهم .

/ ٢٧٩

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ولم تكن فى م فخذفناها (٢) من ظ و م ،
 وفى الأصل: سجعل (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل: افظ (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل: الضلال (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: دلت (٦-٦) من
 ظ و م ، وفى الأصل: بحيث (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: بنى (٨) زيد
 من ظ و م .

ولما كان من المعلوم [أن للنافقين أقارب من أكابر المؤمنين ،
 وكان من المعلوم - ١] أنهم يقومون عليهم في منعمهم من القيام معهم نصيحة لهم
 وإحسانا إليهم ، وكان تجويز بنى النضير موهنا لذلك^٢ ، قالوا مؤكدين للكون
 معهم : (ولا تطيع فيكم) أى فى خذلانكم ، والمعنى أنه لو فرض أنه
 صار أحد فى القرب منكم مثل قرب المظروف من الظرف ما أظناه فى ه
 التقصير فيما يسركم (احدا) أى يسألنا خذلانكم من الرسول والمؤمنين ،
 وأكدوا بقولهم : (ابدالا) أى ما دمنا نعيش ، وبمثل هذا العزم
 استحق الكافر الخلود الأبدى فى العذاب .

ولما قدموا فى معوتهم ما كان فالأ قاضيا عليهم ، أتبعوه قولهم :
 (وان قوتلم) أى من أى مقاتل^٣ كان ققاتلم ولم تخرجوا (لتصرنكم^٤) ١٠
 فالآية من الاحتك : ذكر الإخراج أولا دليلا على ضده ثانيا ، والقتال
 ثانيا دليلا على حذف ضده أولا ، ومعنى الآية أن النبي صلى الله عليه
 وسلم أرسل إلى بنى النضير : اخرجوا من بلدى ولا تساكنونى ، قد هممتم
 بالغدر بى وقد أجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك منكم ضربت عنقه ،
 فأرسل^٥ إليهم ابن أبى بما تقدم .

١٥

ولما كان قولهم هذا كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق من حيث

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فضيحة (٣) فى ظ : لهم .
 (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مثل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قاتل .
 (٦) زيد فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذلناها .

كونه مؤكدا مع كونه متبداً من غير سؤال فيه ، بين حاله^١ سبحانه بقوله:
 ﴿ والله ﴾ أى يقولون ذلك^٢ والحال^٣ أن المحيط بكل شيء قدرة وعلما
 ﴿ يشهد ﴾ بما ينظم من بواطنهم في عالم الغيب . ولما كان بعض من
 يسمع قولهم هذا ينكر أن لا يطابقه الواقع ، وكان إختلافهم^٤ فيه متحققا
 ٥ في علم الله ، أطلق عليه ما لا يطلق إلا على ما كشف الواقع عن أنه
 غير مطابق ، فقال تشجيعا للمؤمنين على قتالهم مؤكدا : ﴿ انهم ﴾ أى
 المناقون ﴿ لكذبون ٥ ﴾ وهذا من أعظم دلائل النبوة لانه إخبار بمنغيب
 بعيد عن العادة بشهادة ما ظنتم أن يخرجوا لحققة الله عن قريب^٥ ،
 ولما كان الكذب في قولهم هذا كونه إخبارا بما [لا] يكون .

١٠ شرحه بقوله مؤكدا بأعظم من تأكيدهم : ﴿ اثن اخرجوا ﴾ أى بنو
 النضير من أى مخرج كان ﴿ لا يخرجون ﴾ أى المناقون ﴿ معهم ٥ ﴾
 أى حية [لهم - ٦] لأسباب يعلمها الله ﴿ واثن قوتلوا ﴾ أى اليهود
 من أى مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم
 ﴿ لا ينصرونهم ج ﴾ أى المناقون ولقد صدق الله وكذبوا في الأمرين

١٥ / ٢٨٠ معا : القتال و الإخراج ، لا نصروهم ولا اخرجوا / معهم ، فكان ذلك
 من أعلام النبوة ، وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين ، صدق

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : حالهم (٢ - ٣) من ظ و م ، وفي الأصل :

فالحال (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : من إختلافهم (٤) من ظ ، وفي الأصل

و م : قرب (٥) نويد من م (٦) زيد من ظ و م .

الكلام على ما لم يكن ولا ليكون لو كان كيف ' كان يكون! يصدق
الكلام على ما لم يكن ويكون كيف يكون إذا كان في ' قوله تعالى:
(ولئن نصرهم) أى المنافقون فى وقت من الأوقات (ليولن) أى
المنافقون ومن ينصرونه^٢، وحرم بقوله: (الابدبار) ، ولما كان
من عادة العرب الكر بعد الفر، بين أنهم لاكرة لهم بعد هذه الفرة^٥ وإن
طال المدى فقال: (ثم لا ينصرون) أى لا يتجدد لفريقهم أو لا لواحد
منها نصرة فى وقت من الأوقات، وقد صدق سبحانه لم يزل المنافقون
واليهود فى الذل ولا يزالون .

ولما كان ربما قيل: إن تركهم انصرم إنما هو لخوف الله أو غير
ذلك مما يحسن وقعه^٦، علل بما ينق ذلك ويظهر أن محط نظرم المحسوسات ١٥
كالبهايم فقال مؤكدا له لأجل أن أهل النفاق ينكرون ذلك وكذا من
قرب حاله منهم: (لآ أنتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة) أى من جهة
الرهبة وهو تمييز محول عن المبتدأ أى لرهبتكم الكائنة فيهم^٨ أشد وأعظم^٩
(فى صدورهم) أى اليهود ومن ينصرم^{١٠} بما أفاض^{١١} إليها من قلوبهم

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل: يكون كان (٢) من ظ و م ، وفى الأصل:
قلنا (٣) من م ، وفى الأصل وظ: ينصرونهم (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل: كثرة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: الفرقة (٦) من ظ و م ،
وفى الأصل: لفرقتهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: وقفة (٨) من ظ و م ،
وفى الأصل: فيكم (٩) فى ظ و م: اعظمها (١٠) فى ظ: ينصرونهم (١١) من
م ، وفى الأصل وظ: افاض .

(من الله^٥) أى من رهبتهم التى يظهرونها لكم منه وإن ذكروه بكل
صفة من صفاته فرهبتهم منكم سبب لإظهارهم أنهم يرهبون الله رياء لكم .
ولما كان هذا مما يتعجب منه المؤمن بالله بقوله: (ذلك) أى
الامر الغريب وهو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف
٥ يزينهم له وعدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة فى ذاته
ولكونه غنيا عنهم (بانهم قوم) [أى - ١] على ما لهم من القوة
(لابفقهون^٥) أى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرمهم
فى وقت من الأوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله هو الذى
ينبغى أن يخشى لا غيره، بل هم كالحیوانات لا نظر لهم إلى الغيب إنما هم
١٠ مع المحسوسات، والفق هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلى وغامضه
الخفى بسرعة فطنة وجودة فريضة .

ولما أخبر برهبتهم دل عليها بقوله: (لا يقاتلونكم) أى كل
من الفريقين اليهود والمنافقين أو أحدهما . ولما كان الشيء قد يطلق
ويراد بعضه، حقق الامر بقوله: (جميعا) أى قتالا يقصدونه مجاهرة
١٥ و [م - ١] مجتمعون كلهم فى وقت من الأوقات ومكان من الأماكن
(الافى قرى محصنة) أى بمنعة^٢ بحفظ الدروب وهى السكك الواسعة
بالأبواب والخنادق ونحوها (أو من وراء جدر^٣) أى محيط بهم سواء
كان بقرية أو غيرها لشدة خوفهم، وقد أخرج بهذا ما حصل من بعضهم^٤

(١) زيد من م (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فخذناها .

(٣) من ظ ، وفى الأصل وم : ممتعه (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : لبعضهم .

عن ضرورة كالسير، ومن كان ينزل^١ من أهل خير من الحصن يبارز
ونحو ذلك؛ فانه لم يكن عن اجتماع، أو يكون هذا خاصا بيني النصير
في هذه الكرة^٢.

ولما كان ربما ظن أن هذا عن عجز منهم لازم لهم دفعه^٣ بقوله

إعلاما بأنه إنما هو من معجزات هذا الدين^٤: (باسهم) أي قوتهم^٥
ما فيهم من الصفات التي يتأثر عنها العذاب (بينهم شديد^٦) أي إذا
أداروا^٧ رأيا أو حارب بعضهم بعضا فجراً المؤمنين عليهم^٨ بأن ما ينظرونه من^٩
شدتهم وشجاعتهم إذا حاربوا المشركين لا يكر^{١٠} عند محاربة^{١١} المؤمنين
كرامة^{١٢} أكرم الله بها المؤمنين تتضمن علما من أعلام النبوة^{١٣} تقوية
لإيمانهم^{١٤} وإعلاء لشأنهم.

١٠

ولما كانت علة الشدة الاجتماع، شرح حالتي الشدة والرهبة بقوله

مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى شدة ما يظهرون^{١٥} من ألف

(١) من ظ و م، وفي الأصل: يترك (٢) من م، وفي الأصل وظ: الكثرة.

(٣) من ظ و م، وفي الأصل: فقيد (٤) من ظ و م، وفي الأصل: النبي.

(٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل: شدتهم (٦) من ظ و م، وفي الأصل:

فيها (٧) من ظ و م، وفي الأصل: ارادوا (٨-٨) من ظ و م، وفي الأصل:

دل ما يشيروه على (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) من ظ و م،

وفي الأصل: المحاربة (١١) من ظ و م، وفي الأصل: كم النعمة (١٢-١٢) من

ظ و م، وفي الأصل: لتقوية دياناتهم (١٣) من ظ و م، وفي الأصل:

يفرمون.

بعضهم لبعض : (تحسبهم) أى اليهود و المناقين يا أعلى الخلق و يا أيها الناظر من كان لذلك التعاطف^١ الظاهر (جميعا) لما م فيه من اجتماع [الدفاع -^٢] و عن ذلك نشأت الشدة (و قلوبهم شتى) أى مفترقة أشد أفراق ، و عن ذلك نشأت الرهبة ، و موجب هذا الشتات^٣ اختلاف الآهواء^٤ التي لا جامع لها من نظام العقل كالبهائم و إن اجتمعوا في عداوة أهل الحق كاجتماع^٥ البهائم في الحرب من الذئب ، قال القشيري : اجتماع النفوس مع تنافر^٦ القلوب و اختلافها أصل كل فساد [و -^٧] موجب كل تخاذل ، و مقتض لتجامر^٨ العدو ، و اتفاق القلوب^٩ و الاشتراك^{١٠} في الهمة و التساوى في القصد^{١١} يوجب كل ظفر^{١٢} و كل سعادة^{١٣} .

١٠ و لما كان السبب الأعظم في الأفراق ضعف العقل ، قال معللا :

(ذلك) أى الامر الغريب من الأفراق بعد^{١٤} الاتفاق الذى يخيل^{١٥} الاجتماع (بانهم قوم) أى مع شدتهم^{١٦} (لا يعقلون)^{١٧} فلا دين لهم

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : متطف (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يختلف الأصل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النظام . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فاجتماع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تنافرت (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لتجاير (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بل اشتراك (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : العصمة (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الظفر (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : السعادة . (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بعده (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يخيل . (١٤) زيد فى الأصل : و فونهم بمعنى وإن كل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

يجمعهم^١ لعلهم أنهم على الباطل فهم^٢ أسرى الآهوية، والآهوية في غاية الاختلاف، فالمقل مدار الاجتماع كما^٣ كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم^٤ كما أنت^٥ الهوى مدار الاختلاف.

ولما كان الإخبار بعدم عقلهم دعوى دل عليها^٥ بأمر مشاهد^٥ قال: (كثل) أى قصتهم في عدم فقههم بل عقلهم الذى نشأ عنه إخراجهم هذا وما^٦ سبه من مكرم وغدرهم^٧ واعتمادهم على ابن أبى ومن معه من المناقين كمثل قصة (الذين من قبلهم) ولما كان إدخال الجار مع دلالة على عدم استغراق زمان القبل يدل على قرب الزمن^٨، صرح به فقال: (قريباً) وهم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما بنو^{١٠} قينقاع من أهل دينهم اليهود أظهروا بأساً شديداً عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بدر فرعظم وحذرهم بأس^٩ الله فقالوا: لا يفرنك^١ يا محمد أنك لقيت قوماً^{١١} أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم، وأما والله لو قاتلتنا^{١٢} لعلمت أنا نحن الناس، ثم مكروا بامرأة من المسلمين فأرادوها

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: بجمعهم (٢) من ظ و م، وفى الأصل: فهو .
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل: «و» (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: كمال .
 (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل: بأشد شدهد (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كما (٧) من ظ و م، وفى الأصل: عدادهم (٨) من ظ و م، وفى الأصل: الذين (٩) من ظ و م، وفى الأصل: بأمر (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: لا يفرنك (١١) من ظ و م، وفى الأصل: اقواماً (١٢) من ظ و م وفى الأصل: قتله .

على كشف وجهها / فأبت ففقدوا طرف ثوبها من تحت خمارها،
 فلما قامت انكشفت سواتها^١ فصاحت فغار لها شخص من الصحابة وطمى الله
 عنهم، فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه، فأتبض عهدهم، فأرسل
 النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم جنود الله فأذلمهم^٢ الله ونزلوا من حصنهم
 ٥ على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفاء^٣ ابن أبي، ولم يغن عنهم
 شيئا غير أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم [فيه-^٤] أن لا يقتلهم وألح
 عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير
 حشر لهم بالإلزام بالجلاء.

ولما كان كأنه قيل: ما [كان-^٤] خبرهم؟ قال: (ذاتوا وبال)
 ١٠ أى وخامة وسوء عاقبة (امرهم^٥) [في الدنيا-^٥] وهو كفرهم
 وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه الذين [هم حزب-^٥] الله،
 وسماء أمر إلا أنه مما اتعروا فيه (ولهم) أى في الآخرة (عذاب اليم^٥)
 أى شديد الإيلام.

ولما شبه سبحانه أمرهم في طاعتهم لابن^٦ أبى ومن معه وهم
 ١٥ البعداء المحترقون بسبب إبعاد المؤمنين لهم بإبعاد الله واحتراق أكبادهم
 لذلك^٦ مع ما أعد^٦ لهم في الآخرة بأمر بنى قينقاع، شبه قصة الكل بقصة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : سواقيها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 فادهم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : خلف (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد
 من م (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ضمهم فى ابن (٧) من ظ و م ، وفى
 الأصل : بذلك (٩) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها.

الشیطان [و-١] من أطاعه من الإنس والجن^٢ ، فقال مینا لمخى ما
 حظ^٣ عليه آخر الكلام : (كمثل) أى مثل الكل^٤ الواعدين بالنصر
 والمغترين بوعدهم مع علمهم بأن الله كتب فى الذكر " لاغلبن أنا رسلى"
 فى إخلافهم الوعد وإسلامهم إياهم عند ما حق الأمر يشبه مثل^٥
 (الشیطن) أى البعید من كل خير بعده من الله المحترق بعذابه ،
 والشیطان هنا مثل المناقین (اذ قال للانسان) أى كل من فى نوم
 واضطراب وهو هنا مثل اليهود : (اكفر) أى بالله بما [زین -]
 له ووسوس إليه من اتباع الشهوات القائم مقام الأثر .

ولما كان الإنسان بما يساعد تزین الشیطان علیه من شهواته وحظوظه
 و أخلاقه یطیع أمره غالباً قال : (فلما كفر) أى أوجد الكفر على
 أى وجه كان ، ودلت الفاء على إصراره فى متابعة تزینته (قال) أى
 الشیطان الذى هو هنا عبارة عن المناقین مؤكداً لما لمن تعلق بمن أكد
 له الوعد بشىء من صادق الاعتماد علیه والتكذیب بأنه^٦ یخذله :
 (انى برىء منك) أى لیس بینى وبينك علاقة فى شىء^٧ أصلاً ظناً منه
 أن هذه البراءة تنفعه شیئاً^٨ مما استوجه^٩ المأمور بقبوله لأمره ، وذلك ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الجان (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : حد (٤) زيد فى الأصل ای ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٦) زيد فى الأصل و م : الانسان ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بان (٨) زيد
 فى الأصل : منه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩ - ٩) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لما يستوجه .

كناية [عن - ١] أنه فعل معه من الإعراض عنه والتماهى في كل ما يدل على إهماله فعل من أكد البراءة منه، وذلك كما فعل المناقون باليهود^٢ جرأوم على أمر ينهى وهو الإقامة في بلدكم، فلما نصبوا الحرب طمعا في نصرهم فعل المناقون بقباطوهم عنهم فعل التبرئ منهم^٣ فكان ذلك أشد عليهم بما لم يطمعون في نصرهم لأن هذا بمنزلة انهزامهم^٤ عنهم

من الصف الموجب لانهزامهم / لاحالة، ثم علل البراءة بقوله: / ٢٨٣

(انى اخاف الله) أى الملك^٥ الذى لا أمر لاحد معه فلا تطاق صولته، ثم شرح ذلك بقوله: (رب العالمين) أى الذى أوجدكم من العدم ورباهم بما يدل [على - ١] جميع الاسماء الحسنى والصفات العلى، فلا يقى أحد من خلقه عن أحد شيئا إلا باذنه و [هو - ١] لا يغير أصلا لمن يقدح^٦ فى ربوبيته ولا سيما إن نسبها إلى غيره، وكان هذا كمثل ما يحدث الإنسان بعد الوقوع فى المعصية من الندم والحيرة، فإذا وجد ذلك وهم بالتوبة زين له المعصية وصعب عليه أمر التوبة وعسره وجراه على المعصية بعينها أو على ما هو أكبر منها، ولا يزال كذلك حتى يتعذر عليه الرجوع فيتحقق هلاكه وهلاك من أوقعه، فلذلك سبب عنه قوله:

(فكان) ولما كان تقديم الشيء على محله موجبا لروعة تنبه الإنسان للتفتيش^٧ عن السبب والتشويق إلى المؤخر قال: (عاقبتهما) مقدا

(١) زيد من ظ و م (٢) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفتها (٣) من ظ و م، وفى الأصل: عنهم (٤) من ظ و م، وفى الأصل: اعترأهم (٥) من ظ و م، وفى الأصل: الامر (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: قدح (٨) من ظ و م، وفى الأصل: لتتغير.

لخبر وكان، (انهما) أى الغار' والمعرور (فى النار) حال كونهما
 (تخلدين فيها^١) لانهما ظلما [ظلما-^٢] لا فلاح معه . ولما كان ذلك
 قد يعمل على أنه [فى-^٣] الإنسان بعينه، قال معلقا بالوصف^٤، تعميما
 و زجر اعته: (وذلك) أى العذاب الاكبر (جزاؤا^٥ الظلمين ع) أى
 كل [من-^٦] وضع العبادة فى غير محلها .

- و لما أبلغ سبحانه فى المواظف فى هذه السورة قولا و فعلا، وكانت
 الإيقاعات المذكورة فيها مسية عن الحيانات عن كان له عهد فنقضه،
 أو عن كان أظهر الإيمان فأبان فعله كذبه، قال سبحانه و تعالى استنجا
 عن ذلك و عظا للمؤمنين لأن الوعظ بعد المصائب أوقع فى النفس و اعظم
 فى رقيق القلب و تحذيره مما يوجب العقوبة: (يأياها الذين آمنوا)^{١٠}
 مناديا لهم نداء^٧ البعد معبرا بأذى أسنان الإيمان لأنه عقب ذكر من
 أقر بلسانه فقط (اتقوا الله) أى اجعلوا لكم وقاية تقيم سنخظ الملك
 الأعظم الذى لا أمر لاحد معه ولا بد^٨ أن يستعرض عييده، فاحذروا
 عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهى (ولتنظر نفس)
 أى كل نفس تنظر إلى نقاستها و تزيد العلو على أقرانها، ولعله وحدها^{١٥}
 للإشارة مع إفادة التعميم إلى^٩ قلة الممثل لهذا الأمر جدا (ما قدمت)

(١) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: بالمعطف (٥) ليس فى
 الاصل لفظ (٦) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م فحذفناها .
 (٧) من ظ و م، وفى الأصل: حدا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: بعد .
 (٩) من ظ و م، وفى الأصل: او .

أى من الزاد الذى يكون به صلاح المنزل الذى من لم يسع فى إصلاحه
لم يكن له راحة ، هل يرضى الملك ما قدمته فينجيها أو يعنضه فيزديها .
ولما كان الاجل مبهم الوقت ، فكان لقاء الله فى كل يوم بل كل

لحظة للعاقل مترقبا لكونه ممكنا [مع كونه - ٢] على الإطلاق [محققا - ٢]
٥ لا يجمله احد ، قال مشيرا بتكثيره وإبهامه إلى تهويله وإعظامه : (لندج)

أى لأجل العرض بعد الموت أو فى يوم القيامة الذى هو فى غاية القرب
لأن هذه الدنيا كلها / يوم واحد يجيء فيه ناس ويذهب آخرون ،
والموت أو الآخرة غده ، لا بد [من - ٣] كل منهما ، وكل ما لا بد منه
فهو فى غاية القرب لاسيما إن كان باقيا غير منقض ، وكل من نظر

/ ٢٨٤

١٠ اغده أحسن مراعاة يومه ، و تنوينه للتعظيم من جهات [لاتخصى - ٣] .

ولما أمر بتقواه سبحانه خوفا من سطوته أمر بتقواه لأجل مراقبته حياه من
جلائه وهيبته تأكيد الأمر لأن مدار النجاة على التقوى لأن مكاييد الشيطان
دقيقة ، فمن لم يبالغ فى محاسبة نفسه وتفقد ما يمكن أن يكون من الخلل فى

أعماله أو شك أن يجبط [الشيطان - ٢] أعماله فقال تعالى : ﴿ واتقوا الله ﴾

١٥ أى الجامع لجميع صفات الكمال أى اتقوه حياه منه ، فالتقوى الأولى لإيجاد

صور الاعمال ، وهذه لتصفيتها وتركية أرواحها ، ولذلك علل بقوله

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : يعقبه فيزدر بها (٢) زيد من م (٣) زيد من

ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بنويه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :

يفتقد (٦-٦) - سقط ما بين الرقنين من ظ و م .

مرغبا مرها: (ان الله) اى الذى له الاسماء الحسنى و الصفات العلى
 (خير) اى عظيم الاطلاع على ظواهركم و بواطنكم و الإحاطة
 (بما تعملون) فلا تعملون عملا إلا كان بمراى منه و مسمع فاستحيوا
 منه ، و ليرر الاسم الأعظم كراهية أن ' يظن تفيد^٢ التقوى بحيشة من
 الحشيات تعظيما لهذا المقام إعلاما بأن شؤنه لا تنحصر^٣ و أن إحاطته
 لا تخص مقاما دون مقام ولا شأنا سوى^٤ شأن

و لما هز إلى تقواه تارة بالخوف و أخرى^٥ بالحياه تأ كيدا لها ، و علل

ذلك بما له شعبة [من التحذير - ٦] ، و كان الإنسان لما له من النسيان
 أحوج إلى التحذير ، قال مؤكدا لشعبته و إيضاها لأن التقوى الثانية^٧ لمحاسبة

النفس فى تصفيه العمل: (ولا تكونوا) أيها^٨ المحتاجون إلى التحذير ١٠
 و هم الذين آمنوا^٩ (كالذين نسوا الله) [أى - ٦] أعرضوا عن أوامره
 و نواهيه و تركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ماله من صفات
 الجلال و الإكرام لما استغوام به من أمره الشيطان حتى أبعدهم جدا
 عن العمران (فانسهم) أى قسب عن ذلك أنه أنسام بما له من

(١) زيد فى الأصل: سبحانه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من
 ظ و م ، و فى الأصل: يفيد (٣) زيد فى الأصل: و لا تدخل تحت حصر ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: دون .
 (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: تارة (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل:
 حى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : اى .
 (٩) من ظ و م ، و فى الأصل: جبلتهم نسيان التقوى .

الإحاطة بالظواهر و البواطن ﴿انفسهم﴾ فلم يقدموا لها ما يقفها وإن قدموا شيئاً كان مشوباً بالمفسدات 'من الرياء' و العجب ، فكانوا من قال فيه سبحانه و تعالى " وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصية تصلى ناراً حامية تسقى من عين انية" ، لأنهم لم يدعوا باباً من أبواب الفسق فان رأس الفسق

٥ الجهل بالله ، و رأس العلم و مفتاح الحكمة معرفة النفس ، فأعرف الناس بنفسه ، أعرفهم بربه " من عرف نفسه فقد عرف ربه " .

و لما كانت ثمرة ذلك أنهم أضاعوها - أى التقوى - فهلكوا قال :

(اولئك) أى البعيدون من كل خير (هم) أى خاصة دون غيرهم

(الفسقون) أى العريقون فى المروق من دائرة الدين .

١٠ ولما تم الدليل على أن حزب الله هم المفلحون لما أيدهم به فى

هذه الحياة الدنيا من النصر و الشدة على الأعداء و الأيمن و المعاضدة

اللاؤاياه و سائر الأفعال الموصلة إلى / جنة المأوى ، و صرح فى آخر الدليل

بحضران حزب الشيطان فعلم أن لهم مع هذا الهوان عذاب النيران ،

وكان المغرور بعد هذا بالدنيا الغافل عن الآخرة لأجل شهوات فانية

١٥ و حظوظ زائلة عاملاً عمل من يعتقد أنه لافرق [بين -] الشقى بالنار

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالرياء (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من

ظ ، وفى م : الآية (٣) فى ظ : فان اعرفه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :

بربه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بنفسه (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ

و م (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : من المروقة (٨) من ظ و م ، وفى

الأصل : من (٩) زيد من ظ و م .

والسعيد بالجحيم لتجشمه التجرع لمرارات الاعمال المشتملة عليها، أشجع ذلك قوله منزلا لهم منزلة الجازم بذلك أو الغافل عنه تنبيهها لهم على عظمتهم وإفراط من غفلتهم؛ (لا يستوى) أى بوجه من الوجوه (أصحاب النار) التى هى محل الشقاء الأعظم (وأصحاب الجنة) التى هى دار النعيم الأكبر لآلى الدنيا والآخرة وهى من أدلة أنه لا يقتل مسلم بكافر . ٥

ولما كان نبي الاستواء غير معلم فى حد ذاته بالأعلى من الأمرين، وكان هذا السياق معلما بما حقه من القرائن بعلوم أهل الجنة، صرح به فى قوله: (أصحاب الجنة هم) أى خاصة (القاتلون) المدركون لكل محبوب الناجون من كل مكروه، وأصحاب النار هم المالكون فى الدارين كما وقع فى هذه الغزوة لفریق المؤمنین وبنی النضير ومن والام من ١٠ المناقین، فستان ما بينهما .

ولما كان قد مر فى هذه السورة فضلا عما تقدمها من حكمة هذا القرآن وإعجازه تارة بمطابقتها لما نزل بسببه مطابقة تجلو عنه كل إشكال، وتارة بما يشاهد من صدقه فيما أخبر^٢ باتيانه من الأفعال، وأخرى بما يتحدثى به من الأقوال، ومرة بنظم كل جملة مع ما^٤ تقدمها على ما لم يمكن ١٥ لبشر^٥ مثله فى الأحوال إلى غير ذلك من أمور لا يحصرها المقال، ترتب على ذلك قوله مبينا أن سبب اقتراق^٦ الفريقين فى العقبى اقتراقهم فى

(١) ولم فى الأصل قبل «هم» والترتيب من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : المذكورون (٣) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : السر (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اقتران .

هذا القرآن [في الأولى - ١] تمثيلاً للقلوب في قسوتها أو ليها عند
 سماع القرآن و تخيلاً و توييحاً للقاسي و مدحاً للعاطف البيناء لافنا
 القول إلى أسلوب العظمة لاقضاء الحال لها : (لو انزلنا) بمظمتنا التي
 أبانها هذا الإنزال (فهذا القرآن) على الجاهل لجميع العلوم ، للفارق
 ه بين كل ملتفتين المبين لجميع الحكم (على جبل) أي أي جبل كان
 (رأيت) مع صلابته و قوته يد أشرف الخلق [إن لم يتأهل عبرك
 لمثل تلك الرؤية - ١] (خاشعاً) أي مطمئناً محبباً على صلاة متذلاً
 باكياً (متصدعاً) أي متشققا غايه التشقق كما تصدع الطور لتجلينا
 له بما دون ذلك من العظمة التي جلونا كلامنا الشريف لموسى عليه
 ١٠ السلام في ملابسها (من خشية الله) أي من الخوف العظيم ممن له الكمال
 كله حذرا من أن لا يكون مؤديا ما افترض عليه من تعظيم القرآن
 عند سماعه فالابن آدم و قد آناه الله من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف
 بحقه ، و يعرض عما فيه من العبر ، و في الآيات مدح / للنبي صلى الله عليه
 و سلم في ثباته ^٤ لما لا تثبت ^٥ له الجبال ، و ذم للعرضين بسونهم أفسى
 ١٥ من الجبال .

/ ٢٨٦

و لما كان التقدير تبكيها و توييحاً لمن لم يرق للقرآن " اهل يان

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : بمنك (٣) من ظ و م ،

و في الأصل : الاحكام (٤) سقط من م (٥-٥) سقط ما بين الرقعتين من ظ و م .

(٦) من ظ و م ، و في الأصل : تدع - كذا (٧) سقط من م (٨-٨) من م ،

و في الأصل و ظ : عالم ثبت .

للدِّين آمنوا أنه تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق " فانا قد فصلنا لهم الحلال والحرام والامر والنهي ووضحنا الحكم ودلنا على المشابهة وقصصنا الاقاصيص بعد جعلهم عقلاء ناطقين ، فتلك اقصيص الماضين لعلمهم يعتبرون ، غطفت عليه قوله (و تلك الامثال) أى التى لا يضاد فيها شئ (نضربها للناس) أى الذين يحتاجونها وهم من فيهم تذبذب و اضطراب (لعلمهم يتفكرون) أى لتكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرحى تفكره فى تلك الامثال فينفعه ذلك ، إذا أدها التفكير إلى التذكر فرأى تنبيه الرسول الله صلى الله عليه وسلم [له - ٢] أن كل ما فى القرآن من شئ فقيه [مشاهد - ٣] منه فتطابق له كتاب الخلق و كتاب الامر فتخلي عن الشهوات البهيمية فجا من الحظوظ النفسية ١٠ فتخلي بالملايس الروحانية فصار باجتهادات والمنازلات إلى الصفات الملكية فكان أهلا للقامات القديسة فى الجنان العلية .

و لما أعلى سبحانه أولياه بأن فتح السورة [بالإيمان - ٢] بالغيب وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل و كل شائبة تقصي و يزل لعباده فى أسباب الصفات و الأفعال إلى أن أوصلهم إلى محسوس ١٥ الامثال فتأهلوا للفناء فى ذاته و ما على من صفاته الموجه لخشيته ، رقاهم إلى التفكير فى تفصيل ما اقتضه ، فقال عادلا عن أسلوب العظمة إلى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الماضى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اداوم

(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٥) من م ، و فى

الاصل : المنازات

أعظم منها بإسبال حجب العزة على منهاج الحكمة : (هو) أى الذى
 وجوده من ذاته فلا عدم له أصلاً بوجه من الوجوه، فلا يستحق
 الوصف به هو، غيره لأنه الموجود دائماً أولاً وأبداً، فهو حاضر
 فى كل خمير غائب بعظمته عن كل حى، فذلك يتصدح الجبل
 ٥ من خشيته .

ولما عبر بأخص أسمائه، أخبر عنه لطفابنا و تنزلاً لنا بأعهرها
 الذى هو مسعى الأسماء كلها فقال: (الله) أى المعبود الذى لا يبغي
 العبادة إلا له، الذى بطن بما لم تحط ولا تحيط [به - °] العقول من
 نعمت التكبرياء والعظمة والإكرام، فظهر بأفعاله التى لاتضامى بوجه
 ١٠ غاية الظهور، فتميز غاية التميز، فلم يلحقه شرك أصلاً فى أمه من الأمم
 ولانسنة من النسب، قال الحرالى فى شرح الأسماء: وهو لوه القلوب
 والعقول أى محارها الذى لا تعوكة، فزوم الخلق من توحيد اسم الإله
 ما حصل لهم من توحيد اسم الله [من الأحذية الإحاطية - انتهى - °]
 فذلك [كان وصفه " الذى لا اله الا هو " فانه لا يجانس له ولا يليق
 ١٥ ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء. والإله أول اسم لله فذلك - °]

(١) من م ، وفى الأصل وظ : الغز (٢) سقط من ظ و م (٣) من م ، وفى
 الأصل وظ : تنزيلاً (٤) زيد فى الأصل : به الأفكار ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و م فحذفنا (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، وفى الأصل وظ : من
 العال (٧) من م ، وفى الأصل : امته (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : او -
 (٩) زيد فى الأصل وظ : امى ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفنا .

٢٨٧ /

لا يكون احد مسلما إلا بتوحيده فتوحيده فرض و هو أساس كل فريضة^١،
و توحيد سائر الأسماء نقل و هو أساس كل نافلة، فمن وحد [في - ٢]
الكل فقد كمل دينه / و تمت النعمة عليه و إلا كان من الذين آمنوا، فإن
كان ذلك منه قولا عصم من نار الأحكام على الأبدان في الدنيا، و إن
كان علما تخلص من نار الهلع^٢ على النفوس في الدنيا، و هو الجزع^٥
عند مس الشر،^٤ و المنع و البخل^٣ عند مس الخير، و لن يشهد التوحيد
في هذه الكلمة التي مضمونها توحيد اسم الإله إحسانا إلا بعد إحصاء جميع
الأسماء [علما - ٥]، قال الحرالي: و الأله: التعبد و هو التذلل، فمن
توهم حاجته بشيء و توهم أن عنده قوام حاجته تذلل [له - ٢] فكان
تذله له تألها^٦،^٨ و كل من عبد ما أحاط به عينه^٩ فقد خذل عقله عن ١٠
تصحيح معنى الإله الذي يجب أن يكون غيبا^١، فكان تصحيح معنى الإله^{١١}
أنه غيب قائم مستحق للعبادة و التذلل لأجل قيامه و الاستغناء به .
و لما أخبر بتفرده، دل عليه بآية استحقاقه لذلك، فقال مقدما لما
هو متقدم في الوجود: ﴿ علم الغيب ﴾ أي الذي غاب عن علم جميع
(١) من ظ و م، و في الأصل: فرض (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و في
الأصل وظ: الهامع (٤) من ظ و م، و في الأصل: اضع - كذا (٥) زيد
من م (٦) من ظ و م، و في الأصل: الادلة (٧) من ظ و م، و في
الأصل: لقلوها (٨) زيد في الأصل و ظ: هو و، و لم تكن الزيادة في م
لخذفها (٩) من ظ و م، و في الأصل: يمينه (١٠) من ظ و م، و في الأصل:
سبيا (١١) في ظ و م: اله .

خلقه . ولما كان ربما ظن أن وصفه بالغيب أمر نسي^١ سمي غيبا بالنسبة
لناس دون ناس ، دل بذكر الضد على أن المراد كل ما غاب وكل ما
شهد فقال تعالى : ﴿ والشهادة ٤ ﴾ أى الذى وجد فكان بحيث يحسه^٢
ويطلع عليه بعض خلقه .

٥ ولما تعالى فى صفات العظمة ونعوت الجلال والكبر فبطن غاية
البطون ، أخذ فى رحمة العباد^٣ بالتنزل لهم بالتعرف إليهم بعواطف الرحمة
فقال بانبا الكلام على الضمير إعلاما بأن المحدث عنه أولا هو بعينه
المحدث عنه ثانيا : ﴿ هو الرحمن ﴾ أى العام الرحمة ، قال الحرالى رحمه الله
تعالى : والرحمة إجراء الخلق على ما يوافق حسبهم^٤ و يلائم خلقهم
١٠ و خلقهم ومقصد أفدتهم ، فاذا اختص ذلك^٥ بالبعض كان رحيمية ،
وإذا استغرق كان رحمانية ، ولاستغراق^٦ معنى اسم الرحمن [لم يكن لاتمام
معناه وجود فى الخلق ، فلم يجر بحق على أحد منهم فلذلك لحق اسمه الرحمن^٧ -
فى معنى استغراقه^٨ - يعنى باسم الله .

ولما كانت الرحيمية خاصة بما رضىه الإلهية قال تعالى : ﴿ الرحيم ٩ ﴾
١٥ أى ذو الرحمة العامة المسعدة^٩ فى الظاهر والرحمة الخاصة المسعدة^{١٠} فى

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : سبى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يحته .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : للعناد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مسهم .
(٥) من م ، وفى الأصل و ظ : بذلك (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : رحمه .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لاستغراق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ
و م ، وفى الأصل : لاستغراقه (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المستعدة .
(١١) من ظ و م ، وفى الأصل : المسعد .

الباطن ، قال [الحرالي - ١] : الرحمة من الرحيم اختصاص من شملته الرحمانية بمزية ما أوثق به من الرحمة في مقابلة من آل أمره إلى نعمه ليجمع مقتضى الاسمين بين عموم الرحانية و اختصاص الرحيمية . و لما أظهر على الخلق خصوص الإيتار ، أجرى عليهم اسم الرحيم كرحمة الخلق ابناءهم . و لما كان حق اسم الرحيم إثبات رحمة غير مجذوزة ، و لم يكن ذلك للخلق لم يكن بالحقيقة الرحيم إلا الله الذى إذا اختص بالرحمة لم يحدها "فن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها" و الله سميع عليم . " إن الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد أن أعطاكموه . و اما الذين سعدوا فى الجنة تخلدين فيها ما دامت السموات و الارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوز " فلذلك لا رحيم بالحقيقة إلا الله تحقيق ١٠ . علم كما أنه لا رحمان إلا الله بادى معنى .

٢٨٨ /

و لما كان الملك كمال استيلاء على الخلق يقصرهم به ملكهم على بعض مستطاعهم و يدينهم - اى يجزيهم - على حسب دينهم أى ما وضع لهم من عادة قصره لهم و حكمه عليهم و بحسب إحصائه عليهم دقيق أعمالهم و إحاطته بنحى أحوالهم ، و الاطلاع على سرائرهم بتحقيق استيفاء الجزاء فيتحقق بذلك كمال الملك ، فكان لذلك لا تتحقق حقيقة الملك فيمن هو دون العلم ١٥

(١) زيد من م (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احق (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : محدودة (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يتحقق (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : منى (٨) فى ظ و م : لللك (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : يقصر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمالهم .

بالسر وأخفى، والمحصى الحسب بثاقيل الذر، الخبير نجبا الكون، فكان
لاملك في الحقيقة إلا الله، ولكنه تعالى لما كان قد أول الخلق من
رفعة بعضهم فوق بعض ما أجرى عليهم اسم الملك فته لهم فضل بسبب
ذلك قوم^١ ادعوا الملك الحقيقي، فغلط من أراد الله من الخلق فيهم
فضلوا بهم، أعاد التهليل مع اسمه الملك كما ابتداء مع اسمه الإله أول
أسماء الله، ولذلك أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة
رضي الله عنه الذي رواه الشيخان وأبو داود والترمذي في حديث الذي
يسمى ملك الملوك في رواية مسلم: لأملاك إلا الله، فقال مصرحا بما في
باطن اسمي الرحمة من القهر والجبر على النسق الأول في البناء على
١٠ الضمير تأكيذا لتعين المحدث عنه [وتوحيده - ٢]؛ (هو الله) أي
الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد وتخصيصها بمن شاء (الذي لا اله) ٢
أي معبود بحق (الاهو الملك) فلا ملك في الحقيقة إلا هو لأنه
لا يحتاج إلى شيء، فانه مهما أراد كان.

ولما كان الملك أصل ما لحق الخلق من الآفات لأنه رأس
١٥ الشرف الذي هو باب الترف الملازم لمخالفة كتاب الله أما في الأعمال
فيكون فته، وأما في الرأي فيكون علوا وكبرا وكفرا، فان أمر
الله في آدم على ما هو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله فيكون

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: قوم سبب ذلك (٢) زيد من ظ (٣) زيد
في ظ و م: إلا هو (٤) زيد في الأصل: لا، ولم تكن الزيادة في ظ ومد
لحذفها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الحق (٦) من ظ و م، وفي
الأصل: اشرف.

ملكاً ثم تداعى الأحداث ، فليكن تداعى الملك لموجبات الذم قال
عقب صفات الملك : (القدوس) مصرحاً بما لزم عن تمام ملكه من
أنه يبلغ في الزاخرة عن كل وصم يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق
إليه وهم أو يختلج به ضمير ، فان القدوس طهر لا يقبل التغير ولا يلحقه رجس
فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدس ، ولما كان ما حوّل سبحانه ه
الخالق من حال طهر لا يظهر فيه تغير [بما - '] دونه أجرى عليهم اسم
القدس كروح القدس المؤيد للشارع ينفت في روعة المؤيد لشاعره
في مكافئته عنه ، ولاجل / قصر تخلى الخالق بالملك في قليل متاع الدنيا
رغب النبي العبد صلى الله عليه وسلم عنه ، واختار العبودية الدائمة بدوام
العزة لسيدته ، فوضح بذلك علم أن لا قدوس^١ إلا الله حقيقة معنى ١٠
و تصحيح إحاطة .

٢٨٩ /

ولما كان سبحانه لتام ملكه و علو ملكه و كمال قدسه لا يتصور
أن يلحقه نقص في ذات^٢ ولا صفة ولا فعل ، فلا يقبح^٣ منه إهلاك^٤ على
حال من الأحوال ولا مس بضر في الدنيا والآخرة في وقت من الأوقات
لأنه سبحانه ، لعله^٥ بالظواهر والبواطن على حد سواء ، يضع الأمور في ١٥

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : فيه (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفي
الأصل : لشارعه ، و العبارة من « ينفت » الى هنا ساكنة من ظ (٤) من م ،
وفي الأصل و ظ : مكافئة (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : امتاح (٦) زيد
في الأصل : حقيقة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ،
وفي الأصل : ذلك ب - كذا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : فلا تصح .
(٩) من م ، وفي الأصل و ظ : هلاك (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : يعلم .

احكم مواضعها بما لا يدركه غيره أصلاً أولاً يدركه حق إدراكه فاحتج
إلى ما يؤمن من ذلك، وكان السلام حيداً ما بين الألفة والفرقة وحد
ما بين الرحمة والسطوة وهو أدنى مثال^٢ الجاهل من^٢ عباد الرحمن،
ومثال المعتدى^٤ من المقتدر، وكان سلام المسلم للجاهل مداراة لئلا
يزيد في جهله عليه، أو ارتقاباً لاستقبال مكنته، وكان الله لا يعبأ بالخلق
ولا يحتاج^٥ لارتقاب مكنته لأنه لا يعجزه شيء فلم يتحقق السلام بكل
معنى من وجود السلامة له وإفاضتها^٦ على غيره^٦ تماماً إلا منه [إعفاء
من معاملة استحقاق السطوة وحفيظة حرمة اختصاص الرحمة، أتبع
ذلك مؤناً^٩] للعاصي من المعاجلة وللطبيع من سوء المعاملة قوله:
١٠ ﴿السلام﴾ لأنه حد ما بينها ظاهراً، ولذلك أردفه بما يتعلق بالباطن
لتحصل إحاطة السلامة ظاهراً وباطناً فقال: ﴿المؤمن﴾ لأن الأمن^١
حد ما بين المحبة والمكره فيمن لا وسيلة له للحب [وهو أدنى ما يقبله
ذو الحق ممن يستحق منه الحب، ولذلك لم يقبل بذل الحق ممن كان
ظاهر الوسيلة للحب^٩] إلا بالحب فلم يثبت إيمان المؤمن بمجرد الإيمان
(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: موضعها ما (٢) من ظ و م، وفي
الأصل: مثال (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عن (٤) من ظ و م، وفي
الأصل: للمعتدى (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فخذناها.
(٦) من ظ و م، وفي الأصل: وجوه (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
إضافتها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: عزة (٩) زيد من ظ و م (١٠) من
ظ و م. وفي الأصل: المؤمن.

حباله بل إيثارا لمحبه على كل حب و مساواة لآخيه المؤمن فيما يجب
 لنفسه ، و أدناه الأمانة [في - ١] الغيب^١ من الغيبة و العيب إلى غاية
 الأمان من بوائق الغشم^٢ و الظلم من الجار المستحق حفظ جاره في
 غيبه ، فالإخلال بالإيمان لكونه الأمانة في الغيب نفاق ، و الإخلال بالإسلام
 لكونه السلم في المواجهة إجرام ، فبأدنى إخلال في جانب الحق أو الخلق ه
 ينظم الإسلام و الإيمان ، و ذلك [كله - ١] إنما هو في الحقيقة من
 الله تعالى فهو الذي يعزى إليه الأمن و الأمان بأفادته أسبابه و منع أسباب
 المخاوف فلا أمن في الوجود و لا امان إلا و هو مستفاد من جهته .
 و لما كان الاطلاع على بئير ما ذكر ليتحقق معنى السلم و الأمن ،

و على كل من تلك الحدود خفيا جدا يقتقر إلى مزيد علم ، قال : ١٠
 (المهيمن) فان الهيمنة شهادة خبرة و إحاطة و إحصاء لكلية ظاهر الأمر
 و باطنه بحيث لا يخفى منه خافية هوية و لا بادية ظاهر^٣ ، و لإحاطة معناه
 لا يكاد يقع له في الخلق مسوغ إطلاق إلا مسامحة لان الخلق لا يشهدون
 إلا الظواهر و لا يشهدون من الباطن ، و لذلك انعجم معناه على كثير
 من فصحاء العرب ، ففهوم^٤ معناه موجب توحيد فواضح إذ لا مهيمن ١٥

٢٩٠ / / بمعنى أنه شهيد على الوجه المشرح^٥ مع الأمانة المأمونة و الحفظ و الرعاية
 فيكون قائما على [كل - ١] شيء بكل ماله من رزق و عمل و أجل

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : المغيب (٣) من ظ و م ،
 و في الأصل : انقسم (٤) من ظ و م ، و في الأصل : ظاهرة (٥) من ظ و م ،
 و في الأصل : فهو (٦) من ظ و م ، و في الأصل : المزوج .

إلا هو، ولذلك كان القرآن الذي هو صفته سبحانه و تعالى مهيمنا على جميع الكتب التي قبله مصدقا لما يستحق التصديق منها مكذبا لما يستحق التكذيب، فمن كان به أمهرا^١ كان بذلك أعلم .

و لما كان تمام الخبرة^٢ ملزوما لتمام القدرة، صرح بهذا اللازم فقال: (العزير) و العزة غلبة لا يجحد معها المغلوب وجه مدافعة و لانفلات و لا إيجاز، فالعزير الذي صعب على طالبه إدراكه مع افتقار كل شيء إليه في [كل - ٢] لحظة، الشديد في انتقامه الذي لا معجز له في إنقاذ حكمه، و لذلك ينظم كثيرا بآيات إمضاء الأحكام متصلا بالحكمة و العلم انباء عن العدل، قال الغزالي: و هو الذي يقل وجود مثله و تشتد الحاجة إليه و يصعب الوصول [إليه - ١] . و لما كان المغلوب على الشيء فيؤخذ من يده قد لا ينقاد باطنا فلا يباشر^٣ ما غلب عليه للغالب و قد [لا - ٣] يكون العز^٤ ظاهرا لكل أحد، أردفه بقوله: (الجبار) و هو العظيم الذي يفوت المقاوم مناله، فهو على هذا من أسماء الذات و يصلح أمور من يريد من الخلق و يقهرهم على ما يريد. فهم أحقر من أن يعصوه طرفة عين بغير إرادته، و الجبر: طول يلجئ الأدي لما^٥ يريد منه الأعلى و يغيب من

(١) من ظ و م ، و في الأصل: امر (٢) زيد في الأصل: بذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل: بل هو، و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذناها (٥) من م ، و في الأصل و ظ: يعصب. (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و في الأصل: عن (٨) من ظ و م ، و في الأصل: فيباشر (٩) من ظ و م ، و في الأصل: العزيز (١٠) من ظ و م ، و في الأصل: إلى ما .

الأعلى ما يحاول مثاله [منه - '] الأذى مع الظهور التام الذى تدور مادته عليه، فالجبار لا يخرج شئاً من قبضته، و تقصر الأيدي عن حى عز^١ حضرة، و لا ينال منه إلا ما نول، و هو أبعد شئ عن أوصاف الخلق لمثال الذباب منهم ما شاء و عجزم عنه، [و - '] لما فيه من الإلجاء كان هو الاسم الذى يلجى النار لقصرها على براده منها من الحسب الذى جبلها ه على ضده من الاستزادة فلا تزال تقول ما جبت عليه؛ هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه^٢ أى يهينها فان القدم موضع الإهانة، [و هذه الإهانة - '] هى من مبدأ ظهور غلبة الرحمة للغضب، فله الملك ظهوراً بالأيدي الظاهرة من الإنسان و ما دونه، و له الملكوت بطونا بالأيدي الباطنة من الملك و ما دونه، و له الجبروت اختصاصاً من وراء كل ١٠ ملك و ملكوت .

و لما كان الإلجاء قد يكون بنوع ملاطفة، أتبعه قوله : (المتكبر^٣) ليعم الإلجاء الظاهر و الباطن فالكبرياء جملة تأدى امر الله و ظاهر خلقه الذى يمجّد الخلق^٤ صغرهم من دونه و كبره عليهم و امتناعه^٥ عما لا يريد من مرادهم، لأن الكل حقيرون بالإضافة إلى جلاله و عز^٦ جبروته و عظمته ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : غير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الحاء (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قدميه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اهانة (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يخلق (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : امتناعهم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : غيره .

و كاله ، و لسواء الخلق في عام حضرة القدرة شملهم الصغر فلم يصح منهم
كبر ، و لا شرع لهم تكبر ، فلم يكن للخلق منهم حقيقة حظ و لا لبس
حق ، فاخص بهذا الاسم لاستيلائه على الظواهر باظهار / ما له من
الكبر لعدم الحاجة إلى شيء و بالجداء غيره إلى الاحتياج إليه و الإيقاع
بجبارتهم و إذلالهم و غير ذلك من الأمور المزعجة المرهبة من غير
مبالاة بشيء كما اخص بالجبار لاستيلائه على البواطن .

/ ٢٩١

و لما تقرر بما ذكر من مظاهر عظمته استيلاؤه على الظواهر
و البواطن باللطف و العنف ، أتج ذلك تعالیه عن شوب نقص لاسباب
بالشرك فقال سبحانه : (سبحن الله) أى تنزه الملك الأعلى الذى
١٠ اخص بجميع صفات الكمال تنزهها لا تدرك العقول منه أكثر من أنه
علا عن أوصاف الخلق فلا يدانيه شيء من نقص (عما يشركون)
أى من هذه المخلوقات [من -] الأصنام و غيرها مما فى الأرض أو فى
السماء من كبير و صغير و جليل و حقير .

و لما تم دليل الوجدانية بما حصل من التفهيم بالتدنى إلى الملك
١٥ ثم بالتعلى إلى التكبر . فأتج هذه الخاتمة ، ابتداء سبحانه دليلا آخر هو
فى غاية التنزل و الوضوح ، فقال مفتحا بما افتتح به الأول من الترتيب
فى المراتب الثلاث ، غيب الغيب ثم الغيب ثم الظهور على مراتبه ،
(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الانتفاع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م ، و فى الأصل : او (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : فهو .

إعلاماً بأنه لا يـاح عن الإيمان بالغيـب ، و من برح عنه ملك ﴿ هو ﴾
 أى الذى لاشئ يستحق أن يطلق عليه [هذا الضمير - '] غيره لأن
 وجوده من ذاته و لاشئ غيره إلا و هو ممكن فهو أهل لأن لا يكون
 فلا يكون له ظهور ليكون له بطون .

ولما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذى هو أظهر الأشياء ، أخبر عنه ه
 بأشهر الأسماء الذى لم يقع فيه شركة بوجه فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى
 ليس له سـمى^٢ فلا كفوء له فهو المعهود بالحق فلا شريك له بوجه . ولما
 بدأ سبحانه بهذا الدليل الجامع بين ' الغيب و الظهور ، تنى بتنزل متضمن
 للعلم و القدرة فهو فى غاية الظهور فقال : ﴿ الخالق ﴾ أى الذى لاخالق
 على الحقيقة^{١٠} إلا هو لأن الخلق فرض حد و قدر فى مطلق منه لم يكن^{١٠}
 فيه بعد حد و لا قدر كالحاذى يخلق أى يقدر فى الجلد حداً^{١١} و قدرا
 لنعل و نحوه و هو سابق للقرى و البرى و نحوه "سبق العلم العمل" فالخالق^{١٢}
 فى الحقيقة^{١٣} هو الذى كل شئ عنده بمقدار ، الذى يقول "يخلقكم فى
 بطون امهتكم خلقاً من بعد خلق" "و ان من شئ إلا عندنا خزائنه و ما
 ننزله الا بقدر معلوم" و من ناشئة القدر الفرق و الترتيب ، و من ناشئة^{١٥}

(١) زيدت العبارة من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عنهم (٣) من
 ظ و م ، وفى الأصل : مسمى (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) زيد فى الأصل ؛
 غيره ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 ظم يكن (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : حد (٨-١١) فى ظ و م : حقيقة .

الفرق و الترتيب الإحياء و الإمامة، و من معاد الفرق 'و الإحياء و الإمامة'
 على أول أمره الجمع و الرب، فلا يملك الخلق و الفرق إلا من يملك
 الجمع و الرب، و قد أوتى الخلق ملكاً ما في الفرق و الشتات، و لم يملكوا
 جمعاً ما فرقوا و لا ألف ما شتوا كلقاطع^٢ عضوا لا يقدر على لأمه،
 ٥ / ٢٩٢ و الهامد بناء لا يقدر على رمه على حده، و الكاسر شيئاً لا يقدر على وصله،
 فلان الخلق لا يحيطون بتقدير ما يسرعون في قدره و لا يقدررون بغسد
 الفرق و الفرقى على رمه و وصله. كان المحيط التقدير في الشيء من جميع
 جهاته و جملة حدوده، القادر على جمع^٣ ما فرق الذي كما بدء أول خلق
 يعيده هو أحسن الخالقين. و تلايح تحت هذا اللبس في إطلاق اسم
 ١٠ الخالق [على الخالق - °] الحق ذى الحول و القوة و القدرة و الإحاطة
 و الإبداء و الإعادة، و على الخالق من الخلق المقدر بغير إحاطة علم
 و لا تأصيل حول و لا قدرة، و لا إتمام إبداء لاحظ من إعادة أنه لا خالق
 إلا الله كما أنه لا معيد لما أبدأ إلا الله، و أن ليس إطلاق هذا الاسم
 على الخالق مبدأ فتنة التي يضل بها من يشاء و يهدى من يشاء، و تحقيق
 ١٥ أفراد الخلق لله^٤ فيما ظهر^٥ على أيدي أهل الملك و المملوك و إحاطة
 جبروته بما ظهر و ما بطن من أعمالهم و صنائعهم، هو أول مجمع من

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و م، و في الأصل: جميع.

(٣) من ظ، و في الأصل و م: طالقا (٤) من م، و في الأصل و ظ: جميع.

(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و في الأصل: إلى الله (٧) من ظ

و م، و في الأصل: يظهر.

بجامخ التوحيد ، وهو أساس لإيمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث فرض عليهم في الفاتحة "إياك نعبد وإياك نستعين" فهم خير أمة أخرجت للناس حيث أخلصوا الدين لله ، 'و لموقع الشرك' فيه كانت القدرية مجوس هذه الأمة .

ولما كان الخالق الحق هو من أتقن التقدير والبرئ وإن كان ه
أغلب الخلق لقصورهم لا يفهمون منه إلا مطلق التقدير كما قال شاعرهم :
ولأنت تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفرى
أردفه تنديها على ذلك و تصريحاً و تأكيداً قوله : (البارئ) [أى -]
الذى يدقق بما وقع به التقدير و يقطعه و يصلحه لقبول الصورة على
آتم حال ، فإن كان من المحيط العلم كان تمام التهيؤ للصورة على كمال ١٠
المشيتة فيها ، و إن كان بمن لا يحيط علماً طراً له في البرئ^١ من النقص
عن التمام ما لا يمكن معه حصول المقصود في الصورة ، و لا يكاد يقع
الإحسان للخلق في مصوراتهم إلا وفاقاً لا يعلمون كنهه و لا يشقون
بحصوله

ولما كان من بهي^٢ الأمور للتصوير قد لا يتقنه قال : (المصور) ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، و في الأصل : المومع للشرك (٢) من ظ و م و في
الأصل : القادر (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الشاعر (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من م ، و في الأصل و ظ : لا يدقق (٦) زيد في الأصل و ظ : من ؛
و لم تكن الزيادة في م لحذفناها (٧) من ظ ، و في الأصل و م : بما (٨) من
ظ و م ، و في الأصل : البر .

فان التصوير إتمام تفصيل الخلق الظاهر وإكمال تخطيطه وإحكام أعضائه
 وهو حد ما انتهى إليه الخلق في الظهور، وليس وراء ظهور الصور
 كون إلا لطائف تطويرها في إنسان كإلهامها بعد بعثها بأحيائها بما لها
 من الروح المقوم لها سواء كان حيوانيا أو غيره إلى غاية كإلهام الذي
 يعطيه المصور لها إفضالا ومزييدا ويظهره إبداعا، ويتضح الفرق
 جدا بين الأسماء الثلاثة بالبناء فانه يحتاج أولا إلى مقدر^٢ يقدر ما لا بد
 منه من الحجر^٣ واللبن والخشب والحديد ومساحة الأرض وعدد
 الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولاه المهندس في رسمه وهو الخلق ثم
 يحتاج إلى حجار ينحت الحجارة ويهيئها لتصلح لمواضعها التي تكون
 فيها / من الأبواب وأوساط الجدر وأطرافها وزواياها، غير ذلك،
 وكذا الحشاب والحداد في الخشب والحديد وهو البرقي^٥ ثم يأخذ
 الكل البناء فيضعها مواضعها إلى أن تقوم صورتها التي رسمها المهندس
 أولا وقدرها، ولا تقوم الصورة^٦ بالحق إلا إذا كانت محكمة بحسب الطاقة
 كما أن البناء يضع الحجارة أولا ثم يجعل^٧ الخشب فوقها لا بالاتفاق بل
 بالحكمة، ولو قلب ذلك لم تثبت الصورة ولم يكن لها الاسم إلا على أقل
 وجوه الضعف^٨ فكل من كان أحكم كان تصويره أعظم، ولذلك^٩

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : يصح (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مقدار .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الصخر (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 تواضعها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : إله (٦) زيد في الأصل : إلا ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : جعل .
 (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : الضعف (٩) من ظ ، وفي الأصل : ذلك .

لامصور في الحقيقه إلا الله الخالق البارئ المصور سبحانه، قال الرازي في اللوامع: و التصوير موجود في كل أجزاء العالم و إن صغر حتى في الذرة و النملة بل في كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول في طبقات العين و عددها و هيئاتها و شكلها و مقاديرها و ألوانها، و وجه الحكمة فيها، فن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل، و هكذا ه القول في كل صورة لكل حيوان و نبات بل لكل جزء من نبات و حيوان . و لما علم من هذا أنه لا بد أن يكون المصور بالغ الحكمة، أردفه بقوله تعالى: ﴿ له ﴾ أي خاصة 'لا لغيره' (الاسماء الحسنی) أي من الحكيم و غيره عن لا يتم التصوير إلا به و لا تدركونه [أتم - ١] حق إدراكه . و لما أخبر سبحانه أول السورة أن الكائنات أوجدت تسيجه ١٠ خضوعاً لعزته و حكمته، و دل على ذلك بما تقدم إلى أن أسمعه الآذان الواعية بالاسماء الحسنی، دل على دوام اتصافه [بذلك - ٢] من يحتاج لما [له - ٣] من النقص من الخلق إلى التذكير فعر بالمضارع فقال: ﴿ يسبح ﴾ أي يكرر 'التزيه الأعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجدد و الاستمرار' ﴿ له ﴾ أي على وجه التخصيص بما أفهمه قصر ١٥ المتعدى و تعديته باللام ﴿ ما في السموات ﴾ و لما كان هذا المنزه الذي استجلى التزيه من الاسماء الحسنی قد أشرفت انقاسه و لطفت أقطاره

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : خصوصاً (٤) في ظ : ينزه (٥) من ظ و م ، و في الأصل : التنزه .

وأغراسه حتى صار علويا' فرأى الأرض عالية كالسما' لما شاركها به
 في الدلالة على تمام كماله فجعلها معها لأنه لا يحتاج إلى تأكيد كالشيء
 الواحد بامسقاط "ما" وألصقها بها' لإلحاحه إلى ذلك فقال: (والأرض ع)
 فمن تأمل الوجود مجعلا ومفصلا، علم تسييح ذلك كله بنعوت الكمال
 ٥ وأوصاف الجلال والجلال (وهو) أى والحال أنه وحده (العزيز)
 [أى -] الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ولا يوجد له مثل، ويمز
 الوصول إليه ويشند الحاجة إليه .

ولما كان من يكون بهذه الصفة لا يتم أمره ويثبت كل ما
 يريده إلا إن كان على قانون الحكمة قال: (الحكيم ع) من الحكمة
 ١٠ وهى ' إتقان الحكم وإنهاؤها إلى حد لا يمكن نقضه، والحكم قال الحرالى:
 المنع عما / يترامى إليه المحكوم إيالة عليه وحمله على ما يتمتع منه نظرا
 / ٢٩٤ له، ففي ظاهره الجهد وفى باطنه الرفق، وفى عاجله الكره. وفى آجله
 الرضى والروح، فوقعه فى الأبدان المداواة "تداواوا عباد الله فان الذى
 أنزل الداء أنزل الدواء " و موقعه فى الأديان التزام الأحكام والصر
 ١٥ والمصابرة على مجاهدة الأعمال و جهاد الأعداء ظاهرا من عدو الدين
 والبغى وباطنا من عدو النفس وأعدى عدوك نفسك التى بين جنيدك،

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : علوية (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ما .
 (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : به (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : استنج .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حله .
 (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : مجاهدات (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : عدم .

ومن بعض الأهل والولد عدو، والشيطان عدو يجرى من ابن آدم
نجس الدم " إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا "، فالحمل على جميع أنواع
الصبر والمصابرة ظاهرا بالإيالة العالية هو الحكم والعلم بالأمر الذي لأجله
وجب الحكم من قوام أمر عاجلته وحسن العقى فى أجلته من الحكمة،
فالحكم مباح التعليم للناس عامة بل واجب أن يتعلم كل امرئ من الأحكام
ما يخصه، وأن يتدب طائفة علم ما يعم جميع الناس " فلو لا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليثقفوا فى الدين "، والحكمة التى هى العلم بما لأجله
وجب الحكم من مشروطه التعليم بالتزكية " هو الذى بعث فى الاميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وان
كانوا من قبل لنى ضلال مبين " [فما يعلمهم الحكمة -] [لإلبقى التزكية
فمن تزكى فهو من أهلها ومن لم يتزك فليس من أهلها، فالحكمة تحمل
شراة بجهد العمل بالأحكام فييسر بها ما يسر دونها، والحكم ضيق الامر
للنفس كما أن السجن ضيق الخلق للبدن، والحكمة توطد محمل ضيق الحكم
لأنها تخرج وتول إلى سعة الواسع، ولا يتم الحكم وتستوى الحكمة
إلا بحسب سعة العلم، ولما لم يكن للخلق من العلم إلا بقدر ما يهيم
الله لم يكن لهم من الحكمة إلا مقدار ما يورثهم " ولقد آتينا لقمان
(١) من ظ وم، وفى الأصل: ابغض (٢) من ظ وم، وفى الأصل: العلم.
(٣) سقط من ظ وم (٤-٤) سقط ما بين أرقين من ظ (٥) زيد من ظ وم.
(٦) من م، وفى الأصل و ظ: للاحقق .

الحكمة“ و لما كان إنما العلم عند الله كان إنما الحكمة حكمة الله وإنما الحكم حكم الله، فهو الحكيم الذي لا حكيم إلا هو - انتهى . وقد علم سر اتباع الأسماء الشريفة من غير عطف، وذلك أنه لما ابتدأ بـ «هو» وأخبر عنه بالاسم العلم الأعظم المفرد المصون الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، أتبعه تلك الأوصاف العلى من غير عطف إعلاما بأنه لا شئ منها يودى جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند أهل اللغة، ولذلك جمع بعدها الأسماء إشارة إلى أنه لا يجمع معناه إلا جميع الأوصاف المنزلة في كتبه و المأخوذة عن أولياته التي استأثر بها في غيبه وليس شئ مما ذكر مهنا مضادا^١ في [المعنى -^٢] الظاهري للآخر كالأول والآخر ١٠ حتى يظن لأجله نقص في المعنى بسبب ترك العطف، و أما ترتيبها هكذا فلأن كل اسم منها كما مضى شارح لما خفي من الذي قبله و مبين لللازمة، و موضح لما ألح أنه من مضمونه، / و قد انعطف على افتتاحها ختامها و عاتق ابتدائها تماما، و وفي مطلعها مقطعها، و زاد و بلغ الغاية من الإرشاد إلى سبيل الرشاد، فسبحان^٥ من أنزله برحمته رحمة للعباد، ١٥ و هاديا إلى الصواب و السداد^٦ .

/ ٢٩٥

(١) من م ، و في الأصل و ظ : جمعها (٢) من ظ و م ، و في الأصل : مضادة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : الآية (٥) من ظ و م ، و في الأصل : سبحان (٦) سقط من م (٧) زيد في الأصل : وإلى طريق الرشاد ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

سورة الممتحنة

مقصودها براءة من أقر بالإيمان^٢ ممن اتسم^٢ بالعدوان دلالة على صحة مدعاه
 كما أن الكفار تبرأوا^٢ من المؤمنين و كذبوا بما جاءهم من الحق لثلا
 يكونوا^٢ على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم ، و تسميتها
 بالمتحنة أوضح شيء فيها و أدله على ذلك لأن الصهر أعظم الوصل ،
 و أشرفها بعد الدين ، فإذا نفى^٢ و منع دل على أعظم المقاطعة لدلالته
 على الامتحان بسبب الكفران الذي هو أقبح العصيان ﴿ بسم الله ﴾
 الكافي من لجأ إليه فمن تولاه أغناه^٦ عن سواه ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم
 بنعمة الإيجاد من فلق عن وجوده العدم و براه و شمل ، برحمته البيان
 من حاطه بالعقل^٧ و رعاه ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص بالتوفيق من^{١٠}
 أحبه و ارتضاه .

لما كان التأديب عقب الإنعام جديرا بالقبول ، و كان قد أجرى
 سبحانه سنته الإلهية بذلك ، فأدب عباده المؤمنين عقب سورة الفتح السبي
 بسورة الحجرات ، و كانت سورة الحشر مذكرة بالنعمة في فتح بنى النضير

- (١) الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها (١٣) بالاتفاق -
 راجع ثمر المرجان ٧/٢٩٦ (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : من اقسام (٣) من
 ظ و م ، و في الأصل : يتبرون (٤) من ظ و م ، و في الأصل : لثلا يكون .
 (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بقي (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عما .
 (٧) من ظ و م ، و في الأصل : العقل .

[١-] معلمة بانه لا ولى إلا الله ، و لذلك ختمها بصفى العزة و الحكمة
 بعد^٢ أن افتحها^٣ بهما ، و ثبت أن من الحكمة حشر الخلق ، و أن أولياء الله
 هم المفلحون ، و أن أعداءه هم الخاسرون ، و كان الحب في الله و البغض
 في الله أفضل الأعمال و أوثق غرى الإيمان ، و لذلك^٤ ذم سبحانه لمن
 ٥ و الى أعداءه و ناصرهم^٥ ، و سماهم مع التكلم بكلمة الإسلام منافقين ، أتج
 [ذلك -^٥] قطعاً و جوب البراءة من أعدائه و الإقبال على خدمته و ولأئمة^٦ ،
 فقال معيدا للتأديب^٧ عقب سورة الفتح على أهل الكتاب بسورة جامعة
 تتعلق بالفتح الأعظم و الفتح السبى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا^٨) مناديا
 بأداة العبد و إن كان من نزات بسببه من أهل القرب ، و معبرا بالماضى
 ١٠ إقامة^٩ لمن و الى الكفار نوع موالاتة في ذلك المحل إلهابا له و تهيجا
 إلى الرفع عنه^{١٠} لثلا يقدر في خصوصيته و يحط من^{١١} على رتبته مع
 اللطف [به -^{١٢}] بالتسمية له بالإيمان حيث شهد سبحانه على من فعل
 نحو فعله مع^{١٣} بنى النصير بالنهاق^{١٤} ، و أحله محل أهل الشقاق ، فحكم على

البعث
 سح

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : فتحها (٣) من ظ و م ،
 و في الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، و في الأصل : يضرهم (٥) زيد من م .
 (٦) من ظ و م ، و في الأصل : ولايته (٧) من ظ و م ، و في الأصل :
 للتاب (٨) ليس في الأصل (٩) من ظ و م ، و في الأصل : اقامته (١٠) من
 ظ و م ، و في الأصل : له (١١) من ظ و م ، و في الأصل : في (١٢) زيد من
 ظ و م (١٣) من ظ و م ، و في الأصل : من (١٤) من م ، و في الأصل
 و ظ : بالشقاق .

القلوب في الموضعين فقال هناك "الذين ناقروا" كما قال هنا
"الذين آمنوا".

ولما كان قد تقدم في المجادلة النهي الشديد عن إظهار مطلق
المادة للكفار، وفي الحشر الزجر العظيم عن إبطان ذلك فكلفت
السورتان بالمنع من مصاحبة ودم ظاهرا أو باطنا، بكت هنا من اتصف
بالإيمان وقرعه ووجنه على السعى في موادتهم والتكلف لتحصيلها، فإن
ذلك قادح في اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة والحكمة، فعبر لذلك بصيغة
الافتعال فقال بعد التبيكيت بالنداء بأداة البعد والتعير بأدنى أسنان
الإيمان؛ (لا تتخذوا) وزاد في ذلك المعنى من وجهين: التعير بما
منه العداوة تجرمة عليهم وتفيرا منهم والتوحيد لما يطلق على الجمع لثلا ١٠
يظن أن المنهى عنه المجموع بقيد الاجتماع والإشارة إلى أنهم في العداوة
على قلب واحد، فأهل الحق أولى بأن يكونوا كذلك في الولاية
قال: (عدوى) أى و أتم تدعون موالاى [ومن المشهور أن
مصادق العدو أدنى مصادقة لا يكون وليا فكيف بما هو فوق الأدنى -^٨
وهو فعول من عدى، وأبلغ في الإيقاظ بقوله: (وعدوكم) أى ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الظهار (٢) زيد في الأصل: العنيف، ولم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: فتكاملت .
(٤) من ظ و م، وفي الأصل: ه و ه (ه - ه) من ظ و م، وفي الأصل:
أويا كيا بكيا (٦) من م، وفي الأصل و ظ: ذلك (٧) من م، وفي
الأصل و ظ: ان (٨) زيد من ظ و م .

العريق في عداوتكم ما دتم على مخالفته في الدين.

ولما وحد لأجل ما تقدم من الإشارة إلى اتحاد الكلمة، بيننا أن المراد الجمع فقال: ﴿أولياء﴾ ثم استأنف بيان هذا الاتحاد بقوله مشيراً إلى غاية الإسراع والمبادرة إلى ذلك بالتعبير بقوله: ﴿تلقون﴾ أي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطعمون فيه إلقاء الشيء الثقيل من علو ﴿الهمم﴾ على: بعدهم منكم حسا ومعنى ﴿بالمودة﴾، [أي: ١] يسبها نوم لما توقع السامع التصريح بمضادتهم في الوصف الذي نادى به بعد التلويح إليه، قال ملهيا ومهيجا إلى عداوتهم بالتدبير بمخالفتهم إياه في الاعتقاد المستلزم لاستصغارهم لأنه أشد المخالفة: ﴿قدكم أي ١٠﴾ بالحوال أنهم قد ﴿كفروا﴾ أي غطوا جميع ما لكم من الأدلة ﴿عما﴾ أي بسبب ما ﴿جاءكم من الحق﴾ أي الأمر للثبوت الكامل في الثبات الذي لا شيء اعظم ثباتاً منه، ثم استأنف بيان كفرهم بما يبعد من مطلق موادتهم فضلا عن السعي فيها بقوله مذكرا لهم بالحوال الماضية زيادة في التنفير منهم ومصورا لها بما يدل على الإصرار بأنهم ﴿يخرجون الرسول﴾ ١٥ أي الكامل في الرسلية الذي يجب على كل أحد عداوة من عاداه أدنى عداوة ولو كان أقرب الناس فكيف إذا كان عدوا، وبين أن المخاطب من [٠ -] أول السورة من المهاجرين وأن إرادته على وجه الجمع للسر

(هـ) توبه في الأصل و ظ : نوس ، ولم تكن الزيادة في م : لحدفاها (م) زيد من ظ و م (ج) من ظ و م ، وفي الأصل : امة (هـ) زيبرك الأجل و ظ : كانت ولم تكن لزيادة في م لحدفاها (هـ) زيد من م -

و التعميم في النهي بقوله: ﴿ و اياكم ﴾ أي من دياركم من مكة المشرفة .
 و لما بين كفرهم ، معبراً بالمضارع ، إشارة إلى دوام أفام لمن آمن ،
 المقضى لخروجه عن وطنه ، على الإخراج بما يحقق معنى الكفر
 و الدأوة فقال : ﴿ ان ﴾ أي أخرجوكم من أوطانكم لاجل أن ﴿ تؤمنوا ﴾
 أي توقفوا حقيقة الإيمان مع التجديد و الاستمرار .

و لما كان الإيمان به سبحانه مستحقاً من وجهي الذات و الوصف
 لغت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليها فقال : ﴿ بالله ﴾ أي
 الذي اختص بجميع صفات الكمال ، و لما عبر بما أبان أنه مستحق
 للإيمان لذاته أردفه بما يقتضى / و جوب ذلك لإحسانه فقال : ﴿ ربكم ﴾

٢٩٧ /

و لما ألهمهم على ما بينتهم لهم ، بما فعلوا معهم و انقضى ما أريد من
 التنبيه بسباق الغيبة عاد إلى التكلم لأنه أشد تحبباً و أعظم استعطافاً و أكمل
 على الرضا فألهمهم بما كان من جانبهم من ذلك [الفعل - °] أن لا يضيغوه ،
 فقال معلماً ان و لا يته سبحانه لا تصح إلا بالإيمان ، و لا يثبت الإيمان
 إلا بدلائله من الأعمال ، و لا تصح الأعمال إلا بالاخلاص ، و لا يكون

الإخلاص إلا بمباينة الأعداء : ﴿ ان كنتم ﴾ أي كونوا راسخين أخرجوكم ١٥
 من أوطانكم لاجل إيمانكم ب ﴿ خرجتم ﴾ أي منها و هي أحب البلاد
 إليكم ﴿ جهاداً ﴾ أي لاجل الجهاد ﴿ في سبيلي ﴾ أي بسبب إرادتكم

(١) من ظ و م ، و في الأصل : دياركم (٢) من ظ و م ، و في الأصل : انكم .
 (٣) في ظ و م : مؤمنين (٤ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : ما بينتهم له .
 (٥) زيد من ظ و م .

تسهيل طريق التي شرعتها لعبادي أن يسلكوها (وابتغاء مرضى قلمه) أي ولاجل تطلبكم بأعظم الرغبة لرضاي ولكل فعل يكون موضعاً له، وجواب هذا الشرط محذوف لدلالة «لا تتخذوا» عليه.

ولما فرغ من بيان [حال - ٢] العدو وشرط إخلاص الولي،

٥- وكان التقدير: فلا تتخذوم أولياء، بنى عليه قوله مبيناً "تلقون" إعلاماً

بأن الإسرار إلى أحد بما فيه نفعه لا يكون إلا تودداً: (تسرون) أي

توجدون إسرار جميع ما يدل على مناصحتهم والتودد إليهم، وأشار

إلى بعدم عنهم بقوله: (اليهم) إبلاغاً في التوبيخ بالإشارة إلى أنهم

يتجشمون في ذلك مستفتين^٢ إبلاغ الأخبار التي يريد النبي صلى الله عليه

١٠ وسلم وهو المؤيد بالوحي كتبها عنهم على وجه الإسرار خوف

الافتضاح والإبلاغ إلى المكان البعيد (بالمودة قلمه) أي بسببها أو بسبب

الإعلام بأخبار يراد بها أو يلزم منها المودة. ولما كان المراد بالإسرار

الستر على من يكره ذلك، قال مبكنا لمن يفعله: (وانا) أي والحال

أني (اعلم) أي من كل أحد من نفس الفاعل (بما أخفيتم) أي

١٥ من ذلك (وما أعلنتم^٣) فأى فائدة لإسراركم إن كنتم تعلمون أي

عالم به، وإن كنتم توهمون^٤ أني لا أعلمه فهي القاصمة.

ولما كان التقدير بما هدى^٥ إليه العاطف: فن فعل منكم فقد ظن

(١) من م، وفي الأصل وظ: الي (٢) زيد من ظ وم (م) من ظ وم،

وفي الأصل مستقيين (٤) من ظ وم، وفي الأصل دو (٥) من م، وفي

الأصل وظ: تتهمون (٦) من ظ وم، وفي الأصل: اهدى.

أني لا أعلم الغيب أو فعل ما يقتضي ظن ذلك ، عطف عليه [قوله - ١] :
 (ومن يفعله) أي يوجد الاتخاذ سرا أو علنا أو يوجد الإصرار بالمودة
 فالإعلان أولى في وقت من الأوقات ماض أو حال أو استقبال . ، ولما
 كان المحب قد يفعل بسبب الإدلال ما يستحق به التبكيت ، فإذا بكت
 ظن أن ذلك ليس على حقيقة لأن محبته لا يبصرها شيء ، وكان قد ستره
 المعايب بأن أخرج الكلام مخرج العموم ، صرح بأن هذا العتاب مراد
 به الإيجاب فقال : (منكم) وحقق الأمر وقربه بقوله : (قد ضل)
 أي عمي و مال وأخطأ (سواء السبيل) أي قويم الطريق الواسع الموسع
 إلى القصد قويمه وعدله ، وسبب نزول هذه الآية روى من وجوه / كثيرة

٢٩٨ /

فبعضه في الصحيح عن علي ومنه في الطبراني عن أنس ومنه في التفسير ١٠
 أن سارة مولاة أبي عمرو بن صفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فسألها ما أقدمها ،
 فقالت : ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة ، وكنتم الأهل والعشيرة
 والموالى ، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وبنى
 المطلب فأعطوها وكسوها وحملوها ، فكتب معها حاطب بن أبي بلتعة ١٥
 حليف بنى أسد بن عبد العزى من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذرکم ، فأعطاهما عشرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل ؛ اخرج (٣) واجع مثلا
 معالم التنزيل هامش الباب ٦٢/٧ (٤) من ظ و م والعالم ، وفي الأصل ، سيده .
 (٥) من ظ و م والعالم ، وفي الأصل : يريد .

دناير ، فنزل جبريل عليه السلام بالخبير فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر و عليا و عمارا و الزبير و طلحة و المقداد و أبا مرثد و كانوا كلهم فرسانا فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين ، فخذوها منها و خلوا سبيلها ، و إن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقه . فاطلقوا و نادى بهم خيلهم ، فأدركوها في ذلك المكان فأتكرت و حلفت بالله : ففتشوها فلم يجدوه فهدموا بالرجوع ؛ فقال علي رضي الله عنه : ما كذبنا و لا كذبنا ، و سل نيفه فقال : أخرجني الكتاب أو لالقين الثياب و لأضربن عنقك ، فقالت : علي أن لا تردوني . ثم أخرجته من عقاصها قد لفت عليه شعرها ، فخلوا سبيلها ؛

١٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب : هل تعرف الكتاب ، قال : نعم ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : لا تمجل يا رسول الله ، و الله ما كفرت منذ أسلمت و لا غششت منذ نصحتك و لا أحببتهم منذ فارقتهم ، و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكة من يدفع الله به عن عشيرته ، و كنت غريبا خليفا فيهم ، و كان أهلي بين ظهرائهم فأردت أن أجدنهم عندم

١٥ يدا يدفع الله بها عن أهلي ، و قد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه ،

(١) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : نفذوا (٢ - ٣) من م و المعالم . و في الأصل و ظ : بذلك (٣) من م ، و في الأصل و ظ : ولم يجدوا (٤) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : و (٥) زيد في الأصل : عنقها أو . ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عشيت ، و في المعالم : غششتك . (٧) من ظ و م . و في الأصل : بينهم (٨) من م و المعالم ، و في الأصل و ظ : يتخذ (٩) في الأصل بياض ملاءه من ظ و م و المعالم .

وأن كتاب لا يفتى عنهم شيئاً، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال [عمر - ١] بن الخطاب رضى الله عنه: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم لله غفرت لكم، ففاضت عيناً عمر رضى الله عنه ٥ وقال: الله ورسوله أعلم بما نزل الله: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم" الآيات .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت - يعنى هذه السورة - بوضيعة

المؤمنين على ترك موالاة أعدائهم ونهيهم عن ذلك [وأمرم - ١]

بالتبرء منهم، وهو المعنى الولد في قوله خاتمة المجادلة "لا تجد قوماً ١٥

يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا

٢٩٩ /

آبائهم أو أبناءهم" إلى آخر السورة، وقد حصل [منها - ١] ان / أسنى

أحوال أهل الإيمان وأعلى مناصبهم "ارلك كتب في قلوبهم الإيمان

وايدهم روح منه" فوصى عباده في افتتاح الممتحنة بالتزهد عن موالاة

الأعداء ٥ وعظهم بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه في ١٥

تبرئهم من قومهم ومعاداتهم، والاتصال في هذا بين، وكان سورة

الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تهديد الكلام وتنبية السامع

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٣) سقط من ظ (٤) زيد

من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: عدوهم - كذا (٦) من م،

وفي الأصل و ظ: بيته .

على ما به تمام الفائدة لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من
 حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتزويه عن
 مرتكباتهم، ثم أتبع ذلك ما عجله لهم من التهمة والنكال، ثم عاد
 الأمر إلى النهي عن موالاته الأعداء جملة له، ثم لما كان أول سورة
 المتحة إنما نزل في حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه وكتابه لكفار
 قريش بمكة، والقصة مشهورة وكفار مكة ليسوا من يهود، وطلبوا
 المعادة للجميع واحد، فهذا فضل بما هو من تمام الإخبار بحال يهود،
 وحينئذ عاد الكلام إلى الوصية عن نظائرهم من الكفار المعاندين،
 والتحت السور الثلاث وكثير في سورة المتحة ترداد الوصايا والعهود،
 ١٠ وطلب بذلك كله ولهذا المناسبة ذكر فيها الحكم في بيعه النساء وما
 يشترط عليهن في ذلك، فبنى السورة على طلب الوفاء اقتاحا واختتاماً
 حسب ما بين في التفسير لينزه المؤمن عن حال من قدم ذكره في
 سورة الحشر [و - ٨] في خاتمة سورة المجادلة - انتهى .

ولما كان ما بينه تعالى من إخراجهم لهم موضعاً بعداوتهم وكان
 ١٥ طول كفهم عن قصدهم بالأذى من سنة الأحزاب سنة خمس إلى سنة

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : لا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بما .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : نزلت (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كتابته .
 (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الجميع واحداً (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : مبنى (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : حس (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : خلقه (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : كانوا .

ثمان ربما شكك في أمرها ، وكان سبحانه قد أعز المؤمنين بعد ذلهم وقوام بعد وهنهم وضعفهم ، و ثقفهم^١ بعد جهلهم ، بين ظلال معتقد ذلك بأن كف الكفار إنما هو لعجزهم^٢ وأنهم^٣ لو حصل لهم ما هو للسليين الآن من القوة لبادروا إلى إظهار العداوة مع أن ذلك في نصر الشيطان ، فأولياء الرحمان أولى باتباع ما آتاهم من الإيمان ، فقال مينا لبقاء عداوتهم : ٥

(ان يثقفوك) أى يحدوكم في وقت من الأوقات^٤ و^٥ مكان من الأماكن وهم يطمعون في أخذكم بكونهم أقوى منكم أو أعرف بشيء مما يتوصل به إلى الغلبة ، وأشار بأداة الشك إلى أن وجدانهم وهم على صفة الثقافة مما لا تحقق له ، وإنما هو على سبيل الفرض والتقدير ، وأنه إنما علم سبحانه أنه لو كان كيف كان يكون ، مع أنه عما لا يكون ، ١٠

ونبه على عراقتهم في العداوة بالتعبير بالكون فقال : (يكونوا لكم) أى خاصة (اعداء) أى يعدون إلى^٦ أذاكم كل عدو يمكنهم وإن واددتهم . و [لما -^٧] كانت العداوة قد تكون^٨ باغراء الغير ، عرف أنهم لشدة غيظهم لا يقتصرون^٩ على ذلك فقال : (ويسطوا اليكم) أى خاصة / وإن كان هناك في ذلك الوقت من غيركم من^{١٠} قتل أعز ١٥ / ٣٠٠

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ثقفهم - كذا (٢) في م : انه (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : أو (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : لا تكون (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لا ينتصرون (٩) زيد في الأصل : السمة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحدوثها .

الناس إليهم ﴿ ايديهم ﴾ أى بالضرب إن استطاعوا ﴿ و السنتهم ﴾ أى باللسان مضمومة إلى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما نجرع من آخر من غيركم من القصص حتى أوجب له غاية السعة ﴿ بالسوء ﴾ أى بكل ما من شأنه أن يسوء .

٥ ولما كان أعدى الأعداء ز لك - ١ [من تمنى أن يفوتك أعز الأشياء لديك ، وكان أعز الأشياء عند كل أحد دينع ، قال متما لليان : ﴿ وودوا ﴾ أى وقعت منهم هذه الودادة قبل هذا لأن مصيبة الدين أعظم [فهم إليها أسرع لأن دأب العدو القصد إلى أعظم - ١] ضرر يراه لعدوه ، و عبر بما يفهم النبي ٢ الذى يكون في المحلات ليكون المعنى ١٠ أنهم أحبوا ذلك غاية الحب و تمنوه ، وفيه بشرى بأنه من قبيل المحال ﴿ لو تكفروا ﴾ أى يقع منكم الكفر الموجب للهلاك الدائم ، [و - ١] قدم الأول لأنه أبين في العداوة و إن كان الثانى انكراً .

ولما كانت عداوتهم معروفة و إنما غطاها محبة القرابات لأن الحب للشيء يعنى ويصم ، خطأ رأيهم في موالاتهم بما أعلمهم به من حالانهم ، ١١ زعد فيها بما يرجع إلى حال من والوهم لأجلهم بما تورثه من الشقاء الدائم يوم البعث ، فقال مستأنفا إعلاما بأنها خطأ على كل حال : ﴿ لن تنفعكم ﴾ أى بوجه [من الوجوه - ١] ﴿ ارحامكم ﴾ أى فوابانكم الحاملة لكم على

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : الان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : النهى (٤) في ظ و م : حالهم .

رحمتهم و العطف عليهم ﴿ و لا اولادكم ج ﴾ الذين هم اخص ارحامكم إن
واليتيم أعداء الله لاجلهم فينبغي أن لا تعدوا قريهم منكم بوجه أصلا ،
ثم علل ذلك وبينه بقوله : ﴿ يوم القيمة ه ﴾ أى القيام الأعظم .

ولما كان النافى للنفع وقوع الفصل لا كونه^١ من فاصل معين قال

بانيا للفعل على قراءة أنى عمرو و نافع و ابن كثير و أبى جعفر و ابن ه
عامر^٢ من أكثر طرقه إلا أنه شدد الصاد للبالغة فى الفصل : ﴿ يفصل ﴾
أى يوقع الفصل و هو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب ﴿ بينكم^٣ ﴾
أى أيها الناس فيدخل^٤ من شاء من أهل طاعته الجنة ، و من شاء من أهل
معصيته النار ، فلا ينفع أحد أحدًا منكم بشيء من الأشياء إلا إن كان
[قد -^٥] أنى الله بقلب سليم فيأذن الله فى إكرامه بذلك . ١٠

ولما كان التقدير إعلاما بأن الله هو الفاصل و هو الضار النافع

بما دلت [عليه -^٥] قراءة الباقيين إلا أن حمزة و الكسائى بضم الياء و فتح
الفاء و كسر الصاد مشددة إشارة إلى عظمة هذا الفصل بخروجه عن
المألوف عودا إلى الاسم الأعظم إشارة إلى عظم الأمر بانتشار الخلائق

و أعمالهم : فأنه على ذلك قدير ، عطف عليه^٥ قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى ١٥
له الإحاطة^٦ التامة ﴿ بما تعملون ﴾ أى من كل عمل فى كل وقت
﴿ بصيره ﴾ فيجازيكم عليه فى الدنيا و الآخرة ، و قد مضى غير مرة أن

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لكونه (٢) راجع ثر المرجحان ٣٠١/٧ (٣) من ظ

و م ، وفى الأصل : فيه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :

على ذلك (٦) زيد فى الأصل : الكامل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا .

تقديم الجار في مثل هذا للتنه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص ولا لأجل الفواصل .

ولما أبلغ سبحانه في وعظهم في ذلك، وكانت عاداته الترية بالمؤمنين، كان موضع توقع ذلك فقال معبرا بأداة التوقع: (قد كانت) ٥ / ٢٠١
 أى وجدت وجودا تاما، وكان تأنيث الفعل إشارة إلى الرضا بها ولو كانت على ادنى الوجوه (لكم) أى [ايها - '] المؤمنون (أسوة) أى موضع اقتداء وتأسية وتسنى وتشرع وطريقة مرضية (حسنة) يرغب فيها (في إبراهيم) أى فى قول أبى الأنبياء (والذين معه) أى [بمن - '] كانوا قبله من الأنبياء، قال القشيري: ومن آمن به فى زمانه كان أخيه لوط عليها الصلاة والسلام وهم قدوة أهل الجهاد والهجرة (اذ) أى حين (قالوا) وقد كان من آمن به أقل منكم وأضعف (لقومهم) الكفرة، وقد كانوا^٢ أكثر من عدوكم وأقوى وكان لهم^٢ فيهم أرحام وقرابات ولهم فيهم رجاء بالقيام والمحاولات .

١٥ ولما كان ما ذكر من ضعفهم وقوة قومهم مبعدا لأن يبارزوم، أكدوا قولهم فقالوا: (انا) أى من غير وقفة ولا شك (برءوا) أى متروون تبرئة عظيمة (منكم) وإن كنتم أقرب الناس إلينا ولا ناصر لنا منهم غيركم . ولما تبرؤا منهم أتبعوه ما هو أعظم عندهم منهم وهو سبب العداوة فقالوا: (وما تعبدون) أى توجدون عبادته فى وقت

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: كان (٣) من ظ و م، وفى الأصل: لكم (٤) ورد فى الأصل بعد «لاشك» والترتيب من ظ و م.

من الآوقات الماضية المفيدة التعبير [عنها - ٢] بالمضارع تصوير الحال
أو^٣ الحاضرة أو الآتية كأننا من كان لا يخف شيئا من ذلك لأن إلهنا
الذي قاطعنا كل شيء في الانقطاع إليه لا يقاويه شيء ، ولا تقدر أنتم
مع إشراككم به على البراءة منه .

- و لما كانوا مشركين قالوا مستئين ومئين لسفول كل شيء عن ٥
متعالى مرتبة معبودهم : ﴿ من دون الله د ﴾ أى الملك الأعظم الذى هو
كاف لكل مسلم . و لما كانت البراءة على أنحاء كثيرة ، بينوا أنها براءة
الدين الجامعة لكل براءة فقالوا : ﴿ كفرا بكم ﴾ أى أوجدنا الستر لكل
ما ينغى ستره حال كوننا مكذبين بكل ما يكون من جهتم من دين
و غيره الذى يلزم منه الإيمان ، و هو إيقاع الأمان من التكذيب لمن ١٥
يخترنا بسبب كل ما يصاده مصدقين بذلك . و لما كان المؤمن على جيلة
مضادة لجيلة الكافر ، عبر بما يفهم [أن - ٢] العداوة [كانت موجودة - ٢]
ولكنها كانت مستورة ، فقال دالا على قوتها بتذكير الفعل : ﴿ وبنا ﴾
أى ظهر ظهورا عظيما ، و على عظمتها بالدلالة بزعم الخافض على أنها
شاحنة لجميع البينين فقال : ﴿ بيننا و بينكم ﴾ أى فى جمع الحد^٤ الفاصل ١٥
بين كل واحد منا وكل واحد منكم ﴿ العداوة ﴾ و هى المباينة فى
الأفعال بأن يعدو كل [على - ١] الآخر ولا يكون [ذلك - ٢]

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : المفيدة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : و (٤) زيد فى الأصل وظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م لحدفائها .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : منكم (٦) فى م : بتلك المضاد (٧) من ظ ، و فى
الأصل و م : جد .

إلا عند ما - [يستخف - '] الغبط^١ الإنسان لإرادة أن يشفي صدره من شدة ما حصل له من حرارة الخنق . فالعداوة^٢ تمتد فيكون مائة لظرفها ، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في تلويحه^٣ على توضيح صدر الشريعة في أوائله في علاقات المجاز : الفعل المنسوب إلى ظرف الزمان بواسطة تقدير^٤ وفي ، دون ذكره يقتضى كون الظرف معيارا له غير زائد عليه مثل صمت الشهر ، يدل على صوم جميع أيامه بخلاف صمت في الشهر ، فإذا امتد الفعل امتد الظرف ليكون معيارا^٥ [له - '] فيصح حمل اليوم^٦ - في نحو صرت يوم كذا^٧ - على حقيقته ، وهو / ما يمتد من الطلوع إلى الغروب ، وإذا لم يمتد الفعل - يعنى مثل وقوع الطلاق - لم يمتد الظرف ، لأن الممتد لا يكون معيارا لغير الممتد لحينئذ^٨ لا يصح حمل اليوم على النهار الممتد بل يجب أن يكون [مجازا - '] عن جزء من الزمان الذى لا يعتبر في العرف ممتدا ، وهو الآن سواء كان من النهار أو من الليل بدليل قوله تعالى " ومن يؤلمهم يومئذ دبره " فان التولى عن الزحف حرام ليلا كان أو نهارا ولأن مطلق الآن جزء من الآن اليومي وهو جزء من اليوم ، فيكون مطلق الآن جزءا من اليوم ، فتحقق العلاقة .

/٣٠٢

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : انضبط (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : بما (٤) ص : ٢١٩ (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : تقديره . (٦ - ٧) - سقط ما بين الرقبتين من ظ (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : يوم . (٨) زيد في الأصل : أو ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : وحينئذ .

ولما كان ذلك قد يكون لغير البغض بل لتأديب و نحوه قالوا:
 (والبغضاء) أى وهى المباشرة بالقلوب بالبغض العظيم . ولما
 كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا: (أبداً) ولما كان
 ذلك مرتباً من صلاح الحال ، وكان قد يكون لحظ نفس : بينوا غايته
 على وجه عرفت به علته بقولهم : (حتى تؤمنوا) أى توقعوا الأمان .
 من التكذيب لمن أمركم بالإيمان وأخبركم عن الرحمان ، حال كونكم
 مصدقين ومعترفين (بالله) أى الملك الذى له الكمال كله . ولما
 كانوا يؤمنون به مع الإشراك قالوا: (وحده) أى تكونوا مكذابين
 بكل ما يعبد من دونه .

ولما حث سبحانه المخاطبين على التامس بقول إبراهيم ومن معه فى ١٠
 ذلك الوقت عليهم السلام استثنى منه فقال تأييساً لمن نزلت القصة^٢
 بسببه واستعطافاً [له - ١] وهو حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه :
 (الاقول إبراهيم) أى فلا تأمى لكم به (لاييه) واعداءه قبل
 أن يبين له أنه ثابت العداوة لله تعالى لكونه مطبوعاً على قلبه ، فلا صلاح
 له . يقال : إن أباه وعده أنه يؤمن فاستغفر له ، فلما تبين له ، أنه لا يؤمن ١٥
 تبرأ منه : (لاستغفرون) أى لا وجدن طلب الغفران من الله (لك)
 فان هذا الاستغفار لكافر ، فلا ينبغي لهم أن يتأسوا به فيه مطلقاً غير
 ناظرين إلى علم أنه مطبوع على قلبه أو فى حين الرجوع .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يكون (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عليه (٣) فى م : اقضية (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : أعصر .

و لما وعده بالاستغفار رغباه له ، رهبه لئلا يترك السعى في النجاة
بما معناه أنه ليس في يدي غير الاستغفار ، فقال : ﴿ وما أملك لك ﴾ أى
لكونك كافرا ﴿ من الله ﴾ أى لأنه الملك ' الأعلى المحيط بنعوت ' الجلال ،
وأعرق في التقي بقوله : ﴿ من شئ ' ﴾ و الاستثناء وقع [على - ٢] هذا
٥ القول بقيد الاجتماع ، و لا يلزم منه التعرض للأجزاء ، فلا تكون هذه
الجملة على حياتها مستثناة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما نادى : واصباحاه
حين ' أنزل الله سبحانه و تعالى " وانذر عشيرتک الاقربين " كان يقول
لكل من سماه : لا أملك لك ' من الله شيئا ، حتى قال في آخر ذلك :
يا فاطمة بنت محمد ا سليني من مالى ' ما شئت لا أغن عنك من الله شيئا .
١٠ و لما حثهم على التأسى بقول الخالص . و قدم [منه - ٥] المحافاة
لأنها المقصودة ، واستثنى ما لا ينفى التأسى فيه اعتراضا به بين أجزاء
مقالهم بيانا للاهتمام به للتفسير منه ' من قوله ، آمم ما يؤسى ' فيه فقال
مبيناً أنهم ما أقدموا على مجافاتهم " بما قال إلا وقد قرروا جميع ما يقولونه
ورضوا به دون موادتهم و انقطعوا إلى الله وحده انقطاعا تاما يفعل
١٥ بهم ما يشاء من تسليطهم عليهم / أو حمايتهم منهم ، لكنهم سألوا الحماية
١٣٠٣

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المالك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
ثبوت (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٥) -قط من ظ .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مالك (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ،
و فى الأصل : به (٩) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : محانهم .

لا لذاتها ولا لأنفسهم بل لئلا يزيد [ذلك - ١] أعداءهم ضلالاً:
 ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا بتخليصك لنا من الهلاك باتباعهم
 ﴿عليك﴾ أى لاعلى غيرك ﴿توكلنا﴾ أى فعلنا فى جميع أمورنا معك
 فعل من يحملها على قوتى ليكفيه أمرها لانا نعلم أنك تكفى إذا شئت
 كل ملء، وأنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وقد عاديتنا بك ه
 قوما عتاة أقوياء و نحن ضعفاء ورضينا بكل ما يحصل لنا منهم غير ان
 عافيتك هى أوسع لنا .

ولما كان الذى ينفى لكل أحد و إن كان محسنا أن يعد نفسه
 مقصرا شاردا عن ربه لأنه اعظم جلاله لا يقدر أحد أن يقدره حق
 قدره. و أن يعزم على الاجتهاد فى العبادة قالوا مخبرين بذلك عادين ١٠
 ذلك العزم رجوعا: ﴿ واليك ﴾ أى وحدك 'لا إلى غيرك' ﴿ انبنا ﴾
 أى رجعتنا بجميع ظواهرنا و بواطننا . و لما كان المعنى تعليلا : فانه منك
 المبدأ ، عطف عليه قوله: ﴿ واليك ﴾ أى وحدك ﴿ المصيره ﴾ و لما
 أخبروا باسلامهم له سبحانه و علوه بما اقتضى الإحاطة فاقضى مجموع ذلك
 الثناء الآتم ، فلزم منه الطلب ، صرحوا به فقالوا داعين باسقاط الأداة ١٥

للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له من الإحاطة : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها
 المربى لنا و المحسن إلينا ﴿ لا يجعلنا ﴾ باضعافنا و التسليط علينا ﴿ فتنه ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هلاكا (٣ - ٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : الامور مع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مسلم (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : عاديتناك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : جميع .

أى موضع اختبار ﴿لَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يعذبونا بعذاب يميلنا عما نحن عليه^١
 و يميلهم عما وصلوا^٢ إليه بسبب إسلامنا من الزلزل بما يوجب ذلك لهم
 من اعتقاد لو أنك كنت راضيا بديننا لكنا على الحق وكانوا هم على
 الباطل ما أمكنت منا، فزيدهم ذلك طغيانا ظنا منهم أنهم على الحق وأنا
 على الباطل .

و لما كان رأس مال المسلم * الأعظم الاعتراف بالتقصير وإن
 بلغ النهاية في المجاهدة فإن الإله في غاية العظمة والعبد في نهاية الضعف ،
 فلوغته [ما يحق له - ٧] سبحانه لا يمكن بوجه قالوا : ﴿ واغفر لنا ﴾
 أى استر ما عجزنا فيه وامح عينه وأثره . ولما طلبوا منه الحيطة من
 ١٠ جميع الجوانب ، علوه زيادة في التضرع والخضوع واستجاز المطلوب
 مكررين صفة الإحسان زيادة في الترقق والاستعطاف بقولهم : ﴿ ربنا ع ﴾
 أى المحسن إلينا ، وأكدوا إعلاما بشدة رغبتهم بحسن الثناء عليه سبحانه
 و اعترافا بانهم قد يفعلون ما فيه شيء من تقصير فيكون من مثل
 أفعال من [لا - ١] يعرفه سبحانه فقالوا : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك
 ١٥ لاغبرك ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ﴿ الحكيم ﴾

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فيه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وصوا .
 (٣) من م ، وفى الأصل : انززال (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : وكننا .
 (٥) من م ، وفى الأصل : وظ : السله (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .
 (٧) ريد من ظ (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : إليه (٩ - ٩) من ظ و م ،
 وفى الأصل : يابه قد يفعلوا (١٠) زيد من ظ و م .

الذى يضع الأشياء فى أرفق محالها فلا يستطاع نقضها، ومن كان كذلك فهو حقيق بأن يعطى من أمله فوق ما طلب .

و لما آتم ما حثهم على التأسى فيه بذكر أعظم آباتهم لأن دواعى الإنسان إلى المداراة عما يخاف عليه من أقاربه وآله وجميع أحواله

عظيمة جدا إن كان المدارأ عظيما لا سيما إن كان / قد تقدم له صداقة ٥ / ٣٠٤
 و به ألفة، فكان جدرا بعد الوعظ و التأسية أن يبقى عنده بقايا و لإسبا
 و الناس متفاوتون، منهم من يرده أيسر و عطف و منهم من يحتاج إلى أكثر
 من ذلك، اعاد التأسية تأكيدا لها على وجه بلغ الذروة من جمال
 الترغيب و جلال الترهيب، و ليكون فيها آتم دلالة على أن ما بينهما
 من قول إبراهيم عليه السلام المأمور بالتأسى به من الدعاء و غيره إلا ما ١٠
 استثنى لتشدت الرغبة فيه، فقال مصدرا بما دل على القسم إشارة إلى أن
 من فعل غير هذا كان فعله فعل منكر^١ لحسن هذا التأسى، و لذلك ذكر
 الفعل الذى أثنى فى الأول: (لقد كان لكم) أى أيها الذين ادعوا الإيمان،
 و قدم الظرف 'يانا للاهتمام به' فقال: (فيهم) أى إبراهيم عليه السلام
 و من معه (أسوة حسنة) و أبدل من "لكم" ما هو الفيصل فى ١٥
 الدلالة على الباطل، فقال مشيرا إلى ان من لم يتأس بهم فى هذا لم يكن
 راجيا لما ذكر: (لمن كان) أى جبل على أنه (يرجوا الله) أى الملك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فلا يساع (٢) فى ظ: اخوانه (٣) من م،
 و فى الأصل و ظ: بان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كمال (٥) من ظ
 و م، و فى الأصل: المنكر (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: اهتماما به و بياقا .

المحيط بجميع صفات الكمال . فهو ذو الجلال الذي يجير ولا يجار عليه ، والإكرام الذي هو حديد بأن يعطي جميع ما يسأله ﴿ واليوم الآخر ﴾ الذي يحاسب على التقير ، القطمير ، ولا تخفى عليه خافية ، فمن لم يتأس بهم^٢ كان تركه للناسي دليلاً على سوء عقيدته ، فلا يلومن^٥ إلا نفسه ، فقد أذن لإمام المسلمين إن عثر عليه في عقوبته . فان علم الغيب الذي أعلنناه^١ نينا صلى الله عليه وسلم بأن حاطباً رضى الله عنه صحيح العقيدة غير متأهل للعقوبة منقطع بموته صلى الله عليه وسلم ولا يبق إلا ما نصبناه من الشعار ، وأقناه من الدلائل

ولما كان التقدير: فمن أقبل على هذا الناسي لكونه يرجو الله واليوم الآخر فلم يخلد إلى الدنيا ، يتوله الله ، فان الله^٦ رحيم ودود ، عطف عليه قوله: ﴿ ومن يتول ﴾ أى يوقع الإعراض عن أوامر الله تعالى في وقت من الأوقات مطلقاً لكونه أخذ إلى الدنيا^٧ ولم ير اليوم الآخر أعرض الله عنه ، وأشار بصيغة التفعّل إلى أن ذلك لا يقع إلا بمعالجة الفطرة الأولى ، وأكد لأن فاعل ذلك كالشكر لمضمون^٨ الكلام فقال:

١٥ ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة [الكاملة - ٩] ﴿ هو ﴾ أى خاصة

(١) فى ظ و م : لم يانس (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : به (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فلا يكون من (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : علمناه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : العقوبة (٦) زيد فى الأصل : غفور ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الارض (٨) من ظ و م وفى الأصل : لمفهوم (٩) زيد من م .

(التقى) أى عن كل شيء (المحيدع) [أى - ١] الذى له الحمد المحيط ، لإحاطته بأوصاف الكمال فى حال الطاعة له و المعصية فان العاصى عبد لإرادته ، كما أن المطيع عبد لأمره وإرادته واطفه ، فلا يخرج شيء عن مراده ، و كل شيء خاضع لحكمه ، و قد بينت الآية أدب العشرة لما ألبت و هيجت على المفارقة للمعصاة و التبرء منهم حسا و معنى ، و إظهار ه ذلك لهم قولا و فعلا ، إلى [أن - ٢] تحصل التوبة ، و من لم يفعل ذلك كان شريكا فى الفعل فيكون شريكا فى الجزاء كما ورد ، ثم [لا - ٢] يمنعه ذلك أن يكون أكيله و جلسه ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، و لعنهم على السنة الآتية ، و من فعل ما أمره الله به كان فعله جديرا بأن يكون سبب / الوصله و القرب و المودة ، فالآية ٤ من الاحتباك : ١٠ / ٣٠٥ ذكر الرجاء أولا دليلا على ضده ثانيا . و التولى ثانيا دليلا على ضده أولا ، و سره أنه ذكر سبب السعادة ترغيبا و سبب الشقاوة ترهيبا .

و لما أتم و عظم بما هو الأنفع و الأقرب إلى صلاحهم ففعلوا ، و كان ذلك شاقا لما جبل عليه البشر من حب ذوى الأرحام* و العطف عليهم ، فتشوفت النفوس إلى تخفيف بنوع من الأنواع ، أتبعه الترجمة فيما ١٥ قصده حاطب رضى الله عنه بغير الطريق الذى يتوصل به^١ فقال على عادة الملوك فى الرمز إلى ما^٢ يريدونه فيقتع^٣ الموعد به بل يكون ذلك الرمز

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : امر .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : والآية (٥) من م ، و فى الأصل و ظ :
الارواح (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يرونه فيقع .

عنده ' أعظم من البت من غيرهم [لما لهم - ٢] من العظمة التي تقتضي^٢
 الزاومة عما لم بشائبة نقص ، وذلك أعظم في الإيمان بالغيب لأن الوعد
 لا تزال بين خوف ورجاء جوابا لمن كأنه^٤ كان يقول : كيف يكون
 الخلاص من مثل هذه الواقعة وقد بنيت يارب هذه الدار على
 ٥ حكمة الأسباب : ﴿ عسى الله ﴾ أي أتم جديرون بأن تطعموا في الملك
 المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ ان يجعل ﴾ بأسباب لا تعلمونها
 ﴿ بينكم وبين ﴾ أي في جميع الحد الفاصل بين المجموعين أو بين كل
 شخصين من الجمعين ﴿ الذين عاديتهم ﴾ أي بالمخالفة في الدين ﴿ منهم ﴾
 أي من هؤلاء الذين عادوكم بما تقدم باعيانهم^٥ من أهل مكة ﴿ مودة^٦ ﴾
 ١٠ وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه ، وأجرى سنته^٧ الإلهية
 بأن من عاديته فيه جعل عاقبة ذلك إلى ولاية عظيمة ، ومن تهاونت^٨
 في مقاطعته [فيه - ٢] سبحانه أقامه لك ضدا .

ولما كان التقدير : فالله بكم رفيق ، عطف عليه تذكيرا لهم
 بما له سبحانه من العظمة [قوله - ٢] ﴿ والله ﴾ أي الذي له^٩ الإحاطة
 ١٥ بالكمال^٩ : ﴿ قدير^{١٠} ﴾ أي بالبلغ القدرة على كل ما يريد فهو بقدر
 على قلب القلوب و تيسير العسير ، فلما تم الرجاء لم يبق إلا كدر الذنب

(١) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : تفيض (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 كان (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : من اعيانهم (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : سنة (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تهاون (٨ - ٨) في م : كمال
 الإحاطة .

فأتبعه تطيباً للقلوب مما نزلت هذه الآيات بسببه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى محاء لأعيان الذنوب وآثارها ، ﴿ رحيم ﴾ يكرم الخاطئين ، إذا أراد بالتوبة [م - ٢] بالجزاء غاية الإكرام ، قال الرازى فى اللوامع : كان النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان رضى الله عنه على بعض الين ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل فلقى ذا الحجار مرتداً فقاتله ، فكان أول من قاتل على الردة ، فتلك المودة بعد المعادة .

ولما تم الوعظ والتأسية وتطيب النفوس بالترجئة ، وكان [وصف - ٢] الكفار بالإخراج لهم من ديارهم يحتمل أن يكون بالقوة فيعمم ، ويحتمل أن يكون / بالفعل فيخص أهل مكة أو من باشر الأذى ١٠ / ٣٠٦ الذى تسبب عنه الخروج منهم ، بين ذلك بقوله مؤذناً بالإشارة إلى الاقتصاد فى الولاية والعداوة كما قال صلى الله عليه وسلم : أحب حبيك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، [و أبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيك يوماً ما - ٣] . ﴿ لا ينهكم الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال والإكرام ﴿ عن الذين لم يقاتلوك ﴾ أى بالفعل ﴿ فى الدين ﴾ ١٥ أى بحيث تكونون مظروفين له ، ليس شيئاً من أحوالكم خارجاً عنه ،

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : لآثارها (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بالخططين .
 (٣) زيد من ظ وم (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : فيقص (٦) راجع جامع الترمذى - البر (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : فيه .

فأخرج ذلك القتال^١ بسبب حق دينوى لا تعلق له بالدين، وأخرج من لم يقاتل أصلاً كحراة والنساء، ومن ذلك أهل الذمة بل الإحسان إليهم من محاسن الأخلاق ومعالي الشيم لأنهم جيران .

و لما كان الذين لم يقاتلوا لذلك^٢ ربما كانوا قد ساعدوا على الإخراج قال: ﴿ ولم يخرجوكم ﴾ و قيد بقوله: ﴿ من دياركم ﴾ و لما

كان قد وسع لهم سبحانه بالتعميم فى إزالة النهى خص بقوله مبدلاً من "الدين": ﴿ ان ﴾ أى لا ينهاكم عن أن ﴿ تبروهم ﴾ بنوع من أنواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح فى قصد المودة ﴿ و تقسطوا ﴾ أى تعدلوا العدل^٣ الذى هو فى غاية الاتزان بأن تزينوا القسط الذى هو الجور، و بين [أن -^٤] المعنى: موعلين لذلك الإقساط ﴿ اليهم^٥ ﴾

إشارة إلى أن فعل الإقساط ضمن الاتصال، و إلى أن ذلك لا يضرهم و إن تكلفوا الإرسال إليهم من البعد بما أذن لهم^٥ فيه فان ذلك من الرفق و الله يحب الرفق فى جميع الأمور و يعطى عليه ما لا يعطى على الحرق، ثم علل ذلك بقوله مؤكداً دفعا لظن من يرى أذى الكفار بكل طريق،

١٥ ﴿ ان الله ﴾ [أى -^٤] الذى له الكمال كله ﴿ يجب ﴾ أى يفعل فعل المحب مع ﴿ المقسطين^٥ ﴾ أى الذين يزيلون الجور و يوقعون العدل . و لما علم الحال من هذا و بما فى أول السورة، أتبعه التصريح بما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اتصال (٢) من ظ و م، و فى الأصل:

كذلك (٣) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م .

أفاده مجموعاً أحسن جمع مصوراً أحسن تصوير فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ ﴾
 [أى - ١] الذى له الإحاطة الكاملة علماً و قدرة ﴿ عن الذين قتلوكم ﴾
 متعمدين لقتالكم [كائنين - ١] ﴿ فى الدين ﴾ ليس [شئ من ذلك - ١]
 خارجاً عنه ، لتكون العداوة ٢ فى الله ٢ ﴿ و اخرجوكم من دياركم ﴾ أى
 بأنفسهم لبعضكم ﴿ و اظهروا ﴾ أى عاونوا غيرهم ﴿ على اخراجكم ﴾ ٥
 و لما تناول هذا المقصودين صريحا ، و كان النهى الذى موضعه الأفعال
 قد علق بأعيانهم تأكيدا له ، عرف بالمقصود بقوله : ﴿ ان ﴾ أى إنما
 ينهاكم عن ٢ المذكورين فى أن ﴿ تولوهم ﴾ أى تكلفوا فطرتم الأولى أن
 تفعلوا معهم جميع ما يفعله القريب الحميم الشفيق فصرحوا بأنهم أولياؤكم
 و تناصروهم ولو كان ذلك على أدنى الوجوه - بما أشار إليه إسقاط التاء . ١٠
 و لما كان التقدير : فمن أطاع فأولئك هم / المفلحون ، عطف عليه
 قوله : ﴿ و من يتولم ﴾ أى يكلف نفسه الحمل على غير ما يدعو
 إليه الفطرة الأولى من المناهضة ، و أطلق و لم يقيد بـ « منكم » ليعم المهاجرين
 و غيرهم و المؤمنين و غيرهم : ﴿ فاولئك ﴾ أى الذين أبعدوا عن العدل
 ﴿ هم ﴾ أى خاصة لا غيرهم العريقون فى أنهم ﴿ الظالمون ﴾ أى العريقون ١٥
 فى إيقاع الأشياء فى غير مواضعها كمن ١ يمشى فى مأخذ الاشتقاق
 بسبب هذا التولى .

٣٠٧ /

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قه (٣) زيد فى
 الأصل : المقصودين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ،
 و فى الأصل : الى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٦) من م ، و فى
 الأصل و ظ : لن .

ولما كان نزول هذه الآيات الماضية في الفتح الأعظم حين قصد
 النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان المسير بمنود الله إلى مكة المشرفة
 - أشرفها الله تعالى^١ - لدخولها عليهم بالسيف حين تقضوا بقتالهم لخزاعة
 الذين كانوا قد تحيزوا^٢ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في عقده
 ٥ وعهده في صلح الحديبية الذي كان سنة ست على وضع الحرب بينهم
 وبين النبي صلى الله عليه وسلم [و - ٢] من دخل في عقده ، و كان
 من ذلك الصلح أن من جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
 ومن دخل في صلحهم رده إليهم وإن كان مسلماً ، ومن جاءهم ممن
 كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يردوه إليه بحيث قام من ذلك وقعد
 ١٠ كثير من الصحابة رضی الله عنهم من أعظمهم عمر بن الخطاب رضی الله
 عنه حتى سكنه الصديق رضی الله تعالى عنه بما قر في صدره من الحكم ،
 ورد إليهم^٣ صلى الله عليه وسلم أبا بصير رضی الله عنه ، و كان رده إليهم
 للوفاء بالعهد بسبب التصديق لقوله صلى الله عليه وسلم : أما من جادنا منهم
 فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ، وقصته [في ذلك كله - ٥]
 ١٥ مشهورة ، و كانت « من » [من - ٥] صيغ العموم ، و كانت دلالة
 العام قطعية في الحكم على الأفراد ظنية - كما قال الشافعي رضی الله تعالى
 عنه - في الدلالة على الجزئي^٤ من تلك الأفراد خصوصه حيث لا قرينة

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تحذروا .

(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : عليهم (٥) زيد من ظ و م .

(٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الجزء .

لأن تلك الصيغ ترد تارة^١ على عمومها و تارة يراد بها بعض الأفراد
فتكون من العام الذي أريد به الخصوص، و تارة يقع فيها التخصيص،
فتكون من العام^٢ الذي أريد به الخصوص^٣ فطرقها الاحتمال فاحتاج
ما دلت عليه من الظاهر^٤ إلى قرينة، و كان دخول النساء تحت لفظ
«من» في صلح الحديبية أما عربا عن القرينة أو أن [القرينة -^٥] القتال
الذي وقع الصلح [عليه -^٦] بسببه صارفة عنه، وكذا قرينة التعبير عنهن
بـ «ما» دون «من» في كثير من الكتاب العزيز «فانكحوا ما طاب لكم
من النساء أو^٧ ما ملكت أيمنكم» [و لا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء،
و المحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمنكم -^٨] «و أحل لكم ما وراء ذلكم،
فما استمتعتم به منهن» «فما ملكت أيمنكم من قياتكم المؤمنات» [إلا على
أزواجهن أو ما ملكت أيمنهم]، و كان قد ختم سبحانه هذه الآيات التي
/ أدب بها في غزوة الفتح بما أبان به ما لا يخرج عن الصلح في عمرة الحديبية
بما هو أقرب إلى الخير من البر و العدل، و نهى عن تولي الكفار، فكانت
المصاهرة و المناكحة من أعظم التولي، و صل بذلك ما لا يخرج^٩ عنه
و لا يحل^{١٠} بالمهد في أن^{١١} من جاء من^{١٢} الكفار إلى النبي صلى الله عليه و سلم
رده إليهم و إن كان مسلما، فقال مخاطبا لأدنى أسنان أهل الإيمان الذين

٣٠٨ /

(١) و قم في الأصل بـ «على عمومها» و الترتيب من ظ و م (٢-٣) - سقط ما
بين الرقين من ظ، و في م: المخصوص (٣) من ظ و م، و في الأصل: المظاهر.
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: الا (٦) من ظ و م، و في
الأصل: لم يخرج (٧-٨) من ظ و م، و في الأصل: بالعدل بمن (٨) من ظ
و م، و في الأصل: الى.

يحتاجون إلى التفهيم^١، وأما من هو أعلى منهم فهو عالم بذلك مؤتمر به بما آتاه الله من الفهم وأنار به قلبه^٢ الشريف من فنون العلم ليكفوا النبي صلى الله عليه وسلم مقدمات البيعة منه لمن، (بأيها الذين آمنوا) أى أفروا بالإيمان - وهو إيقاع الأمان من التكذيب - لمن يخبرهم ما ينبغي التصديق به بسبب تصديقهم بالله سبحانه وتعالى .

ولما كان في علمه سبحانه وتعالى [أنه] يأتيهم^٣ نساء يهربن بدينهن إلى الله، بشرهم بذلك بالتعبير بأداة التحقيق فقال: (إذا) أى صدقوا ما ادعيتموه من الإيمان بأنه في أى زمان (جاءكم) ولما كان لا يهجر داره^٤ وعشيرته لاسيما إن كانوا أقارب بسبب كفرهم إلا من رسخ في الإيمان ١٠ ذكرا كان أو أنثى قال: (المؤمنت) أى النساء اللاتي صار وصف^٥ الإيمان لمن^٦ صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه: (مهجرات) للكفار ولأرضهم (فامتحنوهن^٧) أى اختبروهن تأكيذا لما دللت عليه الهجرة من الإيمان بالتحليف بأنهن^٨ ما خرجن لحدث أحدثته ولا بغضا في زوج ولا رغبة في عشير ولا خرجن إلا جانه ورسوله ورغبة في دين الإسلام؛ قال الإمام شهاب الدين ابن النقيب في الهداية من مختصره للكفاية^٩ لفقهاء المذهب نجم الدين أحمد بن الرفعة في شرح التنبيه:

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل: التعميم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل: قلب .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل: ياتيه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل: زمانه .
 (٥) من م ، وفي الأصل وظ: التي (٦) من ظ و م ، وفي الأصل: وصفه .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل: لهم (٨) من ظ و م ، وفي الأصل: بالإيمان .
 (٩) من ظ و م ، وفي الأصل: في الكفاية .

و اختلف [قول - ١] الشافعي رحمه الله تعالى : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم شرط لقريش في الصلح رد^٢ النساء ففي قول : لم يشترطه بل أطلق رد من جاءه فتوهما تناول النساء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عالما بعدم دخولهن ، فأطلق ذلك حذيفة يعني و من شرعه أن الحرب خدعة ، وفي قول : شملهن الشرط ، لكن هل شرطه صريحا أم دخلن في ٥ الإطلاق فيه وجهان أظهرهما الثاني ، و هل كان شرطهن جائزا^٣ فيه وجهان : أحدهما نعم ثم نسخ ، و هل ناسخه الآية المذكورة أم منع النبي صلى الله عليه وسلم من الرد فيه وجهان مبنيان على أنه [هل - ١] يجوز نسخ السنة بالقرآن^٤ وفي قولان للشافعي رحمه الله تعالى ، و عتاره منها المنع وهو الجديد ، و كذا لا يجوز عنده وعند أصحابه نسخ الكتاب بالسنة وإن كانت متواترة^٥ - انتهى . ومعناه أنه لم يقع فان وقع نسخها بالقرآن كان معه سنة ، وإن وقع نسخه / بالسنة كان معها قرآن ، وهو معنى قول ابن السبكي في جمع الجوامع : قال الشافعي رضي الله عنه : و حيث وقع بالسنة فعها قرآن أو بالقرآن فعه سنة عاضدة تبين توافق الكتاب و السنة .

١٥

ولما كان الاختبار ربما دل على إيمانهم لا يعلم^٦ إلا به ، نفي ذلك بقوله مستأنفا في جواب من يقول : ليس الله بعالم بذلك ، و مفيدا أن عليكم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فرد (م) من ظ و م ، وفي الأصل : جائز (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : عن القرآن (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مواترة (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : قرانا (٧) زيد في الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

الذى تصلون إليه بالامتحان ليس بعلم، وإنما [سماه - ١] به إيداننا
بأن الظن الغالب في حكمم بالاجتهاد والقياس قائم مقام العلم يخرج من
عهدة "ولا تقف ما ليس لك به علم": (الله) أى المحيط بكل شيء
قدرة وعلما (اعلم) أى منكم ومنهن بأنفسهن (بايمانهن ج) هل هو
ه كائن أرى على وجه الرسوخ أولا، فانه محيط بما غاب كاحاطته بما شهد،
وإنما وكل الأمر إليكم في ذلك سترًا للناس ولثلاث تكون شهادته
لاحد بالإيمان^١ والكفران موصلة إلى عين اليقين فيخرج عن مبنى
هذه الدار، قال القشيري: وفي الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة،
وجواهر النفس تبين بالتجربة، ومن أقدم على شيء^٢ من غير^٣ تجربة
١٠ يحنى كأس الندم، قال: (فان علمتموهن) أى العلم المتمكن لكم وهو
الظن المؤكد بالإمارات الظاهرة بالخلف وغيره (مؤنت) أى
مخلصات في الهجرة لأجل الإيمان، والتعبير بذلك للإيدان بمزيد الاحتياط.
ولما ذكر هذا الامتحان بين أنه علة لحمايتهن والدفع عنهن فأتبعه
مسيه فقال: (فلا ترجعوهن) أى بوجه من الوجوه (إلى الكفار)^٤
١٥ وإنا كانوا أزواجًا، ومن الدليل [على - ١] أن هذا ظاهر في
المراد وأن القرائن موضحه له أنه صلى الله عليه وسلم لما [أبى - ١] أن
يرد إليهم من جاءه^٥ من النساء لم يعب أحد من الكفار ذلك، ولانسب
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: و (٣-٣) من ظ و م،
وفي الأصل: بغير (٤) من ظ و م، وفي الأصل: إلى (٥) من ظ و م،
وفي الأصل: جاء.

إلى عهدہ صلی اللہ علیہ وسلم۔ وحوامہ۔ خللا، ولولا أن ذلك [كذلك -]
 للموا الأرض تُشغيا كما فعلوا في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه
 إلى نخلة التي نزل بسببها "يستلونك عن الشهر الحرام" الآيات على أن
 الأخبار الصحيحة وغيرها ناطقة^٢ بأن هذه [الآية -]^١ نزلت في الحديبية
 قبل أن يفصل الأمر غاية الاتصال ويستقر، روى البخاري في ٥
 المغازي من صحيحه والبعوى^٣ من طريقه وهذا لفظه عن الروان والمسور
 ابن محزمة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: كاتب سهل بن عمرو
 فكان مما اشترط على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك أحد منا
 وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم
 على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى^٤ أبيه سهل بن عمرو، ولم يأت أحد ١٠
 من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلما، وجاءت المؤمنات

/ مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى
 النبي صلى الله عليه وسلم وهي [عاتق -]^١ فجاء أهلها إلى المدينة^٢
 يستلون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم كما
 أنزل الله فيهن "إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن" وقال البغوي^٣: ١٥

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: قاطعة (٣) راجع معالم
 التنزيل بهامش الباب ٧ / (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٥) من ظ
 و م، وفي الأصل: على (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و م.

حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو [مكة - ١] على أن من أتاه
 [من - ١] أهل مكة رده إليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد
 الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها، وكان كافر، فقال: يا محمد اردد
 علي امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أهلك منا، وهذه طينة
 الكتاب لم تجف، فأنزل الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات
 مهاجرات فامتنحنوهن^٢ الله أعلم بإيمانهن^٣" وقال ابن عباس رضي الله عنهما:
 امتحنها أن تستحلف أنها^٤ ما هاجرت لبغض زوج ولا عشقا لرجل
 من المسلمين ولا رغبة عن أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس الدنيا
 وما خرجت إلا رغبة^٥ في الإسلام وحب الله ورسوله صلى الله عليه
 وسلم، فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم^٦ على ذلك لخلفت
 فلم يردھا واعطى زوجها ما أتفق عليها، فزوجها^٧ عمر رضي الله عنه، وكان
 صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه^٨ من الرجال ويحبس من جاءه من
 النساء بعد الامتحان، ويعطى أزواجهن مهورهن، [و - ١] دعوى النسخ
 ليست بشيء إلا تقول بأنه لما كان من العام الذي أريد به الخصوص
 ١٥ أن^٩ بعض ما تناوله ظاهر اللفظ من الحكم مرفوع، وذلك بأن الله
 لا يأمر باخلاف الوعد فكيف ينقض العهد. ولما نهى عن رد المهاجرات

(١) زيد من ظ و م و العالم (٢-٣) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٣) سقط
 من م (٤) من م، وفي الأصل و ظ: لا التماس (٥) من ظ و م، وفي الأصل:
 حيا (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ثم تزوجها (٧) في ظ و م: جاء (٨) من ظ
 و م، وفي الأصل: بان (٩) من ظ و م، وفي الأصل: ان.

إلى المشركين وعبر بالكفار تميمياً، علل ذلك بقوله مقدماً حكيم^٢
 تشرifa لمن لهجرتهن: (لا هن) أى الأزواج (حل)^٣ أى موضع^٤
 حل ثابت (لهم)^٥ أى للكفار باستمتاع ولا غيره . ولما كان نفي الحل
 الثابت غير مانع من تجدد حل الرجال لمن^٦ ولو على تقدير من التقادير
 وفرض من الفروض، قال معيداً^٧ لذلك ومؤكداً لقطع العلاقة من كل جانب: هـ
 (ولا م) أى رجال الكفار (يحلون) أى يتجدد فى وقت من
 الاوقات أن يحلوا (لمن)^٨ أى للمؤمنات [حتى -^٩] لو تصور أن
 يكون رجالهن نساء وهن ذكورا ما حلوا لمن بخلاف أهل الكتاب،
 كذا تفك الملازمة فى مسألة المظاهرة والإبلاء فيحل للمرأة أن تستمتع
 به إذا كان نائماً مثلاً، وأما هو فيحرم عليه ذلك قبل التكفير، وقال ١٠
 البيضاوى: الأولى لحصول الفرقة، والثانية لمنع من الاستئناف - انتهى .
 [ففت -^{١٠}] هذه الجملة القطعية من وجه تجدد الحل للنساء فأهملت
 الجملتان عدم الحرج فيما كان قبل ذلك تطيباً لقلوب المؤمنات^{١١} .
 ولما نهى عن الردو عاله، أمر بما قدم^{١٢} من الإقساط إليهم

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : تميمياً (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حكيم .
 (٣-٤) -قط ما بين الرقين من ظ و م (٤) ليس فى الأصل (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : با-جامع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لهم (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : مقيداً (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : ان .
 (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المؤمنين (١١) من ظ و م ، وفى
 الأصل : تقدم .

فقال: ﴿ وَاَتَوْمُ ﴾ أى الأزواج ﴿ مَا اتَّقَوْا^١ ﴾ أى عليهن من المهور فإن المهر فى نظير أصل العشرة ودوامها / وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية، وأما الكسوة والنفقة فانها لما يتجدد من الزمان .

٥ ولما جزم^١ بتأييد متعهن^٢ عن الكفار، أباحهن للمسلمين فقال على وجه الرفق واللطف: ﴿ وَلَا جُنَاحَ ﴾ أى ميل وحرص ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المشرفون بالخطاب ﴿ إِنْ تَنكَّحْتُمْ ﴾ أى تجددوا زواجكم^٣ بهم بعد الاستبراء وإن كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق منهم عنهن و لأن^٤ الإسلام فرق بينهم فانه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . ولما كان قد أمر برد مهر الكفار، فكان ربما ظن أنه مغل عن تجديد مهر لمن إذا نكحهن المسلم نفي ذلك بقوله: ﴿ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ أى لاجل النكاح ﴿ اجْرِهِنَّ^٥ ﴾ ولما قطع [ما-°] بين الكفار والمسلمات مع الإعراض عن الكفار لعصيانهم قطع ما بين المؤمنين والكافرات مع الإقبال عليهم لطاعتهم رفعا لشأنهم فقال: ﴿ وَلَا ﴾ ١٥ ولما كان إمساك المرأة مع عداوتها لمخالفتها فى الدين دليلا على غاية الرغبة فيها، دل على ذلك إشارة إلى التويخ^٦ بالتضعيف فى قراءة البصريين

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: حرم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: منعمين (٣) من ظ و م ، وفى الأصل: أزواجكم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل: فإن (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: التلويح بالتويخ .

فقال^١: (تمسكوا) أى بعدم التصريح فى الطلاق (بدصم الكوافر) جمع عصمة وهى ' ما يديم ' علاقة النكاح (وستلوا) أى أىها المؤمنون الذين ذهب^٢ أزواجهم إلى الكفار (ما انفقتم) أى من مهور نساتكم اللآتى اعتصمن عنكم بهم او فررن إليهم . ولما أمر برد مهور المؤمنين إلى الكفار وأذن للمؤمنين فى المطالبة بمهور أزواجهم، أذن للكفار فى ه مثل ذلك إيقاعا للقسط بين عباده مسلمهم و كافرهم معبرا بالأمر مع النية إعراضا عنهم إعلاما بشدة كراسته سبحانه للظلم وأنه يستوى فيه الكافر مع عداوته ياتؤمن مع ولايته : (و ليستلوا) أى الكفار (ما انفقوا^٣) أى من مهور أزواجهم اللآتى أسلن و اعتصمن بكم عنهم، و هل هذا الحكم باق، قال قوم : نعم، و قال عطاء و مجاهد و قتادة : ١٠ نسخ فلا يعطى [الكفار - ١] شيئا و لو شرطنا الإعضاء .

و لما كان هذا حكما عدلا لا يفعله مع عدوه و وليه إلا حكيم . قال مشيرا إلى مدحه زغبيا فيه بيميم^٤ الجمع إلى العموم : (ذلكم) أى الحكم الذى ذكر فى هذه الآيات البعيدة بعلو الرتبة عن كل سفه (حكم الله^٥) [أى - ١] الملك الذى له صفات الكمال ، فلا ينبغى ١٥ لشأبة نقص أن يلحقه^٦ .

(١) زيد فى الأصل : ولا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٢-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تقدم (٤) من ط و م ، و فى الأصل : ثبت (٥) زيد من ظ و م (ه) من ظ و م ، و فى الأصل : بيميم (٦) زيد فى الأصل : عدا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يبحق به .

و لما كان هذا مما يفرح به ويقتم عند تقدير فواته ، قال مستأنفا
 مبشرا بادامة تجديد أمثاله لهم : ﴿ يحكم ﴾ أى الله أو حكمه على سبيل
 المبالغة ، و دل على استغراق الحكم لجميع ما يعرض بين العباد و أنه سبحانه
 لم يهمل شيئا منه باعراء الجار من قوله : ﴿ ينكم ﴾ أى فى هذا الوقت
 و فى غيره على هذا المنهاج البديع ، و ذلك لأجل الهدنة التى وقعت
 بين النبى صلى الله عليه و سلم و بينهم ، و أما قبل الحديبية فكان النبى
 صلى الله عليه و سلم يمسك النساء و لا يرد الصداق .

/ ٣١٢

و لما كان التقدير : فانه حكم عدل ، قال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له
 الإحاطة التامة ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم لا يخفى عليه شىء ﴿ حكيم ﴾ أى
 ١٠ فهو تمام عليه يحكم كل أموره غاية الإحكام فلا يستطيع أحد نقض
 شىء منها .

و لما كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور
 نسايتهم الكافرات ، قال مداويا لذلك [الداء - '] : ﴿ و ان ظانكم ﴾
 أى بالانقلات منكم بعد الهجرة أو بادامة الإقامة فى بلاد الحرب (شىء)
 ١٥ أى قل أو كثر ﴿ من ازواجكم ﴾ أى من أنفسهن أو مهورهن (الى) أى
 متجزيا أو واصلا إلى (الكفار) فعجزتم عنه ﴿ فعاقبتن ﴾ أى تمسكنتم
 من المعاقبة بأن فات الكفار شىء من أزواجهم بالهجرة إليكم أو اغتسمن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يهمل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
 و م ، و فى الأصل : دار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصلا (٥) فى
 م : غنمتم .

من [أزواج - ١] الكفار فجاءت نوبة^٢ ظفركم بأداء المهر إلى إخوانكم طاعة
 وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما أنفقتم عصيانا وظلما (قاتوا)
 أى فأحضروا^٣ وأعطوا من مهر المهاجرة (الذين ذهب أزواجهم)
 [أى - ٤] منكم إن اختاروا الأخذ (مثل ما أنفقوا^٤) على الكافرة
 الفاتنة إلى^٥ الكفار بما غنمتم من أموالهم أو بأن تدفعوا إليهم مثل مهور^٥
 أزواجهم بما^٦ كنتم تعطونه^٦ لأزواج المهاجرات، فيكون ذلك جزاء
 وقصاصا لما فعل الكفار .

ولما كان التجزى فى مثل ذلك عسرا على النفس^٨ فإن المهور
 تفاوت تارة وتساوى أخرى . و تارة تكون تقودا^٩ و تارة تكون عروضا
 إلى غير ذلك من الأحوال مع أن المعامل عدو فى الدين فلا يحمل^{١٠}
 على العدل فيه إلا خالص التقوى قال : (و اتقوا) أى فى الإعطاء والمنع
 وغير ذلك^{١١} (الله) الذى له صفات الكمال وقد أمركم بالتخلق بصفاته
 على قدر ما تطيقون ، ثم وصفه بما يؤكد صعوبة الأمر^{١٢} ويحث على
 العدل فقال ملها لهم كل الإلهاب هاذا لهم بالوصف بالرسوخ^{١٣} فى الإيمان^{١٤} :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : نوبته (٣) من ظ و م ، وفى
 الأصل : فأحصوا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : على .
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٧) من م ، وفى الأصل : وظ : تعطون .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : النفوس (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : أو .
 (١٠) زيد فى الأصل : راقبوا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (١١) من
 ظ و م ، وفى الأصل : البر (١٢-١٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالإيمان .

(الذى اتم به) أى خاصة (مؤمنون هـ) أى متمكنون فى رتبة الإيمان .
 ولما خاطب سبحانه المؤمنين الذين لهم موضع الذب والحماية
 والنصرة بما وطن به المؤمنات فى دار الهجرة فوقع الامتحان وعرف
 الإيمان ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بإيمانهم بما يعتهن فقال :
 ٥ (يا أيها النبي) مخاطبا له بالوصف المقتضى للعلم ، ودل على [تحقق -^١]
 كون ما يخبر به من مجيئهن بأدلة التحقيق^٢ علما من أعلام النبوة فقال :
 (إذا جاءك المؤمنت) جعل إقبالهن [عليه -^١] صلى الله عليه وسلم
 لاسيما مع الهجرة مصححا لإطلاق الوصف عليهن (يا أيها النبي) أى
 كل واحدة^٣ منهن تباع (على^٤ أن لا يشركن) أى يوقعن الإشراك
 ١٠ / ٣١٣ لآحد من الموجودات / فى وقت من الأوقات (بالله) أى الملك
 الذى لا كفوه له (شيئا) أى من إشراك على الإطلاق .

ولما كان الشرك بذل حق الملك لمن لا يستحقه ، أتبعه أخذ مال
 المالك بغير حق^٥ لاقتضاء الحال لذلك يتمكن المرأة من اختلاس مال
 الزوج وعسر تحفظه منها^٦ فقال : (ولا يسرقن) أى يأخذن مال
 ١٥ الغير بغير استحقاق فى خفية ، وأتبع ذلك بذل حق الغير لغير أهله فقال :
 (ولا يزنين) أى يمكن أحدا من وطئهن بغير عقد صحيح . ولما
 كان الزنا قد يكون سبيا فى إيجاد أو إعدام نسمة بغير حقها ، أتبعه إعدام

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م : التحقق (٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
 واحد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المالك (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل . عنها .

نسة بغير حقه قال: (ولا يقتل اولادهن) أى بالوآد^١ كما تقدم
في النحل وسواء في ذلك كونه من زنا أو لا .

ولما ذكر إعدام نسة بغير^٢ حق ولا ربه شرعى^٣ أتبعه ما يشمل^٤

إيجاد نسة بغير حل ، فقال مقبحا له على سبيل الكناية^٥ عنه بالبهتان وما
معه بالتصوير له بلوازمه وآثاره لأن استحضار القبيح و تصوير صورته هـ

أزجر عنه قال: (ولا يأتين بهتان) أى ولد من غير الزوج يهت
من إلحاقه به حيرة في نفيه عنه (يقرينه) أى يتعمد كذبه ، وحق

المراد [به - ٥] وصوره بقوله: (بين ايديهن) [أى - ٦] بالحل في
البطون^٧ (وارجلهن) أى بالوضع من الفروج ولأن عادة الولد مع

أنه يسقط بين أيدي أمه ورجليها أنه يمشى أمامها ، وهذا شامل لما كان ١٠
من شبهة أو لقطعة .

ولا حقق هذه الكبار العظيمة^٨ تعظيها لامرها لسر الاحتراز

منها ، وأكد النهى عن الزنا مطابقة وإلزاما لما يجر إليه من الشرور^٩
القتل فادونه ، وغلظ أمر النسب^{١٠} لما يتفرع عليه من إيقاع الشبهات

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بالود (٢-٢) في ظ و م : وجه (٣) من ظ

وم ، وفي الأصل : يوجب (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الزكاة (٥) زيد

من ظ م (٦) زيد من م (٧) زيد في الأصل : مده ، ولم تكن الزيادة في

ظ و م لحذفها (٨) سقط من م (٩) زيد في الأصل : به ، ولم تكن

الزيادة في ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : السبب .

و انتهاك الحرمات ، عم في النهي فقال : ﴿ ولا يعصينك ﴾ أى على ' حال
من الأحوال ﴿ في معروف ﴾ أى فرد كان منه صغيرا [كان - ٢]
أو كبيرا ، و في ذكره مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به إشعار
بأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، و قدم المنهيات على المأمورات المستفادة
من المعروف لأن التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل لأن
دره المفاسد أولى من جلب المصالح : ﴿ فبايعهن ﴾ أى التزم ٢ لهن بما
وعدت على ذلك من إعطاء الثواب لمن وفيت منهن في نظير ما ألزمن
أنفسهن من الطاعة . و لما كان الإنسان محل التقصان لاسيما النسوان ،
رجاهن سبحانه بقوله : ﴿ و استغفر ﴾ أى أسأل ﴿ لهن الله ﴾ أى الملك
الأعظم ذا الجلال و الإكرام في القرآن إن وقع منهن تقصير و هو
واقع لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره .

و لما كانت عظمته سبحانه مانعة اعظيم الهيبة من سؤاله ما طمع به ،
عله بقوله معيدا الاسم الأعظم اثلا يظن باضماره و تقيدته بحيشة الهجرة
من النساء و نحو ذلك مؤكدا لما طبع الآدمي عليه من / أنه لا يكاد

/ ٣١٤

١٥ يترك المسمى ٦ من عقاب أو عتاب فضلا عن التفضل بزيادة الإكرام :
﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات ٧ الجلال و الإكرام ٨ فلو أن الناس لا يذنبون

(١) زيد في الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) زيد من
ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الزم (٤) من ظ و م . و في الأصل :
ما (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بعده - كذا (٦) من ظ و م ، و في
الأصل : النهي (٧-٧) في ظ و م : الكمال .

لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم تظهر صفة إكرامه (غفور) أى بالغ
السر للذنوب عينا وأزا (رحيمه) أى بالغ الإكرام بعد الغفران فضلا منه
وإحسانا، وقد حقق سبحانه ذلك وصدق، ومن أصدق من الله قبلا،
فأقبل النساء لليعة عامة ثانى يوم الفتح على الصفا بعد فراغه صلى الله
عليه وسلم من بيعة الرجال فزلت هذه الآية وهو على الصفا فقام عمر ه
ابن الخطاب رضى الله أسفل منه يبايعن بأمره ويلغهن عنه وهدت بنت
عتبة^٢ متقبعة متكررة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يعرفها، فلما ذكر الشرك قالت^٣: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيتك
أخذته على [الرجال -^٤]، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد،
فقال " ولايسرقن " فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح وإن أصيب^٥ ١٠
من ماله هنات فلا أدري أيجل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من
شئ فيما مضى وفيما خبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرفها فقال: وإني لك لهند بنت عتبة^٦، قالت: نعم، فاعف
عنى ما سلف عفا الله عنك، فقال: " ولايزنين " فقالت: أوتزنى
الحررة، فقال " ولا يقتلن اولادهن " فقالت: ربيناهم [صفارا -^٧] ١٥
وقتلنهم كبارا وأتم وهم أعلم، وكان ابنها^٨ حظلة بن أبي سفيان

(١) فى ظ و م: ما فرغ (٢) من م، وفى الأصل و ظ: عقبية (٣) من ظ
وم، وفى الأصل: قال (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى
الأصل: يوم (٦) من ظ و م، وفى الأصل: به (٧) من ظ و م، وفى
الأصل: ابنته.

قتل يوم بدر فضحك [عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم - ١]
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البهتان وهو أن تقذف ولدا
على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقيح وما تدعوننا
إلا إلى الرشد ومكارم الأخلاق، فقال "ولا يبعثنك في معروف"^٢
٥ فقالت: ما جلسنا مجلسنا بهذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء،
وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا تحل له، وكانت
أسماء بنت يزيد بن السكن في المبايعات فقالت: يا رسول الله ابسط
يدك نبايعك، فقال: إنى لأصافح النساء لكن أخذ عليهن، وعن الشعبي
أنه صلى الله عليه وسلم دعا بقدرح من ماء فغمس يده [فيه - ٣] ثم غمس
١٠ أيديهن فيه، وعنه أنه صلى الله عليه وسلم لقنهن في المبايعه "فبما" استطعتن
وأطقتن" فقالت: الله ورسوله أرحم بنا [من - ١] أنفسنا.

ولما ذكر ما أمر به [نبيه - ١] صلى الله عليه وسلم في المبايعات
بعد أن عد الذين آمنوا أصلا في [امتحان - ١] المهاجرات فلم من ذلك
أن تولى النساء مع أنه لا ضرر فيهن بقتال ونحوه لا يسوغ إلا بعد العلم
١٥ بإيمانهن، وكان الحتم بصفى الغفران^٥ والرحمة بما جراه على محابة
المؤمنين لبعض الكفار من أزواج أو غيرهم / لقرابة أو غيرها لعلقة يديها
الزوج أو غير ذلك من الأمور، كرر سبحانه الأمر بالبراءة من كل
عدو، ردا لآخر السورة على أولها تأكيدا للاعراض عنهم وتنفيرا

/ ٣١٥

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) - قط ما بين الرقبتين من ظ (٣) زيد من ظ -

(٤) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الغفر.

من توليهم كما أفهمته آية المباينة و آية الامتحان ، فقال ملذذا لهم بالإقبال بالخطاب كما فعل أولها بلذيد العتاب : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) .
 و لما كان الميل عن الطريق الآقوم على خلاف ما تأمر به الفطرة الأولى فلا يكون إلا عن ' معالجتها ، [عر - ٢] بالفعل كما عبر به أول السورة بالافتعال فقال : (لَا تَتَوَلَّوْا) أى تمالجوا أنفسكم^٢ أن تتولوا^٥ (قوما) أى ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب الأولى (غضب الله) أى أوقع الملك الأعلى الغضب (عليهم) لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام فى كل من اتصف بذلك يتناول اليهود تناولاً أولياً .

و لما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب ، قال معللاً و مبيناً أنه ١٠
 لا خير فيهم يرجى : إن ظهر خلاف ذلك : (قد يئسوا) أى تحققوا عدم الرجاء (من الآخرة) أى من ان ينالهم منها^٥ خير ما لإحاطة معاصيهم بهم أو لعدم اعتقادهم لقيامها^٦ و لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فيوشك من و لا هم يكتب^٧ منهم^٨ فيحل به الغضب (كما يئس) من نيل الخير [منها - ٢] (الكفار) و لما كان^٩ من مات فصار أهلاً ١٥
 للدفن كشف [له - ٢] عن أحوال القيامة فعرف أنه ناج أو هالك ، وكان الموتى أعم من الكفار ، و موتى الكفار أعم ممن يدفن منهم [فقال] :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : قبل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : امامها .
 (٧) فى ظ و م : يكتب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كانت .

(من أصحاب القبور) فان الكفار منهم قد علموا بأسهم من حصول
 الخير منها علما قطعيا، ويجوز أن يكون "من" ابتدائية فيكون المعنى: كما
 يش عباد الأوثان من لقاء من مات، فدفن باعتقاد أنه لا اجتماع بينهم
 أصلا لأنه لا يمكن بعثه لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة^٢ لأنه لا آخرة^٣ عندهم
 أصلا^٤ لاسيما إن كان مدفونا في قبر. وعلى هذا^٥ يكون الظاهر
 وضع [موضع -^٦] المضمرة للدلالة على [ان -^٧] الذي أي أسهم تغطية
 الدلائل مع وضوحها لو أنصفوا، فلا تتولوا من هذه صفته فيكون بينكم
 وبينه^٨ ما بين القريب [مع قريبه -^٩] من تولى كل منهم من الآخر
 ما يتولاه القريب الصديق لقريبه فان توليهم^{١٠} ضرر لا نفع فيه فان من
 غضب عليه الملك الشهيد لكل حركاته و سكناته لا يفلح هو ولا من
 تولاه، وأقل ما في ولايته من الضرر أنها تنقطع المعاونة فيها،
 والمشاركة بالموت وإن كان بعد الموت مشاركة ففي العذاب الدائم
 "المستمر الذي لا ينقطع عنهم" والخزى اللازم، وقد علم أن هذا الآخر
 هو أولها، وهذا الموصل مفضلها، فسبحان من أنزله كتابا معجزا
 ١٥ [حكيميا -^{١١}]، و قرآنا موجزا جامعا عظيما .

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : نهم (٢) في م : دنيا (٣) في م : الآخرة .
 (٤) سقط من م (٥) زيد في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفها (٦) زيد في الأصل : وضع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
 (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو في الأصل وظ ،
 ولم تكن الزيادة في م لحذفها (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : توليه .
 (١١-١١) سقط ما بين الرئتين من ظ و م .

* * *

خاتمة الطبع

لقد تم - والمحمد لله - طبع الجزء التاسع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ١٠ / رمضان المبارك سنة ١٤٠٢ هـ = ٢ / يوليو سنة ١٩٨٢ م ، تحت إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بآرك الله جهوده ، وضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الاعظمى الانصارى العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندى القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .
و اهتم بتقحيحه و إنهاءه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء العشرون باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الصف .
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسلم على من علم فوآيح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية